

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

ذكر سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية على مصر

- تقدم ذكر الملك الظاهر برقوق وأصله وخبر قدومه من بلاد الجارّكس إلى الديار المصرية وما وقع له بها إلى أن ملكها وتسلطن ، كل ذلك في ترجمته الأولى من هذا الكتاب .^(١) وذكرنا أيضا ما وقع له من يوم خلع نفسه وتجن بالكرّك^(٢) إلى أن خرج من الحبس وقاتل منطاشا وأتتصر عليه وعاد إلى الديار المصرية بعد أن أعيد إلى السلطنة بمتزلة شقّجب^(٣) ، وأشهد على الملك المنصور بخلع نفسه ، ثم

- تبيّه : يلاحظ أن المؤلف قد يأتي بكثير من العبارات التي تخالف قواعد اللغة العربية في مواضع كثيرة من هذا الكتاب ، فآثرنا إبقاءها على ما هي عليه مسيرة المؤلف في تعبيره ، وذلك ليتعرف القارئ بعض أساليب مؤرخي القرون الوسطى . وسنرمز للأصل المطبوع بجامعة كاليفورنيا بأمریکا بحرف «م» وللأصل الفوتوغرافي بحرف : «ف» .

- (١) انظر ترجمته الأولى ص ٢٢١ من الجزء الجادى عشر من هذه الطبعة .
(٢) الكرك (فتح أوله وتانيه وكاف أخرى) : كلمة أعجمية لقلمة حصينة جدا في أطراف الشام من نواحي البلقاء في جبالها بين أيلة وبحر القلزم والبيت المقدس ، وهي على سنّ جبل عال تحيط بها أودية إلا من جهة الرض . راجع معجم البلدان لياقوت الحموى (ج ٤ ص ٣١٢) .
(٣) شقّجب : قرية في الشمال الغربي من غياغب ويقال لها تل شقّجب ، ذكرها (دوسود) في الكلام عن وادى العمم من ضواحي دمشق (انظر كتاب التخطيط التاريخي لسور يا القدينية والمنوطة لرينيه دوسود طبع باريس سنة ١٩٢٧ ص ٣٢٢) .

سار حتى نزل بالصالحية ، كَلَّ ذلك في ترجمة السلطان الملك المنصور حاجى مَفْصَلاً ، فمن أراد شيئاً من ذلك فليَنظُرْهُ في محلّه ، ومن يومئذ نذكر رحيلَه من منزلة الصالحية إلى نحو الديار المصرية فنقول :

ولما نزل الملك الظاهر برقوق على منزلة الصالحية في يوم عاشر صفر سنة آتَين وتسعين وسبعمائة أقام بها نهاره ، وأعيان الدولة تأتيه قَوْجاً بعد فوج ، مثل أكابر الأمراء الذين كانوا بالحجوس وأعيان العلماء ومباشري الدولة وغيرهم .

ثم رَحَلَ من الغد بعساكره وصحبته الخليفة والملك المنصور حاجى والقضاة وسار بهم يُريد الديار المصرية إلى أن نزل بالرَّيدَانِيَّةِ خارج القاهرة في بكرة يوم الثلاثاء رابع عشر صفر ، فخرج الأعيان من العلماء والأمراء والفقراء إلى لقائه

(١) هو اليوم إحدى قرى مركز فاقوس بمديرية الشرفية ، اختطها الملك الصالح نجم الدين أيوب في أوّل الرمل بين مصر والشام في سنة ٦٤٤ هـ (راجع الصالحية في ذكر : « بلدة » الوزادة بالجيزة الأول من الخطط المقرزية وجدول أسماء البلاد المصرية) .

(٢) يستفاد مما ذكره المقرزى في خطه عند الكلام على الريدانية (ص ١٣٩ ج ٢) أن الريدانية اسم يطلق على بستان كبير أنشأه ريدان الصقل ، أحد خدام العزيز بالله زوار بن المعز لدين الله ، كان يحمل المظلة على رأس الخليفة وأختص بالخليفة الحاكم بأمر الله إلى أن قتله الحاكم في سنة ٣٩٣ هـ .

وأقول : إنه لما كان بستان الريدانية يقع في حدود الصحراء الواقعة في شمال القاهرة ، وكان الممار ينتهي إليه ، فقد أطلق اسم الريدانية على البستان وعلى ما يجاوره من الأراضي الرملية الغضاء التي كانت تمتد في ذلك الوقت ما بين المكان الذى فيه اليوم ميدان الأمير فاروق بباب الحسينية وبين الصحراء التي فيها الآن مدينة مصر الجديدة ، يؤيد ذلك جميع الوقائع والحوادث التي وقعت في الريدانية في عهد المماليك والتي وقعت بينهم وبين الترك . وذكرها ابن إياس في تاريخ مصر في عدة مواضع ، وكلها تدل على أن الريدانية كانت في الجهة السابق ذكرها ، ويدخل في حدود الريدانية الآن الوايل الصغرى والعباسية وتحتل الجيش الواقعة على حاجى شارع الخليفة المأمون ومنشية البكرى ومصر الجديدة .

ولا يزال يوجد من بقايا بستان ريدان الأراضي الزراعية الواقعة الآن على جانبي شارع بين الحماين وشارع أحمد بك سعيد بأراضي ناحية الوايل الصغرى خارج باب الحسينية بالقاهرة .

فخرجت الأشراف مع السيد الشريف على نقيب الأشراف، وخرجت طوائف الفقراء بأعلامها وأذكارها، ومشايخ الخوانق بصوفيّتها، وخرجت العساكر المصرية بلبوسها الحربيّة، لأنّ العسكر المصريّ كان من يوم خروج بَطّا وأصحابه من السجن وملكو الديار المصريّة ؛ عليهم آلة الحرب، وخرجت اليهود بالتسورة والنصارى بالإنجيل، ومعهم الشموع المشعولة . وخرج من الناس ما لا يُحصيه إلا الله تعالى . وعندهم من الفرج والسرور ما لا يُوصف، وهم يصيحون بالدعاء له حتّى لقوه وخاطبوه .

فشرع الملك الظاهر يُكلّم الناس ويُدنّهم ويرجع رُءوس الثوب عن منعهم من السلام عليه . وكلّما دعا له شخص منهم رَحّب به . هذا وقد فُرشت له الشُّقّ الحرير خارج الثُّرب إلى باب السلسلة^(١)، فلما وصل الملك الظاهر إلى الشُّقّ المفروشة له، تتخى بفرسه عنها وقدم الملك المنصور حاجّ، حتى مثنى بفرسه عليها، ومشى الملك الظاهر برقوق بجانبه خارجا عن الشُّقّ، فصار الموكب كأنه للـك المنصور لا للظاهر، فوقع هذا من الناس مَوْقعا عظيما، ورفعوا أصواتهم له بالدعاء والابتهال لتواضعه في حال غلبته وقهره له وكون المنصور معه كالأسير، وصارت القُبّة والطير على رأس الملك المنصور أيضا، والخليفة أمامهما وقضاة القضاة بين يدي الخليفة، وتناهت العائمة الشُّقّ الحرير بعد دَوس فرس السلطان عليها، من غير أن يمنعه أحد، وكذلك لما أثر عليه الذهب والفضّة تناهت العائمة . وكانت عادة ذلك كلّ للجُمُداريّة، فقصد الظاهر بذلك زيادة التجبّ للعائمة، كونهم أظهروا المحبة له في غيبتة، وقاموا مع المماليك، وصاروا مع ممالكه، وصار الملك الظاهر يُعظّم الملك المنصور في مشبه

(١) هذا الباب لا يزال موجودا، ويعرف قديما بباب الإسطل وباب الانكشاريّة، وأما اليوم

فيعرف بباب الغرب، نسبة إلى طائفة من العسكر تسمى عزبان، ووظيفتهم المحافظة على القلاع .

وخطابه، ويُعامله كما يعامل الأميرسلطانه، إلى أن أدخله داره بالقلعة؛ ثم عاد الملك الظاهر إلى حيث نزل من القلعة، وتفرغ عند ذلك لشأنه، وأستدعى الخليفة وقضاة القضاة والشيخ ميراج الدين عمر البلقيني والأمرء وأعيان الدولة، بحدّد عقد السلطنة له وتجديد التفويض الخلفي، فشهد بذلك القضاة على الخليفة ثانياً وأُقيمت التشاريق الخلفيّة على السلطان بسلطته، ثم أُقيمت التشاريق السلطانية على الخليفة، وركب السلطان الملك الظاهر من الإسطبل السلطاني من باب السلسلة بأبهة السلطنة وشمار الملك، وطأ إلى القلعة ونزل إلى القصر، وجلس على تخت الملك، ودقت البشائر وعُملت التهانى والأفراح بالقلعة وفي دور الأمرء وأهل الدولة، وكان هذا اليوم من الأيام التي لم يقع مثلاًها إلا نادراً.

ثم قام السلطان ودخل إلى حرمه وإخوته، فقُرِئت له أيضاً الشَّقَقُ الحرير والشَّقَقُ المذهبة تحت رجليه، وبُثِر عليه الذهب والفضة ولاقته التهانى من خارج باب الستارة، ثم أصبح السلطان في يوم الأربعاء، فأمر أن يُكتب إلى قنصل الإسكندرية بالإفراج عن الأمرء المسجونين بها، وإحضارهم إلى الديار المصرية.

(١) هذا الإسطبل مكانه اليوم بمجموعة المبانى التي بها مخازن ورش الجيش المصرى بالقلعة الواقعة على يمين الداخل من باب العزب الذى كان يسمى قديماً باب الإسطبل، في المسافة الممتدة بين جامع أحد أغا قيوچى إلى نهاية الورش من جهاتها الغربية والقبلىة والشرقية، هذا مع العلم بأن المكان الخالى للإسطبل المذكور ليس في منسوب أرض قلعة الجبل، بل هو في مستوى أوطأ مما عليه القلعة ويحيط به السور الأسفل الغربى المشرف على ميدان صلاح الدين بالقاهرة.

(٢) لما تكلم المقرئى على باب النحاس الذى سبق التعليق عليه في الحاشية رقم ٢ ص ١٨٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة قال: إن باب النحاس كان من داخل باب الستارة، والظاهر أن باب الستارة كان من أبواب القصور المخصصة لسكنى الملك وحرمه، وقد زال هذا الباب بزوال تلك القصور وحل مكانه السراى الكبيرى التى أنشأها محمد على باشا الكبير في سنة ١٢٤٣ هـ لسكناه وحرمه.

(٣) لما كانت الإسكندرية من المدن المصرية القديمة التى لها شأن عظيم في التاريخ أفرد لها المرحوم على باشا مبارك جزءاً من خطه وهو الجزء السابع ويقع هذا الجزء في ٩٥ صفحة من القطع الكبير.

ثم خَلَعَ السلطان على نحر المين بن مَكَائِس صاحب ديوان الجيش باستقراره
في وظيفته نَظَرَ الجيش عوضاً عن القاضي جمال الدين محمود القَيْصَرِيّ العجميَّ
بحكم توجُّهه مع منطاش إلى دِمَشق ، و خَلَعَ على الوزير موفق الدين أبي الفرج
وأمستقر به في الوزارة ، ونظر الخاص ، وعلى ناصر الدين محمد بن آقبا آص شاذ
الدواوين باستقراره . وأنعم على الأمير بَطَا الطُّوْلُوْتَمَرِيّ الظاهريّ بمائة
وتقدمة ألف بالديار المصرية ، وعيّن للدوادرية الكبرى وأخلع على الأمير قرقاش
الطشتمريّ أستاذاراً .

ثم في سابع عشر صفر قَدِمَ الأمراء من الإسكندرية إلى برج الحيزة ، فباتوا به
وعَدَوْا في ثامن عشره وطلعوا إلى القلعة وهم سبعة عشر أميراً ، أعظمهم الأتابك
يَلْبُغا الناصريّ ، الذي كان خرج على الملك الظاهر ، وقَبَضَ عليه وحبسه بالكرك
ثم الأمير الطُنْبُغا الجوبانيّ نائب الشام الذي كان قبض على الملك الظاهر برقوق من
بيت أبي يزيد ، وطلع به إلى القلعة نهراً ، ثم الأمير الكبير قرأ ديمرداش الأحمديّ
الذي كان الظاهر جعله أتابك العساكر بديار مصر ، وأنعم عليه بثلاثين ألف دينار
فتركه وتوجّه إلى يلبغا الناصريّ المقدم ذكره ، والأمير الطُنْبُغا المعلم أمير سلاح
وهؤلاء الأربعة من أعيان اليلبغاوية خُشِدَاشِيَّة الملك الظاهر برقوق ، ثم الأمير
أحمد بن يلبغا أمير مجلس الذي كان سبباً لكسرة عسكر الملك الظاهر بدِمَشق بهروبه
إلى الناصريّ ، والأمير قَرَدَم الحسنيّ اليلبغاويّ رأس نوبة الثوب والأمير سُودُون
باق أحد أمراء الألوف اليلبغاوية والأمير سودون طُرُنْطَاي أحد الألوف أيضاً
والأمير آقبا الماردينيّ الأستاذار أحد الألوف ، وكُشِلِي اليلبغاويّ^(١) وبجّاس التوروريّ

كلاهما أيضا مقدم ألف ومأمور القلنطاوى نائب حماة والكرك والطنبغا الأشرقى
أحد الألوفا أيضا وبلغا المنجكى ويونس العناني ، فوقف الجميع بين يدي الملك
الظاهر برقوق وقبلوا الأرض له ، وهم في غاية ما يكون من الخجل والحياء منه ، بما
تقدم منهم في حقّه ، فوَحِبَ بهم الملك الظاهر وطَيَّبَ خواطرهم ولم يذكر لهم
ما فعلوه به ولا عَثَبَهُم عن شيء مما وقع منهم في حقّه ، بل أكرمهم غاية الإكرام بكلّ
ما يمكن القُدرة إليه ، ثم أمرهم بالتزول إلى بيوتهم ، فترك الجميع وهم في غاية
السُرور .

ثم في يوم الاثنين العشرين من صفر جلس السلطان بالإيوّن^(١) من القلعة المعروفة
بدار العدل ، وأخلع على الأمير سُودون الفخرى الشيخونى بنسابة السلطنة بالديار
المصرية على عادته أولا ، وعلى الأمير إينال اليوسفى اليلغاوى باستقراره أتابك
العساكر بالديار المصرية ، وعلى الأمير الكبير يلغا الناصرى صاحب الوقعة باستقراره
أمير سلاح ، وعلى الأمير الطنبغا الجوبانى باستقراره رأس توبة الأمراء وأطابكا
وعلى الأمير كشبغا الأشرقى الخاصكى باستقراره أمير مجلس وعلى الأمير بطا الطولوتيمرى
الظاهرى باستقراره دوادارا كبيرا ، وهو الذى كان خرج من حبس القلعة ومَلَك
باب السلسلة في فتنة الملك الظاهر وعلى الأمير طوغان العمرى باستقراره أمير

(١) يستفاد مما ذكره المقرئى في خطه في الكلام على الإيوّن بقلة الجبل (ص ٦ ج ٢) أن
الإيوّن المعروف بدار العدل أنشأه الملك المنصور قلاوون ثم جدده أبوه الملك الأشرف خليل ، وفرض
بالقاعة الأشرقية ، واستمر جلوس نائب دار العدل به إلى أن هدمه الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ثم أعاد
بناؤه في سنة ٧٣٠ هـ فزاد فيه وأنشأ به قبة جليلة وأقام عمدا عظيمة ، ونصب في صدره هرير الملك
وعمل أمام الإيوّن رحبة فسحة ، بغا من أعظم المباني . وكان الموكب يجلسون فيه لنظر المظالم ، ولذلك
سمى دار العدل ؛ وبالبحت تبين لى أن هذا الإيوّن مكانه اليوم جامع محمد على باشا الكبير بقلة القاهرة .
وأما الرحبة التى كانت أمامه فكانها الحوش الواقع تجاه الوجهة البحرية الشرقية للجامع المذكور .

بجاندار ، وعلى سودون النظامي باستقراره نائب قلعة الجبل ، ونزل الجميع بالحلج^(١) وتحتمم الخيول بالسروج الذهب والكأيش الزركش إلى دورهم ، بعد أن خرجت الناس للفرجة عليهم ، فكان يوما من الأيام المشهودة .

ثم في يوم حادى عشرين صفر أخلع السلطان على الأمير بكتكش العلائي باستقراره أمير آخور كبيراً ، وسكن بالإصطبل السلطاني .

ثم في يوم الخميس ثالث عشرين صفر قرئ عهد السلطان الملك الظاهر برقوق بدار العدل ، وخلع السلطان على الخليفة المتوكل على الله وأخلع على القاضي علاء الدين على بن عيسى المقيري الكركي كاتب مير الكرك في كتابة سر مصر ، لما تقدم له من الأيادى على الظاهر في القيام معه بالكرك ، عوضاً عن القاضي بدر الدين محمد ابن فضل الله بحكم توجهه أيضاً مع منطاش إلى دمشق .

ثم أخلع السلطان على بيحاس السودوني باستقراره في نيابة صفد . وفي سادس عشرينه قبض السلطان على حسين بن الكوراني وأمر به فعدب بأنواع العذاب .

وفيه قدم البريد على السلطان من صفد بفرار الأمير طغاي عمر القبلاوى من دمشق إلى حلب في مائتين وواحد من المنطاشية .

وفي سابع عشرين صفر استقر الأمير محمود بن على الأستاذار كان باستقراره مشير الدولة .

(١) قلعة الجبل : لا تزال موجودة إلى اليوم بأسوارها العالية على قطعة مرتفعة منفصلة عن جبل المقطم شرق القاهرة ، تشرف على ميدان صلاح الدين ، بل على القاهرة كلها ، أنشأها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة ٥٧٢ هـ .

وفي يوم الأربعاء ثامع عشر من شهر ربيع الأول سنة ٧٩٢ هـ جلس السلطان الملك الظاهر بالميدان^(١) من تحت القلعة للنظر في أحوال الرعية والحكم بين الناس على العادة ، واستمر على ذلك في كل يوم أحد وأربعاء .

وفي ثامن عشر شهر ربيع الأول أطلع السلطان على الشيخ محمد الركاكي المالكي باستقراره في قضاء المالكية بالديار المصرية عوضا عن تاج الدين بهرام الديري . والركاكي هذا هو الذي كان امتنع من الكتابة على أفتيا في أمر الملك الظاهر بقوق لما كتب عليها البلقيني وغيره من القضاة والعلماء ، وضربه منطاش بسبب عدم كتابته . وحسبه إلى أن أطلقه بطا فيمن أطلق من سجن منطاش ، فعرف له الظاهر ذلك وولاه قضاء المالكية .

وفيه استقر سعد الدين أبو الفرج بن تاج الدين مرسى المعروف بأبن كاتب السعدى باستقراره في نظر الخاص عوضا عن صاحب موقى الدين ، وأنفرد موقى الدين بالوزر .

وفي خامس عشرين شهر ربيع الأول استقر الأمير الطنبغا الجوباني رأس نوبة الأمراء في نيابة الشام عوضا عن جتتمراخي طاز بحكم انضمامه مع منطاش . واستقر الأمير قرا دمرداش الأحمدي في نيابة طرابلس ورسم لهما الملك الظاهر في محاربة الأمير منطاش .

وفي يوم السبت أول شهر ربيع الآخر استقر الأمير مأمور القلمطاوى في نيابة حماة واستقر أرغون العثماني في نيابة الإسكندرية ، وآلبغا العثماني حاجب حجاب دمشق ، وأسندمر السيفي حاجب حجاب طرابلس .

(١) هذا الميدان الذي ذكره القرطبي في خطه باسم الميدان بالقلعة (ص ٢٢٨ ج ٢) فقال : « إن هذا الميدان من بقايا ميدان أحمد بن طولون ثم جدّه الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب في سنة ٦١١ هـ ثم أهتم به الملك الصالح نجم الدين أيوب اهتماما زائدا ، وأنشأ حوله الأشجار بغا . من أحسن المادين » .

وفيه أيضا أنعم السلطان على كل من الطنبغا الأشرقي وسودون باق وبجنان المحمدي بإمرة مائة بدمشق ورسم لهم أن يخرجوا ثواب البلاد الشامية .
وفي سابع عشر شهر ربيع الآخر المذكور استقر سعد الدين نصر الله بن البقري^(١) في الوزارة عوضا عن موفق الدين أبي الفرج ، واستقر صاحب علم الدين سن إبرة في نظر الدولة .

وفي رابع عشرينه قبض السلطان على الأمير سربغا الظاهري وعلى الأمير أيدكار العمري وعلى بكتمر الدوادار وعلى طشبا الحسني وقراغا وارغون الزيني .
وفيه أيضا خلع السلطان على الأمير جلبان الكشيفاوي الظاهري المعروف بقراقل بأستقاراه رأس نوبة الثوب بعد وفاة الأمير حسين قجا . كل ذلك والأخبار ترد على السلطان بأن المنطاشية تدخل في الطاعة شيئا بعد شيء وأن منطاشا في إدار .
وفيه أخلع السلطان على الأمير يلغا الناصري واستقر به مقدم العساكر المتوجهة لقتال منطاش ، وندبه للتوجه بحجة الثواب ، وقال له : هو غريمك . اعرف كيف تقاتله . وجعل إليه مَرَجَع العسكر جميعه .

وفيه أيضا خلع على ثواب الشام خلع السفر . وأنعم السلطان على جماعة كبيرة من مماليكه وغيرهم بإمريات بالبلاد الشامية ، ورسم أيضا بجماعة من أمراء مصر بالسفر بحجة الأمير يلغا الناصري لقتال منطاش .

وفي عاشر جمادى الأولى برزت أطلاب الثواب والأمراء إلى الريدانية خارج القاهرة ، هذا بعد دخول الأمير قطلوبغا الصفوي في طاعة السلطان وحضوره إلى الديار المصرية بمن معه ، كما سيأتي ذكره .

(١) في ف : « سعد الله » .

(٢) الأطلاب : هم الحرس الخاص لأمراء الممالك يحملون سلاحا كالأجناد .

وكان من خبر قُطْلُوْبُنَا الصَّفْوَى أَنْ منطاشاً جهّزه على تجريدة من دِمَشْقٍ
لمحاصرة مدينة صَفَدَ^(١)، فلما قارب قُطْلُوْبُنَا صَفَدَ، دَخَلَ هو وجميع مَنْ معه في طاعة
السلطان .

ثم قَدِمَ قُطْلُوْبُنَا المذكور بَمَنْ معه في ثالث عشر جُمَادَى المذكورة، وكان لقُدومه
يومٌ مشهود . وعند دخوله إلى القاهرة قَدِمَ البريدُ في إثره بأن منطاشاً لما بلغه
مخامرة الصَّفْوَى بَمَنْ معه، قبض على الأمير جَتَمَرُ أُنْخِي طاز نائب الشام وهو
أعظم أصحابه وعلى ولده وعلى أستاذاره الطنبا وعلى الأمير أحمد بن خوجي وعلى
الأمير أحمد بن قجق وعلى كشيغا المنجكي نائب بعلبك وعلى القاضي شهاب الدين
أحمد بن عمر القرشي الشافعي قاضي دمشق وعلى عدة من الأمراء والأعيان ؛ هذا
وجيء المنطاشية يتداول إلى مصر شيئاً بعد شيء .

وفي تاسع عشر ربه استقر الأمير محمود بن علي الأستاذار أستاذاراً على عادته
عوضاً عن الأمير قرقماس الطشتمري بعد وفاته .

هذا والقتال عمال بالبلاد الشامية في كل قليل بين عسكر منطاش وعساكر
السلطان .

ثم قَدِمَ البريد بأن منطاشاً أخذ بعلبك بعد ما حاصرها محمد بن بيدمر نحو أربعة
أشهر وأنه وسَّطَ أبن الخنش وأربعة نفر معه .

(١) صفد : مدينة في جبال حاملة المطلة على حصص بالشام وهي من جبال لبنان .

(٢) بعلبك : مدينة قديمة ، فيها أبنية مجيبة وآثار عظيمة وقصور على أساطين الرخام ، لا نظير لها في الدنيا
بينها وبين دمشق ثلاثة أيام ، وقبل آتينا عشر فرسخاً من جهة الساحل (عن معجم البلدان لياقوت الحموي) .

وفي سابع عشر جمادى الآخرة قدم البريد بأن منطاشا لما بلغه قدوم العساكر لقتاله برز من دمشق وأقام بقبة يلغا أياما ، ثم رحل نصف ليلة الأحد ثالث عشر جمادى الآخرة بخواصده . وهم نحو ستمائة فارس ومعه نحو سبعين حملا ما بين ذهب وفضة ، وتوجه نحو قاراً والتبكت ، بعد أن قتل جماعة من المالك الظاهرية وقتل الأمير ناصر الدين محمد بن المهندار نائب إالة كان وأن الأمير الكبير أيتمش خرج من سجنه بقلعة دمشق ، وأفرج عن كان محبوسا بها ، وملك القلعة وأرسل إلى الثواب بعلهم بذلك . فلما سمع الثواب ذلك سادوا إلى دمشق وملكوها من غير قتال ، فسّر السلطان بذلك سرورا عظيما ودقت البشائر ونودي بالقاهرة ومصر بالزينة .

١٠ وفي سابع عشر جمادى الآخرة المذكور ، قدم البريد من دمشق بثلاثة عشر سيفاً من سيوف الأمراء المنطاشية الذين قبض عليهم بدمشق .
ثم في حادى عشر منه قدم البريد أيضا بثمانية سيوف أيضا من المنطاشية ، ثم قدم البريد بسبعة سيوف أخرى منهم سيف الأمير ألتينغا الحلبي وسيف دمرداش اليوسفى .

١٥ وفي ثالث عشر منه قدم البريد بأن الأمير نعيم بن حيار قبض على الأمير منطاش فدقت البشائر لذلك ، ثم تبين كذب الخبر .

وفي سابع عشر منه حضر الأمراء المقبوض عليهم من المنطاشية بدمشق .

(١) ورد في الجزء العاشر من الحجوم طبع الدارص ١٥١ ص ١٧ : « وكان الأمير يلغا الجبارى

لما عاد إلى دمشق بغير قتال عمر قبة سماها قبة النصر التي تعرف الآن بقبة يلغا » .

(٢) راجع الحاشية رقم ٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة حيث نجد لها شرحا وافيا .

(٣) البك (الفتح) : بلدة بوادى الدخان بين حمص ودمشق . راجع تاج العروس ، الجزء السابع .

وفي يوم الخميس ثاني شهر رجب قَدِمَ القاضي عماد الدين أحمد بن عيسى المُقَيَّرَى قاضي الكرك إلى القاهرة، بعد أن خرج الأعيان إلى لقائه وطلع إلى القلعة فلما وقع بصَّرُ السلطان عليه قام له، ومشى لتلقيه خطوات، وعانقه وأجلسه بجانبه وحادثه ساعة، ثم قام ونزل إلى داره؛ كُلُّ ذلك لما كان له على السلطان أيام حبسه بالكرك من الخدم.

وفي ثاني عشر شهر رجب حضر من دمشق القاضي بدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر والقاضي جمال الدين محمود العجمي ناظر الجليش وزلافي بيوتهما من غير أن يجتمعا بالسلطان لتوغر خاطر السلطان عليهما لكونهما توجَّها إلى دمشق صحبة منطاش.

وفي ثالث عشره أطلع السلطان على القاضي عماد الدين الكركي المقدم ذكره باستقراره قاضي قضاة الديار المصرية عوضا عن القاضي بدر الدين محمد بن أبي البقاء، فصار عماد الدين هذا قاضي قضاة مصر وأخوه علاء الدين المقدم ذكره كاتب سر مصر.

ثم قَدِمَ الخبر على السلطان من حلب بأن الأمير كُشْبغا الجموي نائب حلب لما أنهزم وتوجَّه إلى حلب جهز إليه منطاش من دمشق بعد عود الملك الظاهر إلى مصر عسكرا عليه الأمير تمان تمر الأشرقي، فوصل تمان تمر المذكور إلى حلب واجتمع به أهل بَانْقُوسَا^(١)، وقتلوا كُشْبغا المذكور وحصلوه بقلعة حلب نحو أربعة أشهر ونصف، وأحرقوا الباب والجسر، ونقبوا القلعة من ثلاثة مواضع، فنقب كُشْبغا على أحد الثُغُوب من أعلاه، ورمى على مَنْ به من فوق بالمسكاحل وأختطفهم

(١) بَانْقُوسَا : قرية من قرى حلب، سميت باسم جبل بَانْقُوسَا وهو في ظاهر حلب من جهة الشمال انظر (باقوت ج ١ ص ٤٨٢ وج ٢ ص ٣١١ طبع أوروبا).

- بكلاليب الحديد ، وصار يقاتلهم من النقب فوق السبعين يوما وهو في ضوء الشموع بحيث إنه لا ينظر شمسا ولا قمر ولا يعرف الليل من النهار ، وقاسى شدة برد وحرًا ، ودام ذلك عليه إلى أن بلغ ثمان تمر المذكور فرار منطاش من دمشق فضعف أمره ، فثار عليه أهل بانقوسا ونهبوه ، فحضر حاجب حجاب حلب إلى الأمير كشبغا وأعلمه بذلك ، فعمّر كشبغا الجسر في يوم واحد ، ونزل وقاتل أهل بانقوسا يومين ، وقد أقاموا عليهم رجلا يعرف بأحمد بن الحرامى^(١) ؟ فلما كان اليوم الثالث وقت العصر آنكر أحد بن الحرامى المذكور وقبض كشبغا عليه وعلى أخيه وعلى نحو الثمانمائة من الأتراك والأمراء واللبانقوسية ، فوسطهم كشبغا بأجمعهم وضرب بانقوسا حتى صارت دكا ، ونهب جميع ما فيها . ثم إن الكتاب يتضمن أيضا أن كشبغا بالغ في تحصين قلعة حلب وعمارتها وأعد بها مؤونة عشر سنين ، وأنه جمع من أهل حلب مبلغ ألف درهم ، وعمّر سور مدينة حلب وكان منذ حربته هولاكو خرابا ، فجاء في غاية الحسن ، وعمل له بابين وقرعته في نحو الشهرين ونصف ، وكان أكثر أهل حلب يعمل فيه وأن الأمير شهاب الدين أحمد بن المهيندار والأمير طغجى نائب دويركى كان لهما قيام تام مع الأمير كشبغا في هذه الواقعة . انتهى .
- قلت : يقال : إنه قُتل في واقعة كشبغا مع الحلبيين بحلب نحو العشرين ألفا من الفريقين . ثم أُشيع بالقاهرة أن الأمير بطا الطولوت مرى الدوادار يريد إفاة فنتة ، فتحزّز الأمراء وأعدّوا للحرب إلى أن كان يوم الاثنين عشرينه جلس السلطان بدار العدل على العادة ، ثم توجه إلى القصر ومعه الأمراء فتقدم الأمير
- (١) في هامش م : « بان » . (٢) في هامش م « طبعي » . (٣) دوركى : ضم الدال المهمله وسكون الواو وكسر الراء والكاف بعدها ياء النسبة ، من بلاد الروم وهو من مضافات حلب عن معجم البلدان لياقوت (ج ٥ ص ٢٠) . (٤) دار العدل : هى الإيوان الذى أنشأ الملك المنصور قلاوون وأعاد بناءه ابنه الملك الناصر محمد ، وكان الملوك يجلسون فيه لنظر النظام ، ولذلك سمى بدار العدل . راجع الحاشية رقم ١ ص ١٠١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

بطا إلى السلطان وقال للسلطان : قد سمعت ما قيل عني وهانا . وحل سيفه وعمل في عنقه منديلا ، فسأل السلطان الأمراء عما ذكره الأمير بطا وأظهر أنه لم يسمع شيئا من ذلك ، فذكر الأمراء أن الأمير كشيغا رأس نوبة تنافس مع الأمير بككش العلائي أمير آخور .

٥ ثم وقع بين الأمير بطا ومحمود الأستاذار غاشنة في اللفظ ، فاشاع الناس ما أشاعوه فجمعهم السلطان وأصلح بينهم .

ثم حلفهم على طاعته وحلف الممالك أيضا ، وطيب خواطر الجميع بلين كلامه ودهائه ؛ وفي النفس من ذلك شيء .

١٠ ثم أحضر السلطان مملوكا أسمهم أنه هو الذي أشاع الفتنة ، فضرب ضربا مبرحا وتمر على جمل وشهر ، ثم سُجِنَ بِخَزَانَةِ شِمَائِلَ ، فلم يُعرف له خبر بعد ذلك ، وهو من الممالك الظاهرية .

١٥ ثم قبض السلطان على الأمير يلغا أحد أمراء العشرات ، وتمر ونودي عليه : هذا جزاء من يرى الفتن بين الأمراء . وسكنت الفتنة بعد أن كادت أن تتور . وبينما السلطان في ذلك وصل إليه الخبر من الشام بأن منطاشا ونعيم بن حيار جمعوا جمعا كبيرا من الممالك الأشرفية والتركمان والعربان وقصدوا التواب ، والأمير يلغا الناصري مقدم المساكر ، فلما بلغ الناصري ذلك خرج بالعساكر هو والأمير الطنغا الجواني نائب

(١) خزانة شمائل ، كانت من سجون القاهرة ، ذكرها المقرئ في خطه (ج ٢ ص ١٨٨) .

فقال : كانت بجوار باب رويلة على يسرة من دخل منه بجوار السور ، عرفت بالأمير علم الدين شمائل وإلى القاهرة في أيام الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب وكانت من أشنع السجون وأقبحها منظرا يحبس فيها من وجب عليه القتل ومن يريد السلطان هلاكه ، وقد هدمها الملك المؤيد شيخ الحمودى

في سنة ٨١٨ هـ وأدخلها في حملة ما هدمه من الدور التي أدخلها في المدرسة .

- الشام وغيره من دمشق ونزل بسلامية^(١)، وخلفوا الأمير الكبير أَيْتْمَش البجاسي بدمشق لحفظها، فثار على أَيْتْمَش المذكور بدمشق بعد خروج العسكر منها جماعة من المماليك البيدُصرية والطازية والجهتمرية في طوائف من العامة يريدون أخذ مدينة دمشق من أَيْتْمَش، فأرسل أَيْتْمَش بطاقة من قلعة دمشق إلى سلمية، يعلم الأمراء والنواب بذلك، فالتأ سَمِيع الناصري الخبر ركب ليلا في طائفة من عسكره وقدم دمشق ومعه الأمير آلابغا العثماني حاجب حجاب دمشق، وقاتل المذكورين قتالا شديدا، قُتِلَ بينهما خلائق كثيرة من العامة والأتراك، حتى انتصر الناصري وقبض على جماعة منهم ووسطهم تحت قلعة دمشق، وقبض أيضا على جماعة كثيرة فقطع أيديهم وهم: نحو سبعمائة رجل، قاله الشيخ نقي الدين المفريزي — ساعده الله — وحبس جماعة أخر. ثم عاد الناصري إلى سلمية بعد أن مهد أمر الشام واجتمع مع أصحابه النواب، فذكروا له أن منطاشا فرق أصحابه ثلاث فرق، فأشار عليهم الناصري بأنه أيضا يُفَرِّق أصحابه وعساكره، فتنفروا هم أيضا ثلاث فرق: الناصري فرقة، والحوثاني فرقة، وقرادمر داش نائب طرابلس فرقة. فأما الناصري، فإنه تولى قتال نعيم بن حيار، فخاربه وكسره أقبح كسرة، وقتل جمعا كبيرا من غُربانه؛ على أن نصيرا كان من أصحاب الناصري قبل ذلك، ومن خرج على منطاش غضبا للناصري، وركب الناصري قفا نعيم إلى منازل.
- وأما الأمير قرادمر داش الأحمدي نائب طرابلس فانتدب لقتال منطاش، فإنه كان بينهما عداوة قديمة، فتواقعا وفتقاتلا قتالا شديدا، برز فيه كل من منطاش وقرادمر داش لصاحبه، وضرب كل منهما الآخر بسيفه، وجاءت ضربة منطاش
- (١) سلمية (بفتح أوله وسكون الميم): بلدة بناحية البرية من أعمال حماة بينها مسيرة يومين يسير الإبل، وأهل الشام يطلقونها (سلمية بكسر الميم وتشديد الياء).

في يد قرا دمر داش، فقلعت عدة أصابع من أصابعه، وجاءت ضربة قرا دمر داش^(١) في كَيْفٍ منطاش لَحْتَه، هذا والحباني في القلب واقف بعساكره، فخامرت جماعة من الأشرية من نجداشية منطاش وجاءت إليه، وصارت من عسكره، وكان حضر إلى الحباني قبل ذلك جماعة أخر من الممالك الأشرية، فأحسن إليهم الطنبغا الحباني وقربهم وجعلهم من خواص عسكره، فأنفقوا مع بعض ممالك الحباني على قتل الحباني، فلما كان وقت الواقعة، وقد ألتحم القتال بين الناصري وتُمر وبين قرا دمر داش ومنطاش وثبوا عليه من خلفه وقتلوه بالسيوف، ثم قبضوا على الأمير مأمور القلمطاوي نائب حماة ووسطوه، ثم قتلوا الأمير آقبا الجوهري والثلاثة من عظماء الممالك اليلغاوية نجداشية الملك الظاهر برقوق وأكابر أمرائه، ثم قتلوا عدة أمراء أخر من اليلغاوية وكانت هذه الواقعة من أعظم الملاحم، قُتل فيها من الفريقين عالم لا يحصى كثرة وأتهدت العربان والتركمان والعشيرة ما كان مع العسكرين، وقدم البريد بذلك على السلطان، فشق عليه قتل الأمراء إلى الغاية، وأخبر البريد أيضا أن منطاش لما أنكسر من قرا دمر داش وهو مجروح أشيع موته، فأقام الأشرية عوضه عليهم نجداشهم الأمير الطنبغا الأشرفي، فلما حضر منطاش من الغد غَضِبَ من ذلك وأراد قتل الطنبغا الأشرفي فلم تمكنه الأشرية من ذلك .

وأما يلبغا الناصري فإنه لما رجع من محاربة تُعير ووجد الأمير الطنبغا الحباني قد قُتل، جمع العساكر وعاد إلى دمشق وأقام به يومين حتى أصلح أسره، ثم خرج من دمشق بجميع العساكر وأغار على آل عي، فوسَّط منهم جماعة كبيرة نحو مائتي نفس ونهب بيوتهم وكثيرا من جاههم، وعاد إلى دمشق وكتب للسلطان أيضا بذلك ،

(١) رواية ف : (وكانت) .

(٢) العشير : هو المعاشر ، والمراد هنا الجند المرتزة .

فكتب السلطان للناصرى "الجواب بالشكر والثناء والتأسف على الأمير الطنبغا الجوبانى" وغيره وأرسل إليه الأمير أبا يزيد بن مراد بالتقليد والتشريف بنبابة الشام عوضا عن الطنبغا الجوبانى ومبلغ عشرين ألف دينار برسم النفقة في العساكر .

قلت : وأبو يزيد هذا هو الذى كان أخفى عنده الملك الظاهر برقوق لما خلع نفسه عند حضور الناصرى ومنطاش إلى الديار المصرية .

ثم في يوم الخميس أول ذى الحجة من سنة آئنتين وتسعين المذكورة ، رسم السلطان لـ"الأمير قرايـمرداش الأحمدي" نائب طرابلس باستقراره في نيابة حلب عوضا عن الأمير كشـبغا الحموي بحكم عزله وقدمه إلى القاهرة وجهز إليه التقليد والتشريف على يد الأمير تنبک المعروف بـ"تم الحسنى" الظاهري .

ثم في خامس ذى الحجة استقر السلطان بالأمير إينال من نجا أتابك حلب باستقراره في نيابة طرابلس عوضا عن الأمير قرايـمرداش المتفيل لنيابة حلب ، واستقر الأمير آقبا الجمالى الظاهري أتابك حلب عوضا عن إينال المذكور واستقر الأمير محمد بن سـلار حاجب حجاب حلب وكتب لسولي بن دلفادر نيابة أبلستين^(١) .

ثم في يوم عيد النحر خرج الأمير بيليك المحمدي لإحضار الأمير كشبغا الحموي إلى بلغاوى نائب حلب ، ثم أرسل السلطان الملك الظاهر الأمير عمر بغا المنجى بمال كبير يُنفقه في العساكر الشامية ويجهزهم إلى عينتاب لقتال منطاش^(٢) .

ثم في سادس محرم سنة ثلاث وتسعين وسبع مائة ورد الخبر من دمشق بأن الأمير بلغا الناصرى تنافس هو والأمير الكبير أيتـمـش البجاسى فاضمر الناصرى الخروج

(١) أبلستين : بالفتح ثم الغم ولام مضومة أيضا والسين المهملة ساكنة وتاء فوقها بفتحان مفتوحة وباء ساكنة ونون : هي مدينة مشهورة ببلاد الروم وسلطانها من ولد قلع أرسلان الساحوى ، قرية من أبس مدينة أصحاب أهل الكهف (راجع باقوت أول ص ٩٣) .

(٢) هي بلدة كبيرة بها قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية .

عن الطاعة وليس السلاح وألبس حاشيته ونادى بدمشق مَنْ كان من جهة منطاش فليحضر ، فصار إليه نحو ألف ومائتي فارس من المنطاشية ، فقبض على الجميع وسجنهم ، ثم قلع السلاح وكتب بذلك إلى السلطان يعرفه ، فأجابه السلطان بالشكر والثناء .

ثم في ثانی صفر رَسَمَ السلطان بهدم مدرسة السلطان حسن فهدمت ^(١) وُفِتحَ بابُها من شباك بالثرميلة تجاه باب السلسلة .

ثم قَدِمَ الأمير كَشْبُغا الحموي نائب حلب إلى القاهرة في سابع صفر ، بعد أن خرج الأمير سُودُونُ النائب مع أعيان الأمراء والمحجّاب إلى لقائه وطلع إلى القلعة وقبل الأرض ، فقام له السلطان وأعتقه وأجلسه في الميمنة فوق الأمير الكبير إينال اليوسفي ونزل إلى دار أُعدت له ، وبمَثَ له السلطان ثلاثة أرؤس من الخيل بَقَاش ذهب وحضر مع كَشْبُغا أيضا الأميرُ حسام الدين حسن الكُجُكُي نائب الكرك وكان قد أنهزم مع كَشْبُغا نائب حلب من يوم وقعة شَقَحَب ، فرحب السلطان به أيضا وأكرمه وأرسل إليه فرسا بَقَاش ذهب وقدم معهما أيضا عِدَّةُ أمراء أُخَر .

ثم قَدِمَ البريد في أثناء ذلك بأن العساكر الشامية وصلت إلى مدينة عَيْنتاب ^(٢) ففزع منطاش إلى جهة مَرَعَش وقرَّ من عنده جماعة كبيرة ودخلوا تحت طاعة السلطان .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٢٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة حيث نجد لها عمرها وإياها .
(٢) مرعش : مدينة في النور بين الشام وبلاد الروم ، كان في وسطها حصن عليه سور يعرف بالمرواني ، بناء مروان الحمار . ثم أحدث الرشيد بعده سائر المدينة ، وبها ربض يعرف بالهارونية ، وقد ذكرها شاعر الحماسة فقال :

فلو شهدت أم القديد طماننا * بمرعش خيسل الأرضي أوت

عشبة أرى بهم بلبلانه * وتنفق وقد وطنها فاطمات

ثم أحضر السلطان الأمير حسام الدين حسن بن باكيش نائب غزّة من السجن وضربه بالمقارع وأحضر أيضا آقبا المارديني نائب الوجه القبلي وضربه على أكتافه وأمر والى القاهرة بتخليص حقوق الناس منه وأستقرّ عوضه في كشف الوجه القبلي الأمير بلبغا الأحمدي المنجنون أحد المماليك الظاهرية .

- ٥ ثم في تاسع عشرينه أحضر السلطان القاضي شهاب الدين أحمد بن الجبال الحنبلي قاضي طرابلس فضرب بين يديه عدة عصي بسبب قيامه مع منطاش .

ثم أنعم السلطان على الأمير حسام الدين الكجكيني نائب الكرك كان بإقطاع أرغون العثماني البجقمدار نائب الإسكندرية والإقطاع مقدمة ألف بالقاهرة .

- ثم خرج البريد من مصر بإحضار الأمير أيتمش ألبجاسي من دمشق وكان بها من يوم قبض عليه الناصري في واقعة الناصري ومنطاش مع الملك الظاهر برقوق وحبس بقلعة دمشق إلى أن أطلق بعد خروج منطاش من دمشق وأستمر بدمشق لمصالح الملك الظاهر حتى طُلب في هذا التاريخ وخرج بطلبه الأمير قنق باي الأحمدي رأس نوبة ، فقدم في يوم الاثنين رابع جمادى الأولى على البريد ، فتلّقه الأمير سودون النائب والمُجّاب وقدم مع أيتمش المذكور عدة أمراء ، منهم :
١٥ آلبغا العثماني حاجب مُجّاب دمشق والأمير أيتمش المذكور والأمير جتتمر أخو طاز نائب دمشق كان وأمير ملك آبن أخت جتتمر وديمر داش اليوسفي وألطنغا الحلبي وكثير من المماليك السلطانية وجماعة آخر والجميع في الحديد على ما يأتي ذكرهم ، ما خلا المماليك الظاهرية وطلع الأمير أيتمش إلى السلطان وقبّل الأرض فأكرمه السلطان وأجلسه في الميسرة تحت الأمير سودون النائب وكانت مقرئته في الميمنة ، فإنه كان أتاكك العساكر بالديار المصرية قبل توجهه إلى قتال
٢٠ الناصري ، لكنه لما حضر الآن كان بطالا وكان الأتابك يومئذ الأمير إينال

اليوسُفَى الْبَلْبَغَاوَى، على أنه يجلس تحت الأمير الكبير كشبغا الحموى نائب حلب كان، فلو جلس الأمير أَيْمَشُ الآن في الميمنة لجلس ثالثا، فإنه لا يمكنه الجلوس، فوقف إينال كونه مُتَوَلِّيا أُنابك العساكر وأَيْمَشُ الآن منفصل، فرسم له السلطان أن يجلس في الميسرة ولم يُخَسِرْ أن يأمره بالجلوس فوقه لِكِبَرِ سِنِّه وقُدَمَتِه، فجلس تحته .

قلت: وهذا شأن الدنيا، الرفع والخفض، ثم أحضر السلطان "أمراء القاديين" صحبة الأمير الكبير أَيْمَشُ وعدتهم ستة وثلاثون أميرا ومعهم أيضا قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن عمر القرشي الشافعي قاضي قضاة دمشق والقاضي فتح الدين محمد بن محمد بن أبي بكر بن إبراهيم بن الشهيد كاتب سر دمشق وآبن شكر ناظر جيش دمشق والجميع في القيود، فوثج السلطان الطنبغا الحلبي وجتمع نائب الشام وآبن القرشي وأطال الحديث معهم وكانوا قابلوه في محاربتهم لدمشق بأشياء قبيحة إلى الغاية وأخشوا في أمره إخاشا زائدا، بحيث إن القاضي شهاب الدين القرشي المذكور كان يقف على سور دمشق ويُنادي: إن قتال برقوق أوجب من صلاة الجمعة وكان يجمع عوام دمشق ويحضرهم على قتاله ويرى الملك الظاهر بعظام في دينه ويختلف عليه ما ليس هو فيه .

ثم أمر بهم الملك الظاهر فسيجنوا وأسلم آبن شكر لشاذ الدواوين، فعصره والزمه بمثل ستة آلاف دينار ثم أفرج عنه . ولما نزل الأمير أَيْمَشُ إلى داره بعث إليه السلطان بأشياء كثيرة من الخيل والجمال والقماش والماليك، ثم قبض السلطان على أسندمر وإسماعيل التركماني وكؤل القسري وأقبغا البجاسي وسربغا وسلمهم إلى والي القاهرة .

ثم قبض السلطان أيضا على أحد عشر أميرا وهم : قُطْلُوْبغا الطُشْتُمَرى- الحاجب
وُطْفَطَاى الطُشْتُمَرى- الطواشى الرومى- وآلأبغا الطُشْتُمَرى- وقَرَابغا السيفى- وآقبغا
السيفى- وَيَبُغا السيفى- وَطَبُغا السيفى- ومحمد بن بَيدُمَر أتابك دِمَشق وخير بك
الخُوارزَمى- وَمَنجَك الزبجى- وأرغون شاه السيفى- وَحَبَسَهم ورسم بتسمير أسندمر
الشرفى- رأس توبة وآقبغا الطُريف البجائى- وإسماعيل التُركمانى- وَكُزَل القِرْمى-
وَسَرَبُغا ، فَسَمَرُوا وشَهَرُوا بالقاهرة . ثم وَسَطُوا بالكوم وهذا شئ لم يفعله مَلِك
قبله بأمر ، ففعل ذلك لِمَا كان في نفسه منهم .

ثم أحضر السلطان الأمير أَلْطُنْبغا الحلبي- وَأَلْطُنْبغا أستاذار جَتَمَر إلى مجلس
قاضى القضاة شمس الدين الرَّكَازى- المالكى- وآدعى عليهما بما يقتضى القتل
فسجنهما القاضى بِخَزَانة شمائل مُقَيَّدِينَ .

ثم قبض السلطان على الأمير سَنجق الحسنى- نائب طرابُلُس كان ، ثم شكا
رجل القاضى شهاب الدين القرشى- إلى السلطان فأحضره السلطان من السجن
وآدعى عليه غريمه بمال له في قبله وبدعاوى شنيعة ، فأمر به السلطان فَضُرب
بالمقارع وسُلم إلى والى القاهرة ليخلص منه مال المدعى عليه ، فَضُرب به والى وأهانته
وعَصَره مرارا ثم سجنه بِخَزَانة شمائل .

ثم وقف شخص وآدعى أن أمير مَلِك آبن أخت جَتَمَر آخذ له ستمائة ألف
درهم وأغرى به منطاش ، حتى ضربه بالمقارع ، فأحضره السلطان حتى سَمِعَ

(١) كوم (بفتح أوله ويروى بالضم) . وأصله الرمل المشرف ، وهو أسم لمواقع بمصر تضاف
إلى أربابها أو إلى شئ . عرفت به (من معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٣٢٩) .

(٢) سيذكر المؤلف وفاته ٨٧٩٢ .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤ من هذا الجزء .

الدَّعْوَى . ثمَّ أَمَرَ به فُضِرِبَ بالمقارع ضرباً مُبرِّحاً وسَلِمَه إلى والى القاهرة ، فمات بعد ثلاثة أيام تحت العقوبة .

ثمَّ قَبَضَ السلطان على ممالك الأمير بركة الجوباني والممالك الذين خدموا عند منطاش وتَبَعُوا من الأماكن ، ثمَّ ضَرَبَ والى القاهرة القاضي شهاب الدين أحمد القرشي نحو مائتي شيب .^(١)

ثمَّ قَدِمَ البريد من الشام بأن منطاشا في أوّل شهر رجب قَدِمَ دمشق وكان من خبر منطاش أن الناصريّ لما كان بدمشق ورد عليه الخبرُ بِمَجِيءِ منطاش إليه ففرج من وقته بعساكره يريد لقائه على حين غفلة ومَرَّ من طريق الزبدانيّ^(٢) ، فبادر أحمد بن سُكْرٍ بجماعة البيدُمرية ودخل دمشق من باب كيسان ونهب إسطنبول الناصريّ وإسطنبولات أمراء دمشق وخرج يوم الأحد تاسع عشرين جمادى الآخرة من دمشق ليلحق منطاش ، فدخل منطاش من صبيحة اليوم وهو يوم الاثنين أوّل رجب إلى دمشق من طريق آخر ونزل بالقصر الأبلق ونزل جماعة حوله ، فعاد ابن شكر في إثره إلى دمشق وأحضر إليه الخيول التي أخذها وهي نحو ثمانمائة فرس

(١) الشيب بكسر الشين (الوسط) .

(٢) كورة مشهورة معروفة بين دمشق وبعلبك (ياقوت ج ٢ ص ٩١٣) .

(٣) باب كيسان هو أحد أبواب سور دمشق في الزاوية الشرقية الجنوبية منه ، ينسب إلى كيسان مولى معاوية وقيل مولى غيره ، والناصرى يسمونه باب بولس ويقولون : إنه دلى نفسه من نافذته هرباً من الاضطهاد وهو على بعد خطوات من مدافن المسيحيين قريباً من مرقد بلال الحبشي مؤذن النبي صلى الله عليه وسلم المدفون في مقبرة باب الصغير . انظر دليل سوريا وفلسطين ليدكر ص ٣١١ وتاريخ ابن عساكر طبع دمشق (ج ١ ص ٢٦٢) وخطط الشام لكردي (ج ٦ ص ١٥٧) وفلسطين الإسلامية لاسترانج (ص ٢٣١) . (٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٣ والحاشية رقم ١ ص ٣٢ من هذا الجزء .

وكان منطاش لما خرج من عند نَعِير يريد دمشق ، سار إلى مَرَعش على العُق (١) حتى قَدِم على حماة فطرق نائبها بغتة فانهزم نائب حماة إلى نحو طرابلس من غير قتال ، فدخل منطاش حماة ولم يتحدث بها مظلمة .

ثم توجه منها إلى حصن ففزع منها أيضا نائبها إلى دمشق ومعه نائب بعلبك واجتمعوا بالناصرى وعزفاه الخبر ، فخرج الناصرى على الفور — كما قدمنا ذكره — من طريق وجاء منطاش من طريق آخر . انتهى .

ثم إن منطاشا لما أقام بالقصر الأبلق ندب أحمد بن شكر المذكور ليدخل إلى مدينة دمشق ويأخذ من أسواقها المال ، فبينما هو في ذلك إذ قدم الناصرى بعساكره فأقتلا قتالا عظيما دام بينهم أياما إلى أواخر الشهر ، وقُتل كثير من الفريقين والأكثر من كان مع منطاش وفزع عن منطاش معظم التركمان الذين قَدِموا معه شيئا بعد شيء ، وصار منطاش محصورا بالقصر الأبلق والقتال عَمَّال بينهم في كل يوم ، حتى وجد منطاش له فرصة ، ففزع إلى جهة التركمان وتبعه عساكر دمشق فلم يدركه أحد ، فعظم هذا الخبر على الملك الظاهر برقوق إلى الغاية وأنهم الناس الناصرى بالترانى في قتال منطاش .

ثم إن الملك الظاهر خلع على الأمير قطلوبغا الصوى باستقراره حاجب المحجَّاب بديار مصر وعلى الأمير بتخاص باستقراره حاجب ميسرة وعلى الأمير قَدِيد

(١) مرعش : مدينة في الثوربين الشام وبلاد الروم ، لها سوران وخندق وفي وسطها حصن طيه سور يعرف بالمرواني ، بناء مروان بن محمد الشهير بمروان الحمار (عن معجم البلدان لياقوت) .

(٢) العُق : كورة بنواحي حلب بالشام . (٣) بناء الظاهر ببرس في مرجة دمشق في الميدان

القبلى سنة ٦٦٨ هـ وعلى أفضاه بنيت التكية السلجانية سنة ٩٧٤ هـ الباقية اليوم وكان على واجهة القصر الأبلق وبني من أسفله إلى أعلاه بالجمر الأسود والأصفر بتأليف غريب وإحكام عجيب ، ولهذا سمي بالقصر الأبلق . وقد وصفه بهاء الدين الموصل بعبارة بليغة منها : بهر الناظر حسن معناه ولا يقدر على وصف محاسنه من يراه .

بأستقراره حاجبا ثالثا بإمرة طبلخاناه وعلى الأمير على باشاه بأستقراره حاجبا رابعا وخلع على الأمير يلغا الأشقر الأمير آخور بأستقراره في نيابة غزنة عوضا عن آقبا الصغير بحكم طلبه إلى القاهرة وعلى ناصر الدين محمد بن شهرى في نيابة ملطية^(١) ثم خلع السلطان على الأمير أرغون شاه الإبراهيمي الظاهري الخازندار، بأستقراره حاجب حجاب دمشق عوضا عن آلابغا العثماني وأستقر آلابغا العثماني المذكور في نيابة حماة .

قلت : وكل من نذكره من هذا الوقت ونعتنه بالظاهري فهو منسوب إلى الملك الظاهر برقوق ولا حاجة للتعريف بعد ذلك . ثم أنعم السلطان على كل من قاسم آبن الأمير الكبير كشيغا الحموي ولاجين الناصري وسودون العثماني النظامي وأرغون شاه الآقباوي وسودون من باشاه الطغاني تمري وشكرباي العثماني الظاهري^(٢) وبقي القرميشي^(٣) الظاهري بإمرة طبلخاناه وعلى كل من قطلوبغا الطقتميشي وعبد الله أمير زاه آبن ملك الكرج وكول الناصري

(١) مدينة شمال حلب بجيلة إلى الشرق ، على نحو سبع مراحل منها ، وهي مدينة من بلاد النور ، وقد عدها آبن حوقل من جملة بلاد الشام . وقال أبو الفداء إسماعيل في تقويم البلدان : إنها في بلاد الروم ، وعدها بعضهم من النور الجزرية . وكانت ملطية قديمة فخرها الروم ، فبناها أبو جعفر المنصور ثاني خلفاء بني العباس وجعل فيها سورا محكما ، وهي بلدة ذات فواكه وأشجار وأنهار . فتحها محمد الناصر يوم الأحد الحادي والعشرين من المحرم سنة ٥٧١٥ هـ . منها أبو الفرج الملقب عمدة المؤرخين المحققين المتوفى سنة ٦٨٥ هـ الملقب بابن العبري (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ١٣١ وتقويم البلدان لأبي الفداء إسماعيل وفهرس معجم الخريطة التاريخية الإسلامية للرحوم محمد أمين واصف بك وتاريخ سلاطين المماليك . (٢) رواية السلوك للقرنزي : (٣ ص ٦٦٥) : « بقفار القرشي » .

(٣) الكرج (بالضم ثم السكون وآخره جيم) : جبل من الناس نصاري ، كانوا يسكنون في جبال القس . وبلد السريز ، قويت شوكتهم حتى ملكوا مدينة تفليس ، ولهم ولاية تنسب إليهم . (عن معجم البلدان لباقوت ج ٤ ص ٢٥١) .

(١) وعُلائب اليحيوى الظاهرى وَكشُفا الإسماعيلى الظاهرى وقلمطاي العنابى
الظاهرى بإمرة عشرة .

ثم فى تاسع شهر رجب ضُرب القاضي شهاب الدين القرشى قاضى قضاة
دمشق بخزانة شمائل ، حتى مات تحت العقوبة من ليلته وأُخرج على وقف الطرحى .

- (٢)
- ثم فى خامس عشر رجب اجتمع القضاة والأمير يتخاص الحاجب بالمدرسة
الصالحية بين القصرين وأحضر الأمير الطنبغا دوادار جتّم وأوقف تحت الشباك
عند خيمة الغلمان على الطريق وأدعى عليه بما أقتضى إرافة دمه وشهد عليه
وضُربت رقبته ، ثم قُبل بالأمير الطنبغا الحلبي مثله وحُملت رءوسهما على رُحمين
ونودى عليهما بشوارع القاهرة .

- ١٠ ثم رسم السلطان فى أول شعبان بخروج تجريدة من الأمراء إلى الشام لتكون
معاونة للناصرى على قتال منطاش ، فأخذ من عين للسفر فى التجهيز ، ثم أُشيع
سفر السلطان بنفسه وأخذ أرباب الدولة فى إصلاح أمر السفر .

- ثم فى خامس شعبان قتل السلطان الأمير حسام الدين حسن بن بايكش نائب
غزة كان ، وسببه أنه لما عُوقب وأستمر محبوبا بخزانة شمائل جمع ولده كثيرا من
العشيرة ونهب الرملة وقتل كثيرا من الناس ، فلما بلغ السلطان ذلك أمر بقتله فقتل
١٥

(١) رواية السلوك للفرىزى (ج ٣ ص ٦٦٥) : (ألان اليحيوى) .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤ من هذا الجزء .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٤١ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٤) الرملة : مدينة إسلامية ، بناها سليمان بن عبد الملك فى خلافة أبيه عبد الملك ، وسميت الرملة لقلعة

الرمل عليها ، وكانت قصبة فلسطين ، بينها وبين القدس مسيرة يومين وبينها وبين نابلس ثلاثة أيام .

(راجع صبح الأعشى ج ٤ ص ٩٩) .

ثم ضرب السلطان الأمير حسام الدين حسين بن علي الكوراني في سجنه بجزرانة شمائيل بالمقارع ضرباً مبرحاً .

ثم في عاشر شعبان علق السلطان جاليش^(١) السفر إلى بلاد الشام فتحقق كل أحد عند ذلك بسفر السلطان وأصبح من الغد وهو يوم حادى عشر شعبان تسلّم الأمير علاء الدين علي بن الطَّبلاوي وإلى القاهرة الأمير صراى ثمردادار منطاش الذى كان وإلى الغيبة بديار مصر وكان سكن باب السلسلة^(٢) والأمير تكا الأشرقى ودمرداش القشتمرى ودمرداش اليوسفى وعلياً الجركتمرى ، فقتلوا جميعاً إلا علياً الجركتمرى فإنه عُصِر وعُوقِب ، ثم قُتِل بعد ذلك مع الأمير قطلوبغا النظامى نائب صفد .

ثم في ثانى عشره عَرَضَ السلطان المحابيس من المنطاشية فأفرد^(٣) جماعة كبيرة للقتل فقتلوا في ليلة الأحد ثالث عشره ، منهم الأمير جتتمر أخو طاز نائب الشام والأمير الطنبغا الجرْبُغَاوى والطواشى طُقطاى الطشتمرى الرومى والقاضى فتح الدين محمد بن الشهيد كاتب سردمشق ، ضُربت أعناقهم بالصحراء .

ثم خَلَعَ السلطان في يوم خامس عشر شعبان على القاضى جمال الدين محمود القيصرى العجمى وأعيد إلى قضاء القضاة الحنفية بالديار المصرية وصُرف قاضى القضاة مجد الدين إسماعيل ونزل في موكب جليل وكتب له في توقيعه الجَنَابَ العالى ،

(١) الجاليش (هو التاليش) : اسم لعلم من الأعلام التى كانت تحملها جيوش المماليك فى الحروب . وكان من الحرير الأبيض المطرز ، تعلق فى أعلاه خصلة من الشعر . والجاليش : كلمة تركية معناها مقدمة القلب . وسمى بذلك لأن ترتيب جاليش السلطان فى المواقع التى يحضرها يكون عادة فى قلب الجيش .

(٢) باب السلسلة هو أحد أبواب قلعة الجبل الذى يعرف اليوم باب العزب بميدان محمد على بالقاهرة . وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة حيث نحد لها شرحاً وافياً .

(٣) نكتة عن السلوك : ص ٦٦٨ ج ٣ .

كما كُتِبَ للقاضي عماد الدين أحمد الكركي وكان سبب كتابة ذلك لعماد الدين أبادى سلفت له على الملك الظاهر برقوق في أيام حبسه في الكرك وأيضاً أعنى به أخوه القاضي علاء الدين على الكركي كاتب السر الشريف وهو أول من كُتِبَ له: الجانب العالى من المتعممين وما كان يُكْتَبَ ذلك إلا للوزير بديار مصر فقط وكان يكتب للقضاة بالمجلس العالى .

ثم في ثامن عشر شعبان المذكور قبض السلطان على عدة من الأمراء فسجنوا بالقلعة ، فكان ذلك آخر العهد بهم

وفيه عين السلطان لنيابة الغيبة الأمير كمشبغا الحموى اليلبغاوى ورسم للأمير سودون الفخرى الشيخونى النائب أن يتحوّل إلى قلعة الجبل ، فتحول إليها هو والأمير بجاس التوروزى ورسم السلطان بأن يقيم بالقلعة أيضاً ستمائة ملوك وأميرهم تفسرى بردى الشبغاوى الظاهرى رأس نوبة ، أعنى : (الوالد) والأمير الطواشى صواب السعدى شنكل مقدّم الممالك السلطانية وتعين للإقامة بالقاهرة من الأمراء الأمير قطلوبغا الصقوى حاجب الحجاب والأمير بتخاص السودونى الحاجب الثانى والأمير قذيد القلمطاوى الحاجب الثالث وأحد أمراء الطبلخاناه والأمير طغاي تمر باشاه الحاجب وقرايغا الحاجب في عدة من الأمراء العشرات .

ورسم للشيخ سراج الدين عمر البلقينى وقاضى القضاة بدر الدين بن أبى البقاء وهو غير قاضٍ والقاضى بدر الدين محمد بن فضل الله [العمرى] ^(١) المعزول عن كتابة السر وقضاة العسكر ومفتى دار العدل بالسفر صحبة السلطان من جملة القضاة الأربعة فتجهّزوا لذلك .

(١) نكتة عن السلوك : (ج ٣ ص ٦٦٩) .

ونزل السلطان بعد صلاة الظهر في يوم الثلاثاء نائى عشرين شعبان المذكور من قلعة الجبل وتوجه حتى نزل بالريدانية خارج القاهرة وأقام به ، ثم طلب من الغد سائر المسجونين بجزالة شمائل إلى الريدانية ، فحضروا وعرضوا على السلطان ، فأفرد منهم سبعة وثلاثين رجلا ، فأمر بثلاثة منهم ففرقوا في النيل : وهم محمد بن الحُسام أستاذار أرغون أسكى وأحمد بن النقوى ومقبل الصفوى وتمر منهم سبعة وهم : شيخ الكرىمى وأسندمر نائب قلعة الجبل وثلاثة من أمراء الشام وأثنان من التركمان ، ثم وسطوا ، ثم قتل من بقي منهم في السجن .

ثم في رابع عشر منه استقر ناصر الدين محمد بن كلبك شاد الدواوين ، وأنعم على الأمير أبى بكر بن سُقر الجمالى بإمرة طبلخاناه ورسم له بإمرة الحاج .

ثم رحل السلطان الملك الظاهر بعساكره من الريدانية في سادس عشرين شعبان سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة وبعد سفر السلطان من الريدانية قتل وألى القاهرة آثنى عشر أميرا من الأمراء المسجونين بالقاهرة في ليلة الثلاثاء ، وهم : أرغون شاه السيفى وآلابغا الطشتمرى وآقبغا السيفى وبُزْلاز الخليلى وآخرون .

(١) أنشأها الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة ٥٧٢ هـ . ولما تولى الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب سلطنة مصر أتم بناء القلعة في سنة ٦٠٤ هـ أنشأ بها الدور السلطانية ودور دواوين الحكومة إلى زمن الأسرة المحمدية العلوية . وقد أنشأ محمد على باشا الكبير والى مصر في هذه القلعة أبنية كثيرة في مقدمتها جامع الضخم وأبنية أخرى .

(٢) التركمان (بضم التاء) : هم جيل من الترك ، سموا به لأنه آمن منهم مائتا ألف في شهر واحد فقالوا « ترك إيمان » ثم خفت قبيل تركان .

(٣) رواية السلوك : (ج ٣ ص ٦٧٠) « رجب بن كلنت » .

ثم في ليلة الأربعاء قُتِل الأمير صُنِجِق الحُسْنى نائب حماة، ثم طرابلس وقرابغا السيفي ومنصور حاجب غزّة وأُظِن هؤلاء هم تمام السبعة والثلاثين نفرا الذين عرَضهم السلطان بالريدانية . والله أعلم .

ثم استقل السلطان بالمسير إلى نحو البلاد الشامية حتى دخل دمشق في يوم الخميس ثاني عشرين شهر رمضان وقد زُيِّنَتْ له دمشق وخرج الأمير يلغا الناصري نائب الشام إلى لقائه بمنزلة الجُون^(٢) ، فكان لدخوله إلى دمشق يوم مشهود وحمل الناصري على رأسه القبة والطير وعند دخول السلطان إلى دمشق نادى فيها بالأمان لأهل دمشق ، فإنهم كانوا قاموا مع منطاش قيما عظيما وأخشوا في أمر الملك الظاهر وقتاله .

ثم في يوم ثالث عشرين شهر رمضان صَلَّى السلطان صلاة الجمعة بجامع دمشق وعندما قرع السلطان من الصلاة نادى الجاويش في الناس بالأمان، والماضي

(١) رواية السلوك : (ج ٣ ص ٦٧١) « الحسينى » .

(٢) الجون : قرية فلسطينية واقعة في قضاء جنين ، يبلغ عدد سكانها ٤٠٠ نفس . قال ياقوت في معجمه : بين الجون وطبرية عشرون ميلا وإلى الزملة أربعون ميلا ، وفي الجون الصخرة المدورة في وسط المدينة وعليها قبة زعموا أنها مسجد إبراهيم عليه السلام وتحت الصخرة عين غزيرة الماء ، وذكروا أن إبراهيم دخل المدينة في وقت مسيره إلى مصر ومعه غنم له ، وكانت المدينة قليلة الماء ، فأسأوا إبراهيم أن يرشح لهم ثقل الماء فيقال إنه ضرب بمصاه هذه الصخرة فخرج منها ماء كثير ، فاستمع على أهل المدينة ، فيقال : إن بسايتهم وقراهم تسق من هذا الماء ، والصخرة قائمة إلى اليوم (أى يوم وفاة ياقوت سنة ٦٢٦ هـ) (انظر معجم ياقوت ج ٤ ص ٣٥١ وجغرافية فلسطين لحسين روضى) .

(٣) جامع دمشق : هو أحسن مصلى للسليمن ، ومن أعجب شئ فيه تأليف الرخام المخرج كل شامة إلى أختها ، وقد غلب حب البناء على بنى أمية بسبب بناء جامع دمشق على أحسن مثال ، فبنوا مساكنهم على منوال بناء جامع دمشق . وكان كل من زاره بعد الفراغ منه يعجبه تأليف رخامه فإن فيه عقودا ما يرى مثلها في أى بناء بنى في عصر بنى أمية . حتى قال المأمون : الذى أعجبنى فيه أنه بنى على غير مثال شوهده .

وروى البرازلى أنه كان ابتداء عمارة جامع دمشق في أواخر سنة ٨٦ هـ ، وكل بناؤه في مدة عشر سنين ، وكان الفراغ منه سنة ٩٦ هـ ، والذى قام ببناؤه الوليد بن عبد الملك . (راجع خطط الشام لكردي على ص ٢٦٦ و ص ٢٧٥ ج ٥) .

لأبعاد ، ونحن من اليوم تعارفنا ، فضجَّ الناس بالدعاء للسلطان وخرجوا من بيوتهم إلى معاشهم وحوالياتهم وأمنوا بعد أن كانوا في وجَلٍ وخَوْفٍ وهم مترقبون ما يحلُّ بهم منه ، لِمَا وَقَعَ منهم في حقِّه في السنة الماضية لَمَّا حضر منطاش ومبالغتهم في سبِّه ولَعْنه واستمرارهم على قتاله .

وأما الأمير كَشْبُغَا نَائِبُ الْقَبِيلَةِ فَإِنَّهُ عَمِلَ النِّيَابَةَ عَلَى أَعْظَمِ حُرْمَةٍ ، حَتَّى إِنَّهُ نَادَى فِي تَاسِعِ عَشْرِينَ شَهْرَ رَمَضَانَ بِمَجْعِ النِّسَاءِ فِي يَوْمِ الْعِيدِ إِلَى التُّرْبِ ، وَمَنْ خَرَجَتْ وَسَطَتْ هِيَ وَالْمَكَارِي وَالْأَلَا يَرْكَبُ أَحَدٌ فِي مَرْكَبٍ لِلتَّفْرِجِ وَأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ مِنْ هَذَا التَّمَوِّجِ ، فَلَمْ يَحْضُرْ أَحَدٌ عَلَى مَخَالَفَتِهِ .

ثُمَّ نَادَى أَلَّا تَلْبَسَ أَمْرَأَةٌ قِمِصًا وَاسِعَ الْأَكْحَامِ وَلَا يَزِيدَ تَفْصِيلَ الْقَمِيصِ عَلَى أَكْثَرٍ مِنْ أَرْبَعَةِ عَشْرَ ذِرَاعًا ، وَكَانَ النِّسَاءُ بِالْعَنَ فِي سَعَةِ الْقُمُصَانِ حَتَّى كَانَ يُفْصَلُ الْقَمِيصُ الْوَاحِدُ مِنْ آثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ ذِرَاعًا مِنَ الْقُمُصَانِ ، فَشَى ذَلِكَ وَفَصَّلُوا قِمِصَانَا سَمَّوْهَا كَشْبُغَاوِيَّةً . وَرَأَيْتُ أَنَا الْقُمُصَانَ الْكَشْبُغَاوِيَّةَ الْمَذْكُورَةَ ، وَكَانَ أَكْثَرُهَا مِثْلَ أَكْحَامِ قُمُصَانِ الْعُرْبَانِ .

وَأَمَّا السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بِرُقُوقٍ فَإِنَّهُ أَقَامَ يَدْمَشْقَ إِلَى ثَانِي شَوَّالٍ وَخَرَجَ مِنْهُ يُرِيدُ مَدِينَةَ حَلَبَ ، فَسَارَ بِعَسَاكِرِهِ حَتَّى وَصَلَهَا فِي ثَانِي عَشْرِينَ شَوَّالٍ ، بَعْدَ أَنْ أَقَامَ بِمَدِينَةِ حِمَصَ وَحَمَاهُ أَيَّامًا كَثِيرَةً وَأَعَادَ السُّلْطَانُ الْقَاضِي بَدْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ إِلَى كِتَابَةِ السَّرِّ لَضَعْفِ الْقَاضِي عَلَاءِ الدِّينِ الْكَرْكِيٍّ وَعِنْدَمَا دَخَلَ السُّلْطَانُ إِلَى حَلَبَ وَرَدَ عَلَيْهِ الْخَلْبُ أَنَّ سَالِمًا الدُّوْكَارِيَّ قَبِضَ عَلَى الْأَمِيرِ مِنْطَاشٍ وَأَنَّ صَاحِبَ مَارْدِينَ ^(١)

(١) قَالَ ابْنُ حَوْثَلٍ فِي الْمَسَالِكِ ص ١٥٢ عَلَى مَارْدِينَ : إِنَّهَا حَصْنٌ مُنْبِعٌ مِثْنَى عَلَى قَلْعَةِ جَبَلٍ شَاهِقٍ ، فِيهِ مِنَ الْعِدَّةِ وَالْأَسْلِحَةِ مَا لَا يُمْكِنُ حُسْرُهُ . وَقَالَ يَاقُوتُ : إِنَّهَا قَلْعَةٌ مَشْهُورَةٌ عَلَى قَعَةِ جَبَلٍ بِالْخَزِيرَةِ (الْقُرَاتِيَّةِ) مُتَرَقَّةٌ عَلَى دُنَيْسَرٍ وَدَارَا وَنَصْبِينَ ، وَقَدَامَهَا رِبَضٌ عَظِيمٌ فِيهِ أَسْوَاقٌ كَثِيرَةٌ وَدُرُّهَا كَالدَّرَجِ كُلِّ =

قبض أيضا على جماعة من المنطاشية ، فسّر السلطان بذلك وبعث بالأمير قرا
الأحمدى نائب حلب في عساكر حلب لإحضار منطاش من عند سالم الدوكارى ،
فسار قرا دمرداش حتى وصل إلى سالم الدوكارى وأقام عنده أربعة أيام يطالبه
بتسليم منطاش وهو يماطله ، فحقيق منه قرا دمرداش وركب بمن معه من العساكر
ونهب بيوته وقتل عدة من أصحابه وفر سالم بمنطاش إلى سنجار^(١) ، وأمتنع بها .
وفي عقب ذلك وصل الأمير يلغا الناصرى نائب الشام إلى بيوت سالم الدوكارى
قرا دمرداش ما وقع منه في حق سالم وأغلظ له في القول وهم أن يضربه بالسيف ،
فدخل بعض الأمراء بينهما حتى سكن ما به وكادت الفتنة أن تقوم بينهما ويعود
الأمر على ما كان عليه أولا .

١٠ وأما الأمير الكبير اينال اليوسفى فإنه وجه السلطان إلى صاحب ماردین ، فسار
إلى رأس عين وتسلم منه الجماعة المقبوض عليهم من المنطاشية وعاد بهم إلى السلطان
وكبيرهم الأمير قشتمر الأشرفى وبكاتب صاحب ماردین وهو يعتذرفيه ويعد
بتحصيل غريم السلطان ، فكتب له الجواب بالشكر والثناء .

= دار فوق الأخرى ، وكل درب منها يشرف على مائحة من الدروب ، ليس دون سطوحهم مانع ، والماء
عندهم قليل ، وأكثر شربهم من مزارع معدة في بيوتهم ، وذكرها ابن بطوطة في رحلته إليها سنة ٥٧٢٨
١٥ فقال : هي مدينة عظيمة في سفح جبل من أحسن مدن الإسلام ، وأسواقها بديدة ، وتصنع بها الأنواب
المنسوبة إليها . وذكرها المرحوم على بهجت بك في قاموس الأمكنة والبقاع فقال : لا تزال مدينة ماردین
في جهة الشرق من الرها . وقد حدد موقعها أطلس فيلبس الجغرافى في ديار بكر (تركيا) وقال : إن عدد
سكانها يزيد على ٢٦ ألف نسمة .

٢٠ (١) هي مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة الفراتية . بينها وبين الموصل ثلاثة أيام (عن معجم البلدان
لياقوت) .

(٢) رأس عين : مدينة بالجزيرة الفراتية ومدينة فلسطين ، ينسب إليها القاضي برهان الدين
أبو إسحاق إبراهيم بن نحر الدين خليل بن إبراهيم الرسمى الشافعى قاضى حلب المتوفى سنة ٥٧٤٢ .

وأما السلطان لما بلغه ما جرى بين يلبغا الناصريّ نائب الشام وبين قرا دمرداش الأحمديّ نائب حلب وعودهما من غير طائل ، غلب على ظنه صحة ما يُقَالُ عن يلبغا الناصريّ قبل تاريخه أن قصده مطاولة الأمر بين الملك الظاهر وبين منطاش وأن منطاش لم يحضر إلى دمشق فيما مضى إلا بمكاتبة له بقدمه وأنه طاولة في القتال ، (أعني : لما كان نزَل منطاش بالقصر الأبلق بميدان دمشق) ولو شاء الناصريّ لكان أخذه في أقل من ذلك وأن رُسل الناصريّ كانت ترد على منطاش في كلّ ليلة بما يأمره به وأن سالما الدوكاريّ لم يدخل بمنطاش إلى سنجار إلا بمكاتبة وقوى عند الملك الظاهر برقوق وتحزكت عنده تلك الكائنات القديمة من خروجه عليه وخلعه من الملك وحبسه بالكرك وكلّ ما هو فيه إلى الآن من الشرور والفتن ، فالناصريّ هو السبب فيها وسكت حتى قديم الناصريّ إلى حلب ، فقَبِضَ عليه وعلى الأمير شهاب الدين أحمد بن المهيندار نائب حماة وعلى الأمير كُشَلِي أمير آخور الناصريّ

(١) بناء القاهر في مرحلة دمشق في الميدان القبل سنة ٦٦٨ هـ وعلى أنقاضه بنيت التكية السليمانية سنة ٩٧٤ هـ الباقية إلى اليوم كأجل أثر للعائنين في دمشق . وكانت على واجهة القصر الأبلق مائة أسد صوّرها بأسود في أبيض وعلى الشالية اثنتا عشرة منزلة صوّرها بأبيض في أسود . وقد بنى من أسفله إلى أعلاه بالجمر الأسود والأصفر بتأليف غريب وإحكام عجيب ، ولذلك سمي بالقصر الأبلق . وعلى شهابه بن الناصر محمد بن قلاوون القصر الأبلق بقلة الجبل بمصر . قال ابن فضل الله العمريّ في وصفه : وأمام هذا القصر دركاه (عرصة) يدخل منها إلى دهليز القصر وهو دهليز فسح يشتمل على قاعات ملكية مفروشة بالرخام الملون البديع الحسن الموزن بالرخام ، المفصل بالصدف والفضة المذهب إلى سقف السقف . وبأله الكبري به إيوانان متقابلان تطل شبابيك شرفيهما على الميدان الأخضر وغريهما على شاطئ واد أخضر يجري فيه نهر ، وله دافوف عالية تتأغى السحب تشرف من جهاتها الأربع على جميع المدينة والعملة . وآه ابن طولون المتوفى سنة ٩٥٣ هـ وقرأ عليه أن تاريخ بناءه كان سنة ٦٦٨ هـ وقال إن أعلى أسكنته ضرباً من رخام أبيض وسطه مكتوب : عمل إبراهيم بن غنّام (المهندس المصري الشهير) وقد وصف بها الدين الموصل القصر بعبارة لطيفة منها : يهر الناظر حسن مناه ، ولا يتقدر على وصف محاسنه من يراه (انظر خطط الشام لكردي على ، ج ٤ ص ١٢٢ ج ٥ ص (٢٨٥ - ٢٨٦) .

والشيخ حسن رأس نوبته وبيج الجميع بقلعة حلب ، ثم قتلهم من ليلته بقلعة حلب .

وكان الناصري من أجل الأمراء ومن أكابر ممالك الأتابك يلغا العمرى ، وقد تقدم من أمره في ترجمة الملك الظاهر برقوق الأولى وفي ترجمة الملك المنصور حاجي وما وقع له مع منطاش وغيره ما يغني عن التعريف به هنا ثانيا .

قال قاضي القضاة بدر الدين محمود العيني الحنفى في تاريخه في حق يلغا الناصري المذكور : وكان من ابتداء إنشائه من أيام الملك الناصر حسن إلى آخر عمره على فتنه وسوء رأى وتدمير وشؤم ، حتى قيل : إنه ما كان مع قوم في أمر من الأمور إلا وقد حصل لهم العكس وشوهد ذلك منه ، كان مع أستاذه يلغا الخاصكى العمرى فأنكسر ، ثم استدمر الناصري فقلب وأفقهر ، ثم مع الأشرف شعبان بن حسين قُتِل ، ثم مع الأمير بركة نُخِذِل ، انتهى كلام العيني .

قلت : نُصِرَتْهُ على الملك الظاهر برقوق وأحده مملكة الديار المصرية وحبسهُ لللك الظاهر برقوق بالكرك بكل ما قاله العيني ، وقد فات العيني أيضا كسرة الناصري من منطاش بباب السلسلة وحبس منطاش له ، لأن قضيتَه مع منطاش كانت أعظم شاهد للعيني فيما رماه به من الشؤم . انتهى .

ثم عزّل الملك الظاهر الأمير قوا ذمرداش عن نيابة حلب ، وأنعم عليه بتقدمة ألف بالديار المصرية ، عوضا عن الأمير بطا الطولونمري الظاهري الدوادار الكبير بحكم انتقال بطا إلى نيابة الشام عوضا عن الأمير الكبير يلغا الناصري المقدم

(١) هو عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ويعرف بتاريخ العيني وهو تاريخ جليل القدر ، ذكر في خطبته أنه جمعه في حداثة سنة وعشرون شبابه ، ابتداء فيه من مبدأ الدنيا إلى سنة ٨٠٥ هجرية .

ذكره، وخلص السلطان على بطا المذكور، وعلى جُلبان الكَشْبَاوِي الظاهري رأس
نوبة النوب المعروف بقرا سَقْلٍ باستقراره في نيابة حلب عوضا عن قرا دمرداش
الأحمدي في يوم واحد، وهما أوَّل مَنْ ترقَّى من ممالك الملك الظاهر إلى الرتب
وولى الأعمال الجليلة .

٥ ثم خلع الملك الظاهر على الأمير نحر الدين إياس الجرجاوي باستقراره في نيابة
طرابلس، وأخلع على الأمير دمرداش المحمدي الظاهري بنيابة حماة، وخلع على الأمير
أبي يزيد بن مراد الخازن باستقراره دوادرا كبيرا عوضا عن بطا المنتقل إلى نيابة
الشام، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه، لِمَا لأبي يزيد المذكور على السلطان من الأيادي
عندما آخنت عنده في محنة الناصري ومنطاش .

١٠ ثم أنعم السلطان على الأمير تَنْبَكِ الْيَحْيَاوِي الظاهري بإقطاع جُلبان قَرَا سَقْلٍ
المنتقل إلى نيابة حلب .

ثم تَحَرَّجَ السلطانُ من حلب في يوم الاثنين أول ذى الحجة عائدا إلى دمشق
فدخلها في ثالث عشرين ذى الحجة^(١)، وقتل بها يوم دخوله الأمير آلابغا العثماني
الدوادار الكبير كان، والأمير سُودُونُ باق أحد مقدمي الألوف أيضا، وتَمَرَّ ثلاثة
عشر أميرا منهم الأمير أحمد بن بَيْدَرُ أتابك دِمَشْقَ، وأحمد بن أمير علي المارديني
أحد مقدمي الألوف بدمشق، وبلغا العلائي، وقُنُقُ باي السيفي، نائب ملطية، وكَشْبَا
السيفي نائب بعلبك، وغريب الخصاصكي أحد أمراء الطبلخاناه بمصر، وقرا بِنَا العمري
وجاعة أُنُورُوسُطُوا الجميع، وأقام السلطان بدمشق، وأهلها على تَخَوُّفٍ عظيم منه
إلى أن تَحَرَّجَ منها في العشر الأخير من ذى الحجة سنة ثلاث وتسعين وسبعائة عائدا
إلى الديار المصرية، فسار بمساكره حتى دخل مدينة غَزَّةَ في يوم الجمعة ثالث محرم

٢٠

(١) في ف : (فدخلها في ثالث عشر ذى الحجة) .

سنة أربع وتسعين وسبعائة ، فعند ذلك نُودِيَ بالقاهرة بالزينة لقدمه ، فزُيِّنَتْ أعظم زينة إلى يوم ثالث عشر المحرم ، فقَدِمَ البريدُ من السلطان إلى مصر بالخروج إلى ملاقاته إلى بلبس^(١) ، فخرَجَ الأميرُ كُشْبغا الحمويّ نائب الغيبة ، ومعه الأميرُ سُودون الشيخونيّ النائب ، وبقية الأمراء ، وساروا حتى وافوا السلطان بمدينة بلبس ، فقبلوا الأرض بين يديه وعادوا في ركابه حتى نزل السلطان بالعكشة^(٢) ، وأقام بها إلى ليلة الجمعة ، ثم رَحَلَ في صبيحة الجمعة سابع عشر المحرم ، فخرج من القاهرة سائر الطوائف إلى لقائه ومشوا في خدمته ، وقد أصطفّت الناس لرؤيته إلى أن طلع إلى القلعة يوم الجمعة المذكور في موكب جليل إلى الغاية ، وكان لطلوعه يومٌ مشهود .

ولما طلع إلى القلعة جَلَسَ بالقصر وخَلَعَ على الأمراء وأرباب الوظائف .
ثم قام ودخل إلى الدور السلطانية ، فاستقبله المغاني والتهاني وفُرِشتَ الشُّعُقُ الحُرير تحت أقدامه ، وتبرَعلى رأسه الذهبُ والفضة ، هذا . وقد تَخَلَّقَ غالبُ أهل القلعة بالزُعْفَرَانِ .

فلم يَمُضْ بعد ذلك إلا أيامٌ بسيرة ، وقَدِمَ البريدُ من دِمَشْقَ في يوم خامس عشرينه بسيف الأمير بَطَا الطولونيّ تَبرَى الظاهريّ نائب الشام ، وبُطَا هذا ! هو الذي خرج من محج القلعة ومَلَكَ باب السلسلة في غيبة الملك الظاهر برفوق حسب ما ذكرناه في وقته من هذا الكتاب ، وأَتَمَّهم الملكُ الظاهر في موته ، فخلع السلطان

(١) بلبس : هي من النون المصرية القديمة ، واطعة على الشاطئ الغربي لبحر الإسماعيلية من حدود الصحراء الشرقية ، وكانت قاعدة الحوف الشرق ، ثم كورة الشرقية من أول الفتح العربي إلى سنة ١٢٥٤ هـ — ١٨٣٨ م حيث نقلت قاعدة مديرية الشرقية إلى بندر الزقازيق وبقيت بلبس قاعدة لمركز بلبس .
(٢) . راجع الكلام عليها في الاستعراكات الواردة في ص ٣٩١ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

في يوم سابع عشرينه على الأمير سُودون طُرُنْطَاي بِنِيَابَةِ دِمَشْق، عوضا عن
رُبطا المذكور .

ثم في يوم الاثنين ثاني عشر صفر قبض السلطان على الأمير قرا دمر داش
الأحمديّ - اليلْبَغَاوِيّ - المزعول قبل تاريخه عن نيابة حلب وعلى الأمير الطُنْبُغَا، المعلم
نائب الإسكندرية وهو أيضا يلبغاويّ، وسمّينا بالبرج من القلعة، وقرا دمر داش هذا !
هو الذي كان الملك الظاهر خلع عليه بأستقراره أتابك العساكر بالديار المصرية،
وأتم عليه بثلاثين ألف دينار، فأخذها قرا دمر داش وخامر عليه وتوجه إلى
الناصرية - ومنطاش فأسر له السلطان ذلك إلى يوم قبض عليه^(١)، فذكرها للأمرء
وقد ذكرنا ذلك كله مفصلا في ترجمة الملك الظاهر الأولى .

ثم في خامس عشرين صفر أيضا مسك السلطان الأمير قُردَم الحسنيّ - اليلْبَغَاوِيّ -
رأس توبة التوب كان وأُخرج بعد أيام على امرء عشرة بفسرة ، ثم خلع السلطان
على الأمير قَلْبَطَاي العثمانيّ - الظاهريّ - بأستقراره أمير جاندار بعد موت قطلو بغا
القشتمويّ - وخلع على ناصر الدين محمد ابن الأمير محمود الأستادار بِنِيَابَةِ الإسكندرية
عوضا عن الطُنْبُغَا المعلم المقبوض عليه .

ثم قَدِمَ البريد من دِمَشْق بأن خمسة من المماليك أتوا إلى نائب قلعة دمشق
مشاة ، وشهروا سيوفهم وهجموا القلعة وملكوها وأغلَقُوا بابها وأخرجوا من بها من
المنطاشية والناصرية وهم نحو مائة رجل وقتلوا نائب القلعة ومن معه وأن حاجب
تُجَاب دِمَشْق ركب بعسكر دِمَشْق وفاتلهم ثلاثة أيام حتى أخذ القلعة منهم وقبض
على الجميع إلا خمسة، فإنهم فزوا فوسط الحاجب الجميع .

(١) رواية « ف » : (إلى أن قبض عليه) .

ثم في ثالث عشرين شهر ربيع الآخر رَسَمَ السلطان بقتل الأمير أَيْدَكَرَ الْعَمْرِيّ حاجب التجاب كان والأمير قَرَأُ كُتْسُكُ والأمير أَرْسَلانُ اللَّقَافُ والأمير أَرْغُونُ شاه .
ثم في أول جُمادى الأولى أُحْضِرَتْ إلى القاهرة من الإسكندرية عِتَّةُ رُءُوس من الأمراء المسجونين بها وغيرهم .

وفي تاسع عشر شهر جُمادى الأولى المذكور خَلَعَ السلطان على الأمير كَشْبُغَا الْحَمَوِيّ باستقراره أتابك العساكر بالديار المصرية بعد موت الأمير إينال اليوسفيّ اليلْبَغَاوِيّ ، على أن كَشْبُغَا كان يجلس فوق إينال المذكور .

ثم خَلَعَ السلطان على الأمير أَيْمَشُ البجاسيّ باستقراره رأس نوبة الأمراء وأطابكا وأنعم عليه بزيادة على إقطاعه حتى صار إقطاعه يُضَاهِي إقطاع الأمير الكبير ، لأن أَيْمَشُ المذكور كان ولي الأتابكية بديار مصر في سُلْطَنَةِ الملك الظاهر الأولى إلى أن مَسَكَهُ الناصريّ وحَبَسَهُ بقلعة دمشق وقد تقدّم ذلك .

وفي يوم الاثنين أول شهر رمضان خَلَعَ السلطان على الأمير كَشْبُغَا الْأَشْرَفِيّ الخاصكيّ أمير مجلس باستقراره في نيابة دمشق بعد موت سُودُون طُرُنْطَاي .

قلت : هذا رابع نائب ولي دمشق في أقل من سنة : الأول الناصريّ ، والثاني بَطَا ، والثالث سُودُون طُرُنْطَاي ، والرابع كَشْبُغَا هذا ، فلمعمرى ! هل هذه آجال متقاربة لديهم ، أم كؤوس منايا تدور عليهم .

ثم قَدِمَ الْبَرِيدُ على السلطان بقتال عسكر حلب لمنطاش وفِرَارِ منطاش وأنهباهم حتى عَذَى الْفُرَات .

ثم أنعم السلطان في اليوم المذكور على الوالد بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية وأنعم بطبلخاناه الوالد على الأمير قاسطاي العثمانيّ الظاهريّ ، وكان

الإقطاع المنعم به على الوالد عوضاً عن كمشغا الخاصكى المنتقل إلى نيابة الشام وأنعم السلطان بإقطاع قلمطاي على الأمير شادى نجبا الظاهري والإقطاع إمرة عشرة .

ثم أمسك السلطان شيخ الشيوخ المعروف بالشيخ أصلم بن نظام الدين الأصهباني صاحب الزاوية على الجبل تجاه باب الوزير وسأله لشاذ الدواوين على حمل مائتي ألف درهم، وسببه أن السلطان لما اختل أمره في حركة الناصري ومنطاش وهم بالحرب طلب أصلم المذكور، وأعطاه خمسة آلاف دينار، وواعده أنه يتزل إليه ويخفي عنده، فلم يف له أصلم بذلك، وأخذ الذهب وغيب، فأختفى السلطان في بيت أبي يزيد من غير ميعاد واعده .

وفي سابع عشرين شوال استقر الأمير بكلمش العلاني الأمير آخور أمير سلاح، واستقر الأمير تذك الحيوي الظاهري أمير آخور كبيراً عوضه .

وفي ثاني عشر ذي القعدة قتل الأمير قرا ديمرداش الأحمدي اليلبغاوي نائب حلب كان، والأمير تقي تمر نائب سيس في عدة أمراء آخر .

وفي ثالث محرم سنة خمس وتسعين وسبعمائة قدم البريد على السلطان من الشام بموت الأمير كمشغا الخاصكى الأشرفي نائب دمشق، فاستقر السلطان بالأمير تذك الحسيني الظاهري المعروف بتسم أتابك دمشق في نيابتها عوضاً عن كمشغا المذكور .

قلت : الآن طاب خاطر السلطان الملك الظاهر برقوق بنيابة تميم المذكور فأت الشام صار الآن بيد مملوكه، كما نيابة حلب وحماة مع جُلبان وديمرداش ولما

(١) أطلنا البحث عن معرفة موقع هذه الزاوية في المصادر التي تحت يدينا فلم نمر لها على شرح يفز بنا إلى معرفة موقعها .

أستقرَّ تَمَّ في نيابة دِمَشْقَ، رَسَمَ السلطان بنقل الأمير إياس الجرجاوى نائب طرابُلُسَ إلى أتابكِيَّةِ دِمَشْقَ، عوضاً عن تَمَّ المذكور، ونقل الأمير دمرداش المحمدي الظاهري من نيابة حماة إلى نيابة طرابُلُسَ عوضه، وأستقرَّ الأمير آقبا الصغير في نيابة حماة عوضاً عن دِمِرْدَاش المذكور.

- وفي أثناء ذلك قَدِمَ البريدُ على السلطان . يُخْبِرُ بأن منطاشاً ونُعميراً أمير العرب . وآبَنَ بَزْدَغَانَ التُّرْكَانِيَّ وآبَنَ إِيْنَالَ التُّرْكَانِيَّ صَارُوا في عسْكَرِ كَثِيفٍ وحضروا به إلى سَلْمِيَّةَ فَلَقِيَهُمُ مُحَمَّدُ بْنُ قَارَا أمير العرب على شَيْزَرٍ ^(١) بِتُرَاكِيْمِينَ الطاعة، فقاتلهم وَقُتِلَ ابنُ بَزْدَغَانَ وآبَنُ إِيْنَالَ، وَجُرِحَ منطاشُ وَسَقَطَ عَنْ فَرْسِهِ، فَلَمْ يُعْرِفْ لَأَنَّهُ كَانَ حَلَقَ شَارِبِهِ وَرَمَى شَعْرَهُ حَتَّى أَدْرَكَهُ آبَنُ نُعْمِيرٍ وَأَرْدَفَهُ خَلْفَهُ وَأَنْهَزَمَ بِهِ، بَعْدَ أَنْ قُتِلَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ عَالَمٌ كَبِيرٌ، وَحُمِلَتْ رَأْسُ ابْنِ بَزْدَغَانَ وَآبَنِ إِيْنَالَ إِلَى دِمَشْقَ، فَعَلَقْتَا عَلَى قَلْعَتِهَا، فَفَرِحَ السلطان بذلك، وَكَتَبَ لِمُحَمَّدِ بْنِ قَارَا بِالشُّكْرِ وَالشَّانِ وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ خِلْعَةً هَائِلَةً.

(١) سَلْمِيَّةُ (بفتح أوله وثانيه وسكون الميم) : بلدة بتاحية البرية من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين سير الإبل، وأهل الشام ينطقونها «سَلْمِيَّة» (بكسر الميم وتشديد الياء).

(٢) شيزر : قلعة تشتمل على كورة بالشام، وتقع قرب المعزة، بينها وبين حماة يوم. وقلعة شيزر

- شهرة كبرى في التاريخ، فقد كانت مقر إمامة بنى منقذ الكتائب منذ سنة ٥٤٧٤هـ (١٨٠١ م) حتى سنة ٥٥٥٢هـ (١١٥٧ م) وبها ولد أسامة بن منقذ الشاعر صاحب كتاب الاعتبار في ٢٧ من شهر جمادى الثانية (سنة ٥٤٨٨هـ) (٤ يولية سنة ١٠٩٥ م) أى قبل الحروب الصليبية بوضع سنين وكتابه الاعتبار المذكور ثبت للذكريات طلية صافية عن تلك الحروب. وقد وصف فيها ابن منقذ تجاربه وأعماله وملاحظاته عن عادات الفرنج وأزيائهم زمن الحروب الصليبية وهي فريدة في بابها. وقد انتهى ملك المناقذة لقلعة شيزر سنة ٥٥٥٢هـ بوفاته آخر أمرائها تاج الدولة ناصر الدين محمد، وفي نفس العام استولت الإسماعيلية على شيزر، ثم أخذها منهم السلطان نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٥٦٤هـ (انظر معجم البلدان لياقوت ج ٣ ص ٣٥٣) وكتاب الروضتين لأبي شامة (ص ٩٥ و ١٤٩ و ١٥٠) والكامل لابن الأثير (ج ١١ ص ٢٢٠).

ثم بعد أيام يسيرة ورد الخبر بأن نُعيرا والأمير منطاشا كبسا حماة في عسكر كبير، فقاتلهم الأمير آقبا الصنير نائب حماة فيما بين حماة وطرابلس وكسرهما، فلما بلغ الأمير جُليان الكشغافوى قراسقل نائب حلب ذلك ركب بعسكره وسار إلى أبيات نُعير ونهبها وأخذ ما قدر عليه من المال والخيل والجمال والأغنام والنساء والأطفال، وأضرم النيران فيما بقي عندهم .

ثم أكن كيا . فلما سمع نُعير بما وقع عليه رجع إلى نحو بيوته بجماسته، فخرج الكمين عليه وقتل من عربائه جماعة كبيرة وأسّر مثلها، وقتل في هذه الواقعة من عسكر حلب نحو المائة فارس، وعدة من الأمراء، فأعجب السلطان ما فعله نائب حلب، وكتب إليه بالشكر والثناء، وأرسل إليه خلعة عظيمة وفروا بسرج ذهب وكنبوش زرکش .

ثم أخرج السلطان الأمير الطنبغا المعلم أمير سلاح كان، من السجن وأرسله إلى نغردمياط^(١) بطالا، وأفرج السلطان أيضا عن الأمير قطلوبغا السيفى حاجب الحجاب كان في أيام منطاش وأرسله إلى الثغر المذكور .

ثم في رابع عشر جمادى الآخرة من سنة خمس وتسعين وسبعائة قَدِمَ البريد بموت الأمير يلبغا الإشتيمرى نائب غزّة^(٢) ، وفي تاسع عشرين جمادى المذكورة خَلَعَ

(١) في الأصل : « ونه » والسياق يقتضى ما أثبتناه .

(٢) في ف : (جماعة حلب) .

(٣) في ف (فأعجب الناس ما فعله جليان نائب حلب) .

(٤) دمياط : هي من ثغور مصر القديمة واقعة على الشاطئ الشرقى لفرع النيل المسمى باسمها بينها وبين مصبه في البحر الأبيض المتوسط ١٥ كيلو مترا . وهي اليوم إحدى محافظات مصر .

(٥) غزّة : مدينة قديمة في جنوب فلسطين تبعد عن ساحل البحر الأبيض المتوسط ٣ كيلو مترات وبها مساجد كثيرة ، من آثارها الجامع العمري وضريح هاشم بن عبد مناف . وفيها ولد الإمام الشافعى رضى الله عنه ، وكانت فيما مضى أهم محطة للتواصل بين مصر والشام (انظر جغرافية فلسطين لحسين روى ص ١٠٥ وفاموس الأمكنة والبقاع لملى بك بهجت وفاموس لينكوت الانجليزى الجغرافى) .

السلطان على الأمير قاسطاي العثماني الظاهري باستقراره دوادارا كبيرا بعد موت الأمير أبي يزيد بن مراد الخازن، وخلع السلطان على الأمير الطنبغا العثماني الظاهري باستقراره في نيابة غزة عوضا عن يلبغا الأشتمري .

قلت : أدركت أنا الطنبغا العثماني الظاهري هذا في نيابته على دمشق في دولة الملك المؤيد شيخ . انتهى .

وأنعم السلطان بإقطاع الطنبغا العثماني على الأمير تمتاز الناصري الظاهري رأس نوبة ، والإقطاع : إمرة طبلخاناه ، وأنعم السلطان بإمارة تمتاز المذكور على الأمير شرف الدين موسى بن قماري أمير شكار ، والإقطاع إمرة عشرة .

وفي يوم الاثنين ثالث شهر رمضان من سنة خمس وتسعين المذكورة قدم

البريد من حلب بالقبض على الأمير منطاش ، وكان من خبره ، أن الأمير جليان نائب

حلب لم يزل في مدة ولايته على حلب يبذل جهده في أمر منطاش ، حتى وافقه

الأمير نعيم على ذلك بعد أمور صدزت بينهما ، وكان منطاش في طول هذه المدة

مقيا عند نعيم ، فبعث جليان شاذ شراب خاناته السيغني كمشبغا في خمسة عشر

مملوكا إلى نعيم ، بعد أن ألتم الأمير جليان لنعيم بإعادة إمرة العرب عليه ، فسار

كمشبغا المذكور حتى قارب أبيات نعيم ، فنزل في موضع ، وبعث يأمر نعيما بالقبض

على منطاش ويأمره بمحضوره ، فندب نعيم أحد عبيده إليه يستدعيه ، فأحس

منطاش بالشر وفطن بالقصد فهمم بالفرار ، فركب فرسه وأراد التوجه إلى حال

سبيله ، فقبض العبد على عنان فرسه فهم منطاش بضربه ، فأدركه عبد آخر

وأزلاه عن فرسه وأخذ سيفه ، فتكاثروا عليه ، فلمّا تحقق منطاش أنه أخذ

ومسك أخذ سكيئا كانت معه وضرب نفسه بها أربع ضربات أغشى عليه ، وحمل

وأُتي به إلى عند كمشبغا المذكور ومعه فرسه وأربعة جمال ، فتسلمه كمشبغا وسار به

إلى حلب ، فدخلها في أربعمائة فارس من عرب نعيم، فكان لدخوله حلب يوم
عظيم مشهود وحمل منطاش إلى قلعة حلب وسجن بها .

ثم كتب إلى السلطان بمسكه ، فلما بلغ السلطان ذلك سرّ سرورا عظيما وأنعم
على كشيغا المذكور بخمسة آلاف درهم وخلع عليه فوقانيا بطرزة ذهب مزرکش^(١)
ورسم السلطان إلى سائر الأمراء أن يوافوه بالخلع ودقت البشائر لهذا الخبر بالديار
المصرية وزينت القاهرة من الغد زينة عظيمة .

ثم خلع السلطان على الأمير طولو من على - باشاه الظاهري - أحد أمراء
العشرات وندبه للتوجه إلى حلب على البريد لإحضار رأس منطاش ، بعد أن
يعذبه بأنواع العذاب ليقرّ على أمواله ، فسار طولو في خامسه إلى حلب وأحضر
منطاشا وعصره وأجرى عليه أنواع العذاب ليقرّ بالمسال ، فلم يعترف بشيء ، فدبّجه
بعد عذاب شديد ، قيل : إنه عذب بأنواع العذاب والكسارات والنار في أطرافه ،
حتى لم يبق فيه عضو إلا وتكسر وهو مصمم على أنه لا يملك شيئا ، ثم قطع رأسه
وحملت على ربح وطيف بها بمدينة حلب ، ثم أخذها طولو وعاد يريد الديار
المصرية ، فصار كلما دخل إلى مدينة طاف بها على ربح وعمل بها كذلك في سائر
مدن الشام ، حتى وصلت إلى الديار المصرية صحبة طولو المذكور في يوم الجمعة
حادى عشر من رمضان ، فعلقّت على باب قلعة الجبل ، ثم طيف بها القاهرة على
رُحْ ، ثم علقّت على باب زويلة أياما ، ثم سلمت إلى زوجته أم ولده ، فدفتها
في سادس عشرينه .

ثم ندب السلطان يلبغا السالمى - الظاهري - إلى نعيم بالخلع .

(١) في (ف) : (توقانى) . وفوقانى : لباس كالجبة بلبسه القضاة والأمراء .

(٢) في نسخة ف : (شبان) .

ثم في سادس عشرينه قدم رسل الملك الظاهر محمد الدين عيسى صاحب
 ماردين على السلطان تُخبر بأن تيمورلنك أخذ مدينة تبريز وأرسل يستدعيه إلى عنده
 فاعتذر لمشاورة سلطان مصر، فلم يقبل منه تيمور ذلك وقال له : ليس لصاحب
 مصر بملكك حكم وأرسل إليه خلعة وسكة ينقش بها الذهب والدنانير وقدم مع
 القاصد أيضا رسول صاحب بسطام، يذكر بأن تيمور قتل شاه منصور ممتلك شيراز
 وبعث برأسه إلى بغداد وبعث بالخلع والسكة إلى السلطان أحمد بن أويس صاحب
 العراق، فلبس السلطان أحمد الخلعة وطاف بها في شوارع بغداد وضرب بأسمه
 السكة، وكان ذلك خديعة من تيمور، حتى ملك منه بغداد في يوم السبت
 حادى عشرين شوال من سنة خمس وتسعين المذكورة .

- ١٠ وكان سبب أخذ تيمور بغداد أن ابن أويس المذكور كان أسرف في قتل
 أمرائه وبالغ في ظلم رعيته وأنهمك في الفجور والفساد .

قلت فائدة: حكى بعض الحكماء أن الرجل إذا كان فيه خصلة من سبع خصال
 تمنعه السيادة على قومه ونظم السبعة بعضهم فقال : [الخفيف]

- منع الناس أن يسود عليهم * سبعة قاله ذوو التبيان
 ١٥ أحق كاذب صغير فقير * ظالم النفس مُسك الكف زان

(١) رواية ف : (وبعث إليه يستدعيه إلى عنده) .

(٢) رواية ف : « ليس لصاحب مصر عليك حكم » .

(٣) رواية (ف) : « خلعته » .

(٤) السكة حديدة منقوشة يضرب عليها الدراهم .

(٥) البسطام : نسبة إلى بسطام، قرية من قرى قوس على جادة الطريق إلى نيسابور بعد دامنجان

بمرحطين (عن معجم البلدان لياقوت) .

ولما وقع من السلطان أحمد ذلك كاتب أهل بغداد تيمور بعد استيلائه على مدينة تبريز يحنونه على المسير إلى بغداد ، فتوجه إليها بعساكرها حتى بلغ الدر بند (١) وهو من بغداد مسيرة يومين ، فبعث إليه أحمد بن أويس بالشيخ نور الدين الخراساني فأكرمه تيمور وقال له : أنا أترك بغداد لأجلك ورحل يريد السلطانية ، فبعث نور الدين كتبة بالشارة إلى بغداد .

ثم قدم في إثرها فاطمان أهلها وكان تيمور قد سار يريد بغداد من طريق أخرى ، فلم يشعر أحمد بن أويس وقد أطمأن إلا وتيمور نزل غربي بغداد قبل أن يصل الشيخ نور الدين فدهش عند ذلك ابن أويس وأمر بقطع الجسر ورجل من بغداد بأمواله وأولاده وقت السحر من ليلته وهي ليلة السبت المذكورة وترك بغداد فدخلها تيمور لئلا وأرسل ابنه في إثر ابن أويس فأدركه بالحلة (٢) ونهب ماله وسبي حريمه وأسر وقتل كثيرا من أصحابه ، ففجأ السلطان أحمد بن أويس بنفسه في طائفة وهم عمراء ، فقصد حلب وتلاحق به من بقي من أصحابه .

ثم بعد ذلك قدم البريد على السلطان الملك الظاهر برقوق بأن ابن أويس المذكور نزل بالرحبة في نحو ثلاثمائة فارس وقدم كتاب ابن أويس وكتاب نصير ،

(١) تبريز : أشهر بلدة بأذربيجان ، ولها غوطة رائعة . وكان بها كرسي بيت هولاكو من التتار ، وهي مدينة عامرة حسنة ذات أسوار محكمة ، وهي اليوم (القرن التاسع الهجري) : أم إيران جميعا لتوجه المقاصد من كل جهة إليها ، وبها محط رحال التجار والسفار ، وبها دور أكثر الأمراء الكبراء المصاحبين لسلطانها لقر بها من أرجان محل مشاتهم (راجع صبح الأعشى رابع ص ٣٥٧ ومعجم البلدان رتقويم البلدان) . (٢) باب الدر بند : (باب الأبواب) : اسم للبلدة على ساحل بحر الخزر بين البحر والجل ، وهي شمال باب الحديد (عن تقويم البلدان لأبي الفداء إسماعيل) .

(٣) الحلة يراد بها حلة بني مزيد ، وهي مدينة كبيرة بين الكوفة وبغداد ، كانت تسمى الجامعين عن معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٣٢٢) .

(٤) يريد الرحبة الجديدة وهي على نحو مرمى من الفرات .

فأجيب أحسن جواب وكتب بأكرامه والقيام بما يليق به ، فلما وصل كتاب
السلطان إلى تُعير توجه إليه ، وعندما طين ابن أُويس نزل عن فرسه وقبل الأرض
بين يديه وسار به إلى بيوته وأضافه .

ثم سيره إلى حلب فقدمها ومعه أحمد بن شكر ونحو الألفى فارس فانزله الأمير
جُلبان قرا سُقل نائب حلب بالميدان وقام له بما يليق به وكتب مع البريد إلى
السلطان بذلك وعلى يد القادم أيضا كتاب السلطان أحمد بن أُويس يستأذن
في القدوم إلى مصر ، فجمع السلطان الأمراء للشورة في أمر ابن أُويس ، فاتفقوا
على إحضاره وأن يخرج إلى مجيئه الأمير عز الدين أزدمر ومعه نحو ثلاثمائة ألف
درهم فضة وألف دينار برسم الثقة على ابن أُويس في طريقه إلى مصر وتوجه
أزدمر المذكور في سادس عشرينه وسار أزدمر إلى حلب وأحضر السلطان أحمد
ابن أُويس المذكور إلى نحو الديار المصرية ، فلما قُرب ابن أُويس من ديار مصر
أخرج السلطان عدة من الأمراء إلى لقائه .

فلما كان يوم الثلاثاء سابع عشرين شهر ربيع الأول من سنة ست وتسعين
وسبعمائة ، نزل السلطان الملك الظاهر من قلعة الجبل بأمرائه وعساكره إلى لقاء
أحمد بن أُويس وجلس بمسطبة مطعم الطير من الريدانية خارج القاهرة إلى أن
(١) رواية ف « سابع عشر شهر ربيع الأول » .

(٢) المقصود بالمطعم هنا هو مطعم الطيور المخصصة للصيد ، وكان السلاطين يتزلون إليه ، وتطلق
البازدارية طيورا أعدوها لذلك ثم يطلقون وراءها الطيور الجارحة لاصطيادها ، وكان هذا نوعا من أنواع
التسلية والرباظة السلطانية . ويستفاد مما ورد في كتاب حوادث الدهور لابن تفرى بردى (ص ٢٨٠)
ومما ورد في تاريخ مصر لابن إياس (ص ١٧٦ ج ٢) : أن هذا المطعم كان واقعا في الشمال الشرق
لخائفة السلطان برقوق المعروفة بترية برقوق في المنطقة التي بها اليوم جبانة العباسية التي يسميها العامة جبانة
الفغير بالقاهرة وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٧١ من الجزء العاشر من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا تفصيليا .

قرب السلطان أحمد بن أويس ووقع بصره على المسطبة التي جلس عليها السلطان ،
فنزّل عن فرسه ومشى عدّة خطوات ، فتوجه إليه الأمير بتخاص حاجب المجاب
بالديار المصرية ومن بعده الأمراء للسلام على ابن أويس ، فتقدّم بتخاص المذكور
وسلم عليه ووقف بإزائه وصار كلما تقدّم إليه أمير يُسلم عليه يعرّفه بتخاص بأسمه
ووظيفته وهم يقبلون يده واحدا بعد واحد ، حتى أقبل الأمير أحمد بن يلبغا أمير
مجلس فقال له : الأمير بتخاص هذا أمير مجلس وابن أستاذ السلطان ، فعانقه
ابن أويس ولم يدعه يُقبل يده .

ثمّ جاء بعده الأمير بكّاش العلائي أمير سلاح فعانقه أيضا ، ثمّ من بعده
الأمير أيتمش البجاسي رأس نوبة الأمراء وأطابك فعانقه ، ثمّ من بعده الأمير
سُودون الفخريّ الشيخونيّ نائب السلطنة فعانقه ، ثمّ الأمير الكبير كشيغا الجوى
أتابك العساكر فعانقه وأقضى سلام^(١) الأمراء ، فقام عند ذلك السلطان ونزل من
على المسطبة ومشى نحو العشرين خطوة ، فلما رأى ابن أويس مشى السلطان له
هروّل حتى ألتقيا ، فأومأ أحمد بن أويس ليقبل يد السلطان فتمعه السلطان من
ذلك وعانقه .

ثمّ بيّكا ساعة ثمّ مشيا إلى نحو المسطبة والسلطان يطيب خاطره ويّعه بكل
جميل وبالعود إلى ملكه ويده في يده حتى طلعا على المسطبة وجلسا معا على البساط
من غير أن يقعد السلطان على مرتبته وتحادّثا طويلا ، ثمّ طلب السلطان له خلعة
فقُدّم قبا حرير بنفسجيّ بفرو وقام بطرز زركش هائلة ، فألبسه الخلعة المذكورة
وقدّم له فرسا من خاصّ مرايكب السلطان بمرج ذهب وكنبوش زركش وسلسلة
ذهب فركبه ابن أويس من حيث يركب السلطان ، ثمّ ركب السلطان بعده وسارا

(١) رواية ف : « واقضى السلام من الأمراء » .

يتحدان والأمراء والعساكر سائرة على منازلهم مقيمة وميسرة، حتى قريبا من القلعة، هذا والناس قد خرجت إلى قريب الريدانية وأمتلات الصحراء منهم للفرجة على موكب السلطان^(٢)، حتى أدهش كثرتهم السلطان أحمد بن أويس، فكان هذا اليوم من الأيام المشهودة، ولما وصلا إلى قريب القلعة وأخذت العساكر تترجل عن خيولهم على العادة، صار ابن أويس مواكبا للسلطان حتى بلغا تحت الطليحانة من قلعة الجبل، فأوما إليه السلطان بالتوجه إلى المنزل الذي أعد له على بركة الفيل^(٤)، وقد جذدت عمارته وزخرفت بالفرش والآلات والأواني، فسلم ابن أويس على السلطان، وسار إليه وجميع الأمراء في خدمته، وطلع السلطان إلى القلعة.

فلما دخل ابن أويس إلى المنزل المذكور ومعه الأمراء، مد الأمير جمال الدين محمود الأستاذارين يديه سماطا جليلا إلى الغاية في الحسن والكثرة، فأكل السلطان أحمد وأكل الأمراء معه، ثم آنصرفوا إلى منازلهم، وفي اليوم جهز السلطان إليه مائتي ألف درهم فضة، ومائتي قطعة قماش سكندرية، وثلاثة أفراس بقماش ذهب وعشرين مملوكا وعشرين جارية، فلما كان الليل قدم حريم ابن أويس ونقله.

ثم في يوم الخميس عمل السلطان الخدمة بدار العدل المعروفة بالإيوان^(٧)، وطلع القان أحمد بن أويس المذكور. وعبر من باب الجسر الذي يقال له باب السر وجلس

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢ من هذا الجزء حيث تجد لها شرحا مفصلا.

(٢) رواية ف «على موكب عظيم». (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا. (٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٦٦٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا. (٥) رواية «ف»: «فلما كان اليوم».

(٦) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة.

(٧) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة.

(٨) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٧٢ من الجزء الثامن من هذه الطبعة.

تُجَاه الإيوان حتى خرج إليه رأس نوبة ومضى به إلى القصر ، فأخذه السلطان ،
 وخرج به إلى الإيوان ، وأقصده رأس الميمنة فوق الأمير كشيفا الحموي- أتابك
 العساكر ، فلما قام القضاة ومُد السباط ، قام الأمراء على العادة ، فقام ابن أويس أيضا
 معهم ووقف ، فأشار إليه السلطان بالجلوس بـجلس ، حتى فرغ الموكب ، ولما آنقضت
 خدمة الإيوان دخل مع السلطان إلى القصر وحضر خدمة القصر أيضا ، ثم خرج
 الأمراء بين يديه ، حتى ركب وقدامه جاوئشه وتقيب جيشه ، فسار الأمراء
 في خدمته إلى منزله .

ثم علق السلطان جاليش السفر إلى البلاد الشامية على الطبلخاناه ، فشرع
 الأمراء والممالك وغيرهما في تجهيز أحوالهم إلى السفر صحبة السلطان .

ثم في حادى عشرين شهر ربيع الأول المذكور ، ركب السلطان من القلعة ومعه
 السلطان أحمد بن أويس إلى مدينة مصر وعدى النيل إلى برالجيزة ، ونزل بالخيـام
 ليتصيد ، فأقام هناك ثلاثة أيام وعاد ، وقد أذهل ابن أويس ما رأى من تجمل
 المملكة وعظمتها من ندماء السلطان ومغانيه وترتيبه في مجلس موكبه وأسنه
 ثم في سـلـخه قـدـم البريد من حلب بتوجه الأمير ألطنغا الأشرفي- نائب الرها
 كان ، وهو يوم ذلك أتابك حلب ، والأمير دقاق المحمدي- نائب ملطية بعسكرهما

(١) يريد بها مصر القديمة . (٢) الرها (بالقصر والمذ) : مدينة بالجزيرة بين الموصل
 والشام سميت باسم الذي استحدثها وهو الرها بن البلندي بن مالك . (٣) حلب بالتحريك مدينة عظيمة
 واسعة كثيرة الخيرات طيبة الهواء وهى قصبة جند قنسرين (عن معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٣٠٤) .
 (٤) ملطية : مدينة شمال حلب بميلة إلى الشرق على نحو سبع مراحل منها ، وهى مدينة من بلاد
 النور ، وقد عدها ابن حوقل من جملة بلاد الشام . وقال أبو الفدا . إسماعيل في تقويم البلدان : (إنها
 في بلاد الروم ، وعدها بعضهم من النور الجزرية . وكانت ملطية قديمة تحربها الروم فبنها أبو جعفر
 المنصور ثانى خلفاء بني العباس وجعل عليها سورا محكما ، وهى بلدة ذات فواكه وأشجار وأنهار ، فتحبها =

وموافقتها لطلانغ تيمورلنك وهزيمتهما له ، بعد أن قتلا من اللنكية خلقا كثيرا ،
وأسرا أيضا جماعة كبيرة ، وعاد إلى حلب بمائة رأس من الثمريّة .

وفي يوم الخميس ثالث شهر ربيع الآخر ابتداء السلطان بنفقة الممالك ، لكل
مملوك مبلغ أثنى درهم وعدتهم خمسة آلاف مملوك ، فبلغت النفقة في الممالك
خاصة عشرة آلاف درهم فضة ، سوى نفقة الأمراء وسوى ما حُمل في الجزائن
وسوى ما تكلفه للقائ أحمد بن أوتيس فيما مضى ، وفيما يأتي ذكره .

وبينا السلطان في ذلك قديم عليه كتاب تيمور يتضمن الإرداع والتخويف ،
ونصه :

قل اللهم مالك الملك ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت
تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون . أعلموا أنا جند الله مخلوقون من سخطه ،
ومسلطون على من حل عليه غضبه ، لا نرق لشاك ، ولا نرحم عبّرة بك ، قد نزع الله
الرحمة من قلوبنا ، فالويل ثم الويل لمن لم يكن من حزبنا ومن جهتنا ! قد خربنا
البلاد ، وأيتمنا الأولاد ، وأظهرنا في الأرض الفساد ، وذلت لنا أعزّتها ، وملكتنا
بالشوكة أزمّتها ، فإن خيّل ذلك على السامع وأشكل ، وقال : إن فيه عليه مشكلا ،
فقل : (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلة) ، وذلك لكثرة
عدّتنا ، وشدة بأسنا ، نغيوئنا سوابق ، ورمأحتنا خوارق ، وأسئّتها بوارق ، وسيوفنا
صواعق ، وقلوبنا كالجبال ، وجيوبنا كعدّد الرمال ، ونحن أبطال وأقبال ، وملكتنا
لا يرام ، وجأرنا لا يضام ، وعزّنا أبدا لسؤدد مُنقام ، فن سالمنا سليم ، ومن

== محمد الناصر يوم الأحد الحادى والعشرين من المحرم سنة ٧١٥ هـ منها أبو الفرج الملقب عمدة المؤرخين
المحققين المتوفى سنة ٦٨٥ هـ الملقب بابن العبري (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ١٣١ وتقويم البلدان
وفهرس معجم الخريطة التاريخية للملك الإسلامية للرحوم محمد أمين واصف بك وتاريخ سلاطين الممالك) .

حاربنا نديم . ومن تكلم فينا بما لا يعلم جهل . وأنتم فإن أطعتم أمرنا وقبلتم شرطنا ،
 فلكم مآلنا وعليكم ما علينا ، وإن خالفتم وعلى بغيكم تماديتم ، فلا تلوموا إلا أنفسكم ،
 فالحصون منا مع تشييدها لا تمنع ، والمدائن بشدتها لقتالنا لا ترد ولا تنفع ، ودعاؤكم
 علينا لا يستجاب فينا فلا يُسمع ، فكيف يسمع الله دعاءكم وقد أكلتم الحرام ،
 وظلمتم جميع الأنام ، وأخذتم أموال الأيتام ، وقبلتم الرشوة من الحكام ، وأعددتهم
 لكم النار وبئس المصير : ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون
 في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ﴾ فبما فعلتم ذلك أوردتم أنفسكم موارد المهالك ،
 وقد قتلتم العلماء ، وعصيتم رب الأرض والسماء ، وأرقم دم الأشراف ، وهذا
 والله هو البغي والإسراف ، فأنتم بذلك في النار خالدون ، وفي غدينادى عليكم :
 ﴿ فالיום تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم
 تُنكسرون ﴾ ، فأبشروا بالمذلة والهوان ، يا أهل البغي والعدوان ، وقد غلب عندكم
 أننا كفرة . وثبت عندنا والله أنكم الكفرة الفجرة ، وقد سلطنا عليكم الإله ، له
 أمور مقدرة ، وأحكام مُحْزرة ، فعزيركم عندنا ذليل ، وكثيركم لدينا قليل ، لأننا
 ملوكا الأرض شرقا وغربا ، وأخذنا منكم كل سفينة غصبا ، وقد أوضحنا لكم
 الخطاب ، فأسرعوا برد الجواب ، قبل أن ينكشف الغطاء ، وتُضرم الحرب
 نارها ، وتضع أوزارها ، وتصير كل عين عليكم باكية ، وينادي منادى الفراق :
 هل ترى لهم من باقية ، ويُسمعكم صاخر الفناء بعد أن يهزكم هزا ، ﴿ هل يُحْسِ
 منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ﴾ ، وقد أنصفناكم إذ راسلناكم ، فلا تقتلوا المرسلين ،
 كما فعلتم بالأولين ، فتخالقوا كهادتكم سنن الماضين ، وتعصوا رب العالمين ، ﴿ فما على
 الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ ، وقد أوضحنا لكم الكلام ، فأرسلوا برد الجواب والسلام

(١) في الأصلين : « وطنيت » ، وما أثبتناه يترن به السياق .

- فكتب جوابه بعد البسملة الشريفة : ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتُعزّز من تشاء وتذل من تشاء ﴾ ، وحصل الوقوف على ألفاظكم الكفرية ، وزغاتكم الشيطانية ، وكتابكم يخبرنا عن الحضرة الخاتية ، وسيرة الكفرة الملائكية ، وأنكم مخلوقون من سخط الله ومسلطون على من حلّ عليه غضب الله ، وأنكم لا تَرْقُونَ لشاك ، ولا ترحمون عبّرة بالك ، وقد نزع الله الرحمة من قلوبكم ، فذاك أكبر عيوبكم ، وهذه من صفات الشياطين ، لا من شيم السلاطين ، وتكفيكم هذه الشهادة الكافية ، وبما وصفتم به أنفسكم ناهية ، ﴿ قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولى دين ﴾ ففى كل كتاب لعنتم ، وعلى لسان كل مُرْسَل نُعِيتُمْ ، وبكل قبيل وصفتُمْ ، وعندنا خبركم من حين خرجتم ، أنكم كفرة ، ألا لعنة الله على الكافرين ، من تمسك بالأصول فلا يُبالي بالفروع ، نحن المؤمنون حقاً ، لا يدخل علينا عيب ، ولا يضرنا ريب ، القرآن علينا نزل ، وهو سبحانه رحيم لم يزل ، فنحققنا نزوله ، وعلينا بركته تأويله ، فالنار لكم خُلِقَتْ ، وجلودكم أُضِرِمَتْ ، ﴿ إذا السماء آنفطرت ﴾ ، ومن أعجب المعجب تهديد الرتوت بالتوت والسباع بالضباع والكمأة بالكراع ، نحن خيولنا برقية ، وسهامنا عربية ، وسيوفنا يمانية ، ولبوسنا مصرية ، وأكفنا شديدة المضارب ، وصفنا مذكورة في المشارق والمغارب ، إن قتلناكم نعم البضاعة ، وإن قُتل منا أحدٌ فينبه وبين الجنة ساعة ، ﴿ ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر

(١) الرتوت ؛ جمع رت . وهم : عليّة القوم ومادتهم .

المؤمنين ﴿١﴾ . وأما قولكم : قلوبنا كالجبال ، وعددنا كالرمال ، فالقصاص لا يسأل
بكثرة الغنم ، وكثير الحطب يُغنيه الضرم ﴿٢﴾ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن
الله والله مع الصابرين ﴿٣﴾ الفاز الفاز من الروايا ، وطول البلايا ، وأعلموا أن هجوم
المنية ، عندنا غاية الأمنية ، إن عشنا عشنا سعداء ، وإن قُتلنا قُتلنا شهداء إلا إن
حزب الله هم الغالبون أبعد أمير المؤمنين ، وخليفة رب العالمين ، تطلبون منا طاعة ،
لا سماع لكم ولا طاعة ، وطلبتم أن نُوضح لكم أمرنا ، قبل أن ينكشف الغطاء ، ففى
نظمه تركك ، وفى سلكه نليك ، لو كشف الغطاء لبان القصد بعد بيان ، أكفروكم
بعد إيمان ، أم آتخذتم لها ثان ، وطلبتم من معلوم رأيكم . أن تتبع دينكم ، ﴿٤﴾ لقد
جئتم شيئا إذا تكاد السموات يتفطرون منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً ﴿٥﴾
قل : لكتابك الذى وضع رسالته ، ووصف مقالته ، وصل كتابك كضرب رباب ،
أو كطنين دباب ، ﴿٦﴾ كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مداً ، ونريه
ما يقول ﴿٧﴾ إن شاء الله تعالى لقد لبكتم^(٢) ، فى الذى أرسلتم ، والسلام . انتهى .

فقرض هذا الجواب على السلطان ثم ختم وأرسل إليه .

ثم فى سادس شهر ربيع الآخر المذکور عرّض السلطان أجناد الحلقة الذين عيّنوا
للسفر وعين منهم أربعائة فارس للسفر صحبة السلطان وترك الباقي بالديار المصرية .
ثم فى سابعه خرجت بدورة السلطان من القاهرة ونصبت بالريدانية^(٣)
خارج القاهرة .

ثم فى يوم الأربعاء تاسعه عقد السلطان عقده على الخاتون تندى بنت حسين
آبن أويس وكانت قدمت مع عمها السلطان أحمد بن أويس ، ومبلغ الصداق ثلاثة

(١) فى ٢ : (الهتان) . (٢) لبكتم أى خلطتم فى الأمر .

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢ من هذا الجزء .

آلاف دينار وكان صرفُ الدينار إذ ذاك ستة وعشرين درهما ونصف درهم ،
وبَنَى عليها ليلة الخميس عاشره وهو يوم سفره إلى الشام .

وأصبح من الفسد في يوم الخميس المذكور نزل السلطان من قلعة الجبل إلى
الإسطنبول^(١) السلطاني ، ثم خرج من باب السلسلة إلى الرملة^(٢) وقد وقف القان أحمد
ابن أويس وجميعُ الأمراء وسائر العسكر مُلبسين آلة الحرب ومعهم أطلابهم ، فسار
السلطان وعليه قرقل^(٣) بلا أكمام وعلى رأسه كلفنة وتحتة فرس بخرقة من صوف
سميك إلى باب القرافة والعساكر قد ملأت الرملة فرتب هو بنفسه أطلاب الأمراء
ومرّة في صفوفها ذهابا وإيابا غير مرّة ، حتى رتبها أحسن ترتيب وصاحبها ينظر
وأخذ يُخالف في تعبئة الأطلاب ، كلّ تعبئة بخلاف الذي يتقدّمها ، حفظتُ أنا
غالبها عن الأستاذ الأتابك آقبا التمازي عن أستاذه تماراز الناصريّ النائب ولولا
الإطالة والخروج عن المقصود لرسمتها هنا بالنقط . انتهى .

فلما فرغ السلطان الملك الظاهر برفوق من تعبئة أطلاب أمراءه أخذ
في ترتيب طلب نفسه وجعله أمام أطلاب الأمراء كالجاليش لكثرة من كان به

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤ من هذا الجزء .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣ من هذا الجزء .

(٣) الرملة من الميادين الواسعة تحت قلعة الجبل بالقاهرة وتعرف الآن بالمنشية وبها ميدان
صلاح الدين الأيوبي . راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٧٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة حيث تجد لها
شرحا وافيًا ، وراجع الحاشية رقم ١ ص ١١١ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٤) القرقل (قرقر) : نوع من الدروع التي كانت تستعمل في الحروب .

(٥) الكلفنة : هي الكفوة ولونها أصفر ، لباس من لباس الرأس ، وهي من رسم الدولة التركية ،
يلبسها السلطان والأمراء وسائر العسكر ، ولها كلاليب بغير عمامة فوقها ، وتكون شعورهم مضمفورة مدلاة
وتوضع في كيس حرير إما أحمر أو أصفر (عن دوزي ص ٣٨٧) .

وعبّاه قلبا وجناحَ يمين وجناحَ شمال ورديفا وكينا وأمر الكوسات والطبول
فدقت حربيا .

ثم ترك جميع الأطلاب ومضى في خواصه إلى قبة الإمام الشافعي^(١) [رضى الله
عنه] وزاره وتصدق على الفقراء بمال كثير خارج عن الحد، ثم سار إلى المشهد^(٢)
النفيسي وزاره وتصدق به أيضا، وفي طول طريقه بجيلة مستكنة، ثم عاد إلى
الرميلة وأشار إلى طلب السلطان فسار إلى نحو الريدانية في أعظم قوة وأبهج زى
وأخضر هيئة وأحسن ملابس، جُر فيه من خواص الخيل مائتا جنب مُلبسة آلة
الحرب التي عظم من الآلات المذهبة والمفضضة والمزركشة على اختلاف
أنواعها وصفاتها التي تُحير العقول عند رؤيتها .

ثم أشار لأطلاب الأمراء فسارت أيضا بأعظم هيئة وقد تفاخر الأمراء
أيضا في أطلابهم وخرج كل طلب أحسن من الآخر حتى حاذوا القلعة

(١) هذه القبة، أنشأها الملك الكامل محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب في سنة ٦٠٨ هـ .
وذكر ابن عباس في كتاب بدائع الزهور ص ١٩٨ ج ٢ أن الأشرف قايتباي أمر بتجديد عمارة قبة
الإمام الشافعي ولا تزال هذه القبة الجليلة المرتفعة قائمة إلى اليوم تعلو قبر الإمام الشافعي . ويوجد فوق
القبة من الخارج في مكان الهلال مركب صغير من النحاس تسمع من الحب قدر نصف إردب ، يوضع
في هذا المركب لإطعام الطيور .

(٢) المشهد النفيسي — يستفاد مما ذكره المقرئ في الجزء الثاني من خطه ص ٤٤٠ عن ذكر
المشهد النفيسي والجامع بالمشهد النفيسي أن السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب
رضي الله عنهم جميعا توفيت في شهر رمضان سنة ٢٠٨ هـ ودفنت في منزلها وهو الموضع الذي به قبرها الآن
في الخط الذي كان يعرف قديما بخط درب السباع . ولا يزال مشهد السيدة نفيسة داخل جامعها المعروف
باسمها الشريف محفوظا بناية الله إلى اليوم بشارع الأشرف بقسم الخليفة بالقاهرة . وأول من بنى على
قبرها هو عبيد الله بن السري بن الحكم أمير مصر في سنة ٢١٠ هـ وأول من أنشأ المسجد المجاور لمشهدا
هو الملك الناصر محمد بن قلاوون في ٧١٤ هـ والبناء الحالي للجامع والمشهد جدده ديوان عموم الأوقاف
في سنة ١٣١٤ هـ .

فوقوا يمينا ويسارا حتى سار السلطان في موكب في غاية العظمة والأبهة وإلى جانبه القان أحمد بن أويس على فرس بقماش ذهب وبجانب ابن أويس الأمير الكبير كشبغا الحموي ثم الأمراء ممينة وميسرة، كل واحد في رتبته حتى انتهى ممر السلطان وأمامه العساكر وخلفه، ثم سارت أطلاب الأمراء تريد الريدانية شيئا بعد شيء، وسار السلطان حتى نزل بجحيمه بالريدانية وأقام بها أياما .

ثم في رابع عشره خلع على القاضي بدر الدين محمد بن أبي البقاء باستقراره قاضي قضاة الشافعية بديار مصر، بعد عزل القاضي صدر الدين المناوي ودخل من الريدانية إلى القاهرة ومعه تغري بردى من يشبغا رأس نوبة النوب (أعنى الوالد) والأمير قلمطاي من عثمان الدوادار الكبير وأقربا للكشش رأس نوبة ثان وجماعة آخر .

ثم قدم على السلطان بالريدانية ولد الأمير نعيم ومعه محضر أن أباه أخذ مدينة بغداد وخطب بها للسلطان الملك الظاهر برقوق، فخلع السلطان عليه ووعده بكل خير .

ثم كتب السلطان بإحضار الأمير الطنبغا المعلم من نمر دمياط .^(١)

ثم خلع السلطان على الأمير سودون النائب ليقيم بالقاهرة في مدة غيبة السلطان، وعلى الأمير يحماس ليقيم بالقلعة، وعلى الأمير محمود الأستار، وعلى ولده وخلع على التاجر برهان الدين المحلى، وعلى التاجر شهاب الدين أحمد بن مسلم، وعلى التاجر نور الدين على الخروبي لكون السلطان آقترض منهم مبلغ ألف درهم .

ثم في ثالث عشرينه رحل السلطان بعساكره وأمرائه من الريدانية، بعد أن أقام بها نحو ثلاثة عشر يوما، وفزق من الجبال في المحاليل نحو أربعة آلاف جمل،

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٤٠ من هذا الجزء .

ومن الخيل ألفى فرس ونحسمانه فرس ، وحمل معه أشياء كثيرة مما يحتاج السلطان إليه ، منها خمسة قناطير من العاج والآبنوس برسم الشطرنج الذي يلعب به السلطان ، وسببه أنه كان إذا لعب بشطرنج وفرغ من لعبه أخذه صاحب التوبة وجدد غيره ، وأشياء كثيرة أخر من هذه المقولة .

ثم في ثامن عشرينه أرسل السلطان يطلب بدر الدين محمود الكلستانی ، فأخذ محمود المذكور من خانقاة شيخون^(١) فإنه كان من بعض صوفيتها وسار وهو خائف وجل ، لأنه كان من أئام الأطباء الجوباني إلى أن وصل إلى السلطان . وخبره أن السلطان كان ورد عليه كتاب من بعض الملوك بالعجمي ، فلم يعرف القاضي بدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر يقرؤه ، فطلب السلطان من يقرؤه ، فنوه بعض من حضر من الأمراء بذكر الكلستانی هذا ، فطلب لذلك وحضر وقراء فأعجب السلطان قراءته ، فأمره بالسفر معه . فسافر صحبة السلطان وصار يتزل مع الأمير قلمطاي الدوادار كآته من بعض حواشيه فإنه كان في غاية من الفقر إلى أن وصل إلى دمشق كما سنذكره .

وأما السلطان فإنه دخل دمشق في عشرين جمادى الأولى وقام به إلى أن أخرج عسكرا إلى البلاد الحلبية في سابع عشر شهر رجب ، وعليهم الأمير الكبير كشيغا الحموي والأمير بكلمش أمير سلاح والأمير أحمد بن يلبغا أمير مجلس وبيبرس ابن أخت السلطان الملك الظاهر بقوق ، ونائب صفد ونائب غزّة ، كل ذلك والسلطان مقيم بدمشق في انتظار قدوم تيمورلنك .

ثم أمر السلطان للقان غياث الدين أحمد بن أويس بالتوجه إلى محل مملكته ببغداد ، فخرج من دمشق في يوم الاثنين أول شعبان من سنة ست وتسعين

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٣ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

(٢) صفد : مدينة في جبال عاملية المطلة على حصص بالشام من جبال لبنان .

المذكورة ، بعد ما قام له السلطان بجميع ما يحتاج إليه ، وعند ودّاعه خلّع عليه الملك الظاهر خلعة أطلسين مُمْتَرًا وقلّده بسيف مُسَقَّط بذهب ، وكتب له تقليدا بسلطنة بغداد ، وناولَه إياه ، فأرادَ أحمد بن أُوَيْس أن يُقَبِّل الأرض فلم يُمكنه السلطان من ذلك ، إجلالا له وتعظيما في حقّه ، وقام له وعانقه ووادعه ، ثمّ أفترقا ، وكان ما أنعم به السلطان الملك الظاهر على القان غياث الدين أحمد بن أُوَيْس عند سفره خاصّة من النقد خمسمائة ألف درهم ، سوى الخيل والجمال والسلاح والماليك والفُهاش السكندري وغير ذلك ، واستمّرَ ابن أُوَيْس بحجّته خارج دمشق إلى يوم ثالث عشر شعبان ، فسافر إلى جهة بغداد بعد أن أظهر الملك الظاهر من علو همته ومكارمه وإنعامه لابن أُوَيْس المذكور ما أدهشه .

- ١٠ قلت : هكذا تكون الشّيم الملوكية ، وإظهار الناموس ، وبذل الأموال في إقامة الحرمة ، مع أن الملك الظاهر لم يخرج من الديار المصرية ، حتّى تحمل جملة كبيرة من الديون ، فإنه من يوم حبس بالكرك وملك الناصري ومنطاش ديار مصر فزقا جميع ما كان في الخزائن السلطانية ، وحضر الملك الظاهر من الكرك فلم يجد في الخزائن ما قل ولا كثر وصار مهما حصّله أنفقّه في التجاريد والكُلف ، فله دُرّه من ملك ! على أنه كان غير مشكور في قومه .

حدثني غير واحد من حواشي الأسياد أولاد السلاطين ، قالوا : كنّا نقول من يوم تسلطن هذا المملوك : هذا الكعب الشؤم نسفت القلعة من الرّزق ونحريت الدنيا هذا ، وكان الذي يُصرف يوم ذلك على نزول السلطان إلى سرّحة سرياقوس بكلفة

(١) الكرك : اسم لقلعة حصينة جدا في أطراف الشام من نواحي البلقاء في جبالها (عن معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٣١٢) .

(٢) سرياقوس من القرى القديمة في مصر ، وهي الآن من قرى مركز شين القناطر بمديرية القليوبية واقعة على الشاطئ الشرق لقرعة الاسماعلة في شمال القاهرة وعلى بعد ١٨ كيلو مترا منا

ملوك زماننا هذا ! من أول السنة إلى آخرها ، فلعمري ! هل الأرزاق قلت أم الهمة
أضحت ! وما الشيء إلا كما كان وزيادة ، غير أن قلة العرفان تمنع السيادة . انتهى .

وفي يوم ثاني شعبان خلع السلطان على الشيخ بدر الدين محمود الكلستانی المقدم
ذكره باستقراره في كتابة سر مصر ، بعد موت القاضي بدر الدين محمد بن فضل الله ،
وكانت تولية الكلستانی هذه الوظيفة كتابة السر من غريب الاتفاق ، كونه كان
فقيراً مُمِلِّفاً خائفاً من السلطان ، وعند طلب السلطان له من خانقاه شيخون لقراءة
الكتاب الوارد عليه من العجم لم يخرج من الخانقاه حتى أوصى .

ثم إنه بعد قراءة الكتاب سافر حجة السلطان إلى دمشق واشتغل السلطان
بما هو فيه عنه ، فضاقت عيشه إلى الغاية وبقي في أعوز حال وبات ليلته يتفكر
في عمل أبيات يمدح بها قاضي دمشق ، لعله ينعم عليه بشيء يرد به رقه . فنظم
قصيدة هائلة وكان بارعا في فنون عديدة ، وأصبح من الغد ليتوجه بالقصيدة إلى
القاضي ، بغناه قاصداً السلطان بولاية كتابة سر مصر بغناه السعادة بغناه .

وكان من أمر السلطان أنه لما مات كاتب السر طلب من يوليه كتابة السر
فذكر له جماعة وبذلوا له مالا ، له صورة ، فلم يلتفت السلطان إلى ذلك وأراد من
يكون كفوفاً لهذه الوظيفة التي يكون متولياها صاحب لسان وقلم فلم يجد غير الكلستانی
المذكور ، وكان أهلا لها ، فطلبه وولاه كتابة السر ، فباشرها على أحمل وجه . انتهى .
ثم قديم على السلطان رسل طقتمش خان صاحب كرنى بلاد القفجاق ^(٢) بأنه
يكون عوناً مع السلطان على تيؤرلنك ، فأجابهُ السلطان لذلك .

(١) راجع الحاشية رقم ٦ ص ١٣١ من الجزء السابع من هذه الطبعة حيث مجد لها شرحا وافيا .

(٢) القفجاق (القفجاق) : جنس من الترك يسكنون صحارى تسمى صحارى الدشت ، أو صحارى

القفجاق ، أهل حل وزرحال ، على عادة البدو (راجع صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٥٦) .

ثم قدمت رسلٌ خوندكار يلدزم با يزيد بن عثمان مملّك بلاد الروم بأنّه جهز
لنصرة السلطان مائتي ألف درهم، وأنّه ينتظر ما يرد عليه من جواب السلطان ليعتمده .
ثمّ قدّم رسول القاضي برهان الدين أحمد صاحب سيواس^(١) بأنّه في طاعة
السلطان ويترقب ورود المراسم السلطانية الشريفة عليه بالمسير إلى جهة يعينه السلطان
إليها، عند قدوم تيمور، فكُتِب جوابُ الجميع بالشكر والثناء وبما اختاره السلطان .
ثمّ في أوّل ذى القعدة خرج السلطان من دمشق يريد البلاد الحلبية وسار حتى
دخلها في العشر الأوسط من ذى القعدة .

وبعد دخوله حلب بأيام قليلة، عزّل نائبها الأمير جُلبان من كَشْبُغا الظاهريّ
المعروف بقراسقل، وخلع على الوالد باستقراره عوضه في نيابة حلب، وأنعم على
الأمير جُلبان المذكور بإقطاع الوالد وإمرته، وهي إمرة مائة وتقدمة ألف بالديار
المصرية، ولم يستقرّ به في وظيفته، وكانت وظيفة الوالد قبل نيابة حلب رأس
نوبة النُوب .

ثمّ أسك السلطان الأمير ديمرداش المحمديّ نائب طرابلس وحبسه وخلع على
الأمير أرغون شاه الإبراهيميّ الظاهريّ نائب صفد باستقراره عوضه في نيابة
طرابلس، وخلع على الأمير آقبا الجماليّ الظاهريّ أنابك حلب باستقراره في نيابة
صفد، عوضاً عن أرغون شاه الإبراهيمي، وخلع على الأمير دُقاق المحمديّ الظاهريّ^(٢)
باستقراره في نيابة ملطية، وعلى الأمير كور مُقبل باستقراره في نيابة طرسوس^(٣) .

(١) سيواس (بكر السنين المهمة وسكون اليا، المثناة من تحت) : إقليم بالروم، وهي بلدة كبيرة
مشهورة بينها وبين قيسارية ستون ميلا (عن تفويم البلدان لأبي الفداء إسماعيل) .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ من هذا الجزء حيث نجد لها شرحا وافيا .

(٣) طرسوس (فتح أوله وثانيه وسينين مهملتين بينهما واو ساكنة) : مدينة بشفور الشام بين

أنطاكية وحلب وبلاد الروم عن معجم البلدان (ج ٣ ص ٥٢٦) .

ثم قبض السلطان على عدة أمراء من أمراء حلب : منهم الأمير الطنبا
الأشرف ، والأمير تمر باي الأشرف ، وقطلو شاه المارديني ، وحبس الجميع بقلعة حلب
وأنقض الموكب ، والوالد واقف لم يتوجه ، فقال له السلطان : لم لاتوجه ! فقال :
يا مولانا السلطان ! أستحي أنزل من الناس يُمسك أني ديمرداش نائب طرابلس^(١)
وأنتولي أنا نيابة حلب ! وما يقبل السلطان شفاعتي فيه ، فقال له السلطان : قِلت
شفاعتك فيه ، غير أنه يمكث في السجن أياما ، ثم أُفرج عنه لأجلك ، لئلا يقال :
يُمسك السلطان نائب طرابلس ويُطلقه من يومه ! فيصير ذلك وهنا في المملكة ،
فقال : — الوالد رحمه الله — : السلطان يتصرف في ممالكه كيف يشاء ، ما علينا
من قول القائل ! ثم قبل الأرض ويد السلطان ، فبتسم السلطان ، وأمر بإطلاق
ديمرداش وحضوره ، فحضر من وقته ، فطلع عليه بأنا بكية حلب عوضا عن آقبغا
الجمالي المستقر في نيابة صفد ، ثم قال له السلطان : خذ أخاك وأنزل ، فكانت

(١) طرابلس : سماها المورخون اليونان تريبوليس أي المدن الثلاث ، لأنها كانت مؤلفة من ثلاث
مستعمرات ، أسما أهالي صور وصيدا وأرصاد وكانت زاهرة في عهد الرومان ، وقد دخلها العرب دون
أن يلقوا مقاومة سنة ١٧ هـ واستولى عليها الصليبيون سنة ٥٠٣ هـ بعد حصار طويل ، شيدوا في خلاله
على رابية بالقرب من المدينة قصرا حصينا لا يزال إلى اليوم ، ويعرف باسم قلعة صنجيل وسقطت بعد
١٨٥ سنة في أيدي قلاوون سلطان مصر سنة ٦٨٨ هـ فدمرها وبنيد على أنقاضها مدينة جديدة وقد خربت
أبنيتها مرارا في العصور الوسطى على أثر زلازل قوية .

والمدينة الحالية واقعة بالقرب من القصر الحصين على نهر أبي علي على مسافة كيلو مترين من البحر وعلى
بعد ٦٧ كيلو مترا من بيروت شمالا بانحراف إلى الشرق ، وعلى بعد ثلاث كيلو مترات من طرابلس إلى الشمال
الغربي ، يوجد الميناء الذي هو بلدة قائمة بنفسها وفيه خمسة آلاف نفس وهو متصل بالمدينة بخط ترام .
وفي السهل بين المدينة والميناء كثير من أشجار البرتقال والليمون . وعدد سكان المدينة بخلاف الميناء ٢٧ ألف
نفس ، وهي تعد مدينة ذات حركة تجارية كبيرة (انظر لبنان بعد الحرب لأديب باشا ص ٩٧ ، وانظر
حوادث هذه السنوات في النجوم الزاهرة طبع دار الكتب) .

هذه الواقعة أول عظمة نالت الوالد من أستاذة الملك الظاهر برقوق انتهى هذا الخبر .

- والأخبار ترد على السلطان شيئا بعد شيء من بلاد الشمال يعود تيمورلنك إلى بلاده والسلطان لا يصدق ذلك . ويتقحم^(١) على لقاء تيمورلنك ، فلم يجسر تيمور على القدوم إلى البلاد الشامية مخافة من الملك الظاهر برقوق ، وتوجه إلى بلاده ، فلما تحقق السلطان عودته تأسف على عدم لقائه ، وخرج من حلب بعساكره في سابع محرم سنة سبع وتسعين وسبعائة يريد دمشق ، فوصلها ولم يقيم بها إلا أياما قليلة لطول إقامته بها في ذهابه ، وخرج منها بعساكره في سابع عشر المحرم المذكور ، يريد الديار المصرية ، بعد أن خلع على الأمير بختاخسان السودوني حاجب حجاب الديار المصرية باستقراره في نيابة الكرك ، عوضا عن الأمير شهاب الدين أحمد ابن الشيخ علي ، وقبّل الشهابي المذكور إلى محبوبة دمشق الكبرى ، عوضا عن الأمير ترمبغا المنجكي بحكم قدوم ترمبغا المنجكي إلى مصر صحبة السلطان ، وسار السلطان إلى أن وصل مدينة قُطيا^(٢) ، فامسك مملوكه الأمير جُلبان الكَشْبَغَاوي قراقل المعزول عن نيابة حلب وبعثه من قُطيا في البحر إلى ثغر دِمياط ، وسار السلطان من قُطيا حتى وصل إلى ديار مصر في ثامن عشر صفر ، وطلع إلى القلعة من يومه ، بعد أن احتفل

(١) يتقحم : يريد لقاءه في أقرب وقت .

(٢) قُطيا (قطية) وهي : قرية من نواحي الجفصار في الطريق بين مصر والشام في وسط الرمل قرب القرا ، وبها جامع ومارستان (مستشفى) وبها والى طبلغاناه مقبم لأخذ العشر من التجار ، وبها قاض وناظر وشهود ومباشر ووث ، ولا يمكن لأحد من الجواز من مصر إلى الشام وبالعكس إلا بجواز مرور ، فهي مزبم الدرب ، لا يمكن الدخول إلى مصر إلا منها ، وكان بها مكان أخذ المكس من القادمين إلى مصر . وأقول : قد اندثرت هذه القرية ولم يبق إلا أطلالها في الطريق بين القطرنة والعريش في الجنوب الشرق من محلة الروانة (الرومان قديما) وعلى بعد عشرة كيلومترات منها .

النَّاسُ لَطْلُوعِهِ ، وَزَيَّنَتْهُ الْقَاهِرَةُ أَيَّامًا ، غَيْرَ أَنَّ الْغَلَاءَ كَانَ حَصَلَ قَبْلَ قُدُومِ السُّلْطَانِ ، فَتَزَايَدَ بَعْدَ حُضُورِهِ لِكَثْرَةِ الْعَسَاكِرِ .

وَمِنْ يَوْمَئِذٍ صَفَا الْوَقْتُ لِلْمَلِكِ الظَّاهِرِ ، وَصَارَتْ مَمَالِكُهُ نَوَابَ الْبِلَادِ الشَّامِيَةِ مِنْ أَبْوَابِ الرُّومِ إِلَى مِصْرَ ، وَأَخَذَ السُّلْطَانُ يُكْثِرُ مِنَ الرُّكُوبِ وَالتَّوَجُّهِ إِلَى الصَّيْدِ ، وَعَمِلَ لَهُ الْأَمِيرُ تَمْرُبُكًا الْمُنَجَّحِي شَرَابًا مِنْ زَبِيبٍ ، يُسَمَّى التَّمْرِبُغَاوِي ، وَأَقْبَلَ السُّلْطَانُ عَلَى الشَّرْبِ مِنْهُ مَعَ الْأَمْرَاءِ ، وَلَمْ يَكُنْ يُعْرِفُ مِنْهُ السُّكُّرُ قَبْلَ ذَلِكَ .

ثُمَّ أَنْعَمَ السُّلْطَانُ عَلَى الْأَمِيرِ فَارَسَ مِنْ قُطُلُوجَا الظَّاهِرِيِّ الْأَعْرَجِ بِإِمْرَةِ مِائَةِ وَتَقْدِمَةِ أَلْفٍ وَوَلَّاهُ حِجْوِيَّةَ الْحِجَابِ غَوْضًا عَنْ تَخَفِصِ السُّودُونِيِّ الْمُسْتَقْرِ فِي نِيَابَةِ الْكُرْكِ . وَأَنْعَمَ عَلَى الْأَمِيرِ نُورُوزِ الْحَافِظِيِّ الظَّاهِرِيِّ بِإِمْرَةِ مِائَةِ وَتَقْدِمَةِ أَلْفٍ بِالْذِيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، غَوْضًا عَنِ الْوَالِدِ ، وَهُوَ الْإِقْطَاعُ الَّذِي كَانَ أَنْعَمَ بِهِ السُّلْطَانُ عَلَى جُلْبَانِ نَائِبِ حَلَبِ .

ثُمَّ أَنْعَمَ السُّلْطَانُ عَلَى الْأَمِيرِ أَرْغُونِ شَاهِ الْبَيْدَمَرِيِّ بِإِمْرَةِ مِائَةِ وَتَقْدِمَةِ أَلْفٍ ، وَأَنْعَمَ السُّلْطَانُ أَيْضًا عَلَى كُلِّ مَنْ تَمْرُبُكًا الْمُنَجَّحِي ، وَصَلَّاحِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ تَنْبُكْزِ وَصَرَّغْتَمِشِ الْمُحَمَّدِيِّ الظَّاهِرِيِّ بِإِمْرَةِ طَبْلَخَانَاهُ ، وَأَنْعَمَ أَيْضًا عَلَى كُلِّ مَنْ مُقْبِلِ الرُّومِي ، وَأَقْبَايِ مِنْ حُسَيْنِ شَاهِ الظَّاهِرِيِّ ، وَأَقِ بِلَاطِ الْأَحْمَدِيِّ ، وَمَنْكَلِي بَغَا النَّاصِرِيِّ بِإِمْرَةِ عَشْرَةِ .

ثُمَّ بَعْدَ أَشْهُرٍ خَلَعَ السُّلْطَانُ عَلَى الْأَمِيرِ نُورُوزِ الْحَافِظِيِّ الظَّاهِرِيِّ بِاسْتِقْرَارِهِ رَأْسَ نُوْبَةِ النُّوبِ ، غَوْضًا عَنِ الْوَالِدِ بِحُكْمِ أَنْتِقَالِهِ إِلَى نِيَابَةِ حَلَبِ ، وَكَانَتْ شَاغِرَةً مِنْ تِلْكَ الْأَيَّامِ . ثُمَّ قَبَضَ السُّلْطَانُ عَلَى الْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِي الْأَسْتَادَارِ الْمَعْرُوفِ بِأَبْنِ أَصْفَرٍ ، عَيْنَتِهِ فِي صَفَرِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ ^(١) ، وَعَلَى وَلَدِهِ وَعَلَى كَاتِبِهِ ، سَعْدِ الدِّينِ إِبْرَاهِيمِ بْنِ غُرَابِ .

(١) رَوَايَةُ « ف » : « فِي صَفَرِ سَنَةِ سَبْعٍ وَتِسْعِينَ »

- وخلع السلطان على قطلوبك العلائي أستاذار الأمير أيتمش باستقراره في الأستادارية، عوضا عن محمود المذكور. وأنعم السلطان عليه بإمرة عشرين، وأستقر محمود على إمرته وهو مريض محتفظ به ، وخلع السلطان أيضا على سعد الدين إبراهيم بن غراب كاتب محمود باستقراره ناظر ديوان المفرد وهذا أول ظهور ابن غراب في الدولة الظاهرية، وأستمال السلطان ابن غراب ، فأخذ يدلُّ على ذخائر أستاذه محمود، ومحمود في المصادرة إلى أن أظهر شيئا كثيرا من المال :

- ثم أنعم السلطان على جماعة من مماليكه بإمرة طبلخاناه وهم : طولو من على باشاه الظاهري، وبلغا الناصري-الظاهري، وشاذي نجا الظاهري العثماني، وقينار العلائي، وأنعم أيضا على جماعة بإمرة عشرة وهم : طيُّغا الحلبي الظاهري، وسودون من على-باشاه الظاهري المعروف بسودون طاز، ويعقوب شاه الخازندار الظاهري ويشبك الشعباني الخازندار وتمان تمر الإشتقمرى رأس نوبة الجمدارية .

- ثم خلع السلطان على الأمير فارس الحاجب بأستقراره في نظر الشيخونية^(١) وخلع على الأمير تمر بغا المنجكي حاجبا ثانيا بتقدمة ألف .
وفي هذه الأيام عظم الغلاء وققد الخبز من الدكاكين .

- وفي آخر ذى القعدة أستقر سعد الدين إبراهيم بن غراب كاتب محمود في وظيفة نظر الخالص بعد القبض على سعد الدين بن أبي الفرج بن تاج الدين موسى .

(١) هي التي ذكرها المقرئ في خطه باسم خاقاه شيوخو حيث قال (في ص ٤٢١ ج ٢) من

خطه : إن هذه الخاقاه في خط الصلبة خارج القاهرة تجاه جامع شيوخون ، أنشأها الأمير زين الدين شيوخون العمري في سنة ٧٥٦ هـ ، كان موضعها من جملة قطائع أحد بن طولون ، رتب فيها دروسا لفقهاء

المذاهب الأربعة ودرسوا للحديث ودرسوا لإقراء القرآن بالروايات .

ثم رَسَمَ السلطان بإحضار الأمير محمود فَمِلَ إلى بين يدي السلطان ، وهو في ألم عظيم من العَصْر والضرب والعقوبة ، فانتصب إليه كاتبه سعد الدين إبراهيم بن غراب في محافته والفُحْش له في الكلام ، حتى آمنَ السلطان غَضَباً على محمود وأمر بعقوبته حتى يموت من عِظَم ما أغراه سعد الدين المذكور به .

ثم ورد الخبرُ بِقدوم الأمير تَمَّ الحَسَنِي نَاصب الشام ، وكان خرج بطلبه الأمير سُودون طاز، وقَدِم من الغد في يوم الاثنين ثالث صفر سنة تسع وتسعين وسبعائة ، بعد أن خرج السلطان إلى لقائه بالرَّيْدَانِيَّة ، وجلس له على مطعم الطير ، وبعث الأمراء والقضاة إليه فسأموا عليه ، ثم أَتَوْا به ، فقبل الأرض ، فخلع عليه خلعة باستمراره على نيابة دِمَشق .

ثم قَدِم من الغد تقدمته ، وكانت مقدمة جلييلة ، وهي عشرة كواهي وعشرة ممالك صغار في غاية الحسن ، وعشرة آلاف دينار ، وثلاثمائة ألف درهم فضة ، ومصحف عليه قراءات وسِتَف مُسَقَط ذهب مرصع ، وعِصَابَتُهُ مُنْسَبَكَةٌ من ذهب مرصع ، بجوهر نفيس وبِذلة فرس من ذهب ، فيها أربعائة مثقال ذهب ، وكان أَجْرُهُ صائفها ثلاثة آلاف درهم فضة ، ومائة وخمسين بقجة فيها أنواع الفرو ، ومائة وخمسين

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٧ من الجزء العاشر من هذه الطبعة حيث نجد لها شرحاً وافياً .
(٢) مطعم الطير يقع في المنطقة التي بها اليوم جبانة العباسية المعروفة بقرافة الغفير ، وكان مطعم الطير واقعاً بالرَّيْدَانِيَّة في المنطقة التي تنوسطها اليوم قبة الملك العادل طومانباي القائمة إلى اليوم بين ثكنات الجيش شرق سراي الزعفران التي يشارع الخليفة المأمون وعلى بعد ٤٠٠ متراً منها ، يؤيد ذلك ما ورد في حوادث يوم ١٧ ربيع الأول سنة ٧٩٦ هـ الآتي ذكرها في هذا الكتاب وما ورد في (ص ١٧٦ ج ٢ وص ١٥٥ وص ٢٢٨ ج ٣ من كتاب تاريخ مصر لابن إياس) .

(٣) كواهي : أى صفوف برسم الصيد قدمها الأمير تَمَّ الحَسَنِي للسلطان الظاهر برقوق عند قدومه من السفر . (انظر قاموس دوزي ص ٤٩٦) .

فرسا، وخمسين جملا، وخمسة وعشرين جملا من نصابي ونحوه، وثلاثين جملا فاكهة وحلوى، فخلع السلطان على أرباب الوظائف^(١).

ثم نزل السلطان بعد أيام إلى بر الجيزة^(٢)، ومعه الأمير تَمَّ وغيره، وتصيّد ببر الجيزة.

- ثم عاد. وعمل السلطان الموكب بدار العدل في يوم سابع عشر صفر من سنة تسع وتسعين المذكورة، وخلع على الأمير تَمَّ خلعة الاستمرار ثانيا، وجرّت له من الإسطبل^٥ ثمانى جنائب بكتايش وسروج ذهب، فتقدّم تَمَّ، وشفع في الأمير جُلبان الكشْبُغَاوى المعزول عن نيابة حلب، فقيل السلطان شفاعته، ونحرج البريد بطلبه من نهر دِمْيَاط^(٣)، فقدم بعد أيام، وقبّل الأرض بين يدي السلطان، فأنعم عليه السلطان بإقطاع الأمير إياس الحرجاوى وخلع عليه بآتابكية دمشق عوضا عن

- ١٠ (١) رواية: «ف»: « فأخلع السلطان على أصحاب وظائفه ».
- (٢) الجيزة: معناها الناحية والجانب، وجمعها جيز، والجيز جانب الوادى، وقد يقال فيه: الجيزة، أنشأها العرب في سنة ٥٢١ هـ (= ٦٤٢) على الشاطئ الغربى للنيل وسموها الجيزة، لأنها في المكان الذى اجتازوا فيه نهر النيل، بين الفسطاط وبين جانب الوادى الغربى الممتد من الجيزة إلى الحبيل.
- وكانت مدينة الجيزة في عهد العرب قاعدة لكورة الجيزة، وفى عهد المماليك قاعدة للأعمال الجيزة
- ١٤ وفى عهد العثمانيين قاعدة لولاية الجيزة التى سميت مديرية الجيزة فى سنة ١٢٤٩ هـ — سنة ١٨٣٣ م.
- ولم تزل هذه المدينة قاعدة لها إلى اليوم. (٣) هى من ثغور مصر القديمة، واقعة على الشاطئ الشرقى للنيل المسمى باسمها بنها وبين مصبه فى البحر الأبيض المتوسط ١٥ كيلومترا وهى اليوم إحدى محافظات مصر.
- (٤) وجدنا لوحة منفردة فى نسخة «ف» تأخذ رقم ص ٢٥٥ وهو رقم اللوحة التى قبلها، مكتوب فى وسطها العبارة الآتية: « الحمد لله قال شيخ الإسلام ابن حجر فى حوادث سنة سبع وتسعين وسبعمائة:
- ٢٠ وفى تاسع شهر ربيع الأول عقد مجلس حضر فيه شيخ الإسلام البلقينى والقضاة والفقهاء. عند السلطان وأحضر رجل عجمى، تفقسه على مذهب أبى حنيفة يقال له: مصطفى القرمانى وأنه كتب شيئا فى الفقه قال فيه: ولا يبول أحد إلى الشمس والقمر، لأنهما عبدا من دون الله تعالى. ونسب سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى مازعه الله من عبادتهما، فأراد قاضى المالكية ابن التنى الحكم بقتله، فأعفى به جماعة من الأمراء وسألوا السلطان أن يفوض أمره إلى قاضى الحنفية جمال الدين محمود العجمى، فأجابهم السلطان، فكشف الحنفى رأسه وأرسله إلى الحبيل، ثم أحضره بعد ثلاثة أيام، فصر به وجسه ثانيا ثم أفرج عنه بعد أن حكم بإسلامه ». انتهى.
- ٢٥

إياس المذكور بحكم القبض عليه وحضوره إلى الديار المصرية، وبعث إليه ثمانية أفراس بقماش ذهب (أعنى عن جُلبان) .

ثم أمر السلطان أن يُسلم الأمير إياس الجرجاوى إلى ابن الطبلاوى ليخلص منه الأموال . فأحده ابن الطبلاوى فالتزم بحمل خمسمائة ألف درهم وبعث مملوكه لإحضار ماله وهو مريض . فمات إياس بعد يومين ، وأختلف الناس في موته ، فمنهم من قال : إنه كان معه خاتم فيه سُم فشرّبه فمات منه قهراً مما فعله معه الملك الظاهر ، ومنهم من قال : إنه مات من مرضه . والله أعلم بحاله .

ثم في يوم الخميس رابع شهر ربيع الأول أمسك السلطان الوزير سعد الدين نصر الله بن البقرى وولده تاج الدين وسائر حواشيه ، وخلع على بدر الدين محمد بن محمد بن الطونى^(١) وأستقر عوضه في الوزارة وأستقر في نظر الدولة سعد الدين ابن الهيثم .

ثم خلع السلطان على شرف الدين محمد بن الدمايني بأستقراره في وظيفة نظر الجيش بديار مصر بعد موت القاضى جمال الدين محمود القيصرى المعجمى ، نُقل إليها من حِسبة القاهرة .

ثم من القند في يوم الثلاثاء تاسع شهر ربيع الأول المذكور أستقر القاضى شمس الدين محمد بن أبى بكر الطرابلسى قاضى قضاة الحنفية بالديار المصرية عوضاً عن جمال الدين محمود القيصرى المقدم ذكره .

ثم في خامس عشرينه قَدِمَت هدية مُمهَّدة الدين إسماعيل ابن الملك الأفضـل عباس بن المجاهد على بن داود بن يوسف بن عمر بن رسول ملك اليمن صحبة التاجر

(١) رواية «ف» «محمد بن محمد الطونى» .

برهان الدين إبراهيم المحلى والطواشي أفتخار الدين فاجر، وهى عشرة خُدام طواشية وبعض عبيد حُبوش وست جوار وسيف بحلية ذهب مرصع بعقيق وحياسة بمواميد عقيق مكحلة بلؤلؤ يكار ووجه فرس عقيق ومراة هندية محلاة بفضة قد رُصعت بعقيق وبراشم برسم الخيول عشرة ورماح عدة مائتين وشطرنج عقيق أبيض وأحمر وأربع مراوح مصفحة بذهب ومِسْك ألف مثقال وسبعون أوقية زباد ومائة مضرب غالبية ومائتان وستة عشر رطلا من العود وثلاثمائة وأربعون رطلا من اللبان وثلاثمائة وأربعة وستون رطلا من الصندل وأربعة برانى من الشند وسبعمائة رطل من الحرير الخام ومن البهار والإقطاع والصينى وغير ذلك من تحف اليمن فثبى كثير .

ثم في يوم الخميس ثانى جمادى الأولى نُقل الأمير جمال الدين محمود الأستادار إلى خزانة شمائل وهو مريض .

وفي سادس عشر جمادى الآخرة أنعم على الأمير ينسق الشَّيخى بإمرة طباخاناه .

ثم خلع السلطان على الأمير صرغتمش القزوينى بأستقراره في نيابة الإسكندرية بعد عزل الأمير قديد عنها ونفيه إلى القدس بطالا، وأنعم السلطان على الأمير شيخ

- (١) رواية (ف) : « الحل » . (٢) جمع ، برشوم وهو برقع يستعمل للخيول .
- (٣) الزباد : حيوان ثدي من ذوات الأسنان الحادة كالأسد والثور والقط ، يوجد تحت ذيله جيب تؤخذ منه مادة ذات رائحة قوية ، تستخرج منها رائحة ذكية . (عن دوزى) . (٤) الصندل : نوع من الخشب له رائحة تشبه رائحة الصنّاع . (عن دوزى) . (٥) الشند : نوع من الرياحين يجلب من الحجاز بوضع في محار (عن دوزى) . (٦) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .
- (٧) هو أورشليم المدينة المقدسة ، عاصمة فلسطين سقطت في أيدي الصليبيين في ١٥ يولية سنة ١٠٩٩ وأسسوا فيها مملكة استمرت حتى خلاصها منهم صلاح الدين الأيوبي ، بعد معركة فاصلة في ٢ أكتوبر سنة ١١٨٧ م . وكان ذلك سبب الحروب الصليبية الثالثة ينسب اليها أبو عبد الله المقدسى الجغرافى المشهور صاحب كتاب : « أحسن التقاسيم » المتوفى سنة ٥٣٧٥ هـ سكاها ٨٥ ألف نسمة وتقع على خط عرض ٣١/٤٧ شمالا وخط طول ٣٥/١٤ شرقا (راجع فهرس الخريطة التاريخية لأمين وامت بك وأطلس فيليب) .

المحمودى الساقى الظاهرى (أعنى عن الملك المؤيد) بإمرة طبلخاناه ، عوضا عن صرغتمش القزوينى المتولى نيابة الإسكندرية وأنعم بإقطاع شيخ المحمودى وهو إمرة عشرة على الأمير طُفنجى نائب البيرة^(١)، وأنعم السلطان أيضا على يشبك العثمانى الظاهرى بإقطاع الأمير صلاح الدين محمد بن محمد بن تَنَكُر .

ثم فى سادس عشرينه استقر الأمير يلبغا الأحمدي الظاهرى المعروف بالمجنون^(٢) أستاذار السلطان ، عوضا عن قُطلوبك العَلَّائى واستقر قُطلوبك على إمرة عشرين .

ثم فى يوم الاثنين ثامن محرم سنة ثمانمائة توجه السلطان إلى سَرَحة سِرْياقوس بعساكره وحريمه على العادة فى كل سنة ، فأقام به أياما على ما يأتى ذكره .

وفى ثانى عشر المحرم المذكور خرج الأمير بَكْتَمُر جَلْقُ الظاهرى على البريد إلى حلب لإحضار الوالد — رحمه الله وعفا عنه — بعد عزله عن نيابة حلب وكتبَ بآنتقال الأمير أرغون شاه الإبراهيمى الظاهرى نائب طَرَابُلس إلى نيابة حلب عوضا عن الوالد ، وخرج الأمير يشبك العثمانى بتقليد أرغون شاه المذكور ، ورسمَ بآنتقال الأمير آقبغا الجمالى الظاهرى من نيابة صَفَد إلى نيابة طَرَابُلس عوضا عن أرغون شاه المذكور ، وتوجه بتقليده الأمير أَرْدَمُر أخو إمينال ومعه أيضا خَلعة للأمير تَمَّ الحسنى بآستمراره فى نيابة الشام ، ورسمَ بآنتقال الأمير شهاب الدين أحمد ابن الشيخ على حاجب مُجَاب دمشق إلى نيابة صفد عوضا

(١) البيرة : بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية ، وهى قلعة حصينة مرتفعة على حافة الفرات فى البرّ الشرقى الشمالى ، ولها واد يعرف بوادى الزيتون ، به أشجار وأعين (عن تقويم البلدان لأبى الفداء

إسماعيل) . (٢) رواية « ف » « عشرة » .

(٣) راجع الجاشية رقم ١ ص ٧٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

عن آقبغا الجمالي المذكور، وحمل إليه التقليد والتشريف الأمير يلغا الناصري
الظاهري رأس نوبة .

ثم قَدِم في هذه الأيام جماعةٌ من سوابق الحاج وأخبروا أنه هَلَك بالسبع^(١)
وعمرات من شدة الحر نحو ستمائة إنسان .

ثم عاد السلطان من سرحة سرياقوس في خامس عشرينه ولم يخرج إليها بعد
ذلك ، ولا أحدٌ من السلاطين وبطلت عوائدها ونُزِبت تلك القصور ، وكانت
من أجل عوائد الملوك وأحسنها ، وكان النزول إلى سرياقوس بضاهي نزول
السلطان إلى الميدان^(٢) فالמידان أبطلها الملك الظاهر وسرياقوس أبطله المملك
الناصر ، ثم صار كل ملك يأتي بعد ذلك يُبطل نوعاً من تراتيب مصر ، حتى

١٠ (١) كذا وردت هذه العبارة بالأصلين . والذي في الخطط التوفيقية ج ١٤ ص ٢٧ ما نصه :
وسار قبيل الظهر بأربعين درجة إلى أن قطع بقية الوعرات كلها ، وعددها سبع كبار ويليها سبع أشر
دونها ، وتسمى هذه المرحلة بالسبع وعرات وبالمحاطب أيضاً لكثرة الشجر بها ، والذي يلوح لنا أنه يريد
بالوعرات الطرق الوعرة التي يصعب على المسافر اجتيازها .

(٢) ميدان الناصر محمد بن قلاوون الذي استجده ، وهذا الميدان ذكره المقرئ في خطه
١٥ (ص ٢٠٠ ج ٢) باسم الميدان الناصري فقال : إن هذا الميدان من حلة أرض الخشاب فيما بين مدينة
مصر والقاهرة ، ففي سنة ٧١٤ هـ جعل الناصر محمد بن قلاوون الميدان الظاهري بستاناً وأنشأ بدلاً عنه
الميدان بأراضي بستان الخشاب على النيل ، وقد أهدى في سنة ٧١٨ هـ لركوب إليه والسباق فيه ، وقد
عرف هذا الميدان بالميدان الناصري أو الميدان الكبير أو الميسه ان السلطاني . وما ذكره المقرئ
في خطه يبين أن هذا الميدان كان واقعاً في المنطقة التي تحد اليوم من الغرب شارع القصر العالي على
٢٠ النيل ومن الجنوب شارع والده باشا بأرض القصر العالي ، ومن الشرق شارع قصر العيني ، ومن الشمال
شارع رسم باشا وما في امتداده إلى النيل ، وكان هذا الميدان معداً للسباق لغاية أيام دولة المماليك ،
ثم أهمل في العصر العثماني وأُنشئت على أرضه بستانين . ومن يطلع على خريطة القاهرة رسم البعثة الفرنسية
سنة ١٨٠٠ م يرى أن الميدان الجديد يقع على الجانب الشرقي من شارع قصر العيني .

ذهب الآن جميع شعار الملوك السالفة وصار الفرق بين سلطنة مصر ونيابة الأبلستين (١) أسم السلطنة ولُبس الكَفْتَاة في المواكب لاغير .

قلت : والفرق بين براحة الاستهلال وبين براعة المقطع واضح .

ثم في يوم الاثنين تاسع عشرين المحترم من سنة ثمانمائة المذكورة قبض السلطان في وقت الخدمة بالقصر على الأمير الكبير كَشْبُغا المحوى - أتابك العساكر بالديار المصرية وعلى الأمير بَكْمُش العلاني - أمير سلاح ، وقيداً وحبساً بقلعة الجبل ، يأتي ذكر السبب على قبضهما في الوفيات ، وفي هذه الترجمة — إن شاء الله تعالى — .

ثم نزل في الحال الأمير قَلَمْطاي الدوادار ، والأمير نَوْرُوز الحافظي - رأس نوبة النُوب ، والأمير فارس حاجب التجاب إلى الأمير شيخ الصَّفَوِي أمير مجلس ومعه خُلع له بناية غزّة ، فلبسها شيخ المذكور ونحج من وقته ونزل بخانقاه سِرْياقوس .

(١) أبلستين : مدينة مشهورة ببلاد الروم وسلطانها ولد قليج أرسلان السلجوق قرية من أبس مدينة أهل الكهف (ياقوت أول ص ٩٣) .

(٢) الخانقاه : كلمة فارسية معناها الدار التي يخلئ فيها رجال الصوفية لعبادة الله تعالى . وخانقاه سِرْياقوس ذكرها المقرئ في خطه (ج ٢ ص ٤٢٢) فقال : إن هذه الخانقاه خارج القاهرة من شمالها على نحو يريد منها بأول تيه بنى إسرائيل بسام (فضاء) سِرْياقوس ، أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون على بعد قريخ (في الشمال الشرق) من بلدة سِرْياقوس ، بدأ في عمارتها في شهر ذي الحجة سنة ٨٧٢٣ وجعل فيها مائة خلوة لمائة صوفي ، وبنى بجانبها مسجداً أقام فيه الجمعة وحماماً ومطبخاً تحت هذه العمارة ، واحتفل بافتتاحها يوم ٧ جمادى الآخرة سنة ٨٧٢٥ بحضور الملك الناصر ، ورتب لها الأوقاف الكافية ، وقد أقبل الناس على البناء والسكنى بجوار هذه الخانقاه ، وبنوا الدور والحوانيت والخانات والحمامات ، حتى صارت بلدة كبيرة باسم خانقاه سِرْياقوس نسبة إلى هذه الخانقاه . =

ثم في ليلة الثلاثاء سلخه توجه الأمير سُودون الطَّيَّار الظاهري بالأنابك كَشْفًا وَبَكْشًا في الحديد إلى سجن الإسكندرية فُسِجِنَها ، وفي الغد آسَمَعْنِي الأمير شيخ الصَّفوى من نيابة غَزَّة وسأل الإقامة بالقدس فُرِسم له بذلك .^(١)

- وفي يوم الخميس ثاني صفر آسَمَعْنِي الأمير أَيْمَنُش البجاسي أنابك العساكر بالديار المصرية عوضا عن كَشِيفِها الحموى وأنعم السلطان على أَيْمَنُش المذكور وعلى قلمطاي الدوادار ، وعلى الأمير تَبْكُ اليحياوى الأمير آخوَر بَعْدَ بلاد من إقطاع كَشِيفِها المذكور زيادة على ما بأيديهم وأنعم ببقية إقطاع كَشِيفِها على الأمير سُودون المعروف بِسَيْدَى سُودون ابن أخت الملك الظاهر وجعله من جُحْمَة أمراء الألوف بالديار المصرية وأنعم بإقطاع سَيْدَى سُودون المذكور على ولد السلطان الأمير عبد العزيز ابن الملك الظاهر برقوق .

١٠

= وأقول : إن المؤلف ذكر أن هذه الخانقاه أنشئت سنة ٧٤٠ هـ . والصواب أن تاريخ إنشائها والاحتفال بافتتاحها هو ما ذكره المقرئ . ويستفاد مما ورد في كتاب وقف الملك الأشرف برسبى المحرر في سنة ٧٤١ هـ أن الجامع الذى أنشأه الملك المذكور بناحية خانقاه سر ياقوس يحده من البحرى الغربى الخانقاه الناصرية ، وهى خانقاه سر ياقوس .

- وبالبحث والمعاينة تبين لى أن الخانقاه المذكورة (أى دار الصوفية) قد اندرست ، وكانت واقعة ١٥ في الفضاء المجاور الآن لجامع الملك الأشرف من الجهة الغربية أى جنوبى سكن ناحية الخانكة التى كانت تعرف قديما باسم خانقاه سر ياقوس ، وهى اليوم إحدى قرى مركز شين القناطر بمديرية القليوبية بمصر وعلى بعد عشرين كيلومترا فى الشمال الشرق من مدينة القاهرة .

- (١) هى أورشليم المدينة المقدسة ، عاصمة فلسطين سقطت فى أيدى الصليبيين فى ١٥ يولية سنة ١٠٩٩ وأسسوا فيها مملكة استمرت حتى خلعها منهم صلاح الدين الأيوبي ، بعد معركة فاصلة فى ٢ أكتوبر سنة ١١٨٧ ، وكان ذلك سبب الحرب الصليبية الثالثة ، ينسب إليها أبو عبد الله المقدسى الجغرافى المشهور صاحب كتاب «أحسن التقاسيم» المتوفى سنة ٣٧٥ هـ سكانها ٨٥ ألف نسمة تقع على خط عرض ٤٧/٣١ شمالا وخط طول ٣٥/١٤ شرقا (راجع الخريطة التاريخية لأمين بك واصف وأطلس قليب) .

٢٠

ثم أنعم السلطان بإقطاع بَكْلَش العلاءي على الأمير تُوْرُوْز الحافظي - رأس
نوبة الثوب .

وأنعم بإقطاع تُوْرُوْز المذكور على الأمير أرغون شاه الـيـدـمـري - الظاهري
وأنعم بإقطاع أرغون شاه على الأمير يلبغا المجنون الأستاذار والجميع تقادم ألوف
لكنّ التفاوت بينهم في زيادة المخلّ والخراج .

ثم عين السلطان الأمير شيخ الصفوي - أمير مجلس للوالد قبل قدومه إلى القاهرة
من نيابة حلب .

ثم في رابعه استقر الأمير باي نجّا الشرفي الأمير آخور المعروف بطيغور
في نيابة غزة .

ثم في تاسع صفر استقر الأمير بيبرس ابن أخت السلطان أمير مجلس . عوضا
عن شيخ الصفوي المقدم ذكره .

ثم في سابع عشرين صفر أنعم السلطان على الأمير بهادر فطيس بإمرة طبلخاناه ،
عوضا عن طيغور بحكم انتقاله إلى نيابة غزة ، واستقر عوضه أيضا في الأمير آخورية
الثانية وأنعم بإقطاع بهادر فطيس المذكور ، وهو إمرة عشرة على يلبغا
السالمي الظاهري .

وفي ليلة الجمعة ثاني شهر ربيع الأول عمّل السلطان المولّد النبوي - على العادة
في كلّ سنة .

(١) رواية «ف» : (في سابع عشر) .

(٢) ورد في هامش النسخة الفتوغرافية ما يلي : فوّق فيه إنعاما مقداره أربعة آلاف دينار .

قلت : نذكرُ صِفَةً ما كان يُعْمَلُ بالمولد قديماً لِيَقْتَدِيَ به من أراد تَجْدِيدَهُ
 فلَمَّا كان يومُ الخميس المذكور ، جلس السلطان بِخِيَمِهِ بالخوش السلطاني ، وحضر
 القضاةُ والأمرءُ ومشايخُ العِلْمِ والفقراءُ ، بجلس الشيخ سراح الدين عمر البلقيني
 عن يمين السلطان ، وتحتة الشيخ برهان الدين إبراهيم بن زُقَاعَة ، وجلس على يسار
 السلطان الشيخ المَعْتَد أبو عبد الله المغربي ، ثم جلس القضاة يمينا وشمالا على
 مراتبهم ، ثم حضر الأمرءُ بجلسوا على بُعد من السلطان ، والعسا كُرُمِيْنَة وميسرة
 فقرأت الفقهاء ، فلَمَّا فرغ القراءُ وكانوا عِدَّة جُوق كثيرة ، قام الوعاظ واحدا بعد
 واحد ، وهو يدفع لكل منهم صُرَّة فيها أربعمائة درهم فضة ، ومن كل أمير شُقَّة حرير
 خاص وعِدَّتُهُم عشرون واحدا .

١٠ وأنعم أيضا على القراء لكل جُوقَة بِخَمْسِمِائَةِ درهم فضة وكانوا أكثر من الوعاظ ،
 ثم مُدَّ سِمَاطٌ جليل يكون مقداره قدر عشرة أَسْمَطَة من الأَسْمَطَة المائلة ، فيه من
 الأَطْعَمَة الفاخرة ما يُسْتَحَي من ذكره كثرة ، بحيث إن بعض الفقراء أخذ صحنًا
 فيه من خاص الأَطْعَمَة الفاخرة فَوُزِن الصحنُ المذكور فزاد على ربع قنطار .

ولَمَّا آتَتْهُي السَّهَاطُ مُدَّتْ أَسْمَطَةُ الحُلُوى من صدر المخيم إلى آخره

١٥ (١) ورد في الجزء العاشر من هذه الطبعة (ص ٣١٥) : « كان الملك الناصر حسن بن الناصر
 محمد بن قلاوون منجملا في ملبسه ومركبه وعماليكه وبركه ، اصطنع مرة خيمة عظيمة فلما تجزّت ضربت له
 في الخوش السلطاني من قلعة الجبل ، فلم ير مثلها في الكبر والحسن ، وفيها يقول شهاب الدين أحمد بن
 أبي جملة التلمساني المغربي — رحمه الله تعالى — :

حوت خيمة السلطان كل عجيبة * فأميت منها باهتا أنعجب

٢٠ لسانى بالتقصير فيها مقصر * وإن كان في أطلالها بات يظنب

(٢) السهات للطعام : ما يمد عليه ، والعامَة تَضُمُّه والجمع أَسْمَطَة وسهاتات .

وعند فراغ ذلك مضى القضاء والأعيان وبقي السلطان في خواصه وعنده
فقراء الزوايا والصوفية، فعند ذلك أقيم السماع من بعد ثلث الليل إلى قريب الفجر
وهو جالس عندهم ويده مملأ من الذهب، وتفرغ لمن له رزق فيه والهازندار
يأتيه يكيس بعد كيس، حتى قيل: إنه فرق في الفقراء ومشايخ الزوايا والصوفية
في تلك الليلة أكثر من أربعة آلاف دينار.

هذا، والسماط من الحلوى والفاكهة يتداول مدة بين يديه، فأكله المهايك
والفقراء وتكثر ذلك أكثر من عشرين مرة.

ثم أصبح السلطان ففرق في مشايخ الزوايا القمع من الأهرام لكل واحد بحسب^(١)
حاله وقدر فقرائه، كل ذلك خارج عما كان لهم من الرواتب عليه في كل سنة
حسب ما يأتي ذكر ذلك في آخر ترجمة الملك الظاهر بعد وفاته.

ثم في خامس عشر شهر ربيع الأول المذكور قديم الوالد إلى القاهرة معزولاً
عن نيابة حلب.

فتزل السلطان الملك الظاهر إلى لقائه، قال الشيخ تقي الدين المقريزي
— رحمه الله — : « وفي خامس عشر شهر ربيع الأول قديم الأمير تغرى بردي
الشبغاوي من حلب بجعل زائد عظيم إلى النهاية، فخرج السلطان وتلقاه بالمطعم^(٢)
من الريدانية خارج القاهرة، وسار معه من غير خلعة، فلما قارب القلعة أمره^(٣)

(١) الأهرام: مخازن الحبوب

(٢) المقصود من المطعم هنا هو مطعم الطيور المخصصة للصيد، وكان السلاطين يزلون إليه وتطلق
البازدارية طيوراً أعدوها لذلك، ثم يطلقون وراها الطيور الجارحة لاصطيادها وكان نوعاً من أنواع
النسبة والرياضة السلطانية :

(٣) راجع الحاشية رقم د ص ٧ من الجزء العاشر من هذه الطبعة حيث نجد لها شرحاً وافياً .

بالتوجه إلى حيث أنزله وبعث إليه بخمسة أفراس بقماش ذهب وخمسة بُقج فيها قماش مفصل له مُفَرِّى؟ انتهى كلام المقرئى .

(١) قلت : وقوله : وعاد معه بغير خلعة هى العادة ، فإنه منفصل عن نيابة حلب ولم يُعطَ إلى الآن وظيفة حتى يلبس خلعتها .

وفي سابع عشره قدم الوالد تقدمته إلى السلطان ، وكانت نيفاً وعشرين مملوكا (٢) وخمسة طواشية يبيض من أجمل الناس ، من جملتهم : خَشَقْدَم اليَشْبَكى مقدم الممالك السلطانية فى دولة الملك الأشرف برسباى ، أنعم به الملك الظاهر على فارس الحاجب ، ثم ملكه يَشْبَك الشعبانى بعده وأعتقه ، وثلاثين ألف دينار مصرية ، ومائة وخمسة وعشرين فرسا ، وعدة جمال بخاتى تزيد على الثمانين ، وأحبالا من البُقج ، فيها من أنواع الفرو والشقق الحرير وأثواب الصوف والمُخَمَل زيادة ١٠ على مائة بُقجة ، فأتهج السلطان بذلك وقبيله ، وخلع على أصحاب وظائف الوالد ، ونزلوا فى غاية الجبر .

حكى لى بعض أعيان الظاهرية ، قال : لما رأى الملك الظاهر تقدمه والدك تعجب غاية العجب من حسن سيرته وقلة ظلمه بحلب ، ومع هذا كيف قام بهذه التقديمه الهائلة مع كثرة مما يليكه وخدمه . ١٥

وكان سبب عزل الوالد - رحمه الله - عن نيابة حلب ، شكوى الأمير تَمَّ الحسنى نائب الشام منه للـك الظاهر ، ورماه بالعصيان والخروج عن الطاعة ،

(١) نص هذه العبارة فى صفحة ٧٤ من ١٦ : « وسار معه من غير خلعة » .

(٢) فى الأصلين : « وكان نيفاً وعشرين مملوكا ... الخ » .

(٣) مفردة بخت بالضم وجمعه بخاتى وهى جمال طوال الأعناق . ٢٠

وخبر ذلك : أن الوالد وتَمَّ لَمَّا توجَّها في السنة الماضية إلى سيواس وغيرها بأمر
 الملك الظاهر وتلاقى الوالد مع تَمَّ بظاهر حلب وعادا جميعا إلى حلب وكلَّ منهما
 سَنَجَقَه^(٢) منتصب على رأسه ، فعُظِّمَ ذلك على تَمَّ ، كون العادة إذا حضر نائب الشام
 يصير هو رأس العساكر ويُزَلَّ نائب حلب سَنَجَقَه ، فلَمَّا سارا وكلَّ منهما سَنَجَقَه
 على رأسه ، تكلم سلحدارية تَمَّ مع سلحدارية الوالد في نزول السَنَجَق ، فلم يفعل
 حاملُ السَنَجَق ، فخرجا من القول إلى الفعل ، وتقاتلَ الفريقان بالدابيس بسبب
 ذلك ، وكادت الفتنة تقع بينهما ، والوالد يُجَاهِلُ عَمَّا هُم فيه ، حتى أُلْتُفِتَ تَمَّ ونَهِيَ
 مَمَالِيكَه عن القتال ، وسار كلُّ واحد وسَنَجَقَه على رأسه ، حتى نَزَلَا بِخَيْمَهِمَا ،
 فَاسْتَشْهَدَ تَمَّ أمراءَ دِمَشْقَ بِمَا وَقَعَ مِنَ الْوَالِدِ وَمَمَالِيكِهِ ، وكتب للسلطان بذلك
 فلم يَشْكُ السلطان في عصيانه ، وكتب بعزله وطلبه إلى القاهرة .

وأما الوالد لما نزل بِخَيْمِهِ كَلَّمَهُ بعضُ أعيان مَمَالِيكِهِ فيما وقع ، فقال الوالد :
 أنا خرجتُ من مصر جندياً حتى أُثْرِلَ سَنَجَقُ ، أشار بذلك أنه ولي نيابة حلب
 وهو رأس نوبة النوب ، وأن تَمَّ ولي أتابكية دِمَشْقَ ، وهو أمير عشرة بمصر قبل
 ولايته نيابة دِمَشْقَ ، ثم نُقِلَ من أتابكية دِمَشْقَ إلى نيابتها ، يعني بذلك أن تَمَّ
 لم تَسْبِقْ له رئاسة بمصر قبل ولايته نيابة دِمَشْقَ ، فلَمَّا بلغ تَمَّ ذلك قامت
 قيامته . انتهى .

(١) سيواس : بلدة كبيرة مشهورة وبها قلعة صغيرة ، وهي ذات أعين ، والشجر بها قليل ونهرها
 الكبير يبعد عنها بمقدار نصف فرسخ ، ويقول المسافرون : إن مسافة الطريق بين سيواس وقيسارية ستون
 ميلا ، فيها أربعة وعشرون خانا للسبيل ، وفيها ما يحتاج إليه المسافرون المنقطعون ، لاسيما في أيام الثلوج ،
 وفي شرقها مدينة أرزن الروم (عن تقويم البلدان لأبي الفداء إسماعيل ص ٢٨٥) .

(٢) السَنَجَق : اللواء (بالمد) وهو الذي يعقد للوك والأمرء ، فارسيته سَنَجَق (عن الألفاظ
 الفارسية المعترجة لأدبى شير الكلداني) . (٣) الخيمة : الخيمة التي يستظل بها المسافر وتكون
 على ثلاثة أعواد أو أربعة أعواد (عن شرح القاموس) .

ثم أنعم السلطان على سُودون بن زادة بإمرة عشرة ، بعد موت الأمير طوغان الشاطر .

ثم نزل السلطان وعاد الأمير قلمطاي الدَّوَادار ، ففرش قلمطاي تحت حوافر فرسه الشَّقَّ الحُرير ، مشى عليها السلطان من باب داره حتى نزل بالقصر ، فمشى من باب القصر على الشَّقَّ المذهب حتى جلس ، فقدم إليه طبقاً فيه عشرة آلاف دينار وخمسين بقجة قماش ، وتسعة وعشرين فرساً وملوكاً تركياً بديع الحسن ، فقبل الملك الظاهر ذلك كله ، ورجع إلى القلعة ، وفي حال رجوعه قَدِم عليه الخبر بأن تيمورلنك سار من سمرقند^(٢) إلى بلاد الهند وأنه ملك مدينة دلي^(٣) .

ثم في يوم الخميس العشرين من شهر جمادى الأولى خلع السلطان على قاضي القضاة جمال الدين يوسف بن موسى بن محمد المَلَطِي باستقراره قاضي قضاة الحنفية بالديار المصرية ، بعد موت شمس الدين محمد الطرابلسي ، بعد ما شَرَف قضاة الحنفية بمصر مائة يوم وأحد عشر يوماً ، حتى طلب جمال الدين المذكور لها من حلب وقدم على البريد .

(١) النخ : بساط طوله أكثر من عرضه . راجع الألفاظ الفارسية العربية لأدى شيرص ١٥٠ .
(٢) سمرقند : بفتح أوله وثانيه ويقال لها بالعربية سمران ، بلد معروف مشهور قيل : إنه من أبنية ذى القرنين بما وراء النهر وهو قصبة الصفد مبنية على جنوبي وادي الصفد مرتفعة عليه . راجع معجم البلدان لياقوت (ص ١٣٣ ج ٣) .

(٣) دلي : بдал مهمة ولام مشددة مكسورتين ثم مثناة تحتية . وحكى بعض المسافرين قال : دلي مدينة كبيرة وسورها من آجر وهو أكبر من سورها . وهي في مسنوم الأرض وترتبطاً مختلطة بالحجر والرمل ويمر على فروع منها نهر كبير دون الفرات ، قال : وغالب أهلها مسلمون وسلطانها مسلم والسوقة كفرة ولها بساين قليلة وليس بها عنب ، قال : وتمطر في الصيف وهي بعيدة عن البحر ، وبينها وبين نهلورة نحو شهر . قال : وبجانبها مشذنة لم يعمل في الدنيا مثلها ، وهي من حجر أحر ودرجها نحو ثلاثمائة وستين درجة وليست مرعبة ، بل كثيرة الأضلاع عظيمة الارتفاع واسعة من تحتها وارتفاعها يقارب منارة إسكندرية (عن تقويم البلدان لأبي النذاء إسماعيل) (ص ٣٥٨) .

قلت : هكذا تكون ولاية القضاء .

ثم أنعم السلطان على الأمير عليّ - باى بإمرة مائة وتقدمة ألف عوضا عن الأمير
تنبك الأمير آخور بعد موته .

ثم بعد أيام أنعم على الأمير يشبك العثماني بإمرة مائة وتقدمة ألف بعد موت
الأمير قلمطاي العثماني الدوادار ، وأنعم على الأمير أسنبغا العلاني الدوادار الثاني
بطبلخاناه الأمير بكتمر الركني ، وكان بكتمر المذكور أخذ بطبلخاناه الأمير عليّ -
باى المتقل إلى مقدمة تنبك الأمير آخور .

ثم أنعم السلطان على آقبای الطرُنطاي بإمرة بطبلخاناه ، وعلى تنكير بغا الحطّطي
بإمرة عشرين .

وفي يوم تاسع عشرين جمادى الأولى خلع السلطان على جماعة من الأمراء بعدة
وظائف ، فخلع على الوالد بآستقراره أمير سلاح عوضا عن بكتاش العلاني ، بعدما
شغرت أشهرا وعلى الأمير آقبغا الطولوتمري الظاهري المعروف بالكاش بآستقراره
أمير مجلس عوضا عن بيبرس ابن أخت السلطان ، وعلى نوروز الحافظي رأس
نوبة النوب بآستقراره أمير آخورا كبيرا ، بعد موت الأمير تنبك وعلى الأمير بيبرس
ابن أخت السلطان بآستقراره دوادارا كبيرا ، عوضا عن الأمير قلمطاي ، بعد موته
وعلى الأمير عليّ - باى الخازندار بآستقراره رأس نوبة النوب عوضا عن نوروز
الحافظي وعلى يشبك الشعباني بآستقراره خازندارا عوضا عن عليّ - باى المذكور .

ثم في ليلة الجمعة ثامن شعبان أمسك السلطان الأمير علاء الدين عليّ بن
الطبلاوي وأمسك أخاه ناصر الدين محمدًا والى القاهرة وجماعة من أزمائه وأوقع
الحوطة على دورهم وتسلمه الأمير يلغا الأحمدى المجنون الأستاذار ليخلص منه

الأموال ، فأخذه يلغا وتوجه به إلى دار ابن الطبلوى وأخذ منها مالا وقاشا بنحو مائة وستين ألف دينار .

- ثم أخذ منها أيضا بعد أيام ألفا ومائة قُفَّة فلوسا وصرفها ستمائة ألف درهم ، ومن الدراهم الفضة خمسة وثمانين ألف درهم فضة ، وأستمر علاء الدين في المصادرة وخلع السلطان على الأمير الكبير أيتَّمش البجاسى باستقراره في نظر البيمارستان^(١) المنصوري عوضا عن ابن الطبلوى المذكور ومن يومئذ أستمَر نظر البيمارستان مع كل من يلى الأتابكية بمصر .

- ثم بعد أيام طلب ابن الطبلوى الحضور بين يدي السلطان ، فأذن له السلطان في ذلك ، فحضر في الحديد ، بعد أن عوقب أياما كثيرة ، وطلب من السلطان أن يُدنيه منه ، فأستدناه ، حتى بقى من السلطان على قدر ثلاثة ادرع ، فقال له :
١٠ تكلم ، قال : أريد أن أمار السلطان في أذنه ، فلم يُمكنه من ذلك ، فآلح عليه ابن الطبلوى في مسارة السلطان في أذنه ، حتى أستراب منه وأمر بإبعاده وأستخلاص المال منه ، فأخذه يلغا وأخرجه من مجلس السلطان إلى باب النحاس من القلعة ، فجلس ابن الطبلوى هناك ليستريح فضرب نفسه بسكين كانت معه ليقول نفسه
١٥ وجرح في موضعين من بدنه ، فمكوه ومنعوه من قتل نفسه وأخذوا السكين منه

(١) تكلم المقرئ في خططه (ص ٢٧٩ ، ٣٨٠ ، ٤٦٠ من الجزء الثاني) على البيمارستان المنصوري فقال : أنشأه الملك المنصور قلاوون ، وكان بدء العمل فيه والشرع في عمارته في شهر ربيع الآخرة سنة ٦٨٣ هـ وأنهت في شوال من تلك السنة .

(٢) ذكر هذا الباب المقرئ في خططه (ص ٢١٢ ج ٢) فقال : إن هذا الباب داخل السنارة وهو أجل أبواب الدور السلطانية ، عمره الملك الناصر محمد بن قلاوون وزاد في دخليته . والظاهر أن هذا الباب كان من أبواب السراى المخصصة لسكنى الملك وجرمه وقد زال بزوال السراى التي كان مربكا على أحد دهاليزها بقلة الجبل .

وبلغ السلطان ذلك ، فلم يشك أنه أراد الدنو من السلطان حتى يقتله بتلك السكين التي كانت معه .

فلما فاته السلطان ضرب نفسه ، فعند ذلك أمر السلطان بتشديد عقوبته فعاقبه يلبغا المجنون ، فدلّ على خبيثة فيها ثلاثون ألف دينار ، ثم أخرى فيها تسعون ألف دينار ، ثم أخرى فيها عشرون ألف دينار ودام في العقوبة ، ثم نقله يلبغا المجنون إلى حُرانة شمائل .

ثم في خامس عشر شوال ختن السلطان الملك الظاهر ولديه . الأمير فرجاً والأمير عبد العزيز وختن معهما عتّة من أولاد الأمراء المقتولين ، منهم : ابن الأمير منطاش وغيره وأنعم عليهم بقماش وذهب وعمل السلطان مهماً عظيماً بالقلعة للنساء فقط ولم يعمل للرجال ، مخافة على الأمراء من الكُلف .

وفي يوم السبت ثاني عشر ذى القعدة عمل السلطان مهماً عظيماً بالميدان تحت القلعة ، سببه : أنه لعب بالكُرّة مع الأمراء على العادة ، فغلب السلطان الأمير

(١) رواية «ف» : « فيها ثلاثة آلاف دينار » . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤

من هذا الجزء . (٣) هذا الميدان هو الذي ذكره المقرئ في خطه باسم الميدان بالقلعة

(ص ٢٢٨ ج ٢) فقال : إن هذا الميدان من بقايا ميدان أحمد بن طولون ، ثم جدّه الملك الكامل

محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب في سنة ٦١١ هـ ، ثم اهتم به الملك الصالح نجم الدين أيوب اهتماماً زائداً

وأنشأ حوله الأشجار ، فجاء من أحسن الميادين .

وفي سنة ٦٥١ هـ هدمه الملك المنزّك الزكّاني ، فزال آثاره ، وفي سنة ٧١٢ هـ ، عمره الملك

الناصر محمد بن قلاوون وغرس فيه النخيل والأشجار وأدار عليه سوراً من الحجر ، فجاء ميداناً فسيح المدى ،

يند تحت سور القلعة من باب الإصطبل إلى قرب باب القراة ويستفاد مما ذكره ابن إياس في كتاب بدائع

الزهور (ص ٥٦ ج ٤) أن السلطان الأشرف قانصوه الغوري عمر هذا الميدان عمارة لم يسبق لها مثيل

في سنة ٩٠٩ هـ فردم أرضه بالطين وعلى أسواره وجعل له باباً كبيراً مطلاً على الرملة (الرميلة) وعليه

قصر فائق ، وأنشأ بالميدان بسناً نقل إليه جميع أشجار أنواع الفاكهة ، وأنشأ به مقعداً وبيتاً ، وأنشأ =

الكبير أَيْتَشَ البجاسي ، فلزم أَيْتَشَ عمل مُهم بمائتي ألف درهم فضة ، كونه غُلِبَ ، فقام عنه السلطان بذلك وألزم السلطان الوزير بدر الدين محمد بن الطونسي والأمير بلبغا الأستاذار ونُصِبَت الحليم بالميدان وعُمل المهم ، وكان فيه من اللحم عشرون ألف رطل ومائتا زوج إوز وألف طائر من الدجاج وعشرون فرسا وثلاثون قنطارا من السكر وثلاثون قنطارا من الزبيب عُمِلَت أَقْسِمًا^(١) وستون إردبا دقيقا لعمل البوزا وعُمِلَت المسكرات في دنان من القحّار .

ونزل السلطان سحر يوم السبت المذكور ، وفي عزمه أن يُقيم نهاره مع الأمراء والمساليك ، يُعاقِر الشراب ، فأشار عليه بعض ثقاته بترك ذلك وخَوْفه العاقبة ، فذَّ السَّباط وعاد إلى القصر ، قبل طلوع الشمس ، وأنعم على كل من الأمراء المقدمين بفرس بقاش ذهب ، وأذن السلطان للعامة في آتِهاب ما بَقِيَ من الأكل والشراب ، قال المقرئى : « فكان يوما في غاية القُبْح والشَّاعة أُيْحَت فيه المسكرات وتجاهر الناس فيه بالفواحش ، بما لم يُعهد مثله ، وفِطِن أهل المعرفة بزوال الأمر ، فكان كذلك ، ومن يومئذ انتَهكت الحُرُمات بديار مصر وقلَّ الاحتشام » . انتهى كلامُ المقرئى .

- ١٥ = في الجهة الغربية منه قصرا حافلا وقنطرة وبحيرة وغير ذلك من المباني الفائرة . وذكره المقرئى في كتاب السلوك باسم الميدان الأسود ، ومن هذا يتبين أن ميدان القلعة والميدان الأسود أوقره ميدان (الميدان الأسود) مكانه اليوم ميدان صلاح الدين ، ويقال له : المنشية تحت القلعة بالقاهرة .
- (١) أَقْسِمًا (يفتح الهزلة وسكون القاف وكسر السين وميم بعدها أَلَف) : تقيع الزبيب معروف بهذا الاسم وأظنه عربيا عربي المولدون ، قال الشهاب المنصوري مور ياعنه :
- ٢٠ أيا سبيدا قد أشهد الله أنه * أنا ب فلم يحس الشراب المحرما
هلم فاني لا إخالك مقسما * وإن كنت لم تشرب مدا ما فاقسما
- راجع شفاء الغليل تأليف شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد الخفاجي (ص ١٩) .



ذكر وقعة على باى مع السلطان الملك الظاهر برقوق

لما كان يوم السبت ناسع عشر ذى القعدة من سنة ثمانمائة أوفى النيل
وقدّم أيضا البريد بقتل سولي بن دلقادر أمير التركان، فركب السلطان بعد صلاة
الظهر يريد المقياس ليخلفه ويفتح خليج السد على العادة، ومعه جميع الأمراء إلا
الأمير عليا باى الخازندار، فإنه كان أنقطع بداره أياما وتمارض وفي باطن أمره أنه
قصد الفتك بالسلطان، فإنه علم أنه إذا نزل لفتح الخليج يدخل إليه ويعود كما
جرت به عادته مع الأمراء فسدبر على باى على السلطان وأخلى إسطبله من الخيل
وداره من حريمه، وأعدّ قوما اختارهم من مماليكه، فتهيئوا لذلك فراح شخص كان
يسكن بأعلى الكيش من الممالك البلغارية يسمى سودون الأعور، فركب إلى

(١) التركان، (بالضم) : جبل من الترك، سموا به لأنه آمن منهم مائتا ألفه في شهر واحد،
فقالوا : ترك إيمان، ثم خفت قبيل تركان (عن القاموس) .

(٢) المقياس، هو عمود رخام أبيض تثنى في موضع ينحصر فيه الماء عند أنسيابه إليه، وهذا العمود
مفصل على اثنتين وعشرين ذراعا، كل ذراع مفصل على أربعة وعشرين قسا متساوية، تعرف بالأصابع
ما عدا الاثنى عشرة ذراعا الأولى، فإنها مفصلة على ثمان وعشرين أصبعا لكل ذراع (راجع المقرئى
ج ١ ص ٥٩) .

(٣) خليج السد، لعل المؤلف يقصد : « وفتح سد الخليج » . وعلى كل حال فالخليج المتاد منه
ووقعه سنويا هو خليج القاهرة المعروف بالخليج المصرى، ومكانه اليوم شارع الخليج المصرى، وأما السد
الذى كان يقام سنويا في هذا الخليج ويفتح وقت فيضان النيل فكان قريبا من فم هذا الخليج . ومكانه
يقع اليوم في نهاية شارع الخليج المصرى من الجهة القبلية في نقطة واقعة جنوب البقعة المعروفة بعشش الساقية .
(٤) الكيش، ذكره المقرئى في (ص ١٣٣ ج ٢) من خطه فقال : إن هذه المناظر أنشأها الملك
الصالح نجم الدين أيوب في أعوام بضع وأربعين وستائة على جبل يشكر بجوار الجامع الطولونى، وهى
عبارة عن قصور كانت تشرف من أعلى جبل يشكر على بركة قارون وبركة الفيصل وعلى البساتين التى في بر
الخليج الغربى من المقس إلى فم الخليج، والتى في بره الشرق من باب زويلة إلى صاية جامع ابن طولون =

الملك الظاهر في أثناء طريقه بعد تخليق المقياس وقَتَحَ خليج السدّ وأسرَ إليه أنه شاهد من سكنه مماليك على باى وقد لبسوا آله الحرب ووقفوا عند بوائك الخيل من إسبطله وستروا البوائك بالأنخاخ ليخفى أمرهم ، فقال له : السلطان أكرم ما معك ، فلم يُبِدِ السلطان ذلك إلا لأكابراً أمرائه .

- ثم أمر السلطان الأمير أرسطاي رأس نوبة أن يتوجّه إلى دار على باى ويُعلمه أن السلطان يدخل إليه لميادته ، فتوجّه أرسطاي عادةً وأعلم علياً باى بذلك ، فلما بلغ علياً باى أن السلطان يعودُه أطمأن وظنّ أن حيلته تمت ووقف أرسطاي على باب على باى ينتظر قدوم السلطان ، وعندما بعث السلطان أرسطاي إلى على باى أمر الجاويشية بالسكوت فسكتوا عن الصّباح أمام السلطان .

- ثم أبعَدَ السلطان المصائب السلطانية عنه وأيضاً السنجق الذي يُحمل على رأس السلطان وتقدّم عنهم حتى صار بينه وبين المصائب مدًى بعيداً من خلفه وسار السلطان كأحد الأمراء وسار حتى وافى الكَبِش ، وهو مُجَاهِد دار على باى والناس قنَدَ اجتمعوا للفرجة على موكب السلطان ، فصاحت امرأةٌ من أعلى الكَبِش على السلطان لا تدخل ، فإنهم قد آيسوا لقتالك ، فترك السلطان فرسه وأمرع

- == كما كانت تشرف على النيل وجزيرة الروضة وقلمة الروضة ، فكانت من أجل منزهات مصر ، وقد تأتى الملك الصالح في بنائها وسماها الكَبِش ، فعرفت بذلك إلى اليوم ، وما زالت بعد الملك الصالح من المنازل الملكية إلى أن هدمها الملك الأشرف شهاب بن حسين في سنة ٧٦٨ هـ . فحُكِرَ الناس الكَبِش وبنوا فيه مساكن . وأقول : مكانها اليوم المنطقة التي تعرف بقلمة الكَبِش في الجهة الغربية من جامع ابن طولون والتي تشرف من بحرهما على شارع مراسينا ومن غربها على خط البقالة بقسم السيدة زينب بالقاهرة .

- (١) الأنخاخ ، جمع "نخ" ، وهو بساط طوله أكثر من عرضه ، معرب "نخ" ، راجع لمخاب الألفاظ الفارسية المعربة لأدى شير الكلداني ص ١٥٠ .
(٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٨٢ من هذا الجزء .

في المشى ومعه الأمراء ومن ورائه المماليك الخاصية يريد القلعة ، وكان باب
على باي مردود الدرفتين ، وضبطته مطرقة يمنع الناس من الدخول إليه ، حتى يأتي
السلطان ، فلما مر السلطان ولم يعلم به من ندبه على باي لرؤية السلطان وإعلامه
به ، حتى جاوزهم السلطان بما دبره السلطان من الحكيمة بتأخير المعصائب السلطانية
والسنجق والجاويشية وتقدمه عنهم .

ثم بلغ عليا باي أن السلطان فاته ، فركب وبادر أحد أصحابه يريد فتح الضبة
فأغلقها ، وإلى أن يحضر مفتاح الضبة ويفتحونها ، فاتهم السلطان وصار يئنه و بينهم
سد عظيم من الجمدارية والعلمان وغيرهم ، فخرج على باي ومن معه من أصحابه
لابسين السلاح ، وعدتهم نحو الأربعين فارسا يريدون السلطان ، وقد ساق السلطان
ومعه الأمراء ، حتى دخل باب السلسلة وأمتنع به ، فوقف على باي من معه تجاه
باب السلسلة ، فنزل إليه في الحال طائفة من المماليك السلطانية لقتاله ، فقاتلهم ،
وثبت لهم ساعة حتى جرح من الفريقين جماعة وقُتل من المماليك السلطانية
ببندق المصارع .

ثم أنهزم على باي وتفرق عنه أصحابه ، وقد آرتجت مصر والقاهرة ، وركب يلغا
المجنون الأستاذار ومعه ممالك لابسين يريد القلعة ، وأرجف الناس بقتل السلطان
وأشد خوف الرعية وتشعب الدعر .

(١) القلعة : يريد بها قلعة الجبل .

(٢) رواية (ف) : « لرؤيته السلطان » .

(٣) باب السلسلة ، هو أحد أبواب قلعة الجبل الذي يعرف اليوم بباب العزب بميدان محمد علي

بالقاهرة .

(٤) رواية (ف) : « بها » .

ثم ليست المسالك السلطانية السلاح ، وأتى السلطانَ مَنْ كان غائباً عنه من
الأمراء والخاصية وتحلقوه .

فعندما طلع يلينا الأحمدي المجنون الأستاذار إلى السلطان وثب عليه الخاصية ،
وآتهموه بموافقة على باي لكونه جاء هو ومماليكه في أسرع وقت بآلة الحرب ،
فاخذهم اللكم من الخاصية من كل جهة ، وزعوا ما عليه من السلاح ، وألقوه إلى
الأرض ليدبحوه ، لولا أن السلطان منعهم من ذلك ، فلما كفوا عن ذبحه سجنوه
بالزردخانة السلطانية مقيدا .

ثم قبض على نكاي شاذ شرا بخانه على باي ، وقُطِعَ قطعاً بالسيوف ، فإنه أصل
هذه الفتنة .

وسبب ركوب على باي على السلطان وخبره أن نكاي هذا كان تعرض
لجارية من جوارى الأمير آقبای الطرنطائي ، وصار بينهما مشاكسة ، فبلغ ذلك آقبای ،
فسك نكاي المذكور وضربه ضرباً مبرحاً ثم أطلقه ، فحقيق على باي من ذلك ،
وشكا آقبای للسلطان ، فلم يلتفت السلطان إليه ، وأعرض عنه ، وكان في زعمه أن
السلطان يغضب على آقبای بسبب مملوكه ، فغضب على باي من ذلك ، ودبر هذه
الحيلة الباردة ، فكان في تديره تدميره .

وبات السلطان تلك الليلة بالإسطل السلطاني ، ونهبت العائمة بيت على باي
حتى إنهم لم يبقوا به شيئاً .

وأما على باي فإنه لما رأى أمره تلاشى ذهب وأخفى في مستودع حمام
فقُبِضَ عليه وحُمِلَ إلى السلطان ، فقيده وحبسه بقاعة الفضة من القلعة .

(١) رواية « ف » (مجن)

(٢) قاعة الفضة ، هي إحدى قاعات القصر الكبير بقلعة الجبل بالقاهرة

فلما أصبح النهار وهو نهار الأحد والعشرين من ذى القعدة تَزَعَ العسكر السلاح وتفترقوا، وطلع السلطان إلى القلعة من الإسطبل وأخذ على-باى وعصره، فلم يُقِر على أحد، وأحضر يلبغا المجنون خلف على-باى أنه لم يُوافقه ولا عَلم بشئ، من خبره، وحَلَف يلبغا أنه لم يعلم بما وقع، وأنه كان مع الوزير بمصر.

فلما أُشيع بركوب على-باى لحق بداره، ولَبَس السلاح ليقا تل على-باى، فأفزع عنه السلطان وخلع عليه بأستمراره على الأستادارية ونزل إلى داره، فلم يجد بها شيئا، وجميع ما كان فيها نهبتة العامة حتى سُلِبَت جواريه وفزت أمراته خوند بنت الملك الأشرف شعبان بن حسين، وأخذوا حتى رُخام بيته وأبوابه، وتشتت داره وصارت نرابا، والدار هى التى على بركة^(١) الناصرى بيت سونجبغا الناصرى الآن.

(١) بركة الناصرى: ذكرها المقرئى فى خططه (ص ١٦٥ ج ٢) قال: إن هذه البركة من جملة جنات الزهرى، وسبب حفرها أن الملك الناصر محمد بن قلاوون لما أراد بناء الزرية بجانب الجامع الطيرمى على النيل احتاج ببنائها إلى طين، فأمر بنقله من مكان هذه البركة إلى مكان الزرية فى سنة ٧٢١ هـ، وبعد نقل الطين من البركة أجرى إليها الماء من جوارى الميدان السلطانى الكائن بأرض بستان الخشاب، فامتلاّت بالماء وصارت مساحتها سبعة أفدنة، فحفر الناس حولها وبنوا الدور العظيمة.

ولما تكلم المقرئى على جامع آق سقتر (ص ٣٠٩ ج ٢) قال: إنه بسوق بقة السباعين على البركة الناصرية، ولما تكلم على جامع الإسماعيل (ص ٣٢٧ ج ٢) قال: إنه على البركة الناصرية، وبالبحث عن موقع البركة الناصرية، تبين لى أنها هى البركة الميئة على خريطة القاهرة رسم البيئة الفرنسية سنة ١٨٠٠ م باسم بركة سنى نصره أو بركة السقاين، ومكانها المنطقة التى يحترقها الآن شارع نصره، ويحدها من الشرق شارع عماد الدين، ومن الغرب شارع مصطفى باشا كامل (الشيخ عبد الله سابقا)، ومن الجنوب شارع الإسماعيل بالقاهرة.

ولما تكلم على باشا مبارك صاحب الخطط التوفيقية على البركة الناصرية (ص ٩٧ ج ٣) قال: إن مكانها البركة الميئة على خريطة القاهرة رسم البيئة الفرنسية باسم «بركة أبو الشامات» . «بركة المسهد» أو «بركة قاسم بك»، ومن حقوقها ديوان المالية الذى كان يشا لإسماعيل باشا المفتش والمباين المقابلة له.

ثم قَدِمَ البريد على السلطان من حلب بأن أولاد آبن بَزْدَغَان من التُّركَان والأُمير
عُثْمَان بن طُسر على المدعو قَرَابِلِك^(٢) تقاتلوا مع القاضي برهان الدين أحمد صاحب
سيواس^(٣) ، فقتل برهان الدين في المعركة وقام من بعده أبنته .

ثم في يوم الاثنين حادى عشرين ذى القعدة جلس السلطان بدار العدل^(٤)
وعَصَرَ علياً باى المذكور فلم يُقر على أحد .

وبينا السلطان في ذلك إذا بهجة عظيمة قامت في الناس ، فليس العسكر ووقفوا
تحت القلعة ؛ وقد غلقت أبواب القلعة ، وأُشيع أن يلبغا المجنون ، والأُمير آقبا
الطُولُو تَمْرَى المعروف باللكاش أمير مجلس خامرا على السلطان ، ولم يكن الأمر
كذلك وبلغ اللكاش ذلك ، فركب من وقته فطلع إلى القلعة .

- ١٠ = ومن يطلع على الخريطة المذكورة يميل إلى ترجيح رأى صاحب الخطط التوفيقية لقرب مكان « بركة
أبوالشامات » من موقع الزرية التي نقل الطين إليها ، لولا أن المقرئ في وصفه للبركة الناصرية قال :
إنها بأرض جنان الزهرى وعليها من الجهة البحرية جامع آق مستقر وسوق السباعين ، وعليها من الجهة
القبلى جامع الأسماعيل ، وهذه الأماكن لا تزال كلها موجودة ومحفظة بأسمائها القديمة حول بركة سى
نصرة السابق تحديدها ، وأن هذه البركة واقعة بأرض جنان الزهرى ، وهى أرض موجودة من قديم الزمن
غربي الخليج المصرى أى قبل فتح العرب لمصر ، وكان النيل يمر بجوارها من الجهة الغربية حيث يمر اليوم
شارع نوبار باشا (الدواوين سابقا) ، وأما « بركة أبوالشامات » فإنها تقع بأرض طرح البحر الذى ظهر
في مجرى النيل القديم سنة ٨٣٣٠ غربي شارع نوبار باشا باسم أرض الله . ويوجد الآن في مكان بركة
الشامات سرايات : وزارات المالية والعارف والدفاع الوطنى ، وبعض ما يحاورها من المساكن ، وهذه
تقع كما هو مشاهد في موضعها الحال غربي شارع نوبار باشا وخارجة عن حدود البركة الناصرية المذكورة .
- ٢٠ (١) في هامش « م » « طرغل » . (٢) في هامش : « م » : « قرانك » .

- (٣) سيواس : راجع الحاشية رقم ١ ص ٧٦ من هذا الجزء حيث تجد لها شرحا وافيا .
(٤) دار العدل ، مكانها اليوم في المنطقة الواقعة على يسار الداخل من باب الغرب من قلعة الجبل
متجها إلى الشرق نحو الباب الحديد المشغول بمخازن مهمات وملابس الجيش المصرى ويحدها من الغرب
سكة المحجر ومن الشمال شارع الدفترخانة .

- (٥) راجع الحاشية رقم (١) ص ٧ من هذا الجزء حيث تجد لها شرحا وافيا .

وأما يَلْبُغا المجنون فإنه كان في بيت الأمير فرج ، فركب فرج المذكور يُعَلِّمُ
السلطان بأنه كان في داره بالقاهرة حتى يبرأ مما رُيَ به ، وطلع في الحال جميعُ
الأمراء ، فأمر السلطان بقطع السلاح وزول كلِّ أحد إلى داره ، وسكن الأمر
ونودي بالأمان والأطمئنان .

ثم في ليلة الثلاثاء عُدِّبَ على باي أيضا بين يدي السلطان عذابا شديدا ، كُسِرَتْ
فيه رجله وركبته وخُصِفَ صدره ، فلم يُقَرَّ على أحد ، ثم أُخِذَ إلى خارج وخُفِقَ ،
فتنكرت الأمراء وكثُرَ خوفُهم من السلطان ، خشية أن يكون على باي ذكر أحدًا
منهم من حرارة العقوبة ، ومن يومئذ قَسَدَ أمرُ السلطان مع مماليكه الجراكسة ،
ودخل السلطان إلى زوجته خَوْنَدَ الكُبْرَى ^(١) أرد وكانت تركية الجنس ، وكانت تحذره
عن آقتناء الممالك الجراكسة وتقول له : اجعل عسكرَكَ أبقى من أربعة أجناس :
تتر وجارُكس وروم وتُرْكان ، تستريح أنت وذريتك ، فقال لها : الذي كنت أشرتُ
به على هو الصواب ، ولكن هذا كان مقسدا ونرجوا الله تعالى لإصلاح الأمر
من اليوم .

ثم في يوم الثلاثاء أمر السلطان الأمير يَلْبُغا المجنون أن يُتَّفَقَ على الممالك
السلطانية ، فأعطى الأعيان منهم خمسمائة درهم ، فلم يَرْضَهم ذلك وكثُرَتِ الإشاعات
الردية والإرجاف بوقوع فتنة وباتوا ليلة الخميس على تَخَوُّفٍ ، ولم تُفْتَحِ الأسواقُ
في يوم الخميس ، فنودي بالأمان والبيع والشراء ، ولا يتحدث أحد فيما لا يعنيه .

ثم أنعم السلطان على الأمير أرسطاي بتقدمة على باي ، ووظيفته رأسُ نوبة
النوب ، وأنعم على الأمير تمان تمر الناصري بإقطاع أرسطاي ، والإقطاع : إمرة
طبلخاناه .

(١) في هامش : « م » : « أزد » .

ثم في سادس عشر ينه نزل الأمير فارس حاجبُ الحجاب، والأمير تمرُّبغا المنجكي أحد أمراء الألف، وحاجب ثاني، وقبضا على الأمير يلغا الأحدي الظاهري المعروف بالمجنون الأستاذار من داره، وبعثاه في النبل إلى ثغر دمياط واستقر عَوْضَه أستاذارا الأمير ناصر الدين محمد بن سنقر بإمرة خمسين فارسا وأنعم السلطان على الأمير بكتمر جلق الظاهري رأس نوبة بتقدمة ألف عوضا عن يلبغا المجنون .
وفي يوم السبت ثالث ذى الحجة خلَّع السلطان على أميرين باستقرارهما رءوس نوب صغارا وهما : طولو بن علي باشا الظاهري وسودون الظريف الظاهري .
وفي يوم الأحد رابع ذى الحجة سمر السلطان أربعة نفر من ممالك على باي ثم وسطوا .

ثم رَسَم السلطان بإحضار الأمير بكلمش العلائي أمير سلاح كان من سجنه بالإسكندرية وتوجه إلى القدس بطالا على ما كان للأمير شيخ الصفوى من المرتب .

ثم استهل القرن التاسع : أعني — سنة إحدى وثمانمائة — والخليفة المتوكل على الله أبو عبد الله محمد العباسي والسلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٤٠ من هذا الجزء حيث تجد لها شرحا وافيا .

(٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٤ من هذا الجزء حيث تجد لها شرحا وافيا .

(٣) القدس الشريف ، هي اورشليم المدينة المقدسة ، عاصمة فلسطين سقطت في أيدي الصليبيين في ١٥ يولييه سنة ١٠٩٩م وأسوأ فيها علكة استمرت حتى خلعها منهم صلاح الدين الأيوبي بعد معركة فاصلة في ٢ أكتوبر سنة ١١٨٧ ، وكان ذلك سبب الحرب الصليبية الثالثة . ينسب إليها أبو عبيد الله المقدسي الجغرافي المشهور صاحب كتاب « أحسن التقاسيم » المتوفى سنة ٥٣٧٤ . سكانها ٨٥ ألف نسمة ، تقع على خط عرض ٣١/٧ شمالا وخط طول ٣٥/٤ شرقا (راجع فهرس الخريطة التاريخية لأمين واصف بك وأطلس طيب) .

ابن أنص الجاركي اليلغاوي والقاضي الشافعي تقي الدين عبد الرحمن الزبيري والقاضي الحنفي جمال الدين يوسف الملقى والقاضي المالكي ناصر الدين أحمد التنسي والحنلي برهان الدين إبراهيم بن نصر الله، والأمير الكبير أئتمش البجاسي، وأمير سلاح تغرى بردى بن شيبغا الظاهري (أعنى عن الوالد) وأمير مجلس آقبا الكاش الظاهري، والأمير آخور نوروز الحافظي الظاهري، وحاجب الحجاب فارس الظاهري والدودار بيرس ابن أخت الملك الظاهر برقوق ورأس نوبة الثوب أوسطاى .
وتواب البلاد صاحب مكة المشرفة الشريف حسن بن عجلان الحسيني المكي وأمير المدينة النبوية — على ساكنها أفضل الصلاة والسلام — الشريف ثابت بن نعيم الحسيني ،

(١) التنسي : نسبة إلى تنس (يفتحين مع التخفيف) ، وهي مدينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط مما يلي مراکش على بعد ١٠٣ ميل غربي مدينة الجزائر . وعدد سكانها يقرب من خمسة آلاف نسمة . وأولاد التنسي في الإسكندرية من بيت علم ورئاسة ، تولى منهم قضاء القضاة المالكية على عهد ابن خلدون أحد بن محمد جمال الدين بن عطاء الله الشهير بابن التنسي ، ولد سنة ٥٧٤٠ هـ وتوفي سنة ٥٨١٠ هـ وبلوغ لنا أن ابن التنسي الذي معنا أبوه جمال الدين هذا . انظر شجرة النور الزكية في طبقات المالكية للشيخ محمد مخلوف ص ٢٢٤ ، وانظر ذخيرة الأعلام للعمري ص ١٩٠ وقاموس ليكنوت الجغرافي ونبيل الأبناج بطريرك الديار بابا النيكى ص ٢٨٥ ، ٧٤ .

(٢) مكة بيت الله الحرام ، ويقال : فيها بكة بالباء ، كما يقال : ما هذا بضربة لازب ولازم (ملخصا عن معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٩١٦) .

(٣) المدينة النبوية ؛ هي مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ولها سور والمسجد في وسطها وقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في شرق المسجد ، وهو بيت مرتفع ليس بينه وبين سقف المسجد إلا فرجة ، وهو مسدود لا باب له ، وفيه قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، وقبر أبي بكر وقبر عمر رضي الله عنهما ، والمنبر الذي كان يخطب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غشي بمنبر آخر والروضة أمام المنبر بينه وبين القبر ومصلى النبي عليه السلام الذي كان يصل فيه الأعياد في غربي المدينة داخل الباب ويقع الفرقد خارج المدينة من شرقها . وقباء خارج المدينة على نحو ميلين إلى ما يلي القبلة وهي شبيهة بالقرية . واحد : جبل في شمال المدينة وهو أقرب الجبال إليها مقدار فرسخين وقبرها مزارع فيها نخيل وضياح لأهل المدينة ووادى العقيق فيما بينها وبين القرع ، والقرع من المدينة على أربعة أيام في جنوبها وبها مسجد جامع ، غير أن أكثر هذه الضياح خراب ، وكذلك حوالى المدينة ضياح كثيرة أكثرها خراب وأعذب مياه تلك الناحية آمار العقيق ، عن معجم البلدان لياقوت ج ٤ ص ٤٥٨ .

ونائب الشام الأمير تلبك الحسنى المعروف بتسم الظاهري، ونائب حلب أرغون شاه الإبراهيمي الظاهري، ونائب طرابلس يونس الظاهري المعروف بيونس بلطاً، ونائب حماة آقبا الجمالى، ونائب صفد شهاب الدين أحمد ابن الشيخ على ونائب غزّة ينجبا المعروف بطيفور الظاهري، ونائب الإسكندرية صرغتمش القزويني وجميع من ذكرنا من النواب بالبلاد الشامية وأصحاب الوظائف بالديار المصرية هم مماليك الظاهر برقوق ومشترواته، ما خلا نائب صفد وهو أيضاً نسؤه، والأتابك أيتش وقد اشتراه بعد سلطته، حسبما تقدم ذكره أنه اشتراه من أولاد معتق أستاذة .

ثم في يوم سابع عشر المحرم المذكور سمر السلطان سبعة نفر من المماليك يقال لأحدهم: آقبا القيل الظاهري وآخر من إخوة على باي ظاهري أيضاً والباقي من مماليك على باي وشهروا بالقاهرة، ثم وسطوا .

وفيه أيضاً تنكر السلطان على سودون الجزاوى الخاصكى الظاهري وضربه ضرباً مبرحاً وسجنه بخزانة شمائل مدة، ثم أخرجته منقياً إلى بلاد الشام لأمر أقتضى ذلك .

وفي هذا الشهر نوعك السلطان وحدث له إسهالٌ مُفرط لزم منه الفراش مدة تزيد على عشرين يوماً .

ورسم السلطان بتفرقة مال على الفقراء، ففرّق فيهم، فاجتمع تحت القلعة منهم عالمٌ كثير وأزدحموا لأخذ الذهب، فمات في الزحام منهم سبعة وخمسون شخصاً، ما بين رجل وامرأة وصغير، قاله المقرئ .

(١) ورد في «م»: « بلخجا وباي نجا » وبعد بحث طويل لم تعرف وجه الصواب فيها فرجنا رواية الأصل الفوتوغرافي .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤ من هذا الجزء حيث تجد لها شرحاً وافياً .

(٣) القلعة، سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ١ ص ٧ من هذا الجزء .

وفي يوم ثاني عشره رَسَمَ السلطان يَجْمَعُ أهل الإسطبل السلطاني من الأمير
 آخورية والسلاخورية ونحوهم ، فأجتمعوا ونزل السلطان من القصر إلى مقعده
 بالإسطبل السلطاني . وهو متوَعَّكُ البَدَنِ لِعَرْضِهِمْ ، وعَرَضَهُمْ حَتَّى انْقَضَى العَرَضُ ،
 فامسك جَرَبَاشَ الظاهري أحد الأمير آخورية الأجناد وقال له بعد ذلك على ماذا
 تريد قتلي وأنا أستاذك ! فلم يزعج جرباش المذكور وقال : بعد أن أشار بيده إلى
 حياصته : أكون أنا لابس حياصة وهؤلاء أمراء ، وأشار لمن حول السلطان من
 الأمراء من ممالكهم ، وهم الجميع أقلّ مني وبعدي شريتهم ، فأشار السلطان بأخذه ،
 فأخذ وسُجِنَ ، فكان ذلك آخر العهد به .

ثم عرض السلطان الخيل وفزق خيل السباق على الأمراء ، كما كانت العادة
 يوم ذلك .

ثم عرض الجمال البخاتي ، كُلُّ ذلك تشاغل ، والمقصود القبضُ على الأمير
 نوروز الحافظي الظاهري الأمير آخور الكبير ، ثم أظهر السلطان أنه تعب وانتكا
 على الأمير نوروز ومشى من الإسطبل متكئا عليه ، حتى وصل إلى الباب الذي يُطلَعُ
 منه إلى القصر ، فأدار السلطان يده على عُنُقِ نوروز المذكور ، فبادر الخاصكية
 إليه باللكم حتى سقط إلى الأرض ، ثم قبضوا عليه وحملوه مُقَيَّدًا إلى السجن ،
 ودخل السلطان من الباب وطلع إلى القلعة ، وكان للأمير نوروز ذنوب كثيرة : منها
 المبالاة لعلّـى باى ، ومعه أيضا الأمير آقبا اللكاش ، ثم تحاذل نوروز في فتح باب
 السلسلة للسلطان يوم وقعة على باى .

(١) الإسطبل السلطاني ، سبق التعليق عليه في الحاشية رقم ١ ص ٤ من هذا الجزء .

(٢) في هامش « م » . « أحد الأمراء ... الخ » .

ثم بعد ذلك بلغ السلطان أن نوروز المذكور قصّد الركوب عليه ، فنفته أصحابه ، وأشاروا عليه أن يصير حتى ينتظر ما يصير من أمر السلطان في مرضه ، فإن مات فقد حصل له القصد من غير تعب ولا سُنة ، وإن تعافى من مرضه فليفعل عند ذلك ما شاء .

- وكان ممن حضر هذه المشورة مملوك من خاصية الملك الظاهر ، فلم يُعجب نوروز ذلك ، وقرر مع أصحابه من الخاصية الذين وافقوه أنه إذا كان ليلة توتبهم في خدمة القصر ودخلوا مع السلطان في القصر الصغير المعروف بالخرجة المطل على الإسطبل السلطاني يثبون عليه بمن اتفق معهم ويقتلون السلطان على فراشه ، ثم يكسرون الثرية المعلقة بقناديلها الموقدة يكون ذلك إشارة بينهم وبين نوروز ، بعد قتل السلطان ، فيركب نوروز عند ذلك ويملك القلعة من غير قتال ، فأخذ الخاصية يستميلون جماعة أخر من الخاصية ليكثر جمعهم ، وكان من جملة من استمالوه قاني باي الصغير الخاصكي وأظنه الذي ولي نيابة الشام في دولة الملك المؤيد شيخ ، والله أعلم . فاجابهما قاني باي بالسمع والطاعة وحلف لهم على الموافاة ، ثم فارقههم ودخل إلى السلطان من فوره وقعد لتكبيسه ، فحكى له القصة بتمامها وكاملها ، فاحترز الملك الظاهر على نفسه ودبر على نوروز حتى قبض عليه .

ثم بعد مدة في يوم السبت رابع صفر خلع السلطان على الأمير آقبا اللكاش الظاهري^(٢) بناية الكرك وأخرج من ساعته وأذن له بالإقامة بمخايقه ميرياقوس حتى يُجهز أمره ، ووكل به الأمير تنبك الكركي الخاصكي وهو مُسفره .

- (١) هو القصر الغربي ، وكان موضعه حيث البيارستان المنصوري ، ومستشفى قلاوون لرمذ يشغل جزءا منه الآن ، بناء العزيز بالله تزار بن المزلدين الله (راجع المقرري ج ١ ص ٤٥٧) .
(٢) الكرك ، واجع الحاشية ، رقم ٢ ص ٣ من هذا الجزء حيث تجد لها شرحا وافيا .
(٣) المخايقه ، كلمة فارسية معناها الدار التي يختل فيها رجال الصوفية لعبادة الله تعالى . وخانقاه =

ثم في ليلة الأحد أزيل الأمير نوروز الحافظي من القلعة مقيداً إلى سجن الإسكندرية ومُسَفَّره الأمير أردبغا الظاهري أحد أمراء العشرات .

ثم قبض السلطان على فوزي الخاصكي أحد من كان آتفق مع نوروز وسُلم إلى والى القاهرة .

ثم أنعم السلطان بإقطاع الأمير نوروز الحافظي على تراز الناصري ، وصار من جملة مقدّمى الأتوف بالديار المصرية ، وأنعم على سُودون المارديني بإقطاع آقبغا اللكاش ، وهو مقدمة ألف أيضاً ، وخلع على الأمير أرغون شاه البيدمري الظاهري باستقراره أمير مجلس ، عوضاً عن آقبغا اللكاش المذكور ، وخلع على سودون المعروف بسيدى سُودون قريب الملك الظاهر برقوق باستقراره أمير آخور عوضاً عن نوروز الحافظي .

== سرياقوس ذكرها المقرئ في خطه (ج ٢ ص ٤٢٢) فقال : إن هذه الخانقاه خارج القاهرة من شمالها على نحو بر يد منها بأول تيه بن إسرائيل بهام (فضاء) سرياقوس . أنشأها الملك الناصر محمد ابن قلاوون على بعد فرسخ (في الشمال الشرق) من بلدة سرياقوس . بدأ في عمارتها في شهر ذي الحجة سنة ٧٢٣ هـ وجعل فيها مائة خلوة لمائة صوفي وبنى بجانبها مسجداً تقام به الجمعة وحماماً ومطبخاً تحت هذه العماره ، واحتفل بافتتاحها يوم ٧ جمادى الآخرة سنة ٧٢٥ هـ بحضور الملك الناصر ورتب لها الأوقاف الكافية ، وقد أقبل الناس على البناء والسكنى بجوار هذه الخانقاه وبنوا المدر والخوانيت والحنانات والحمامات حتى صارت بلدة كبيرة باسم خانقاه سرياقوس نسبة إلى هذه الخانقاه . وأقول : إن المؤلف ذكر أن هذه الخانقاه أنشئت سنة ٧٤٠ هـ والروايت أن تاريخ إنشائها والاحتفال بافتتاحها هما كما ذكره المقرئ . ويستفاد مما ورد في كتاب وقف الملك الأشرف برسبای المجرى في سنة ٨٤١ هـ أن الجامع الذي أنشأه الملك المذكور بناحية خانقاه سرياقوس يحده من البحري الغربي الخانقاه الناصرية وهي خانقاه سرياقوس .

وبالبحث والمعاينة تبين ل أن الخانقاه المذكورة (أى دار الصوفية) قد اندثرت ، وكانت واقعة في الفضاء الجاور الآن لجامع الملك الأشرف من الجهة الغربية أى جنوبى سكن ناحية الخانكة التى كانت تعرف قديماً باسم خانقاه سرياقوس وهى اليوم إحدى قرى مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية بمصر وعلى بعد عشرين كيلومتراً في الشمال الشرق من مدينة القاهرة .

وفي ثالث عشرين صفر أيضا أملى بعضُ الممالك السلطانية إليه بالأطباق على بعض فقهاء الأطباق أسماء جماعة من الأمراء والممالك ، أنهم انفقوا على إقامة فتنة والقيام على السلطان وكتبها ودخل بها المملوك على السلطان ، فلما قُرئت الورقة على السلطان ، استدعى المذكورين وأخبرهم بما قيل عنهم ، فخلفوا أن هذا شيء لم يسمعه إلا الآن ، وحلوا أوساطهم ورموا سيوفهم ، وقالوا يوسطن السلطان أو نخبرنا بمن قال هذا عنا ، فأحضر السلطان المملوك وسلمه إليهم وضربوه نحو الألف عصا ، حتى أقر أنه أختلق هذا الكلام عليهم حقا من واحد منهم ، وسمى شخصا كان خاصمه قبل ذلك ^(١) .

ثم أحضر السلطان الفقيه الذي كتب الورقة وضربه بالمقارع وسُمر ، ثم شُفع فيه من القتل وحبس بخزانة شمائل .

ولما وصل الأمير آقبا الكاش إلى غزوة متوجها إلى محل كفالته بمدينة الكرك ، قبض عليه بها وأُحيط على سائر ما كان معه ، وحُمل إلى قلعة الصبيبة ^(٢) فسُجن بها .

ثم ورد الخبر على السلطان في صفر المذكور أن السكة ضُربت بأسمه بمدينة ماردين ، وخطب له بها وحملت له الدنانير والدرهم وعليها اسم السلطان .

ثم في شهر ربيع الأول في رابعه ، ورد الخبر على السلطان بموت الأمير أرغون الإبراهيمي الظاهري نائب حلب ، فريم السلطان أن يقتل الأمير آقبا الجمالي

(١) رواية « ف » خاتمة .

(٢) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٤٠ من هذا الجزء حيث تجد لها شرحا وافيا .

(٣) الصبيبة : اسم قلعة بانياس ، وهي من الحصون المنيعة .

(٤) ماردين ، راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٠ من هذا الجزء حيث تجد لها شرحا وافيا .

الظاهرى المعروف بالأطروش من نيابة طرابلس الى نيابة حلب، وحمل إليه التقليد والتشريف إينال باى بن قحاص ، ورسم أيضا باستقرار يونس بلطان نائب حماة في نيابة طرابلس عوضا عن آقبا المذكور، وتوجه بتقليده وتشريفه الأمير يلبغا الناصرى الظاهرى ، ورسم أن يستقر دمرداش المحمدي أتابك حلب في نيابة حماة ، وتوجه بتقليده الأمير شيخ المحمودى الساقى رأس نوبة وهو الذى تسلم

ثم خلع السلطان على الأمير سودون الظاهرى المعروف بالظريف في نيابة الكرك .

وفي خامس عشر شهر ربيع الأول أنعم السلطان على الوالد بجميع سرحة البحيرة وداخلها مدينة الإسكندرية .

(١) حماة بالفتح مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات رخيصة الأسعار واسعة الرقعة حفلة الأسواق ، يحيط بها سور محكم وبظاهر الدور حاضر كبير جدا فيه أسواق كثيرة ، وجامع مفرد مشرف على نهرها المعروف بالعاصى ، عليه عدة نواعير تسقى الماء من العاصى فتسقى بساقيها وتصب إلى بركة جامعها ويقال لهذا الحاضر السوق الأسفل لأنه منحط عن المدينة ويسمون المستور السوق الأعلى . وفي طرف المدينة قلعة عظيمة عجيبه حفر خندقها نحو مائة ذراع وأكثر لذلك المنصور محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه ابن أيوب . وهى مدينة قديمة جاهلية ذكرها امرؤ القيس في شعره فقال :

تقطع أسباب البابنة والهوى * عشية رحنا من حماة وشيزا

يسير يضح العود منه يمنة * أخو الجهد لا يلوى على من تعذرا

راجع معجم البلدان لياقوت (ج ٢ ص ٣٣٠ و ٣٣١) .

(٢) رواية «ف» «المحمدي» .

(٣) البحيرة ، هى من الأقسام الإدارية التى أستحدثت في عهد العرب باسم كورة البحيرة . وفي أيام الدولة الفاطمية أضيف إليها كور أخرى مجاورة لها فصارت إقليما كبيرا باسم البحيرة . وفي سنة ١٣١٥م أطلق عليها أعمال البحيرة . وفي سنة ١٥٢٧م ولاية البحيرة . وفي سنة ١٨٣٣م مديرية البحيرة ، وقاعدتها مدينة دمنهور .

ثم في سلخ ربيع الأول المذكور أمسك السلطان الأمير عز الدين أزدمر أخا
إينال اليوسفي وأمسك معه ناصر الدين محمد بن إينال اليوسفي ونفيا إلى الشام .
ثم في يوم الأربعاء أول شهر ربيع الآخر خلع السلطان على الأمير سراي تمشاق
الناصري أحد أمراء الطليخانات ورأس نوبة بديار مصر باستقراره أتابك العساكر
بحلب عوضا عن ديمرداش المحمدي المنتقل إلى نياية حماة .

ثم في عشرينه أنعم السلطان على الأمير على بن إينال اليوسفي بجُز أخيه محمد ،
وأمر على - هذا هو أستاذ الملك الظاهر جقمق الآتي ذكره ، وبه عُرف
بالعلائي .

وفيه أنعم السلطان على كل من سُودون من زادة الظاهري ، وتقري بردي
الجلباني ، ومنكلى بفا الناصري ، وبكتمر الظاهري ، وأحمد بن عمر الحسنى بإمرة
طليخانة بالديار المصرية .

وأنعم أيضا على كل من شبای الظاهري ، وتمربغا من باشاه ، وشاهين من
إسلام الأفرم الظاهري ، وجوبان العثماني الظاهري ، وجكم من عوض الظاهري
بإمرة عشرة .

ثم في خامس عشرينه طلع إلى السلطان رجلٌ عجمي ، وهو جالس للحكم بين
الناس وهيئته كهية الصوفية ، وجلس بجانب السلطان ، ومدَّ يده إلى لحيته ليقبض
عليها وسبه سباً قبيحا ، فبادر إليه رهوس الثوب وأقاموه ، وضربوه ، وهو مستمر
في السب ، فأمر به السلطان ، فسلم لوالى القاهرة ، فأخذه الوالى ونزل به وعاقبه
حتى مات تحت العقوبة .

ثم في يوم الخميس خَلَعَ السلطان على تاج الدين عبد الرزاق بن أبي الفرج
أَبْنُ نُقُولَا الأَرْمَنِيّ الأَسْلَمِيّ^(١) والى قَطْلِيَا بِأَسْتَقْرَارِهِ وزيراً عوضاً عن الوزير بدر الدين
محمد بن الطونجي .

وفي رابعُ جُمَادَى الأولى رَسَمَ السلطانُ بِإِحْضَارِ الأَمِيرِ يَلْبِغَا الأَحْمَدِيّ المَجْنُونِ
من نَعْرِ دِمْيَاط .

ثم في يوم الاثنين حادى عشرُ جُمَادَى الأولى المَذْكُورِ رَسَمَ السلطانُ بِأَسْتَدْعَاءِ
رئيس الأطباء فتح الدين فتح الله بن معتمد بن نفيس الداودى التبريزى^(٢) وخلَعَ عليه
بأَسْتَقْرَارِهِ فى كِتَابَةِ السَّرِّ، بعد موت القاضي بدر الدين محمود الككستانى، وكان نفيس
جدّ فتح الله هذا يهودياً من أولاد نبيّ الله داود عليه السلام .

وفي رابع عشرينه خَلَعَ السلطان على الأمير فرج الحلبي أَسْتَدَارَ الذخيرة والأُمْلَاك
بأَسْتَقْرَارِهِ فى نِيَابَةِ الإسكندرية .

ثمّ في يوم الاثنين ثامن شهر رجب رَسَمَ السلطان بِأَنْتِقَالِ الأَمِيرِ جَفْمَقِ
الصَّفْوِيّ حَاجِبِ مُجَابِ حَلَبِ إِلَى نِيَابَةِ مَلْطِيَّةِ بِمَدِّ عَزَلِ دُقَاقِ المَحْمَدِيّ الظَاهِرِيّ
وَجَهَازِ تَقْلِيدِهِ عَلَى يَدِ مُقْبِلِ الخَازِنْدَارِ الظَاهِرِيّ .

(١) قَطْلِيَا ، يَسْتَفَادُ مِمَّا وَرَدَ فى مَعْجَمِ البُلْدَانِ لِياقُوتِ وَالْأَنْتِقَارِ لِأَبْنِ دُقَاقِ ، وَكِتَابِ الحَقِيقَةِ
وَالْمُجَازِ لِلنَّابُلْسِيِّ أَنَّ قَطْلِيَا وَتَكْتَبُ أَيْضاً قَطْلِيَّةٌ هِيَ قَرْيَةٌ مِنْ نَوَاحِي الجِفَارِ فى العَاقِرِ بَيْنَ مِصْرَ وَالشَّامِ فى وَسْطِ
الرَّمْلِ قَرِبَ القُرْمَا ، وَبِهَا جَامِعٌ وَمَارِسْتَانٌ (مَسْتَشَقٌّ) وَبِهَا وَالى طَبْلَخَانَاهُ مَقِيمٌ لِأَخَذِ العُشْرِ مِنَ التِّجَارِ ، وَبِهَا
قَاضٍ وَنَازِلٌ وَشُهُودٌ وَمُبَاشِرُونَ ، وَلَا يَمُكِنُ لِأَحَدِ الجَوَازِ مِنَ مِصْرَ إِلَى الشَّامِ وَبِالعَكْسِ إِلَّا بِجَوَازِ مَرُورٍ
فَهُوَ مَزْمُومٌ الدَّرَبِ ، لَا يَمُكِنُ الدَّخُولُ إِلَى مِصْرَ إِلَّا مِنْهَا ، وَكَانَ بِهَا مَكَانٌ أَخَذَ المَكْسَ مِنَ القَادِمِينَ إِلَى مِصْرَ .
وَأَقُولُ : قَدْ انْتَشَرَتْ هَذِهِ القَرْيَةُ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَطْلَاسُهَا فى الطَّرِيقِ بَيْنَ القَنْطَرَةِ وَالْعَرِيشِ فى الجَنُوبِ
الشَّرْقِ مِنْ مَحْطَةِ الرَّمَانَةِ (الرُّومَانِيّ) قَدِيمًا وَعَلَى بَعْدِ عَشْرَةِ كِلُومَترَاتٍ مِنْهَا .

(٢) رَوَايَةُ « ف » : « الدَّوَادَارِي » .

(٣) مَلْطِيَّةٌ رَاجِعُ الحَاشِيَةِ رَقْمُ ١ ص ٢٤ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ حَيْثُ تَجَدَّدَ لَهَا شَرْحًا وَافِيًا .

ثم في حادى عشرين شهر رجب المذكور خلع السلطان على الشيخ تقى الدين المقرئى المؤرخ باستقراره فى الحسبة بالقاهرة ، عوضا عن شمس الدين البجاسى .

ثم فى خامس عشرينه أعيد قاضى القضاة صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوى إلى قضاء الشافعية بالديار المصرية ، بعد عزل قاضى القضاة تقى الدين عبدالرحمن الزبيرى .

وفى هذه الأيام أعيد أيضا يلبغا المجنون إلى وظيفة الاستدارية ، بعد عزل ناصر الدين محمد بن سنقر . وأستقر ابن سنقر أستاذ الدخيرة والأملاك عوضا عن فرج المتقل إلى نيابة الإسكندرية .

ثم كتب السلطان للأمير تميم الحسينى نائب الشام بالقبض على الأمير شهاب الدين أحمد ابن الشيخ على نائب صفد وعلى الأمير جُلبان الكشغباوى الظاهرى المعروف بقراسقل أتابك دمشق ، فورد مرسوم السلطان على تميم وهو بالنور فاستدعى نائب صفد المذكور وقبض عليه ، ثم قبض على الأمير جُلبان المذكور وبعث بهما إلى قلعة دمشق فسجن بها

ورسم السلطان بنقل الأمير أطنبغا العثمانى الظاهرى من محبوبة دمشق إلى نيابة صفد ، ونقل الأمير بيخا الشرقى المعروف بطيفور نائب غزوة منها إلى محبوبة دمشق ، ونقل أطنبغا الظاهرى نائب الكرك كان إلى نيابة غزوة .

ثم فى ناسع شعبان خلع السلطان على كمال الدين عمر بن العديم باستقراره قاضى قضاة حلب بسيارة الوالد .

ثم في رابع عشرين شهر رمضان كتب السلطان بالإفراج عن الأمير شهاب الدين أحمد ابن الشيخ على من محبسه بقلعة دمشق^(١) وأستقراره أتابك العساكر بها، عوضاً عن الأمير جُلبان قرا سقل .

ثم في سابع عشرينه أخرج الأمير علاء الدين على بن الطبلاوى من خزانة شمائل وسلمَ للأمير يلبغا المجنون الأستاذار .

ثم قدم الخبر على السلطان بموت الأمير الكبير كَشْبُغا الحموى بسجن الإسكندرية ، فابتهج السلطان بموته ، ورأى أنه قد تم له أمره ، فإنه آخر من بقي من البُلغاوية الأمراء .

(١) قلعة دمشق ، تسمى الأسد الرابض ، بناها تاج الدولة نقش سنة ٤٧١ هـ وجعل بها دار إماراة وسكنها ، ثم زاد الملوك بعده فيها وسكنها كثير منهم . وكانت دار الإمارة قبله تسمى القصر ، بناها العباسيون بعد أن دكوا الخضراء وقصور الأمويين ، فخرّب القصر في بعض فتن الفاطميين .
وفي سنة ٦٩١ هـ بكل بناء الطارمة وما عندها من الدور والقبعة الزرقاء في قلعة دمشق ، بغامت في غاية الحسن والكمال والارتفاع ، وأنشئت فيها قاعة أسمها قاعة الذهب وفرغ من جميع ذلك في سبعة أشهر ، طولها من الشرق إلى الغرب ٣٣٠ خطوة وعرضها من الشمال إلى الجنوب ١٧٠ خطوة ، وقد خربت في أدوار كثيرة ثم أعيد بناؤها .

وقد وصف ابن حجة الحموى قلعة دمشق عندما حوصرت في الوقعة المشهورة فقال :
« ونظرت بعد ذلك إلى القلعة المحروسة وقد قامت قيامة حربها ، حتى قلنا : (أزنت الآزقة) ، وقد ستروا بروجها من الطارق وهم يتلون : (ليس لها من دون الله كاشفة) ، واستجليت عروس الطارمة عند زفتها ، وقد تجهزت للحرب ولم ترض بغير الأرواح مهراً » ... الخ . وقد أطال ابن حجة في وصف تلك القلعة فاكفينا بما ذكرناه . راجع تممة الكلام عليها في خطط الشام لمحمد كرد علي (ج ٥ ص ٢٩٢ وما بعدها) .

وأصبح من الغد في يوم الجمعة وهو أول شوال ، صَلَّى صلاة العيد بالميدان على العادة ، ثم صَلَّى الجمعة بجامع القلعة فتفاعل الناس بزوال السلطان ، كونه خطب بمصر في يوم واحد مرتين .

قلت : وهذه القاعدة غير صحيحة ، فإن ذلك وقع للملك الظاهر جَقَمَق في أول سنين سلطنته ، ثم وَقَعَ ذلك في سلطنة الملك الأشرف إيتال .
ثم في سادس شوال أخرج آبن الطبلاوى علاء الدين متفياً إلى الكرك ومعه قبيب واحد .

وفي يوم الثلاثاء خامس شوال من سنة إحدى وثمانمائة ، فيه كان ابتداء مرض السلطان الملك الظاهر برقوق وسببه أنه ركب لِلْعَبِ الكُرَّةَ بالميدان ،

- (١) جامع القلعة ، هو الجامع الناصرى ، هذا الجامع ذكره المقرئى في خططه باسم جامع القلعة (ص ٣٢٥ ج ٢) فقال : إن هذا الجامع بقلعة الجبل ، أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٧١٨ هـ وكان في مكانه جامع قديم والمطبخ السلطانى ومخازن الأدوات والمفروشات فهدم الجميع وأدخلها في هذا الجامع ، والظاهر أن عمارة الجامع لم ترق في نظر الملك الناصر ، فقصد ذكر المقرئى في موضع آخر من خططه عند الكلام على هذا الجامع (ص ٢١٢ ج ٢) أن الملك الناصر أنكره في سنة ٧٣٥ هـ وبناء هذا البناء ، يضاف إلى ذلك ما ورد في كتاب تاريخ سلاطين المماليك لأبراهيم بن مغلطاي وهو أنه في أول رمضان سنة ٧٣٦ هـ صلى في جامع القلعة عند فراغه وتبكيه وتجدده .

- وأقول : إن الملك الناصر قد احتفظ بتاريخ تأسيس الجامع ، وهو سنة ٧١٨ هـ كما هو منقوش على باب البحرى ، وأن هذا الجامع لا يزال موجودا ومشرفا على الحوش الذى فيه جامع محمد على باشا بالقلعة ، إلا أنه معطل من الصلاة بسبب عدم الصرف عليه وإهماله مدة طويلة حتى تحزب معظمه . وقد قامت إدارة حفظ الآثار العربية بإصلاح وترميم هذا الجامع فأعادت بناء القبة الكبيرة التى بالايوان الشرق وأصلحت منارته وسقفه ، وهى توالى عملية الإصلاح حتى تم عمارته لإقامة الشعائر الدينية بفضل الله .

فلما فرغ منه قدم عليه غسلُ نخلٍ وَرَدَ من تَحَنُّا^(١) ، فأكل منه ومن لحم بلشون^(٢) مشوى .

ثم دخل إلى مجلس أنيسه وشرب مع ندمائه ، فأستحال ذلك خِلَطا رديئا لزم منه الفراش من ليلته .

ثم أصبح وعليه حمى شديدة الحرارة ، ثم تنوع مرضه ، وأخذ في الزيادة من اليوم الثالث وليلة الرابع ، وهو البُحْران^(٤) الأول ، فأنذر عن السابغ إنذارا رديئا لشدة الحمى وضعف القوة ، حتى أيس منه ، وأرجف بموته في يوم السبت تاسعه ، وأستمر أمره في الزيادة إلى يوم الأربعاء ثالث عشره ، فقوى الإرجاف بموته ، وغلقت الأسواق ، فركب والى ونادى بالأمان .

فلما أصبح يوم الخميس أستدعى السلطان الخليفة المتوكل على الله وقضاة القضاة وسائر الأمراء وجميع أرباب الدولة ، فحضر الجميع في مجلس السلطان ، فحدثهم السلطان في العهد لأولاده ، وأبتدأ^(٥) الخليفة بالحلف للأُمير فرج ابن السلطان ، وأنه هو السلطان بعد وفاة أبيه .

ثم حلف القضاة والأمراء وجميع أرباب الدولة ، وتولى تحليفهم كاتب السر فتح الله ، فلما تم الحلف للأُمير فرج ، حلقوا أن يكون القائم بعد فرج أخوه عبد العزيز ، وبعد عبد العزيز أخوهما إبراهيم .

(١) تَحَنَّا ، بفتح الكاف وسكون الخاء المعجمة وفتح التاء المثناة من فرق ثم ألف : بلدة في أقصى الشمال من الشام ، (عن تقويم البلدان لأبي الفداء إسماعيل ص ٢٦٢) .

(٢) بلشون ، بفتح أوله وسكون ثانيه وشين مضمومة : كلمة قبطية . مدلولها طائر (عن دروزي) .

(٣) رواية (ف) : « فيه » .

(٤) البُحْران : كلمة مولدة ، ومعناها شدة حر شهر تموز (يوافق شهر يوليو) عن شفاء الغليل لشهاب الدين أحمد الخفاجي .

(٥) رواية (ف) : « فابتدأ » .

ثم كُتِبَتْ وصيةُ السلطان، فأوصى لزوجاته وسراريه وحُدامه بمائتي ألف دينار
وعشرين ألف دينار، وأن يُعَمَّر له تربة بالصحرَاء خارج باب النصر تجاه تربة

- (١) هذه التربة يقال لها : تربة الظاهر برقوق أو المدرسة الناصرية بالصحرَاء أو الخانقاه البرقوقية ، هي أكبر تربة وجدت في جبانات القاهرة فهي تشمل مسجداً فسيح الأجزاء ، مستكلاً جميع معدات الصلاة والتدريس ، وعلى خانقاه ذات خلاوى عدة للصوفية ، وعلى سبيلين يعلوهما مكتبان في الوجهة الغربية التي يعلوها أيضاً منارتان ، وفي الجهة الشرقية قبتان تحت القبة البحرية ، منها قبر الملك الظاهر برقوق المتوفى سنة ٨٠١ هـ وقبور أولاده ما عدا ابنه الملك الناصر فرج الذي أنشأ هذه التربة العظيمة ، فانه قتل في الشام في سنة ٨١٥ هـ ودفن بمقبرة باب القرايس بدمشق . ويستفاد مما ذكره المقرئ في خطه عند الكلام على المقابر خارج باب النصر (ص ٤٦٣ ج ٢) ، ومن الكتابات المنقوشة في بعض مواضع من هذه التربة أن الذي أنشأها هو الملك الناصر فرج بن برقوق ، فبدأ في عمارتها سنة ٨٠١ هـ وفرغ منها في سنة ٨١٣ هـ ، ولذلك يقال لها المدرسة الناصرية نسبة إلى الملك الناصر المذكور . وهذه التربة واحة بحرى جبانة المالك ، بينها وبين جبانة العباسية الجديدة المعروفة بجبانة الفغير بالقاهرة . وقد قامت إدارة حفظ الآثار العربية بترميم وإصلاح هذه العمارة الفخمة حتى أعادتها إلى حالتها الأولى .
- (٢) باب النصر ، هو أحد أبواب مدينة القاهرة القديمة ، وإحفاً لما ذكرته عن هذا الباب في ص ٣٨ من الجزء الرابع من هذه الطبعة أذكر أن باب النصر الحالى أنشأه أمير الجيوش بدر الجالى وزير الخليفة المنتصر الفاطمى في سنة ٤٨٠ هـ = ١٠٨٧ م وهو من أقدم وأجل الأبنية الحربية الباقية في مصر . وجهته تتكون من بدنتين مربعتين نقش عليهما في الحجر أشكال تمثل بعض آلات الحرب من سيوف وروس ، ويتوسط البنتين باب شاهق ويعلو الوجهة إفريز يحيط بالبنتين به كتابة تضمنت اسم المنشئ وتاريخ الإنشاء .
- (٣) تربة الأمير يونس ، هذه التربة هي التي ذكرها المقرئ في خطه باسم خانقاه يونس (ص ٤٢٦ ج ٢) فقال : إن هذه الخانقاه من جملة ميدان القيق بالقرب من قبة النصر خارج باب النصر ، أدركت موضعها وبه عواميد تعرف بعواميد السباق ، وهي أول مكان بنى هناك . أنشأه الأمير يونس النوروزى الدوادار . وأقول : إن الأمير يونس قتل في الشام ولم يدفن في هذه التربة التي بمعايتها بين لي أنها لا تزال قائمة في الجهة الشمالية من تربة السلطان برقوق التي تعرف بالمدرسة الناصرية بصحرَاء جبانة المالك والباقي منها قبة ، وهي التي كان دفن تحتها الأمير آنص العثاقى ، ولما أتم ولده السلطان برقوق بناء مدرسته التي بين القصرين نقل جثة والده إلى هذه المدرسة التي سبقت التعليق عليها في الكلام على ولاية السلطان برقوق سنة ٧٨٦ هـ

الأمير يونس الدوادار بثمانين ألف دينار ، ويُشترى بما فَضَّلَ عن عمارة التربة^(١) المذكورة عقاراً ليوَقَفَ عليها ، وأن يُدفن السلطان الملك الظاهر برقوق بها في لحد تحت أرجل الفقراء : وهم الشيخ علاء الدين السيرامي الحنفي ، والشيخ أمين الدين الخلواقي الحنفي ، والمعتقد عبد الله الجبرقي ، والمعتقد طلحة ، والشيخ المعتقد أبو بكر البجائي ، والمجذوب أحمد الزهوي ، وقزُر أن يكون الأمير الكبير أَيْتَمَش هو القائم بعده بتدبير ابنه فرج ، وأن يكون وصياً على تركته ومعه تَغْرَى بردى بن شَبِغَا^(٢) أمير السلاح ، أعنى عن الوالد ، والأمير بيبرس الدوادار ابن أخت السلطان بعدهما ، ثم الأمير قطلوبغا الكركي أحد أمراء العشرات ، ثم الأمير يلبغا السالمي أحد أمراء العشرات أيضا ، ثم سعد الدين إبراهيم بن غراب ، وجعل الخليفة ناظرا على الجميع .

ثم آنَفَضَ المجلس ونظر الأمراء بأسرهم في خدمة الأمير الكبير أَيْتَمَش البجائي إلى منزله ، فوَعَدَ الناس أنه يُنْطَلِ المظالم وأخذ البراطيل على المناصب والولايات .

وأكثر السلطان في مرضه من الصدقات ، فبلغ ما تصدَّقَ به في هذا المرض أربعة عشرة ألف دينار وتسعمائة دينار وتسعة وتسعين دينارا ، وأخذ في التزع من بعد الظهر إلى أن مات السلطان الملك الظاهر برقوق من ليلته بعد نصف الليل .^(٣) وهي ليلة الجمعة خامس عشر شوال ، وقد تجاوز ستين سنة من العمر ، بعد أن حكم على الديار المصرية والممالك الشامية أميرا كبيرا مدبرا وسلطانا إحدى وعشرين سنة وسبعة وخمسين يوما ، منها تحكَّمه بديار مصر ، بعد مسك الأمير الكبير طشتمر العلاني الدوادار أربع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام ، وكان يسمَّى إذ ذاك بالأمير

(١) رواية (ف) : « من » . (٢) رواية (ف) : « وجعله وصيا على تركته » .

(٣) رواية (ف) : « من شَبِغَا » . (٤) رواية (ف) : « ومئة وتسعين » .

الكبير نظام الملك ، ومنذ تسلطن سلطته الأولى في يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعائة إلى أن خُلع وأُختفى في واقعة الناصري ومنطاش في سنة إحدى وتسعين وسبعائة ، ست سنين وثمانية أشهر وسبعة عشر يوما ، وتسلطن عوضه الملك المنصور حاجيَّ ابن الملك الأشرف شعبان بن حسين ، ودام مخلوعا محبوسا ، ثم خارجا بالبلاد الشامية ثمانية أشهر وستة عشر يوما ، وأُعيد إلى السلطنة ثانية ، فمن يوم أُعيد إلى سلطته ثانية إلى أن مات في ليلة الجمعة المذكورة تسع سنين وثمانية أشهر ، وتسلطن من بعده ابنه الملك الناصر فرج وجلس على تخت الملك حسبا يأتي ذكره في سلطته .

ثم أخذ الأمراء في تجهيز السلطان الظاهر برقوق - رحمه الله - وغُسل وكُفّن ، وصُلّي عليه بالقلعة قاضي القضاة صدر الدين المناوي ، وحمل نعشه سائر الأمراء على أعناقهم إلى تربته ، فُدِن بها - حيث أوصى - على قارعة الطريق ، ولم يكن بذلك المكان يوم ذلك حائط ، وُدِن قبل صلاة الجمعة ، ونزل أمام نعشه سائر الأمراء وأرباب الدولة مشاة يصيحون ويصرخون بالبكاء والعيول ، وقد أمثلت طرق الصحراء بالجوارى والنساء السييات الحاسرات منشّرات الشعور من حرم ممالكه وحواشيه ، فكان يوما فيه عبرة لمن اعتبر ، ولم يُعهد قبله أحد من ملوك مصر دُفِن نهارا غيره ، وصُربت الخيام على قبره ، وقرئ القرآن أياما . ومُذت لهم الأسمطة العامة الهائلة ، وتردّت أكابر الدول في كل ليلة إلى قبره عدة أيام وكثُر أسف الناس عليه .

(١) جمع سبّة ، وهي المرأة المنهوبة المأسورة .

قلتُ : وهو أول من ولي السلطنة من الجراكسة بالديار المصرية بعد الملك المظفر بيبرس الجاشنكير، على خلاف في بيبرس ، وهو القائم بدولة الجراكسة ، وقد تقدم ذكر ذلك كله في أول ترجمته .

وخلف من الأولاد ثلاثة ذكور : الملك الناصر فرجا ، وأمه أم ولد رومية تُسمى : « شيرين » وهى بنت عم الوالد ، وقيل : أخته ، وماتت فى سلطنة ابنها الملك الناصر فرج . وعبد العزيز ، وأمه أم ولد أيضا تركية الجنس ، تُسمى قنق باى ، ماتت فى سنة خمس وثلاثين وثمانمائة ، وإبراهيم ، وأمه خوند بركة ، ماتت فى أواخر دولة الملك الأشرف برسباى .

وخلف أيضا ثلاث بنات : خوند سارة وأمه أم ولد ، تزوجها الأمير نوروز الحافظى ، ثم مقبل الرومى ، وماتت فى سنة ست عشر وثمانمائة بطريق دمشق ، رخوند بيوم وأمه خوند هاجر بنت منكلى بغا الشمسى ، تزوجها إينال باى بن بقماس ، وماتت بالطاعون فى سنة تسع عشرة وثمانمائة وخوند زينب ، وأمه أم ولد ، تزوجها الملك المؤيد شيخ ، ثم من بعده الأتابك بقق ، وماتت فى حدود سنة ثلاثين وثمانمائة .

وخلف فى الخزانة وغيرها من الذهب العين ألف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار ، ومن الغلال والقنود^(١) والأعسال والسكر والياب وأنواع القرو ما قيمته أيضا ألف ألف دينار وأربعمائة ألف دينار .

وخلف من الخيل نحو ستة آلاف فرس ، ومن الجبال نحو خمسة آلاف جمل ، ومن البغال وحمير التراب عدة كبيرة .

(١) القنود : جمع قند ، وهو عمل تصب السكر إذا جدد ؛ عن شرح القاموس .

وبلغت عدّة ممالكه المشتروات خمسة آلاف مملوك، وبلغت جوامك ممالكه^(١) في كل شهر نحو أربعائة ألف درهم فضة، وعليق خيولهم في الشهر ثلاثة عشر ألف إردب شعير، وعليق خيوله بالإسطبل السلطاني وغيره، وجمال النّقر وأبقار السواقي وحير التراب في كل شهر أحد عشر ألف إردب من الشعير والفول.

- وكان مليكا جليلا حازما شهما شجاعا مقداما صارما قَظَنا عارفا بالأُمور والوقائع والحرّوب، ومما يدل على فرط شجاعته وتُوبُهُ على المُلك وهو من جملة أمراء الطبلخانات، وتملكه الديار المصرية من تلك الشجعان، وما وقع له مع الناصري ومنطاش عند خلعهِ من السلطنة كان خذلانا من الله تعالى (ليَقْضَى الله أمرا كان مفعولا)، وما وقع له بعد خروجه من حبس الكرك^(٢)، فهو من أكبر الأدلة على شجاعته وإقدامه.

وكان — رحمه الله — سيّوسا عاقلا ثَبَنا، وعنده شهامة عظيمة ورأى جيد ومكرّ شديد وحَدَس صائب، وكان يَتَرَوَى في الشيء المُتَدَّة الطويلة حتى يفعلهُ، ويتأتّى في أموره، مع طمع كان فيه وشَرِه في جمع المال، وكان يَحِبُّ الاستِخْار

- (١) الجوامك، هي رواتب خدام الدولة (تعريب جامكي وهو مركب من جامه، أي قبة، ومن كي، وهو أداة النسب وهي كلمة فارسية (عن الألفاظ الفارسية المعربة لأدى شير الكلداني).
- (٢) الإسطبل السلطاني، يستفاد مما ذكره المقرئ في خططه عند الكلام على صفة القلعة (ص ٢٠٤ ج ٢)، وعلى الميدان بالقلعة (ص ٢٢٨ ج ٢) أن هذا الإسطبل مكانه اليوم بمجموعة المباني التي بها مخازن ورش الجيش المصري بالقلعة الواقعة على يمين الداخل من باب العزب الذي كانت يسمى قديما باب الإسطبل في المسافة الممتدة بين جامع أحمد أغا قيوچي إلى نهاية الورش من جهاتها الغربية والقلبية والشرقية، هذا مع العلم بأن المكان الحالي للإسطبل المذكور ليس في منسوب أرض قلعة الجبل، بل هو في مستوى منخفض مما عليه القلعة، ويحيط به السور الأسفل الغربي المشرف على ميدان صلاح الدين بالقاهرة. (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٧ من هذا الجزء.

من الممالك ، ويُقدّم جنس الممالك الجراكسة على غيره ، ثم ندم على ذلك في أواخر عمره ، بعد فتنة على باي .

وكان يُحب اقتناء الخيول والجمال ، وكان يتصدى للأحكام بنفسه ويباشِر أحكام المملكة برأيه وتديره ، فيصيب في غالب أموره ، على أنه كان كثير المشورة لأرباب التجارب ، يأخذ رأيهم فيما يفعلُه ، ثم يقيس رأيهم على حدسه ، فيظهر له ما يفعله .

وكان يحب أهل الخير والصلاح ، وله اعتقاد جيد في الفقراء والصلحاء ، وكان يقوم للفقهاء والصلحاء إذا دخل عليه أحد منهم ، ولم يكن يُعهد هذا من ملك كان قبله من ملوك مصر ، على أنه صار يعرض من الفقهاء في سلطته الثانية ، من أجل أنهم أفتوا في قتاله وقتله ، لاسيما القاضي ناصر الدين ابن بنت ملى ، فإنه كان كثير الاعتقاد فيه ، ومع شدة حنقه عليهم كان لا يترك إكرامهم .

وكان كثير الصدقات والمعروف ، أوقف ناحية بهتيت على سحابة تسير مع الحج إلى مكة في كل سنة ، ومعها جمال تحمل المشاة من الحاج وتَصْرِف لهم ما يحتاجون

(١) بهتيت : هي بذاتها ناحية بهتيم ، أصلها من المدن المصرية القديمة ، اسمها المصري « حنب حيم » والقبلي « بهتيت » وذكرها ابن دقاق في كتاب الانتصار فقال : « بهتيت من المدن القديمة وبها كيان وآثار قديمة » (وهي إلى جانب قرية الأسيرية من ضواحي القاهرة) وذكرها المقرئ في خطه عند الكلام على ضواحي القاهرة (ص ١٢٠ ج ٢) باسم بهتين ثم حُرف اسمها بعد ذلك من بهتيت وبهتين إلى بهتيم وهو اسمها الحالي ، وهي الآن قرية زراعية من قرى ضواحي القاهرة . وقد اتخذت للجمية الزراعية الملكية جزءا من أراضي هذه البلدة حقولا للتجارب الزراعية ، وأنشأت بها مزرعة نموذجية كبيرة ، وحظائر لزربية الخيول العربية وأنواع البقر والجاموس والأغنام والدراجن وغيرها . وتقع بهتيم في شمال القاهرة على بعد سبعة كيلو مترات . ومساحة أراضيها ٢٦٣٢ فداناً . وسكانها حوالي ٦٠٠٠ نسمة بما فيهم سكان العزب التابعة لها وعددها ٣٣ عزبة . (انظر النجوم الزاهرة طبع دار الكتب المصرية ج ١٠ ص ١٥٦) .

(٢) يريد بالسحابة ها هنا طائفة من يرافقون الحاج للعائفة عليه .

- إليه من الماء، والزاد ذهابا وإيابا ، ووقف أيضا أرضا على قبور إخوة يوسف^(١) عليه السلام بالقرافة ، وكان يذبح دائما في طول أيام إمارته وسلطته في كل يوم من أيام شهر رمضان نحسا وعشرين بقرة ، يتصدق بها بعد ما أن تُطبخ ، ومعها آلاف من أرغفة الخبز التني ، تُفرَّق على أهل الجوامع والمساجد والربط^(٢) وأهل السجون ، لكل إنسان رطل لحم مطبوخ ، وثلاثة أرغفة ، وهذا ، غير ما كان يفرق في الزوايا من اللحم أيضا ، فإنه كان يُعطى لكل زاوية خمسين رطلا من اللحم الضأن ، وعدة أرغفة في كل يوم ، وفيهم من يعطى أكثر من ذلك بحسب حالهم وكان يفرق في كل سنة في أهل العلم والصلاح مائتي ألف درهم ، الواحد إلى مائة دينار، وكان يفرق في فقراء القرافتين لكل فقير من دينار إلى أكثر وأقل ، ويفرَّق في كل سنة ثمانية آلاف إردب قمحا على أهل الخير وأرباب الصلاح .
- ١٠ .

وبيعت في كل سنة إلى بلاد الحجاز ثلاثة آلاف إردب قمحا ، تُفرَّق في الحرمين وفرق في مدة الفلاء كل يوم أربعين إردبا ، عنها ثمانية آلاف رغيف ، فلم يمت فيه أحد من الجوع .

(١) قبور إخوة يوسف ، بما أن هذه القبور تقع في أرض القرافة الكبرى ، وهذه القرافة قد زالت ، وعليه لا يمكننا أن نتعرف قبور إخوة يوسف عليه السلام .

(٢) القرافة ، هي القرافة الكبرى ، مكانها اليوم أرض فضاء لا بناء فيها بين مصر القديمة وجبالة الإمام الليث (عن كتاب الكواكب السيارة لابن الزيات) . وراجع الحاشية رقم ٢ ج ٨ ص ٣٨ .

(٣) الربط : جمع رباط ، وهي دار يسكنها أهل طريق الله من الفقراء . قال ابن سيدة : الرباط من الخيل الخمس فما فوقها ، والرباط والمرابطة ملازمة نهر العدو وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله . ثم صار لزوم النهر رباطا (انظر خطط المقرئ ج ٢ ص ٤٢٧) .

(٤) يريد بالقرافتين : الكبرى والصغرى .

وكان غير هذا كله يبعث في كل قليل بجملة من الذهب تُفَزَق في الفقهاء والفقراء ، حتى إنه تصدق مرة بخمسين ألف دينار مصرية على يد خازن داره العبد الصالح الطواشي صندل المنجكي الرومي .

وأبطل عدّة مكوس : منها ما كان يؤخذ من أهل سُورى ^(١) وبلطيم ^(٢) من البرلس ^(٣) ، وكانت شبه الجالية في كل سنة . قلتُ : أُعيد ذلك في سلطنة الملك الظاهر جفّ ق .

وأبطل ما كان يؤخذ على القمح بشغردمياط ^(٥) عما يتباعه الفقراء وغيرهم .

(١) سُورى ، هي قرية من القرى التي بإقليم البرلس الواقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط في شمال الدلتا ، وهذه القرية هي الآن من توابع بلدة البرج التي كانت تسمى قديماً البرلس بمأودية البرلس بمديرية الغربية بمصر .

(٢) بلطيم ، هي من القرى القديمة في مصر اسمها الأصلي « اطوم » ووردت في رحلة ابن بطوطة باسم ملطيم ، وقال إنها قرية قرب البرلس ، ووردت في قوانين الدواوين لابن سحاق بلطيم من أعمال النسيّاوية ، وهي الآن قاعدة مأودية البرلس بمديرية الغربية بمصر ، وفي سنة ١٩٣٣ م أصدر وزير المالية قراراً بفصلها بزمان خاص بها من أراضي تلك الناحية ، وبذلك أصبحت ناحية مالية قائمة بذاتها .

(٣) كانت البرلس من الثغور المصرية القديمة الواقعة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط بين دمياط ورشيد ، وإليها تنسب بحيرة البرلس الواقعة في شمال مديرية الغربية . واسمها الرومي « بارالوس » ويطلق اسم البرلس أيضاً على المنطقة الساحلية المعروفة بإقليم البرلس الممتدة بين البحر الأبيض وبين بحيرة البرلس . ومن الحكم الأيوبي أنشأت الحكومة بقرية البرلس قلعة على شاطئ البحر أشهرت بين الأهالي « بالبرج » ، ومن ذلك الوقت عرفت قرية البرلس باسم « البرج » ، واختفى اسمها الأصلي ، إلا أن البرلس لا تزال عداً على إقليم البرلس كما ذكرت . وهذا الإقليم يشمل عدة قرى ، منها قرية « البرج » وكلها تابعة لمركز كفر الشيخ بمديرية الغربية .

(٤) الجالية ، أي الجوالى ، وهي نوع من الضرائب (عن دوزى) .

(٥) شغردمياط : سبق التعليق عليه في الحاشية رقم ٤ ص ٤٠ من هذا الجزء .

وَأَبْطَلَ مَكْسَ مَعْمَلِ الْفَرَارِيحِ بِالنَّحْرِيَّةِ وَمَا مَعَهَا مِنْ بِلَادِ الْغَرْبِيَّةِ ، وَأَبْطَلَ
مَكْسَ الْمَلْحِ بِعَيْنَتَابِ ^(٢) ، وَمَكْسَ الدَّقِيقِ بِالْيَبْرِ ^(٣) ، وَأَبْطَلَ مِنْ طَرَابُلُسَ ^(٤) مَا كَانَ مَقَرًّا
عَلَى قُضَاةِ الْبَرِّ وَوَلَاةِ الْأَعْمَالِ عِنْدَ قُدُومِ النَّائِبِ إِلَيْهَا ، وَهُوَ مَبْلَغُ خَمْسَمِائَةِ دَرَاهِمٍ عَلَى
كُلِّ مِنْهُمْ ، أَوْ بَغْلَةً بِدَلِّ ذَلِكَ .

وَأَبْطَلَ مَا كَانَ يُؤْخَذُ عَلَى الدَّرِّيسِ وَالْحُلَفَاءِ بِبَابِ النَّصْرِ خَارِجَ الْقَاهِرَةِ .

(١) النجيرية : هذه البلدة هي التي تعرف اليوم باسم النجارية إحدى قرى مركز كفر الزيات بمديرية
الغربية بمصر ، والنجيرية هو اسمها الأصلي في الديوان ، وردت به في قوانين لدواوين لابن ماق .
وفي تحفة الارشاد ، وفي التحفة السنية لابن الجيعان من أعمال الغربية ، ومن بعد الروك الناصري
حرف اسمها إلى النجراوية ، فقد وردت به في رحلة ابن بطوطة في كتاب وقف السلطان قايتباي ،
وفي دليل أسماء البلاد المصرية المحرر في سنة ١٢٢٤ هـ ، وفي الخطط التوفيقية مضبوطة برامين مهملتين
بينهما ألف ، وردت في بعض الكتب باسم النجراوية ، ويحتمل أن يكون ذلك من القلص وقت الطبع
لتشابه الحروف ، وفي العهد العثماني حرف اسمها للمرة الثانية إلى النجارية ، وهو اسمها الحالي ، وردت
به في تاج العروس للزبيدي ، وفي تاويع سنة ١٢٢٨ هـ .

ويستفاد مما قرأته في عدة كتب عن هذه البلدة ، أنها كانت في بدء تكوينها ضيعة للأمير نحرير الأغرل
الاخشيدي في القرن الرابع الهجري ، فنسبت إليه ، وفي سنة ٧٢٦ هـ كانت في إقطاع الأمير شمس الدين
سفر السعدي نقيب الجيوش المنصورة ، فأنشأ بها جامعا وطاحونا وخانا . ثم تزايدت في العماره حتى صارت
بلدة كبيرة ذات إيراد عظيم ، ثم خرج عنها الأمير شمس الدين للناصر محمد بن قلاوون ، فانتزع أمرها
وأنشأ فيها زيادة عن ثلاثين بستانا ، وأصبحت مدينة كبيرة ذات أسواق ودكاكين وقياسر وفنادق
وعدة مساجد وحمامات ومعاصر للزيت ، وفيها تجار مياسير ، ورغبت الناس في سكناها ، وبنوا بها الدور
والقصور ، وبني بها الملك الناصر جامعا كبيرا وسماه المحمودية وكان به ٣٥٠ عمودا ، ورتب فيه عشرين
درسا ، ووقف عليه أوقافا جليلة . وقد أندثر كل ذلك وأصبحت تلك المدينة الآن قرية زراعية تبلغ
مساحة أرضها ١٩٥٠ فداناً ، وعدد سكانها حوالي ٥٠٠٠ نفس بما فيهم سكان العرب التابعة لها

(٢) عينتاب : بلدة كبيرة ، بها قلعة حصينة ورساق بين حلب وأطاكية .

(٣) اليرة : بلد قرب سيماسط بين حلب والنفور الرومية ، وهي قلعة حصينة مرتفعة على حافة الفرات
في البر الشرق الشامي ، ولها واد يعرف بوادى الزيتون ، به أشجار وأعين (عن معجم البلدان لياقوت ج ١
ص ٧٨٧) . وعن تقويم البلدان لأبي الفداء : إسماعيل .

(٤) طرابلس : راجع الحاشية رقم ١ ص ٦٠ من هذا الجزء .

وَأَبْطَلْ ضِمَانُ الْمَغَانِي بِمَدِينَةِ الْكَرْكِ وَالشُّوبِكِ ^(١) ، وَبِمِنَةِ ابْنِ خَصِيبٍ ^(٢) ، وَأَعْمَالِ ^(٣)
الْأَشْمُونِيِّينَ وَزَقَّةَ ^(٤) وَمِنَةَ غَمْرٍ ^(٥) . ^(٦)

(١) الكرك : راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٧ من هذا الجزء . (٢) الشوبك : قلعة من

قلاع الكرك . (انظرها في ياقوت ج ٣ ص ٣٣٢) . (وفي صبح الأعشى ج ٢ ص ١٥٦) .

(٣) منية ابن خصيب : واقعة على الشاطئ الغربي للنيل ، سميت منية الخصيب نسبة إلى الخصيب

ابن عبد الحميد صاحب خراج مصر في عهد الخليفة هارون الرشيد العباسي ، ويقال لها : منية ابن خصيب

وقد ورد اسمها في معجم البلدان : منية ابن خصيب . وفي الخطط المقرزية : منية الخصيب وفي التحفة

السنية لابن الجيعان : منية بن خصيب في إقليم الأشمونيين . وقد حذف المضاف إليه واستبدل به أداة

لتعريف اختصاراً ، فاشتهرت باسم المنية ثم المنيا ، وهو اسمها الحالي . وكانت في الزمن الماضي إحدى قرى

الأشمونيين . ولما أُنشئت مديرية الإقليم الوسطى في سنة ١٢٤٥ هـ - ١٨٣٠ م محل البهساوية نقلت

قاعدتها إلى مدينة المنيا . وفي سنة ١٢٤٩ هـ - ١٨٣٣ م أُنشئت مديرية المنيا لأول مرة في جغرافية

مصر فأصبحت المنيا قاعدتها إلى اليوم .

(٤) الأشمونيين : كانت في عهد الفراعنة قسماً من أقسام مصر بالوجه القبلي يسمى « أونو » . وفي

عهد الرومان « هرموبوليس » وفي عهد العرب « كوره الأشمونيين » وهو اسم قاعدتها وفي أيام

الدولة الفاطمية أضيف إليها كورتان آخرتان فأصبحت إقليماً كبيراً عرف بأعمال الأشمونيين ، ثم ولاية

الأشمونيين ، ثم مأمورية الأشمونيين وفي سنة ١٧٣١ م صدر أمر بالضم هذه المأمورية إلى مأمورية

أسيوط ، وبذلك اختفى اسم الأشمونيين من الأقسام الإدارية بمصر ، وأصبحت بلدة الأشمونيين قرية من

قرى مركز ملوى بمديرية أسيوط بمصر .

(٥) زقة : هي من المدن المصرية القديمة اسمها القبطي « زيت » والعربي « منية زقة » . ووردت

بهذا الاسم في نزهة المشتاق للإدرسي . وهي على الضفة الغربية للنهر . وفي معجم البلدان لياقوت :

« منية زقا » قرية في شمال مصر على فوهة النهر الذي يؤدي إلى دياط ويقال لها منية غمر . وورد اسمها

في توائين ابن ماق . وفي تحفة الإرشاد : « منية زفتى جواد » من أعمال جزيرة قويسنا . ووردت

في التحفة السنية لابن الجيعان ومباحج الفكر : « منية زفتى جواد » من أعمال الغربية . ثم اختصر اسمها

في تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ « زفتى جواد » وفي تاريخ سنة ١٢٦٣ هـ باسم زفتى وهو اسمها الحالي . وهي

مدينة زفتى الواقعة على الفرع الشرقي للنيل (فرع دياط) قاعدة مركز زفتى مديرية الغربية . من المدن

المشورة بالوجه البحري بمصر .

(٦) منية غمر : هذه البلدة هي التي تعرف اليوم باسم ميت عمر ، قاعدة مركز ميت غمر بمديرية

الدقهلية بمصر ، وهي من القرى القديمة ، وردت في نزهة المشتاق للإدرسي ، فقال : وهي قرية لها =

وأُظِّلَ رُمَى الأبقار بعد الفراغ من عمل الجسور بأراضي مصر على البطالين بالوجه البحرى .

وأنشأ بالقاهرة مدرسته التي لم يُعمر مثلها بين القصرين ، ورتب لها صوفية بعد العصر كل يوم ، وجعل بها سبعة دروس لأهل العلم على المذاهب الأربعة أعظمهم بالإيوان القبلى الحنفى ، ثم دَرَسا للتفسير ، ودرسا للحديث ، ودرسا للقرءات . وأَجْرَى على الجميع فى كل يوم الخبز ولحم الضأن المطبوخ ، وفى الشهر الحلوى والزيت والصابون والدراهم ، ووقف على ذلك الأوقاف الجليلة من الأراضى والدور ونحوها .

وعُتِمِر جسر على نهر الأردن^(١) بالفور فى طريق دمشق^(٢) ، طوله مائة وعشرون

ذراعا فى عرض عشرين ذراعا ، وجدَّد خزائن السلاح بشفر الإسكندرية ، وسور

= سور و متاع ودخل وخرج قائم . ووردت فى نواوين الدراوين لابن مافى . وفى التحفة السنية لابن الجيمان مئة عمر من الأعمال الشرقية . وفى الانتصار لابن دقاق وردت محفة باسم مئة غسر ، ثم حرف اسمها فى العهد الثانى من مئة إلى مئة . وردت فى تاريخ سنة ١٢٢٨ د باسمها الحال . وأما مئة حادضى التي تعرف اليوم باسم كفر البطل المشترك مع مئة عمر فى السكن والزمام ، والبطل هذا هو بنة الأمير حاد الذى نصب إليه مئة حاد . ويعرف بالبطل لاعتقاد الناس فيه .

وقد جعلت مئة عمر قاعدة لقسم مئة عمر أحد أقسام مديرية الدقهلية من سنة ١٨٢٦ . ومن أول سنة ١٨٧١ سمى مركز مئة عمر . وقد أصبحت مئة عمر الآن بسبب موقعها على شاطئ النيل الشرق ومركزها التجارى من المدن المصرية يبلغ عدد سكانها حوالى ٢٥٠٠٠ نفس وبها دواوين لجميع المصالح الحكومية وبها مجلس بلدى ومدارس وجوامع ومستشفيات . وبها محكمة أهلية وأخرى شرعية وبها الأسواق والمحال التجارية التي يباع فيها كل ما يسد حاجات الناس . والورش الصناعية والأندية والأماكن والأناب الرياضية والمنزهات ، ولها كورنيش جميل على النيل الذى يمر بالجهة الغربية منها ، ويفصل بينها وبين مدينة زفتى . وبها محطة لسكة حديد الحكومة الموصلة بين الزقازيق وطلطا . ومحطة أخرى لشركة سكة حديد الدلتا الموصلة من المنصورة إلى بها ، ثم إلى القناطر الخيرية .

(١) نهر الأردن : المقصوده الأردن الكبير ، وهو نهر يصب إلى بحيرة طبرية ، بينه وبين طبرية لمن عبر البحيرة فى زورق آتيا عشرين ميلا ، تجتمع فيه المياه من جبال ونيون ، تنجرى فى هذا النهر تسقى أكثر ضياع جند الأردن مما يل ساحل الشام وطريق صور ، ثم تنصب تلك المياه إلى البحيرة التي عند طبرية . وطبرية : على طرف جبل يشرف على هذه البحيرة ، فهذا النهر (أعنى الأردن الكبير) بينه وبين طبرية البحرية

(٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٤ من هذا الجزء .

دمنهور^(١)، وعمر جبال الشرقية بالفسيوم^(٢)، وزاوية البرزخ بدمياط^(٣)، وقناة العروب
بالقدس، وبني أيضا بركة بطريق الحجاز، وبركة أخرى برأس وادي بني سالم

(١) دمنهور: قاعدة مديرية البحيرة إحدى مديريات الوجه البحري بمصر، وهي من المدن المصرية
القديمة، اسمها المصري القديم دمنهور، وهو اسمها الحالي الذي لم يطرأ عليه أي تحريف من العهد الفرعوني
إلى اليوم. ومعناها مدينة الإله هوريس وهو الصقر الذي يسميه اليونان: «أبولون». ولما تولى
البطالسة حكم مصر، وجدوا أغلب سكّان مدينة دمنهور مقتنين عبادة الإله هرمس، ولذلك سموها
هرموبوليس بارقا أي مدينة الإله هرمس الصغيرة، تمييزا لها من هرموبوليس نخا، أي الكبيرة وهي
الأشمونين التي بمركز ملوى. واحتفظ القبط والعرب باسمها القديم وهو دمنهور إلى اليوم.

ودمنهور هي قاعدة إقليم غربى الدلتا من عهد الفراعنة. ولما تولى العرب حكم مصر أطلقوا على هذا
الإقليم اسم الحسوف الغربى، وقسموا مدينة دمنهور إلى ست نواح، وهي دمنهور الوحش واسكنيدة
(سكنيدة) وقرطسا وطاموس (أبو الریش) ونقرها وشبرومينا (شبرا الدمنهورية) وجعلوا لكل ناحية
من هذه النواحي زماما خاصا بها من الأراضي الزراعية وسكّان معروف باسمها، وسكن هذه النواحي يجمعه
الآن سكن واحد ويطلق عليه اسم دمنهور.

وفي أيام الدولة الفاطمية قسم الحوف الغربى إلى كورتين: هما كورة البحيرة وقاعدتها دمنهور وكورة
حوف رمسيس وقاعدتها مدينة رمسيس، وهذه اليوم إحدى قرى مركز إيتاي البارود وفي سنة ٧١٥ هـ
أصدر الملك الناصر محمد بن قلاوون مرسوما بالغاء حوف رمسيس، وجعل البحيرة كلها إقليما واحدا باسم
البحيرة وقاعدته مدينة دمنهور.

وبسبب زيادة عدد سكان المدينة وكثرة ما يقع فيها من مخالفات اللوائح العامة التي نشأ عنها كثرة أعمال
الضبط والأعمال الإدارية والمالية، أصدر ناظر الداخلية قرارا في فبراير سنة ١٩١٢ بفصل مدينة دمنهور
عن بلاد مركز دمنهور، وجعلها مأمورية قائمة بذاتها باسم بندردمنهور.

ومدينة دمنهور هي اليوم من كبريات المدن المصرية، يبلغ عدد سكانها حوالى ٦٦٠٠٠ نفس،
وبها كل ما يلزم سكانها من معاهد العلم على اختلاف أنواعها، وبها كلية الزراعة التابعة لجامعة فاروق
الأول بالإسكندرية، وبها المساجد والمستشفيات والمصالح الأميرية والمحاكم، ومحال القطن الكبيرة
والمحال التجارية التي يباع فيها كل ما يسد حاجات الناس، وكذلك بها الفنادق والأندية وأماكن الألعاب
الرياضية ودور السينما، وهي بالإجمال من المدن المصرية الجامعة لأسباب الحضارة ووسائل المدنية.

(٢) راجع صفحة ٢٥٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا.

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣١٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا.

وجدد عمارة القناة التي تحمل ماء النيل إلى قلعة الجبل ، وجدد عمارة الميدان من تحت القلعة ، بعد ما كان تحرب ، وسقاه وزرع به القُوط ، وغرس فيه النخل ، وعمر صهرينجا ومكتباً يقرأ فيه أيتام المسلمين القرآن الكريم بقلعة الجبل ، وجعل عليه وقفاً ، وعمر أيضاً بالقلعة طاحونا ، وعمر أيضاً سبيلاً تُجاه باب دار الضيافة تُجاه القلعة .

وخطب له على منابر تبريز^(١)، عند ما أخذها قرا محمد التركاني ، وصُربت الدنانير والدرهم فيها بأسمه وخطب له على منابر الموصل من العراق ، وعلى منابر مَردِين^(٢) بديار بكر ، ومنابر سنجار ، وتغرب عساكره مدينة دُوركي وأرزن كان من أرض الروم .

وكان نائبه بالديار المصرية الأمير سُودون الفخريّ الشيخونى إلى أن مات سُودون المذكور ، فلم يستتب الملك الظاهر أحدا بعده .

وكانت نوابه بدمشق^(٣) (أعنى الذين تولوا في أيام سلطته) : الأمير بُندمر الخوارزمي ، وإشقتمر المارديني ، والطنبغا الجوباني غير مرة ، وطُرنطاي السيفي ،

(١) تبريز : أشهر بلدة بأذربيجان والعامة تسميها توريز . ومبانيها بالقاشاني والجيس والكلس وفيها مدارس حسنة ، ولها غوطة مليحة .

(٢) الموصل : قاعدة ديار الجزيرة وهي على دجلة في جانبها الغربي (تقويم البلدان) .

(٣) ماردن : حصن من بلاد الجزيرة .

(٤) سنجار : في جنوبي نصيبين ، وهي من أحسن المدن ، وليس بالجزيرة بلد فيه نخيل غير سنجار وهي من الموصل على ثلاث مراحل (تقويم البلدان) ملخصا .

(٥) دوركي (بضم الدال المهملة وسكون الواو وكسر الراء والكاف) من بلاد الروم وهي من مضافات حلب . (٦) أرزن : مدينة بديار بكر .

(٧) دمشق : مدينة قديمة مشهورة ، وهي قاعدة الشام وغوطها إحدى متزهات الدنيا الأربعة ، وفي شمالها جبل يعرف بجبل فاسيون زعموا أن عنده قتل قابيل أخاه هابيل . اهـ ملخصا .

ويلبغا الناصري صاحب الوقعة معه، وبُطا الطولوتيمري الظاهري المعروف بقم، ومات الملك الظاهر وهو على نيابتها .

وَنَوَّابُهُ بِحَلَب : يَلْبُغا الناصري غير مرة ، وسُودون المظفري وكَشْبُغا الحموي وقَرَادِمِرْدَاش الأحمدي وجُلْبَان الكَشْبُغاوي الظاهري قَرَأْسُقل وتَفْري بَرْدَى من بَشْبُغا الظاهري (أعني الوالد) وأرغون شاه الإبراهيمي الظاهري وآقْبغا الجمالي الظاهري الأَطْرُوش ، ومات السلطان وهو على نيابتها .

وَنَوَّابُهُ بِطَرَابُلُس مأمور القامطاوي اليلبغاوي وكَشْبغا الحموي اليلبغاوي وأَسْنَدَمِر السيفي ، وقَرَادِمِرْدَاش الأحمدي اليلبغاوي ، وإينال بن نجبا على ، وإياس الخرجاوي ، ودمرداش المحمدي الظاهري ، وأرغون شاه الإبراهيمي الظاهري ، وآقْبغا الجمالي الظاهري الأَطْرُوش ، ويونس بلطا الظاهري ، ومات الملك الظاهر وهو على نيابتها .

وَنَوَّابُهُ بِحَمَّاء : صَنْجَق الحسني ، وسُودون المظفري وسُودون العلاني ، وسُودون العثماني ، وناصر الدين محمد بن المِهْمَنْدَار ، ومأمور القامطاوي اليلبغاوي ، ودمرداش المحمدي الظاهري ولها مَرَّتَيْن ، وآقْبغا السلطاني ، ويونس بلطا الظاهري ، ثم دِمِرْدَاش المحمدي ، ومات برقوق وهو على نيابتها .

(١) حلب : بلدة قديمة ذات قلعة مرتفعة . وبها مقام سيدنا إبراهيم الخليل ، وبها وبين معزة النعمان سنة وثلاثون ميلا .

(٢) طرابلس : مدينة ذات بساتين وأشجار كثيرة وبها وبين بعلبك أربعة وخمسون ميلا وبها وبين دمشق تسعون ميلا .

(٣) حماة : مدينة من أئمة البلاد الشامية ونهر العاصي يحيط بها لها قلعة حسنة البناء ، وهي مشهورة بكثرة النواير دون غيرها من بلاد الشام .

وَتَوَابُهُ بِصَفْدٍ: أَرْكَاسُ السِّبْيِ، وَبَتَّاحُ السُّودُونِ، وَارْعُونُ شَاهُ الْإِبْرَاهِيمِيِّ
الظَاهِرِيِّ، وَأَقْبُنَا الْجَمَالِيُّ الْأَطْرُوشُ الظَّاهِرِيُّ، وَاحْمَدُ بْنُ الشَّيْخِ عَلِيٍّ، وَالطَّنْبُغَا
الْعِمَانِيُّ الظَّاهِرِيُّ، وَمَاتَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ وَهُوَ عَلَى نِيَابَتِهَا .

وَتَوَابُهُ بِالْكُرْكِ: طُغَايُ ثَمَرِ الْقِبْلَانِيِّ، وَمَامُورُ الْقَلَمْطَاوِيِّ، الْيَلْبُغَاوِيُّ، وَقُدَيْدُ
الْقَلَمْطَاوِيِّ الْيَلْبُغَاوِيِّ، وَيُونُسُ الْقَشْتَمَرِيُّ، وَاحْمَدُ بْنُ الشَّيْخِ عَلِيٍّ، وَبَتَّاحُ
السُّودُونِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَبَارَكِ شَاهِ الْمَهَنْدَارِ، وَالطَّنْبُغَا الْحَاجِبُ، وَسُودُونُ الظَّرِيفِ
الظَّاهِرِيِّ الشَّمْسِيِّ، وَمَاتَ السُّلْطَانُ وَهُوَ عَلَى نِيَابَتِهَا .

وَتَوَابُهُ بِغَزَّةٍ: قُطْلُوبُغَا الصَّفَوِيِّ وَأَقْبُنَا الصَّغِيرِ، وَيَلْبُغَا الْقَشْتَمَرِيِّ، وَالطَّنْبُغَا
الْعِمَانِيُّ الظَّاهِرِيُّ، وَبَيْتَجْبَا الشَّرْفِيِّ الْمَدْعُو طَيْفُورُ، وَالطَّنْبُغَا الْحَاجِبُ، وَمَاتَ الْمَلِكُ
الظَّاهِرُ وَهُوَ عَلَى نِيَابَتِهَا .



ذِكْرُ قَضَائِهِ بِالْأَيَّامِ الْمَصْرِيَّةِ

فَالثَّانِيَةُ: بُرْهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَمَاعَةٍ، وَبَدْرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْبَتَاءِ،
وَنَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ بَنْتِ مَيْلَقٍ، وَعِمَادُ الدِّينِ أَحْمَدُ الْمُقْبِرِيُّ الْكُرْكِيُّ. وَصَدَرَ لِلدِّينِ
مُحَمَّدِ الْمُنَاوِيِّ، وَتَقَى الدِّينِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الزُّبَيْرِيِّ، ثُمَّ الْمُنَاوِيُّ ثَلَاثَ مَرَّةٍ، وَمَاتَ
السُّلْطَانُ وَهُوَ قَاضٍ .

(١) صَفْدٌ: بَلَدَةٌ مَنُوسَطَةٌ بَيْنَ الْكَبْرِ وَالصَّغْرِ، وَهِيَ مَشْرِقَةٌ عَلَى بَحِيرَةِ طَبْرِيةٍ وَبَعْدَ أَنْ أَسْتَقْبَلَهَا
الْمَلِكُ الظَّاهِرُ مِنْ أَيْدِي الْفَرَنْجِ جَعَلَهَا مَرْكَزًا لِلجَيْشِ الَّذِي يَحْفَظُ الْبِلَادَ السَّاحِلِيَّةَ الَّتِي فِي جِهَتِهَا .

(٢) الْكُرْكُ — بِالْحَرَكِ —: مِنْ مَعَاقِلِ الشَّامِ الَّتِي لَا تَرَامُ وَبِهَا قَبْرِ جَعْفَرِ الطَّيَّارِ وَأَصْحَابِهِ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ — (عَنْ قَوَائِمِ الْبِلَادِ) . (٣) غَزَّةٌ: بَلَدٌ مَنُوسَطَةٌ فِي الْعَظَمِ ذَاتِ بَسَاتِينَ

عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، وَلَهَا قَلْعَةٌ صَغِيرَةٌ قَالَ ابْنُ حَوْقَلٍ: بِهَا قَبْرِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ وَبِهَا وَلَدُ الشَّامِيِّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَفِيهَا أَمْرُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْحَاغَلِيَّةِ .

واخنفية: صدر الدين محمد بن منصور الدمشقي، وشمس الدين محمد الطرابلسي
ومحمد الدين إسماعيل بن إبراهيم، وجمال الدين محمود القيصرى المعجى،
وجمال الدين يوسف الملقى بمات الملك الظاهر وهو قاض.

والمالكية: جمال الدين عبد الرحمن بن خير السكندري، ثم ولّى الدين
عبد الرحمن بن خلدون، وشمس الدين محمد الرزكاري المغربي، وشهاب الدين أحمد
التحريرى، وناصر الدين أحمد بن النسي، ثم ابن خلدون، ومات الملك الظاهر
وهو قاض.

والحنابلة: نصر الدين نصر الله العسقلاني، ثم ابنه برهان الدين إبراهيم،
ومات السلطان وهو قاض.

وأما أصحاب وظائفه من أكابر أمراء مصر فلم يضبطهم أحد من مؤرخي
ملك العصر، واكتفوا بذكرهم عند ولاية أحدهم أو عزله أو موته، إن كانوا
فعلوا ذلك.

ذكر مبشرين دولته، أستاذاريتته: بهادر المتجكي، ثم محمود بن علي بن أصغر
عينه. ثم قرقاس الطشتمرى، ثم عمر بن محمد بن قايمآز، ثم قطلوبك العلائى،
ثم يلغا الأحمدي المجنون، ثم محمد بن سنقر، ثم يلغا المجنون، ومات السلطان
وهو على وظيفته.

ووزراؤه بديار مصر: علم الدين عبد الوهاب المعروف بسنبرة، وشمس الدين
إبراهيم بن كاتب أرنان، وعلم الدين عبد الوهاب بن كاتب سيدي، وكريم الدين
عبد الكريم بن القنّام، وموفق الدين أبو الفرج، وسعد الدين نصر الله بن البقرى،
وناصر الدين محمد بن الحسام، وركن الدين عمر بن قايمآز، وتاج الدين عبد الرحيم
ابن أبي شاكر، وناصر الدين محمد بن رجب بن ككبك، ومبارك شاه، وبدر الدين

محمد بن الطونجي ، وتاج الدين عبد الرزاق بن أبي الفرج ، ومات السلطان وهو وزير .

وكتاب سيره : القاضي بدر الدين محمد بن فضل الله ، وأوحد الدين عبد الواحد ، وعلاء الدين علي المقيري الكركي ، ثم ابن فضل الله ثانيا ، ثم بدر الدين محمود الكلستانى ، وفتح الدين فتح الله ، ومات السلطان وهو كاتب سيره .

ونظار جيشه : تقي الدين عبد الرحمن بن محب الدين ، وموفق الدين أبو الفرج وجمال الدين محمود القيصري المعجمي ، وكريم الدين عبد الكريم بن عبد العزيز ، وشرف الدين محمد الدماميني ، وسعد الدين إبراهيم بن غراب ، ومات السلطان هو ناظر الجيش .

ونظار خاصه : سعد الدين نصر الله بن البقري ، وموفق الدين أبو الفرج ، وسعد الدين أبو الفرج بن تاج الدين موسى كاتب السعدى ، وسعد الدين بن غراب ، ومات السلطان وهو ناظر الجيش والخاص معا ، والله تعالى أعلم .



السنة الأولى من سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية على مصر ، وهى سنة

أثنيتين وتسعين وسبعمائة ، على أن الملك المنصور حاجى بن الملك الأشرف شعبان حكم منها ثمانية أشهر وسبعة أيام من يوم سلطته ، يوم طلوع الملك الظاهر برقوق إلى قلعة الجبل^(١) .

فيها توفى الأمير سيف الدين آقبا بن عبد الله الجوهري اليلبغاوى^(٢) ، كان من أكابر اليلبغاوية وتولى الأستاذارية ومجوبة الحجاب كليهما بديار مصر ، ووقع له

(١) تقدم الكلام على قلعة الجبل في الحاشية رقم ١ ص ٥٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) رواية للملك (ج ٣ ص ٦٥٦) : « الأمير علاء الدين » .

أمور ، وهو أحد من أخرجه الملك الظاهر من حبس منطاش بالإسكندرية ،
 وندبه فيمن ندب من الأمراء لقتال منطاش ، فقتل في وقعة يمحس عن بضع^(١)
 وخمسين سنة . وكان أميراً جليلاً عارفاً يُذكر بمسائل جيدة فقهية وغيرها في عدة
 فنون مع حدة مزاج .

وتوفي الأمير سيف الدين أودبغا بن عبد الله العثماني اليلبغاوي أحد أمراء
 الطبلخانات قتيلاً أيضاً في وقعة منطاش ، وكان من كبار اليلبغاوية .

وتوفي الأمير علاء الدين الطنغا بن عبد الله الجوباني اليلبغاوي نائب الشام قتيلاً
 في واقعة منطاش ، وقد تقدم ذكر موته وكيفية قتله في أوائل سلطنة الملك الظاهر
 برقوق الثانية ، وكان من عظماء المهالك اليلبغاوية ، ولأه الملك الظاهر في سلطته
 الأولى أمير مجلس ، ثم ولأه نيابة الكرك ، ثم نقله إلى نيابة الشام ، ثم قبض عليه
 وحبسه إلى أن أخرجه الناصري بعد خلع الملك الظاهر برقوق وحبسه ، فولأه
 الناصري رأس نوبة الأمراء إلى أن أمسكه منطاش وحبسه بالإسكندرية ثانياً ،
 حتى أخرجه الملك الظاهر برقوق فيمن أخرجه بعد عوده إلى سلطنة مصر ، فولأه
 نيابة الشام ، وندبه لقتال منطاش فتوجه وقاتله ، وقتل في الواقعة ، وتولى
 الناصري نيابة الشام بعده ، ومات الجوباني وقد قارب الخمسين سنة من العمر ،
 وكان حينما غفورا معظماً في الدول متجماً في مركبه ومماليكه ولبسه ، وعنده سياسة
 وأدب ومعرفة ، رحمه الله تعالى .

(١) حبس : إحدى قواعد الشام ، وهي أصح بلاد الشام تربة وليس بها عقارب . ولا حيلت ،
 وشرب أهلها من نهر الدامس .

- وَوُتِّي الأمير سيف الدين قازان اليرقشي^(١) أحدُ أمراء الطبلخانات بالديار المصرية، وكان من حواشي الناصري، قُتل في واقعة منطاش على جِصص، وقيل أن يخرج منطاش بالملك المنصور من مصر لقتال الملك الظاهر برقوق لما خرج من بين الكرك، أمر والي الفيوم في الباطن بقتل جماعة كبيرة من الأمراء ممن كان يجلس الفيوم، ثم سافر منطاش، وبعد سفره بأيام قديم محضّر مفتعل من كاشف الفيوم: أنه لما كان يوم الجمعة حادى عشرين جمادى الآخرة سقط على الأمراء المسجونين حائط صعبهم فأتوا جميعا، فعظم ذلك على الناس إلى الغاية، كونهم من أكابر الأمراء وأعيان الدولة، وهم: الأمير تنكز العثماني اليلغاوى أحدُ أمراء الطبلخانات بالديار المصرية، وكان من الشجعان، وثمان تمر الأشرفي نائب بهنسا وكان من أكابر الممالك الأشرفية، وهو من خُشداشية منطاش، لكنه كان من حزب الناصري، وتُمرباى الحسنى الأشرفي حاجب الحجاب بالديار المصرية ومن أجل الممالك الأشرفية، وهو هو الوالد وكان من الشجعان، وحمق الكشغواوى أحد أعيان أمراء مصر والشام، وكان من حزب الناصري، وتُمرباى الجركتمري أحدُ أمراء الطبلخانات بالديار المصرية، وكان من حزب الملك الظاهر برقوق، وقُتلوا بها الأحمدي اليلغاوى أحدُ أمراء العشرات بالقاهرة، وعيسى الترمكاني أحدُ أمراء الطبلخانات بمصر، وقد ولي عدة أعمال، وقرباها البوبكري أمير مجلس وأحد مقدمي الألواف بالديار المصرية، وقرفاش الطشتمري أستاذار العالية والخازندار، والدوادار الكبير بالديار المصرية، تنقل في جميع هذه الوظائف وغيرها، وكان أولا من حزب

(١) رواية السلوك (ج ٣ ص ٦٣٧): «اليرقشي» بالياء الموحدة.

(٢) هي مدينة واقعة على الشاطئ الغربي لبحر يوسف، وهي اليوم إحدى قرى مركز بني مزار.

الظاهر، ثم صار من بعد خَلَمه من حزب يلبغا الناصري، ويؤنس الإسفردى الرقاج
الظاهري أحد أمراء الطبلخانات لم يكن في الممالك الظاهرية من يضاهيه
في حسن الشكالة ولا في لعب الرُخ، قُتِلَ الجميع في يوم واحد حسب ما ذكرناه .

وتُوفِّيَ الأمير سيف الدين مأمور بن عبد الله القلطاوى اليلبغاوى في واقعة
محس أيضا وكان ولي نيابة الكرك، وتقدم ألف بديار مصر، ومجوبية المجاب بها،
ثم ولّاه الملك الظاهر في سلطته الثانية نيابة حماة، فُقُتِلَ وهو على نيابة حماة، وكان
من أجل الممالك اليلبغاوية وأعيان أمراء مصر، وهو زوج بنت أستاذه الأتابك
يلبغا التي خَدَمَت الملك الظاهر برقوقا لما حُبِسَ بالكرك^(١) .

وتُوفِّيَ الشيخ المعتقد الصالح على المغرّيل في خامس جمادى الأولى، ودُفِنَ
بزاويته خارج القاهرة بحكر الزقاق وكان للناس فيه اعتقاد حسن ويقصد للزيارة.
وتُوفِّيَ الشيخ المعتقد الصالح محمد الفاوى في ثامن جمادى الأولى ودُفِنَ خارج
باب النصر، وكان خيرا مُعتقدا .

وتُوفِّيَ الشيخ المقرئ شمس الدين محمد المعروف بالرفاء في سابع جمادى الأولى .
وتُوفِّيَ الأديب الشاعر شمس الدين محمد بن إسماعيل الإفلاقى في سادس
جمادى الأولى .

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم خمسة أذرع ونصف، مبلغ الزيادة
ثمانية عشر ذراعا وإصبعان . والوفاء حادى عشر مسرى . والله تعالى أعلم .

(١) حماة : مدينة كبيرة، كثيرة الخيرات، واسعة الرقعة يحيط بها سور محكم وبها جامع مفرد مشرف
على نهرها المعروف بالعاصى عليه عدة نواير . راجع باقوت ج ٢ ص ٣٣١ حيث تجد لها شرحا وافيا .

(٢) تقدم الكلام على الكرك في الحاشية رقم ١ من صفحة ٥٧ من هذا الجزء .

(٣) كذا في « م » : والذي في « ف » : « الوفاء » وهو تحريف .



السنة الثانية من سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية على مصر وهي سنة ثلاث وتسعين وسبعائة .

فيها تُوُفِّيَ الأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير الكبير الحاج آل ملك الجوكندار في يوم الأحد ثاني عشرين جمادى الآخرة .

وتُوُفِّيَ قاضي القضاة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر بن مسلم بن سعيد ابن بدر القرشيّ^(١) الدمشقي الشافعي قاضي قضاة دمشق بخزانة شمائل ، بعد عقوبات شديدة في ليلة الأحد تاسع شهر رجب ، وكان غير مشكور السيرة ، مُسْرِفاً على نفسه ، وهو ممن قام على الملك الظاهر برقوق بدمشق ، وحرّض العامة على قتاله وقد مرّ من ذكره ما فيه غنية عن ذكره ثانياً .

وتُوُفِّيَ الأمير حسام الدين حسين بن عليّ بن الكورانيّ أحد أمراء الطليخانات ووالى القاهرة مخنوقاً بخزانة شمائل بعد عقوبات كثيرة ، في طائر شعبان ، وكان غير مشكور السيرة وفيه ظلمٌ وجبروت ، قَتَلَ من الزعر في أيام ولايته خلائق لا تدخل تحت حصر .

وتُوُفِّيَ الشيخ الإمام العالم العلامة جلال الدين جلال بن رسول بن أحمد بن يوسف العجميّ^(٢) الثيرىّ^(٣) التّبّانيّ الحنفىّ خارج القاهرة في يوم الجمعة ثالث [عشر]^(٤)

(١) انظر الحاشية رقم ١ صفحة ١٦ من الجزء العاشر من هذه الطبعة حيث نجد لها شرحاً وافياً .

(٢) رواية السلوك للقرنبي (ج ٣ ص ٦٧٧) : « في ليلة الأربعاء » .

(٣) رواية السلوك (ج ٣ ص ٦٧٩) : « جلال الدين سولان أحمد » . ورواية المهمل الصافي

(ج ٣ ص ٢ ب) : « جلال بن أحمد » . (٤) رواية المهمل الصافي المصدر المتقدم :

« القرنبي » . والثيرى نسبة إلى ثيرة من بلاد الروم بالثاء المنقّصة وهي بلد من نواحي الأهواز له ذكر

في الفتح واختيار الخوارج . (٥) تكلّة عن « السلوك المصدر المتقدم » .

شهر رجب، والتباني نسبة إلى سكنه، موضع خارج القاهرة بالقرب من باب الوزير، يقال له : التبانة^(١)، وكان إماما عالما بفنون كثيرة، ألقى وأقرأ ودرّس عدّة سنين، وعُرض عليه قضاء مصر فأمتنع عفة منه . وله مصنفات كثيرة : منها « شرح المنار » في أصول الفقه، و « شرح مختصر ابن الحاجب » وخرج أيضا « مختصر التلويح في شرح الجامع الصحيح » للمافظ مغلطاي، وله « منظومة في الفقه »، وشرحها في أربع مجلدات، وله « مختصر في ترجيح الإمام أبي حنيفة »، وله تعليق على البزدوى ولم يكمله، وشرح كتابا كثيرة غير ذلك، وأصله من بلدة بالروم يقال لها : نيرة بكسر (الناء المثناة) وسكون الياء آخر الحروف .

وتوفّي الشيخ المعتدّ الصالح على الروبيّ في رابع ذى الحجة، وكان للناس فيه اعتقاد ويقصد للزيارة للتبرك به .

وتوفّي قاضى القضاة شمس الدين محمد بن يوسف الزكراكيّ المالكيّ قاضى قضاة الديار المصرية وهو قاض بمحسّ، في رابع عشر شوال، وقد تجرّد صحبة السلطان، وكان عالما دينًا مشكور الصّيرة .

وتوفّي شيخ الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء شهاب الدين أحمد بن الأنصارى الشافى في عاشر ذى القعدة .

(١) التبانة مشددة : حارة بنواهر القاهرة منها المترجم المذكور وكان فاضلا وأبّه يعقوب من اصحاب المافظ ابن حجر (تاج العروس) .

(٢) بلدة مشهور مسوّرة، وفي طرفه القبيل قلعة حصينة على تل عال، وهي بين دمشق وحلب . وراجع الكلام طبيا في معجم البلدان لياقوت حيث تجد لها شرحا وافيا (ج ٢ ص ٢٣٤ وما بعدها) .

(٣) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٥٠ من الجزء الرابع من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا .

وَتُوِّفَى قَاضِي قَضَاةِ الْحَنَابِلَةِ بِدِمَشْقِ الشَّيْخِ شَرْفِ الدِّينِ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ
شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ الْحَنْبَلِيِّ النَّابُلُيِّ الدِمَشْقِيِّ فِي عِيدِ الْأَضْحَى بِدِمَشْقٍ ،
وَكَانَ فَقِيْهَا فَاضِلًا ، أَقْبَى وَدَرَسَ .

وَتُوِّفَى الْقَاضِيُ فَتْحُ الدِّينِ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاضِيِ عِمَادِ الدِّينِ أَبِي إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ
ابن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن أبي الكرم محمد الدمشقي الشافعي المعروف بأبن
الشَّهِيدِ كَاتِبَ سِرِّ دِمَشْقٍ قَتِيلًا بِخِزَانَةِ شَمَائِلَ ، فِي لَيْلَةِ الثَّلَاثَاءِ تَاسِعِ عَشْرِينَ شَعْبَانَ ،
وَكَانَ مِمَّنْ خَرَجَ عَلَى الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَرْقُوقٍ وَوَافَقَ مَنْطَاشَا ، وَحَرَّضَ عَلَى قَتْلِ بَرْقُوقٍ ،
وَقَدْ مَرَّ مِنْ ذِكْرِهِ نَبْذَةٌ كَبِيرَةٌ عِنْدَ حُضُورِهِ إِلَى الْقَاهِرَةِ مَعَ جَعْتَمَرِ نَائِبِ دِمَشْقٍ
وَأَبْنِ الْقُرْشِيِّ قَاضِيِ دِمَشْقٍ وَغَيْرِهِمَا ، وَكَانَ فَتْحُ الدِّينِ رَئِيسًا فَاضِلًا بَارِعًا فِي الْأَدَبِ
وَالتَّرْسُلِ ، مَشَارَكًا فِي فُنُونٍ كَثِيرَةٍ ، مَاهِرًا فِي التَّفْسِيرِ ، مَلِيحَ الْخَطِّ ، وَلَهُ مَصْنُوعَاتٌ ،
مِنْهَا : أَنَّهُ نَظَّمَ السِّيَرَةَ النَّبَوِيَّةَ لِأَبْنِ هِشَامٍ ، فِي مَسْطُورٍ مَرْبُوعٍ ، وَجَمَلَتِهَا
نَحْمَسُونَ أَلْفَ بَيْتٍ ، وَلَمَّا وَلِيَ كِتَابَةَ سِرِّ دِمَشْقٍ ، قَالَ فِيهِ بَدْرُ الدِّينِ
أَبْنُ حَبِيبٍ :

كِتَابَةُ السِّرِّ عِلَاقْدُهَا * بِأَبْنِ الشَّهِيدِ الْأَلْمَعِيِّ الْأَدِيبِ^(١)

وَكَيْفَ لَا تَعْمَلُوْا وَقَدْ جَاءَهَا * (نَصْرُ مَنْ أَلَّهَ وَفَتْحُ قَرِيبٍ)

وَمِنْ شِعْرِ الْقَاضِيِ فَتْحِ الدِّينِ هَذَا - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَوْلُهُ : (اللوافر)

(١) عَقْدُهُ أَبُو الْعِمَادِ الْحَنْبَلِيُّ فِي كِتَابِهِ شَذَرَاتُ الذَّهَبِ (ج ٦ ص ٣٢٩) تَرْجَمَهُ بِمَنْعَةٍ كُلِّهَا دَرَسَ ،
ذَكَرَ فِيهَا الْمَنَاصِبَ الَّتِي وَلَّيَهَا وَالْكَتَبَ الَّتِي أَلْفَهَا ، وَلَمَّا آلَ الْأَمْرُ إِلَى بَرْقُوقٍ حَقْدَ عَلَيْهِ وَأَمَرَ بِالْقَبْضِ عَلَيْهِ
مِنَ الشَّامِ فَعَمِلَ مَقِيدًا إِلَى مِصْرَ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَضَرِبَتْ عَقْدَهُ بِالْقَرْبِ مِنْ قَلْعَةِ الْجَبَلِ -

(٢) رَاجِعِ الْحَاشِيَةَ وَمِنْ ١ ص ١٦ مِنَ الْجُزْءِ الْعَاصِرِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ حَيْثُ تَحْمَدُهَا شَرْحًا وَافِيًا .

(٣) الْأَلْمَعِيُّ : الذِّكْرُ الْفَزَادِيُّ الْمُتَوَلَّدُ .

مَدِيرَ الكَأْسِ حَدَّثَنَا وَدَعْنَا * بَعِثَكَ عَنْ كُؤُوسِكَ وَالْحَنِيثِ^(١)
 حَدِيثُكَ عَنْ قَدِيمِ الرَّاحِ يُعْنَى * فَلَا تَسْقِ الْأَنَامَ سِوَى الْحَدِيثِ^(٢)

وله : (الكامل)

قَاسُوا حِمَاةَ يَجْلِقُ فَأَجَبْتُهُمْ^(٣) * هَذَا قِيَاسٌ بَاطِلٌ وَحَيَاتِهِمْ^(٤)
 فَعَرُوسُ جَامِعٍ يَجْلِقُ مَا مِثْلُهَا * شَتَانٌ بَيْنَ عَرُوسِنَا وَحَمَاتِهِمْ

وله في عين بعلبك — رحمه الله — (الكامل)

وَلَقَدْ أَتَيْتُ لِبَعْلَبَكُ فَشَاقَنِي * عَيْنُهَا رَوْضُ النِّعَمِ مَنَعُ
 فَلَا هِلَاحَ مِنْ أَجْلِهَا أَنَا مُكْرِمٌ * وَلَأَجَلَ عَيْنِ أَلْفِ عَيْنٍ تُكْرِمُ^(٥)

وتوفي الأمير الكبير بلبغا بن عبد الله الناصري - البلبغاوي - قتيلا بقلعة حلب، وهو صاحب الوقعة مع الملك الظاهر برقوق التي خلع الملك الظاهر فيها من الملك وحُيس بالكرك، وكان أصله من أكابر مماليك بلبغا العمرى أستاذ برقوق، وتوفي في أيام أستاذه بلبغا إمرة طبلخاناه، ثم صار أمير مائة ومقدم ألف بالقاهرة في دولة الملك الأشرف شعبان، وكان معه في العقبة، ثم ملك باب السلسلة من الإسطبل^(٦)

(١) يريد بالحديث هنا الإسراع في إحضار كؤوس الخمر إليه .

(٢) قديم الراح : الخمر المعتقة .

(٣) تقدم الكلام على حاة في الحاشية رقم ١ ص ١٢٢ من هذا الجزء .

(٤) جلق (بكسر أوله وثانيه وتشديده) : موضع بالشام معروف .

(٥) بعلبك : بفتح الباء الموحدة وسكون العين المهملة وفتح اللام والباء ثم كاف في الآخر : بلدة قديمة ذات أسوار ولها قلعة حصينة عظيمة البناء، ومنها إلى دمشق ثمانية عشر ميلا .

(٦) انظر الحاشية رقم ١ من صفحة ١١٦ من هذا الجزء .

(٧) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١١٧ من هذا الجزء .

(٨) راجع الحاشية رقم ٨ من الجزء السادس ص ٢٠٦ من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا .

(٩) باب السلسلة، هذا الباب لا يزال موجودا، وعرف قديما بباب الاسطبل وباب الانكشارية، ويعرف اليوم بباب العزب نسبة إلى طائفة من المسكر تسمى عزبان وتليقهم المحافظة على القلاع .

السلطاني، كَلَّ ذلك ورفوق لم يتأمر إلا من نحو شهر واحد، ثم وقع له أمور وحُيِّسَ ونُفِيَ إلى البلاد الشامية على إمرة مائة وتقديم ألف يدمشق حتى ولي نيابة حلب عن المنصور على^١، ثم عن أخيه، ثم عن الملك الظاهر برقوق، ثم أطلقه وولاه نيابة حلب ثانيا، فعصى بعد مدة ووافق منطاش، وقهر الظاهر برقوقا وخلعه من السلطنة وحبسه بالكرك ورفع إلى سلطنة مصر، فأمنع غاية الامتناع وسلطن الملك الصالح حاجيا ثانيا ولقبه بالمنصور، وصار هو مدبر مملكته، وحكم مصر إلى أن خرج عليه منطاش وكمره وقبض عليه وحبسه بسجن الإسكندرية^(١)، إلى أن أفرج عنه الملك الظاهر برقوق لما خرج من حبس الكرك وكسر منطاش وسلطن ثانيا، فأخرجه ولم يؤاخذه، وندبه لقتال منطاش ثم ولاه نيابة الشام بعد قتل الجوباني ثم قبض عليه في هذه السنة، وقتله بقلعة حلب ليلته هو وكُشِلَ أمير آخوره والأمير محمد بن المهندار نائب حماة، وقد تقدم ذلك كله مفصلا في ترجمة الملك الظاهر برقوق الأولى والثانية، وترجمة المنصور حاجي، فإنه كان في الحقيقة هو السلطان، وحاجي له الاسم لا غير، فيكتفى بما وقع من ذكره هناك، ولا حاجة للإعادة هنا.

١٥ وكان يلعبا الناصري من أجل الملوك عفة وصيانة، ولي مصر وخلع الملك الظاهر، وولى الملك المنصور، ولم يقتل أحدا صبرا غير واحد يسمى سودون من ممالك الظاهر، ويكفيه من عفته عن سفك الدماء عدم قتله للملك الظاهر برقوق بعد أن أشار عليه جميع أصحابه بقتله وكان مذهبي فيه أن الملك الظاهر برقوقا لا يقتله

(١) لما كانت الإسكندرية من المدن المصرية القديمة التي لها شأن عظيم في التاريخ خصص لها المرحوم علي باشا مبارك جزءا من خطه وهو الجزء السابع ويقع هذا الجزء في ٩٥ صفحة من القطع الكبير.

(٢) يقال للرجل إذا شذت يداه ورجلاه أو أسكه رجل آخر حتى يضرب عنقه، أو حبس على مدة الفتل حتى يقتل : صبرا.

أبداً ، بل إذا ظهر منه ما يُخيفه يحبسُه إلى أن يموت مراعاة لما سبق له من ألمن عليه لما خلعه من الملك والسلطنة وحبسه ولم يقتله . انتهى .



السنة الثالثة من سلطنة الملك الظاهر برقوق « الثانية على مصر » .

وهي سنة أربع وتسعين وسبعمائة . وفيها تُوفِّي الشيخ الأديب شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الدُّنيسري^(١) المعروف بآبن العطار الشاعر المشهور في سادس عشر شهر ربيع الآخر ، وقد مرَّ من شعره نبذة كثيرة في عدة مواطن ، ومن نظمه المشهور في الأقباط قوله :

قالوا ترى الأقباط قد رزقوا * حظاً واحضوا كالسلاطين

وتملكوا الأتراك قلت لهم : * رزق الكلاب على المجانين

وتُوفِّي الأمير الكبير إينال بن عبد الله اليوسفي البغاوي أتابك العساكر بالديار المصرية بها في رابع عشرين جمادى الآخرة ، وتولَّى الأتابكية من بعده الأمير كمشبغا الحموي البغاوي ، على أن كمشبغا كان يجلس في الخدمة تحت إينال المذكور ، وكان إينال شجاعاً مقداماً ، وقد تقدم ركوبه على الملك الظاهر برقوق قبل سلطنته والقبض عليه وحبسه مدة إلى أن أخرجه برقوق إلى بلاد الشام وصار بها أميراً ، ثم نقله إلى عدة ولايات إلى أن ولَّاه نيابة حلب ، ثم عزله في سلطنته الأولى عن نيابة حلب ، وجعله أتابك دمشق ، ثم ولَّاه نيابة حلب بعد عصيان الناصري ، فلم يتم له ذلك ، وخرج إينال أيضاً على الظاهر ، ووافق الناصري ، فلما ملك الناصري مصر ولَّاه نيابة صفد ، ووقع له أمور حتى ولَّاه الملك الظاهر برقوق

(١) نسبة إلى دنيسر ، وهي بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب مardin بينهما فرسخان

(عن معجم البلدان لياقوت) . (٢) في هامش « م » : فوق .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١٧ من هذا الجزء حيث تجد لها شرحاً لا بأس به .

أتابكية المساكر بالديار المصرية في سلطته الثانية ، فدام على ذلك إلى أن مات في التاريخ المذكور ، وقد تقدم ذكر إينال هذا في عدة تراجم من هذا الكتاب ، فيها كفاية عن التعريف بحاله .

وتوفي الأمير سيف الدين بطا بن عبد الله الطولوتيمري الظاهري نائب الشام بها ، بعد أن ولي نيابة الشام أياماً قليلة ، في حادى عشرين المحرم ، وقد ذكرنا أمر بطا هذا في أواخر ترجمة الملك المنصور ، وكيفية خروجه من بين القلعة ، وكيف ملك باب السلسلة^(١) من صراى تمر نائب غيبة منطاش ، وإقامته بباب السلسلة إلى أن قدم أستاذاه الملك الظاهر برقوق إلى الديار المصرية ، وولاه الدوايرية الكبرى ، ثم ولاه نيابة دمشق بعد القبض على الأتابك يلبغا الناصرى ، فلم تطل أيامه ، ومات ، وكان من أعيان المماليك الظاهرية ، وآتهم الملك الظاهر في أمره أنه أغتاله بالسم ، والله أعلم .

وتوفي الأمير سيف الدين ملكتمر بن عبد الله الناصرى بطالا ملازماً لبيته في حادى عشرين شهر ربيع الأول ، وكان قديم هجرة في الأمراء ، تأخر في دولة الناصر حسن ، ثم أنعم عليه الملك الأشرف شعبان بإمرة مائة ، وتقدمة ألف بالديار المصرية ، ثم جعله رأس نوبة الثوب ، بعد واقعة أسندمر الناصرى ، ثم نُقل إلى إمرة مجلس ، ثم صار أستاذاراً كبيراً في سنة إحدى وسبعين وسبعائة عوضاً عن علم دار الممهدى ، ثم أُخرج إلى نيابة صفد في السنة المذكورة ، ثم عُزل وأُحضر إلى القاهرة وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بها . ثم ولي حجووية العُجباب بالديار المصرية مدة سنين ، ثم تعطل ولزم داره حتى مات .

(١) لا يزال هذا الباب موجوداً ، ويعرف قديماً بباب الإصطبل وباب الإنكشارية ، وأما اليوم فيعرف بباب العزب ، نسبة إلى طائفة من العسكر تسمى عزبان ، وظيفتهم المحافظة على القلاع .
(٢) في م : « إلى أن مات » .

وتُوفى الأمير سيف الدين سُودون بن عبد الله الطولوتى ^(١) نائب دمشق بها في شعبان، وكان ولي نيابة دمشق بعد موت الأمير بَطْما المقدم ذكره، فحكم بدمشق ومات، وتولى بعده نيابة دمشق الأمير كَشِيفا الأشرفى الخالصى أمير مجلس .

وتُوفى الشيخ المعتقد المجذوب طلحة المغربى في رابع عشر شوال بمدينة مصر، وكانت جنازته مشهودة، ودُفِن خارج باب النصر من القاهرة، وهو أحد من أوصى الملك الظاهر برقوق أن يُدْفَن تحت أرجلهم من الصالحين والعلماء، فدُفِن هناك، ثم عمّرت التربة الناصرية الموجودة الآن، وكان للناس فيه اعتقاد كبير، لا سيما الملك الظاهر برقوق .

وتُوفى الشيخ الإمام العالم العلامة عز الدين يوسف بن محمود بن محمد الرازى الحنفى العجمى، المعروف بالأصم، شيخ خاتناه الملك المظفر ركن الدين بيبس

(١) في « م » الطرنطاني .

(٢) قال المقرئى : كان باب النصر أولاً دون موضعه اليوم، وقد أدرك قطعة من أحد جانيه كانت تحياه ركن المدرسة القاصدية الغربى بحيث تكون الرحبة التى فيها بين المدرسة القاصدية وبين بابى جامع الحاكم القبليين خارج القاهرة، ولما تقلد أمير الجيوش بدر الجمالى وزارة المستنصر نقل باب النصر من حيث وضعه القائد جوهر إلى حيث هو الآن .

(٣) يستفاد مما ذكره المقرئى في خطه عند الكلام على المقابر خارج باب النصر (ص ٦٣ ج ٢) ومن الكتابات المنقوشة في بعض مواضع من هذه التربة أن الذى أنشأها هو الملك الناصر فرج بن برقوق فبدأ في عمارتها سنة ٨٠٠ هـ وفرغ منها في سنة ٨١٣ هـ ولذا عرفت بالتربة الناصرية، وهى واقعة بحرى بجانية المالك، بينها وبين جبانة العباسية الجديدة المعروفة بجبانة الخفير بالقاهرة .

(٤) هذه الخاتناه لا تزال موجودة الآن بشارع الجالية بالقاهرة باسم جامع بيبس أو البيروية أو خاتناه بيبس، وجهتها غربية، فوقها مثذنة أثرية على شكل مآذن المصر الأيوبي يملؤها خوذة مضطمة كانت مكتوبة بالقاشاني، ويمتد بأعلى الوجهة طراز عريض يدور مع منحرف الباب العموى مكتوب فيه بخط ملوك كبير اسم السلطان بيبس وألقابه وتاريخ إنشاء الخاتناه . ويوجد على يسار الداخل من الباب العموى قبة شاهقة بها قبر منشئها، ويكسو جدرانها وزرة من الرخام ويحيط بصحن الجامع إيوانان بستفت معقود، وبأحدهما المحراب وعدة قاعات يملؤها دوران من الفسيفساء، كانت مخصصة لإقامة الصوفية، وأما الرباط فقد زال، ومكانه اليوم الوكالة التى أنشأها سليمان أغا السلاح دار في سنة ١٢٣٣ هـ .

الجلّاشنكير، ثم شيخ الخانقاه الشيخونية في ثالث عشرين المحرم، وقد أناف على السبعين سنة، وكان من العلماء .

وتوفي الأديب الوزير غفر الدين أبو الفرج عبد الرحمن، وقيل عبد الوهاب ابن عبد الرزاق بن إبراهيم القبطي الحنفى الشهير بابن مكناس وزير دمشق، وناظر الدولة بالديار المصرية، والشاعر المشهور بالقاهرة في خامس ذى الحجة، وكان أديبا فاضلا شاعرا فصيحاً بليغاً لا يُعرف في أبناء جنسه الأقباط من يُقاربه ولا يدانيه، وهو أحد فحول الشعراء بالديار المصرية في عصره، وشعره في غاية الحسن والرقّة والأنسجام، وديوان شعره مشهور كثير الوقوع بأيدي الناس، وقد آسيتوعبنا من شعره أشياء كثيرة في كتابنا (المنهل الصافي)، إذ هو كتاب تراجم، نذكر هنا بعضها، ومن شعره وقد صادره الملك الظاهر برقوق، فقال : [الرمل]

رَبِّ خَذْ بِالْعَدْلِ قَوْمًا * أَهْلَ ظَلَمٍ مَتَوَالِي

كَلَّفُونِي بَيْعَ خَيْلِي * بِرَخِيصٍ وَإِنِّي

ولما علّقه الملك الظاهر برقوق في مصادرتة منكسا على رأسه قال : [البسيط]

وما تعلقت بالسَّرياقِ متكِسا * لجرّمة أوجبت تعذيبَ ناسوتي^(٦)

لكنني مذ نفثتُ السَّحَرَمَنَ أدبي * علّقتُ تعليقَ هاروتِ وماروتِ

(١) راجع ص ٢٦٩ من الجزء العاشر من هذه الطبعة حيث تجد شرحا وإيفا لهذه الخانقاه .

(٢) رواية المنهل الصافي « ج ٣ ص ٢٩٠ ب » : « أبو الفتح وقيل أبو الفضل » .

(٣) عقد المؤلف له ترجمة منعمة في المنهل الصافي (ج ٣ ص ٢٩٠ ب) تقع في سبع صفحات كلها

غرد ومحاسن

(٤) توجد من هذا الديوان ثلاث نسخ محفوظة بدار الكتب المصرية : الأولى مخطوطة تحت

رقم ١١٩٦، والثانية مصوّرة في مجلدين تحت رقم ٤٥٥١، ونسخة أخرى تحت رقم ٨٢٢ م .

(٥) السرياق : خشبة التأديب (عن دوزي) .

(٦) الناسوت : طبيعة الإنسان : يريد تعذيب جسمه .

وله — عفا الله عنه — : [الكامل]

زارت معطرة الشذا ملفوفة * كي تختفي فابي شذا العطر
يا معشر الأدباء هذا وقتكم * فتناظموا في ألف والنشير

وله — سامحه الله تعالى — : [الوافر]

يقول مُعَذِّبٍ إِذْ هِمَّتْ وَجَدًا * بِخَذِ خَلَّتْ فِيهِ الشَّعْرُ تَمَلًا
أَتَعْرِفُ خَذَهُ لِلْعَشِقِ أَهْلًا * فَقُلْتُ لَهُمْ نَعَمْ أَهْلًا وَسَهْلًا

(١)
وتوفى القاضي علاء الدين علي بن عيسى بن موسى بن عيسى بن سليم بن حميد
الأزرق المقيري الكركي الشافعي كاتب سر الكرك ثم الديار المصرية في أول شهر
ربيع الأول ، ودفن خارج باب النصر ، وهو أحد من قام بنصرة الملك الظاهر
عند خروجه من حبس الكرك ، وقد تقدم ذكر ذلك في ترجمة الملك الظاهر برقوق ،
فعرّف له برقوق ذلك ، وولاه كتابة سر مصر ، وولى أخاه القاضي عماد الدين قضاء
الديار المصرية ، واستمر علاء الدين هذا في وظيفته كتابة السر إلى أن مرض ومات ،
وأعيد بدر الدين بن فضل الله من بعده في وظيفة كتابة السر .

(٢)
وتوفى القاضي علاء الدين علي بن عبد الله بن يوسف البيري الحلبي الشاعر
الكاتب المنشي في رابع عشر شهر ربيع الأول مخنوقا بأمر الملك برقوق ، وكان

(١) رواية النبل المصافي (ج ٢ ص ٤٢٣ ب) : « ابن جميل » .

(٢) رواية النبل المصدر المتقدم : « ابن المقيري » بالياء الموحدة .

(٣) موضع هذا الباب اليوم تجاه زاوية القاصد الواقعة بشارع باب النصر بين مدخل حارة المطوف
وجامع النهداء .

(٤) البيري : نسبة إلى البيرة وهي بلد قريب سيمساط بين حلب والنغور الرومية وهي قلعة حصينة
مرتفعة على حافة الفرات في البر الشرق الشمال ، ولها واد يعرف بوادي الزيتون ، وأعين (عن تقويم
البلدان لأبي الفداء اسماعيل . ومعجم البلدان لياقوت) .

بارعا في الإنشاء والأدب، وخدم جماعة من الملوك إلى أن اتصل بخدمة الأتابك يلبغا الناصري، وسار صحبته إلى الديار المصرية لقتال الملك الظاهر بقوق .

ولما ملك الناصري ديار مصر صار علاء الدين هذا من عظماء مصر، ولا زال على ذلك حتى قبض على الناصري وحبس بالإسكندرية، فأستمر علاء الدين بمصر، فلما عاد الظاهر إلى ملكه وأخرج الناصري، عاد علاء الدين هذا إلى خدمته، إلى أن قبض عليه الملك الظاهر وقتله، وأمسك علاء الدين هذا وحمل إلى القاهرة في الحديد، ثم قُتل، وكان بارعا أدبيا شاعرا، ومن شعره : [الطويل]

أرى البدر لما أن دنا لغروبه * وأليس منه أزرق الماء أبيضاً
توهم أن البحر رام ألقامه * فسل له سيفاً عليه مفضضاً

١٠ وتوفي الأمير عتقاء بن شطى ملك العرب وأمير آل مرأ، كان قد خرج عن طاعة الملك الظاهر، وقتل الأمير يونس الذوادر، ووافق الناصري ومنطاشاً، فلما عاد الملك الظاهر إلى ملكه لم يزل يرسل إليه الفداوية ويعد الناس في قتله حتى قتله الفداوية في هذه السنة في ربيع المحرم .

١٥ وتوفي الأمير سيف الدين قطلوبغا بن عبد الله الصفوي، كان أحد أمراء الأتوف بالديار المصرية، وحاجب المحتاب بها في أول شهر ربيع الآخرة .

٢٠ وتوفي الأمير سيف الدين قطلوبك بن عبد الله السيفي طشتمر الدوادر، كان أحد أمراء العشرات مات في عاشر صفر .

(١) رواية « ف » « بدا » .

(٢) ضبطها المؤلف في المنهل الصافي (ج ٢ ص ٤٩٣ ب) بالعبارة فقال : « بكسر الميم وبالراء

المفتوحة المهلة وألف بعدها » .

(٣) في رواية م : قطلوبغا .

وَتُوفِيَ الشَّيْخُ بِدْرِ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُنْهَاجِيِّ الْفَقِيهِ الشَّافِعِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالزَّرْكَشِيِّ^(١) الْمَصْنُفِ الْمَشْهُورِ فِي ثَلَاثِ رَجَبٍ وَكَانَ فَقِيْهًا مَصْنُفًا .

وَتُوفِيَ الشَّيْخُ الصَّالِحُ الْمُعْتَقِدُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ الرَّكْرَاكِيُّ الْمَغْرِبِيُّ الْمَالِكِيُّ^(٢) فِي ثَلَاثِ بُحَادَى الْأُولَى ، وَقَدْ قَارَبَ مِائَةَ سَنَةٍ .

وَتُوفِيَ الْأَمِيرُ الْوَزِيرُ نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْأَمِيرِ حُسَامِ الدِّينِ لَا جِينِ الصَّقْرِيِّ الْمَنْجِيكِ الْمَعْرُوفِ بِأَبْنِ الْحُسَامِ فِي ثَانِي عَشْرِ صَفَرٍ ، بَعْدَ مَرَضٍ طَوِيلٍ ، بَعْدَ أَنْ وَلَّى الْوِظَانِفَ الْجَلِيلَةَ مِثْلَ وَزَرَ مِصْرَ وَالْأَسْتَاذَارِيَّةِ وَغَيْرِهِمَا .

وَتُوفِيَ الْقَاضِي جَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاضِي حَافِظُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ تَاجِ الدِّينِ إِبْرَاهِيمَ الْقَيْصَرِيِّ الْحَنْفِيِّ قَاضِي قِضَاةِ الْحَنْفِيَّةِ بِمَجْلَبٍ .

وَتُوفِيَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ قَرَادِيمِرْدَاشُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَحْمَدِيُّ الْيَلْبُغَاوِيُّ مَقْتُولًا^(٣) فِي مَحْبَسِهِ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ فِي ذِي الْحِجَّةِ ، وَهُوَ أَيْضًا مِنْ أَعْيَانِ الْمَمَالِكِ الْيَلْبُغَاوِيَّةِ ، وَكَانَ مِنْ جَمَلَةِ أَمْرَاءِ الْأُلُوفِ بِالْأَمِيرِ الْمَصْرِيَّةِ ، وَأَمِيرِ سِلَاحِ فِي سُلْطَنَةِ الظَّاهِرِ الْأُولَى ، فَلَمَّا آتَتْهُرِ النَّاصِرِيُّ عَلَى عَسْكَرِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بِرُقُوقِ يَدِ مَشَقٍّ ، وَقَبْضِ النَّاصِرِيِّ عَلَى الْأَتَابِكِ أَيْمَنْشِ الْبَجَاسِيِّ^(٤) ، خَلَعَ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ عَلَى قَرَادِيمِرْدَاشِ هَذَا بِأَسْتِقْرَارِهِ عِيُوضَهُ أَتَابِكِ الْعَسَاكِرِ بِالْأَمِيرِ الْمَصْرِيَّةِ ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَآخَذَهَا وَعَصَى مِنْ لَيْلَتِهِ ، وَتَوَجَّهَ إِلَى النَّاصِرِيِّ ، وَصَارَ مِنْ جَمَلَةِ عَسَاكِرِهِ ، فَلَمَّا مَلَكَ النَّاصِرِيُّ الدِّيَارَ الْمَصْرِيَّةَ أَسْتَفْتَرَ بِهِ أَمِيرَ مَجْلِسٍ إِلَى أَنْ أَسْكَنَ مَنَاطَشًا مَعَ مَنْ

(١) فِي « م » بَابِ الزَّرْكَشِيِّ .

(٢) فِي رَوَايَةِ « م » فِي ثَلَاثِ عَشْرِ .

(٣) رَاجِعِ الْحَاشِيَّةِ رَقْمُ ١ ص ٥٤ مِنْ الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ حَيْثُ نَحْنُ لَهَا شَرَحًا مَطْوًلًا .

(٤) رَوَايَةُ « م » الْأَمِيرِ .

أَمْسَكَ من حواشي الناصريّ ، وحبسه إلى أن أطلقه الملك الظاهر برقوق ، وولاه نيابة طرابلس ، ثم نقله إلى نيابة حلب ونذبه لقتال منطاش فدأَم على نيابة حلب إلى أن عزله عنها الملك الظاهر ، بعد أن أَمْسَكَ الناصريّ وأنعم عليه بتقدمة ألف دينار مصر ، ثم قبَضَ عليه بمصر وحبسه ثم قتله .

- وتوفى الشيخ المحدث المُسَنِّد بدر الدين محمد بن محمد بن مجير المعروف بابن الصائغ وآبن المُشارف في ثالث شهر ربيع الآخر .
- § — أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم سبعة أذرع وعشرون إصبعا ، يبلغ الزيادة تفعئة عشر ذراعا وأثنا عشرة إصبعا .



- ١٠. السنة الرابعة من ولاية الملك الظاهر برقوق الثانية على مصر وهي سنة خمس وتسعين وسبعائة .

وفيهما توفى الأديب الشاعر زَيْن الدين أبو بكر بن عثمان بن العجميّ في سادس عشر ذى الحجة ، وكان عنده فضيلة ، وله شعر جيد من ذلك قوله : [البسيط]

- ١٥. قد عَاوَدَ الحُبَّ قلبي بعد سَلَوَتِهِ وأَسْتَعَذِبَ الضَّمِّمَ والتعذيبَ والنَّصْبَا
وكان أَلَمٌ لا يَصْصِبُو لَظْمِي تَقَا فما رَأَى في هَوَى غِرْلَانِهِ وَصْبَا

وتوفى الأمير زَيْن الدين أبو يزيد بن مُراد الحازن ، دوادار السلطان الملك الظاهر برقوق ، وأحد أمراء الطبلخانة في رابع جمادى الآخرة ، وحضر السلطان الصلاة عليه ، وأبو يزيد هذا هو الذي كان أخفى الملك الظاهر برقوقا عنده

في توبة الناصري ومنطاش، وأخذ من داره، وكان الظاهر توجه إليه وأختفى عنده من غير مواعدة، فعرف له الملك الظاهر ذلك، فلما عاد الملك الظاهر إلى ملكه نانيا أنعم عليه بإمرة طبلخاناه ثم استقر به دواداراً كبيراً بعد توجهه بطاً لنيابة الشام، فدام على ذلك حتى مات في التاريخ المذكور، ودفن بقرنته التي أنشأها عند دار الضيافة بالقرب من قلعة الجبل، وكان أميراً فاضلاً عارفاً ذكياً له يدٌ في فتنون، وكان يعرف بالتركي والمعجمي والأرمني، على أنه كان فصيحاً باللغة العربية.

قلت : هكذا يكون الدوادار، لا كمن لا يعرف اسمه من أسم الحمار، وكان يميل إلى مذهب الصوفية، وكان الملك الظاهر يثق إليه، ويُساوره في أموره.

وتوفي الوزير صاحب شمس الدين أبو الفرج عبدالله المقسي، في ربيع شعبان ودفن بجسماعه الذي جدده على الخليج الناصري^(٣) بالقرب من باب البحر، وكان معدوداً من رؤساء الأقباط.

وتوفي الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير علاء الدين آقبا آص، قال المقريزي رحمه الله : كان أولاً من حملة أمراء الملك الأشرف شعبان الطبلخانات، ثم تزعمها منه لما سخط على والده، وتعطل مدة وعق أباه، وحكي عنه

(١) دلتى البحث على أنه كان توجد جبانة قديمة بالجهة الغربية من جامع قاتباى الجركسى المجاور لدار الضيافة بميدان السيدة عائشة بقسم الخليفة بالقاهرة وأن تلك الجبانة كان بها عدة رب للأمرء وغيرهم ولا بد أن يكون من بينها قرية زين الدين أبو يزيد المذكور لأنها كانت أقرب جبانة لدار الضيافة وقد اندثر ما كان بها من التراب وأقيم في مكانها المساكن الحالية المجاورة للجامع السالف ذكره.

(٢) هذا الجامع هو الذى يعرف اليوم بجامع أولاد عنان بشارع إبراهيم باشا من جهة ميدان باب الحديد بالقاهرة، وقد تقدم الكلام عليه في مواضع كثيرة.

(٣) وأما الخليج الناصري فقد اندثر وسبق التعليق عليه في الحاشية رقم ١ ص ٨٠ من الجزء التاسع من هذه الطبعة.

(٤) رواية السلوك (ج ٣ ص ١١١) : « ابن الأمير سيف الدين آقبا ».

أُمر شنيعة في عقوبه لوالده، وسافر إلى اليمن وعاد إلى القاهرة وتنقلت به الأيام إلى أن ولي شد الدواوين بإمرة عشرة مدة، ثم أُمسك وصور وعوقب عقوبة شديدة، وكان سيئ السيرة، من أشرف خلق الله المتجاهرين بالمعاصي، إلى أن توفى في يوم الأربعاء ثامن عشرين شوال . انتهى كلام المقرئ .

٥. وتوفى الأمير الطواشي مقل بن عبد الله الشهابي شيخ الخدام بالحرم النبوي، وكان أصله من خدام الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون وتنقل في الخدم إلى أن آختص بالأمير شيخون العمري، ثم خدم السلطان حسنا [ابن قلاوون]، ثم ولي مشيخة الخدام بالحرم النبوي بعد وفاة الطواشي أفتخار الدين ياقوت الرسولي الخازندار الناصري، وكان مقل ينوب عنه في الحرم، فلما مات ولي مكانه .

١٠

وتوفى قاضي القضاة ناصر الدين أبو الفتح نصر الله بن أحمد بن محمد بن أبي الفتح بن هاشم بن إسماعيل بن إبراهيم الكافي العسقلاني الحنبلي، قاضي قضاة الديار المصرية بها في ليلة الأربعاء حادي عشرين شعبان، وكان مشكور السيرة محبوباً للناس .

١٥. وتوفى الشيخ نجم الدين محمد بن جماعة الشافعي خطيب القدس في يوم الأربعاء تاسع ذي القعدة [بالقاهرة ودُفن خارج باب النصر] .

وتوفى الأمير صارم الدين إبراهيم ابن الأمير الكبير طشتمر الدوادار في شهر رمضان بنهر الإسكندرية، وكان من جملة أمراء الطبلخاناه بالديار المصرية .

وتُوفى الشيخ علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد الأفنهي^(١) الفقيه الشافعي في ثامن عشرين شوال ، وكان معدودا من فقهاء الشافعية .

وتُوفى علاء الدين قُطلوبغا بن عبد الله الأستقجاوي ، والمعروف بابي دَرَقَة^(٢) الكاشف ، ولى الكشف بجهات كثيرة ، ووقع له أمور مع العربان ، وقتل منهم جماعة كبيرة حتى مهّد البلاد القبلية .

وتوفى الشيخ صلاح الدين محمد بن الأعمى الحنبلي ، مدرس مدرسة الملك الظاهر برقوق في شهر ربيع الآخر .

وتُوفى القاضي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن الضياء المناوي الشافعي ، شيخ المدرسة الجاوية بالكبش^(٣) ، وأحد نواب الحكم بالقاهرة في شهر ربيع الآخر .
§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ستة أذرع وأربعة عشر إصبعا .
بلغ الزيادة سبعة عشر ذراعا وعشرون إصبعا . والله تعالى أعلم .



السنة الخامسة من سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية على مصر
وهي سنة ست وتسعين وسبعائة . وفيها توفى الأمير سيف الدين أبرك بن عبد الله المحمودي الظاهري شاذ الشراب خاناه السلطانية ، وهو مجزّد بدمشق ،
وبها دفن وكان خصيصا عند أستاذه الملك الظاهر برقوق .

(١) الأفنهي : نسبة إل أفنهم وهي قرية بمصر من أعمال البنسارية ، قال شارح القاموس : وقد اجترت بها .

(٢) رواية السلوك (ج ٣ ص ٧١١) : « ومات الأمير سيف الدين قُطلوبغا الأستقجاوي » .

(٣) رواية السلوك ج ٣ ص ٧١١ : « كاشف الوجه البحري » .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٢٠ من الجزء السابع من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا .

(٥) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٩ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

وفيهما تُوفِّيَ صاحب الوزير مَوْفَّقُ الدين أبو الفرج الأسلمى تحت العقوبة في يوم الاثنين [حادى ^(١)] عشرين شهر ربيع الآخر، وكان أسوأ الوزراء سيرة، لأنه كان أكره على الإسلام حتى قال: كلمة الإيمان غضبا ولبس العمامة البيضاء وهو باق على دين النصرانية، فكان على الناس بذنوبهم، ولما كان على دين النصرانية وهو يباشر الحوامج خاناه كان مشكور السيرة، حتى أكره على الإسلام، فبلغ من المسلمين مبلغا عظيما من الظلم والجور، وولى في بعض الأحيان نظر الجيش بديار مصر أيضا .

قلت : لا ألومه على ما فعله وما الذنب إلا لمؤليه : لم لا أقتدى بمن كان قبله من الملوك السالفة ووزرائهم ! مثل القاضى الفاضل عبد الرحيم، وآبن بنت الأعز وبني حنّاء وغيرهم — رحمهم الله تعالى .

وتُوفِّيَ الشيخ المعتقد الصالح رشيد التُّكُورى الأسود في اليبارستان المنصورى في يوم السبت ثالث عشرين جمادى الآخرة، وكان يقيم بجامع راشدة خارج مدينة مصر القديمة، وهو آخر من سكنه وهو يُقصد للزيارة وللناس فيه اعتقاد حسن .

وتوفى الأمير سلام ^(٥) (بتشديد اللام) آبن محمد سليمان بن فايد، المعروف بابن التركية أمير خفاجة من الصعيد في سابع شهر ربيع الآخر، وكان من أجل أمره ^(٦) العرب .

(١) الكلمة من المنهل الصافي (ج ٣ ص ٥٠٦ ب)، والملوك (ج ٣ ص ٧٣٦) .

(٢) رواية المنهل المصدر المتقدم : « وتسلطن على الناس بذنوبهم » .

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٤) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٧٧ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

(٥) ترجم له المؤلف في المنهل الصافي (ج ٢ ص ١١٤) ترجمة لا بأس بها .

(٦) خفاجة : حى من بنى عامر وهو خفاجة بن عمرو بن عقيل .

وتُوفِّيَ الرئيس علاء الدين علي بن عبد الواحد بن صغير رئيس الأطباء ، وهو بمدينة حلب في التجريدة صُحبة السلطان في يوم الجمعة عاشر ذي الحجة ودفن بها ، ثم نقل بعد مدة إلى القاهرة ، وكان من الأفراد في علم الطب والملاطفة ماهرا في صناعته ، كان من عظم أطلاعه في علم الطب يصف للموسر بأربعين ألفا ويصف الدواء في ذلك الداء بعينه للمُعسر بقلّس واحد .

قال المقرئ : « وكنت عنده قد دخل عليه شيخ وشكا شدة السعال ، فقال له : إياك تنام بغير سراويل ، فقال الشيخ : إى والله . فقال له : فلا تفعل ، ثم بسراويلك ! قال : فصدفت ذلك الشيخ بعد أيام فسالته ، فقال لى : عملت ما قال فبرئتُ ، قال : وكان لنا جار حدث لابنه رُعاف حتى أفرط فأنحلت قوى الصغير ، فجاء به إلى ابن صغير هذا وشكا من كثرة الرُعاف ، فقال له : شَرِّطْ أُذنه ، فتمتجب وتوقف فقال له ثانيا : توكل على الله وأفعل ، ففعل ذلك فبرئ الصغير وذكر له أشياء كثيرة من هذا النموذج يطول شرحها .

وتوفى القاضي بدر الدين محمد ابن القاضي علاء الدين علي ابن القاضي محي الدين يحيى بن فضل الله بن مجلى بن دَعْجَان بن خلف بن نصر بن منصور بن عبد الله بن علي ابن محمد بن أبي بكر عبد الله بن [عبد الله ^(٢) بن] عمر بن الخطّاب العدوى القرشى العُمري المصري الشافعى كاتب سر الديار المصرية ورئيسها بدمشق في يوم الثلاثاء العشرين من شوال مجردا صحبة السلطان الملك الظاهر برقوق ودفن بربتهم بدمشق ، وولى كتابة السر من بعده القاضي بدر الدين محمود [السيرامى ^(٣)] الكلستانى .

(١) ذكر لها ياقوت في معجمه (ج ٢ ص ٣٠٤) ترجمة تقع في عشر صفحات .

(٢) تكملة عن المنهل الصافي (ج ٣ ص ٢١٧ ب) .

(٣) تكملة عن المنهل الصافي (ج ٣ ص ٢١٨ أ) .

وتوفي أخوه حمزة بن علي بن فضل الله بعده بشهر، فقال في موتهما بعض شعراء العصر :

قضى البدر بن فضل الله نحبا * ومات أخوه حمزة بعد شهر

فلا تعجب لذى الأجلين يوما * فحمزة مات حقا بعد بدر

- وكان القاضي بدر الدين المذكور إماما رئيسا فاضلا في الإنشاء والأدب وله مشاركة جيدة في الفقه وغيره، وكان محمود السيرة مشكور الطريقة، باشر كتابة سر مصر نحو سبع وعشرين سنة، على أنه انفصل فيها أولى وثانية، فالأولى بأوحد الدين عبد الواحد، والثانية بعلاء الدين الكركي وهو ثالث واحد سمي بدر الدين من بني فضل الله كتاب سر دمشق، وآخر من ولي كتابة سر مصر وغيرها من بني فضل الله، وبموته خرجت كتابه السر عن بني فضل الله — رحمه الله تعالى —

- وتوفي القاضي تاج الدين محمد بن محمد بن محمد المليجي المعروف بصائم الدهر محتسب القاهرة، وناظر الأحياس وخطيب مدرسة السلطان حسن في تاسع عشر صفر عن سبعين سنة وكان خيرا دينيا مشكور السيرة — رحمه الله —

- وتوفي الأمير منكيلى بغا بن عبد الله الشمسى الطرخانى، أحد الأمراء بديار مصر ثم نائب الكرك في ليلة عاشوراء، وكان من أكابر أمراء مصر ولديه حشمة ورياسة .

وتوفي الأمير زين الدين عبد الرحمن بن الأتابك منكيلى بغا الشمسى وأبن أخت الملك الأشرف شعبان بن حسين، وصهر الملك الظاهر برقوق وأحد أمراء الطبلخانات بديار مصر بها في عاشور شعبان .

(١) في السلوك ج ٣ ص ٧٣٧ : « المليجي » بالحاء المهملة .

(٢) تقدم شرح هذه المدرسة شرحا وافيا في ص ١٢٣ س ٢ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

وتوفي الشيخ ناصر الدين محمد بن مقبل الجندى الفقيه الظاهري المذهب في يوم الأربعاء ثالث عشر جمادى الآخرة ، وكان فاضلا وله مشاركة جيدة في فنون ، وكان لا يتكتم الاقتداء بمذهب أهل الظاهر ويحفظ شاربته ويرفع يديه في كل خفض ورفع في الصلاة .

وتُوفى الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير شرف الدين موسى بن [سيف الدين أرْقُطاي بن] الأمير جمال الدين يوسف أحد أمراء العشرات بالديار المصرية في ليلة الأربعاء سادس عشرين ذى القعدة ، وكان أبوه وجده من أمراء الألوفا بالقاهرة ، وكان يُحِبُّ عِلْمَ الحديث ، ويُوَاطِبُ سَمَاعَهُ ، وله مشاركة في المذهب . وتُوفيت الشيخة الصالحة المعتقدة المعروفة بالبغدادية ، صاحبة الرباط بالقاهرة (١) في يوم السبت ثاني عشرين جمادى الآخرة ، وكانت على قدم هائل من الصلاة والعبادة ، وللناس فيها اعتقاد ، وتُقصد للزيارة .

وتُوفى السلطان أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن يحيى بن إبراهيم ؛ في ليلة الخميس رابع شعبان بمحل ملكة مدينة تونس من بلاد المغرب ، بعد أن حكمها أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر ونصفاً ، وقام من بعده على ملك تونس أبْنُه السلطان أبو فارس عبد العزيز وكان من أجل ملوك الغرب . وطالت أيام ولده عبد العزيز في الملك حسب ما يأتي ذكره في محله ، إن شاء الله تعالى .

(١) النكبة عن السلوك (ج ٣ ص ٧٣٨) .

(٢) هذا الرباط داخل درب الأصفر واقع تجاه خانقا ببيرس المشاكير حيث كان المتجر وبعضهم يقول : رواق البغدادية أنشأته الست الجليلة نذكار باي خاتون ابنة الملك الظاهر ببيرس لبندقدارى في سنة ٦٨٤ هـ ، راجع بقية الكلام عليها ص ٢٦٦ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٣) راجع السلوك للقريزي (ج ٣ ص ٧٣٩) .

(٤) راجع الكلام عليها ص ٧٦ من الجزء الثامن من هذه الطبعة ، حيث تجد لها شرحاً وإتياً .

وتُوفِّي أيضا صاحب مملكة فارس من بلاد الغرب — السلطان أبو العباس
(٢) أحمد بن أبي سالم بن إبراهيم بن أبي الحسن المَرِينِي ملك الغرب في المحترم ، وأقيم
بعده آبنه أبو فارس عبد العزيز .

قلت : وهو يُشارك المقدم ذكره في الأسم والكنية وأسم الأب والجد .

- § أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ستة أذرع سواء . مبلغ الزيادة
سبعة عشر ذراعا وأحد عشر إصبعا . والله تعالى أعلم .



السنة السادسة من سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية على مصر

وهي سنة سبع وتسعين وسبعائة .

- ١٠ فيها تُوفِّي الشيخ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم الآمدي الدمشقي الفقيه الحنبلي
أحد أصحاب آبن تيمية .

وتُوفِّي الأمير علاء الدين الطُنْبُغَا بن عبد الله الحلبي الأشرفي ، وهو مسجون
بقلعة حلب ، وكان من أعيان المماليك الأشرفية ؛ وأحد أكابر الأمراء بديار مصر .

وتُوفِّي الشيخ المعتقد المجذوب أبو بكر البجائي المغربي ، أحد من أوصى

- ١٥ السلطان الملك الظاهر برقوقا أن يُدفن تحت رجليه في يوم السبت خامس جمادى

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٢٩ من الجزء العاشر من هذه الطبعة ، حيث تجد لها شرحا وافيا .

(٢) راجع السلوك ج ٣ ص ٧٣٩ ، والمثل الصافي ج ١ ص ٥٠ ب .

(٣) ذكر المقرئ أن وفاته كانت في رابع عشرين ذي القعدة .

(٤) كذا في جميع الأصول وفي المثل الصافي (البجاسي) والبجائي نسبة إلى بجاية بالكسر مدينة

على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب كان أول من اجتطها الناصر بن طلاس بن حماد في سنة ٤٥٧ هـ

(انظر معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٤٩٥) طبع أوروبا .

(١) الآخرة، ودُفِنَ خارج باب النصر حيث هي التربة الظاهرية الآن، وكانت جنازته مشهودة، وأخرجه السلطان وجهزه على يد الأمير يلبغا السالمي؛ وكان للناس فيه اعتقاد لا سِماً الظاهر برقوق فإنه كان له فيه اعتقاد.

وتوفي العلامة صدر الدين بدیع بن نفیس التبریزی رئيس الأطباء بالديار المصرية في سادس عشر شهر ربيع الأول، وهو عم القاضي فتح الدين فتح الله كاتب السر الآتي ذكره، وهو الذي كَفَلَه بعد موت جدّه نفیس؛ وكان مات والد فتح الدين مُعْتَصِم بن نفیس، وَفَّحُ الله طفل صغير؛ وكان بدیعاً ماهراً في علم الطب كثير الحفظ لمثونه، وهو صاحب التصانيف المشهورة.

وتوفي الشريف أبو الحسن علي بن عجلان بن رُمَيْثَة، وأسم رُمَيْثَة مُنْجِد بن أبي نُحَيْ بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم ابن عيسى بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى ابن عبد الله المحض بن موسى بن الحسن السبط بن الحسن بن علي بن أبي طالب المكي الحسني، أمير مكة المشرفة، وليها ثمانى سنين ونحو ثلاثة أشهر مستقلاً بالإمارة؛ غير سنتين أو نحوهما؛ فإنه كان فيهما شريكاً لعنان بن مُفَاس بن رُمَيْثَة؛ ووقع له أمور بمكة مع الأشراف ووقائع؛ وآخر الأمر توجه أخوه الشريف حسن بن عجلان إلى القاهرة يريد إمرة مكة؛ فقبض عليه السلطان

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٨٥ من الجزء التاسع من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحاً مفصلاً.

(٢) انظر المنهل الصافي (ج ٣ ص ٤٤٠ ب) حيث تجد له ترجمة مفصلة.

(٣) ذكره المؤلف في المنهل الصافي (ج ١ ص ٣٠٤ ب) والمقرئ ج ٣ ص ٧٥٧.

(٤) ترجم له المؤلف في المنهل الصافي (ج ٢ ص ٤١٦ ب) والمقرئ (ج ٣ ص ٧٥٧).

وشذرات الذهب (ج ٦ ص ٣٥٠).

(٥) ترجم له المؤلف في المنهل الصافي (ج ٢ ص ١٤٩٢).

(٦) ترجم له المؤلف في المنهل الصافي (ج ٢ ص ٢٥ ب).

وحبسه ؛ وبعث إلى عليّ هذا باستمراره على إمرة مكة ، فاستمر على إمرتها إلى أن وقع بينه وبين بعض القواد ، وخرج إليهم عليّ هذا ، فبدره بعضهم وسأيره ، وهو راكب على راحلته ، والشريف عليّ هذا على فرس فرمى القائد بنفسه على الشريف عليّ المذكور وضربه بجنبية كانت معه ، فوقعا جميعا على الأرض ، فوثب عليه عليّ وضربه بالسيف ضربة كاد منها يهلك ، وولّى عليّ راجعا إلى الحيلة ، فأغرى به شخص يقال له أبو نمي غلام لصهره حازم بن عبد الكريم جنديا ، وعتبة وحزمة وقاسما ، فوثبوا عليه وقتلوه وقطعوه وبعثوا به إلى مكة ، فدفن بالمعلقة على أبيه عجلان ، وكان قتله في يوم الأربعاء سابع شوال ، وولّى إمرة مكة بعده أخوه حسن بن عجلان .

وتوفي الأمير ناصر الدين محمد بن السلطان الملك الظاهر برفوق في يوم السبت ثالث عشرين ذى الحجة ، ومولده في مستهل شهر ربيع الأول سنة أئنتين وثمانين وسبعمائة ، وأمه خوند الكبرى أرد ، صاحبة قاعة العواميد ، ومات بعد أن أعيا الأطباء داؤه الذي كان يبرجله من أرياح الشوكة . وبه مات ، وكان إقطاعه الديوان المفرد الآن ، فإنه لما مات جعله السلطان إقطاعه لمالكه المشتروات

(١) الجنبية : الخنجر يوضع في حزام الرجل إلى جانبه . (عن دوزي) .

(٢) رواية المنيل الصافي (ج ٢ ص ٤١٧ ب) : (وعتبة وحزمة بن قاسم) .

(٣) رواية المنيل الصافي المصدر المتقدم : « يوم الأربعاء سابع شعبان » .

(٤) ترجم له المؤلف في المنيل الصافي (ج ٣ ص ١٣٥) ، والمقرئ في السلوك ج ٣ ص ٧٥٨ .

(٥) أرد بألف وراء مهلة ساكنة ، ودال مهلة مضمومة ، وهي تركية الأصل اعتقها الملك الظاهر

برفوق وتردجها ، وجعلها خوند الكبرى .

(٦) هي إحدى قاعات القلعة ، وكانت مخصصة لحاجات السلطان المنيلية ، وكانت تعرف بالقاعة

الكبرى . راجع السلوك بتحقيق الأستاذ زبادة ص ٣٩٠ ، وزبادة كشف السالك لابن شاهان ص ٢٦ .

وأفرده فسمى المفرد من يومئذ، وجعل كاتبه الهيصم، وكان محمد هذا أكبر أولاد السلطان وأعظمهم، ووجد السلطان عليه وجدا عظيما .

وتوفي قاضي القضاة ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن بن عبد الدائم بن محمد المعروف بأبن بنت مَيْلَق الشاذلي الصوفي، قاضي قضاة الديار المصرية، وهو معزول في ليلة الاثنين تاسع عشرين شهر ربيع الأول . وكان أصله من أشُموم الرمان،^(١) وُلِدَ قبل سنة ثلاثين وسبعائة، وسمع الحديث وطلب العلم وتفقه ووعظ دهرًا، وقال الشعر، وأنشأ عدة خطب بليغة، وجمع عدة أجزاء في عدة فنون، وكان يتربيا يزى الفقراء ويتصدى لعمل المواعيد، وأعتقده الناس وتبركوا به، وخطب بعمدة جوامع وصار له أتباع وشهرة كبيرة، إلى أن طلبه الملك الظاهر برقوق للقضاء بعد عزل القاضي بدر الدين محمد بن أبي البقاء، فامتنع ثم أجاب فألبسه الملك الظاهر تشریف القضاء بيده، وأخذ طيلسانه يتبرك به .

قال المقرئى : "فداخل الناس بولايته خوفٌ ووهم، وظنوا أنه يحمل الناس على محض الحق، وأنه يسير على طريق السلف من القضاة، لما ألفوه من تشدقه في وعظه، وتفخمه في منطقته، وإعلانه بالتبكير على الكافة، ووقيته في القضاة، وأشماله على لبس الخشن المتوسط من الثياب، ومعيبه على أهل الترف، فكان أول

(١) ذكره المؤلف ترجمة طويلة في المنهل الصافي (ج ٣ ص ١٧٢ ب) .

(٢) أشُموم الرمان هي قصبة كورة الدهقيلة، مدينة ذات حمامات وأسواق وجوامع وفنادق، وقد استمرت قاعدة لإقليم الدهقيلة والمرتاحية إلى آخر عهد دولة المماليك وفي أرائل الحكم العثماني نقلت القاعدة إلى مدينة المنصورة، ومن ذلك الوقت اضطلعت أشُموم الرمان وزال ما كان فيها من آثار المدنية والعمران واصبحت اليوم قرية عادية من قرى مركز دكرنس بمديرية الدهقيلة .

- ما بدأ به أن عزل قضاة مصر جميعهم من العريش إلى أسوان ^(٢) ، وبعد يومين تكلم معه الحاج مُفلح مولى القاضي بدر الدين بن فضل الله كاتم السر في إعادة بعض من عزله من القضاة فأعاده ، فأنحل ما كان معقودا بالقلوب من مهايته ، ثم قلع زيه الذي كان يلبسه ، ولبس الشاش الكبير الغالي الثمن ونحوه من الثياب ، وترفع في مقاله وفعاله ، حتى كاد يصعد الجو ، وشخ في العطاء ولاذ به جماعة غير محبين إلى الناس . فأنطلقت السنة الكافّة بالوقعة في عِرضه ، وأختلقوا عليه ما ليس فيه ، فلما قَدِم الأمير يلينا الناصري إلى الديار المصرية ، وغلب برقوقا على المملكة وبعثه إلى سجن الكرك كان هو قاضيا يومئذ فوقع في حق الظاهر ، وأساء القول فيه ، فبلغه ذلك قبل ذهابه إلى الكرك فأسرّها في نفسه ، فلما ثار منطاش على الناصري صرف ابن مِليق هذا عن القضاء بالصدر المساوي ، بعد ما كان أخذ خطّه في الفتاوى المكتبة في حق برقوق ، فلما عاد برقوق إلى الملك ^(٤) لِحِج بدمه فتنهت أعين العدا لابن مِليق هذا وحسنوا للبيدي أحمد أمين الحكم أن يقف للسلطان ويشكو ابن مِليق المذكور بسبب ما أخذه من أموال الأيتام ، وكان نحو الثلاثين ألف درهم فضة ، عنها قريب من ألف وخمسمائة مثقال من الذهب ، فرفع فيه قصة إلى السلطان فطلبه بفاءوا به وقد حضر القضاة فأوقف مع النقباء تحت مقعد السلطان في الميدان خالماً مثل قائما سقط مغشياً عليه ، وصار على اتّراب بمحضرة

(١) العريش : مدينة قديمة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، بقرب نهاية الحد الشرق لأرض مصر ، وكانت من الثغور المصرية ، ولما أنشئت محافظة سيناء جعلت العريش محل إقامة المحافظ .

(٢) أسوان : من المدن المصرية القديمة ، على الشاطئ الشرق لليل بالقرب من الشلال الأول وهي

مشهورة بحركتها التجارية وقد جعلت عاصمة للديرة في سنة ١٩٠٠ م .

(٣) ذكره المؤلف في (المنهل الصافي) ترجمة طويلة في (ج ٣ ص ٢١٧ ب) .

(٤) لهج بالشئ : أغرى به .

ذلك الجمع العظيم ، فتقدم بعض مَنْ كان يلوذ به ليصلح من شأنه ، فصرخ فيه السلطان وترك طويلا حتى أفاق ، وأدعى عليه البيدق فلم يلحن بحجة ، وألزمه القضاة بنرامة ذلك ، والقيام به للأيتام من ماله ، ولم يكن المال المذكور في ذمته ، وإنما كان أقترضه وصّره للمحرمين ، فلزمه غصبا ورُسم عليه وتُعين بالمدرسة الشريفة ، ليدفع المال وما زال يُورده حتى أتى ذلك عليّ ، غالب موجوده ، ثم لزم داره وذهبت عينه ، وتحلّى عنه أحبابه إلى أن مات ، ودُفن خارج باب النصر بتربة الصوفية ، فلقد كان قبل ولايته حسنة من حسنات الدهر ، ما رأيت قبله أحسن صلاة منه ولا أكثر خشوعا مع حسن منطوق ، وفصاحة ألفاظ ، وعذوبة كلام ، وبهجة زِيٍّ ، وصدع في وعظه إذا قصّ أو خطب ، إلا أنه أمتحن بالقضاء ، وأبتلي بما أرجو أن يكون كفارة له . انتهى كلام المقرئ

باختصار .

وتوفّي الشيخ شمس الدين محمد بن علي بن صلاح الحريري أحد نواب القضاة الحنفية ، ومشايخ القراء بالديار المصرية ، في يوم الجمعة رابع عشرين شهر رجب . وكان فقيها مقرئا ، أقرأ ودرس وناب في الحكم سنين .

وتوفّي القاضي شمس الدين محمد بن عمر القليجي الحنفي مفتي دار العدل ، وأحد نواب القضاة بالديار المصرية ، في ليلة الثلاثاء العشرين من شهر رجب وقد بلغ من الرياسة مبلغا عظيما ، وكانت لديه فضيلة تامة .

(١) هي التي تعرف بجامع بيرس الخياط بأول شارع الجودرية بالدرب الأحمر ، وراجع تاريخ مصر لابن أبياس ج ٤ ص ٢٧٧ .

(٢) مكتب اليوم القاعات الواقعة على يسار الداخل من باب العرب المشغولة الآن بمخازن المهمات بجانب البوشر المصري ، راجع الكلام عليها في ج ٧ الحاشية ١ ص ١٦٣

وَتُوِّفَّ الْعَلَّامَةُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ الْإِفْضَرَانِيُّ الْحَنْفِيُّ شَيْخَ الْمَدْرَسَةِ الْإِيْثْمِيَّةِ^(١)
بِبَابِ الْوُزَيْرِ ، فِي سَابِعِ عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى ، وَكَانَ إِمَامًا عَالِمًا مَدْرَسًا فَقِيهًا ذَكِيًّا^(٢)
حَافِظًا ، كَانَ يُلْقَى الدَّرْسُ عِنْدَ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ أَيَّامَ إِمْرَتِهِ ، وَصَدْرًا مِنْ سُلْطَتِهِ ،
وَكَانَ خَصِيصًا عِنْدَ السُّلْطَانِ وَلَهُ وَجَاهَةٌ فِي الدَّوْلَةِ ، وَتَوَلَّى بَعْدَ مَوْتِهِ مَشِيخَةُ الْإِيْثْمِيَّةِ
الشَّيْخَ سِرَاجَ الدِّينِ عَمْرَ الْقِرْمِي .

وَتُوِّفَّ الْقَاضِي بَرَهَانُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ الْقَلْقَشْدَنِيُّ الشَّافِعِيُّ مَوْقِعَ الْحَكَمِ ، وَاحِدَ
الْفُقَهَاءِ الشَّافِعِيَّةِ فِي ثَلَاثِ عَشْرِينَ شَعْبَانَ .

وَتُوِّفَّ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ طُوغَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الظَّاهِرِيِّ أَمِيرَ جَانْدَارٍ ،
فِي سَادِسِ عَشْرِ صَفَرٍ^(٣) ، وَكَانَ أَحَدَ أَعْيَانِ الْمَالِكِ الظَّاهِرِيَّةِ بِرُقُوقِ خَصِيصًا عِنْدَ
أَسْتَاذِهِ .

وَتُوِّفَّ الشَّيْخُ نُورُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ الْهُورِيِّ الْفَقِيهَ الشَّافِعِيَّ شَيْخَ الْقَوُصُوفِيَّةِ^(٤)
فِي شَهْرِ رَجَبٍ وَكَانَ فَقِيهًا فَاضِلًا بَارِعًا .

وَتُوِّفَّ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ السُّفَرِيِّ الْحُلَيْبِيِّ الْحَنْفِيُّ فِي يَوْمِ
الْجُمُعَةِ خَامِسِ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، وَأَصْلُهُ مِنْ قَرْيَةٍ تَحْتِهَا مِنْ عَمَلِ عَزَّازٍ ، وَكَانَ^(٥)
فَقِيهًا بَارِعًا ، وَلَهُ مِشَارَكَةٌ فِي فُنُونٍ .

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٦١ ج ١ : من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ج ١ ص ١٨٠ من هذه الطبعة .

(٣) رواية السلوك ج ٣ ص ٧٥٧ (في سادس صفر) .

(٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٩٥ من الجزء التاسع من هذه الطبعة حيث نجد هناك أن حارثاً

(٥) عزاز : قلعة قرب حلب .

وَتُوِّفَ الْقَاضِي جَمَالُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَرَجِ التَّوَّيْرِى الْمَالِكِي ، أَحَدُ نَوَابِ الْحُكْمِ الْمَالِكِيَةِ بِالْأَمِيرِ الْمَصْرِيَّةِ ، وَكَانَ مَعْدُودًا مِنْ فَضَلَاءِ الْمَالِكِيَةِ .

وَتُوِّفَ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ قُرَابُغَا بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وَالِدُ الْأَمِيرِ جَرَكْتَمُرِ الْخَاصِكِيِّ الْأَشْرَفِيِّ ، فِي ثَانِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ وَكَانَ أَحَدَ أَمْرَاءِ الْعَشْرِيَّاتِ بِالقَاهِرَةِ ، وَكَانَ مَشْكُورَ السَّيْرَةِ خَيْرًا دِينًا .

وَتُوِّفَ الشَّيْخُ الْمُعْتَقِدُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ الْمُقْسِي فِي يَوْمِ الْأَحَدِ أَوَّلِ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَكَانَ يَسْكُنُ بِجَمَاعِ الْمَقْسِي عَلَى الْخَلِيجِ ، وَكَانَ يَقْصِدُ لِلزِّيَارَةِ .^(١)

وَتُوِّفَ الشَّيْخُ الْمُعْتَقِدُ مُحَمَّدُ السَّمْلُوطِيُّ الصَّعِيدِيُّ الْمَالِكِي ، فِي ثَانِي عَشْرِ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَكَانَ فَقِيهًا خَيْرًا دِينًا ، وَلِلنَّاسِ فِيهِ أَعْتِقَادٌ وَمَحَبَّةٌ .

وَتُوِّفَ الشَّيْخُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْمُطَرِّزِ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ سَادِسِ جُمَادَى الْآخِرَةِ .

§ أَمْرُ النَّيْلِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ - الْمَاءُ الْقَدِيمُ أَرْبَعَةُ أَذْرَعٍ وَأَرْبَعَةُ أَصَابِعٍ - مَبْلَغُ الزِّيَادَةِ سَبْعَةُ عَشَرَ ذِرَاعًا وَثَمَانِيَةَ أَصَابِعٍ .



السَّنَةُ السَّابِعَةُ مِنْ سُلْطَانَةِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَرْقُوقِ « الثَّانِيَةِ عَلَى مِصْرَ »

وَهِيَ سَنَةُ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ .

فِيهَا تُوِّفَ الشَّيْخُ الْمُقَرَّرُ الْفَقِيهُ شَهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ يَهُيَا بْنِ الْحُنْدِيِّ ، الْمَعْرُوفُ بِأَبْنِ الرُّكْنِ الْيَبْرِسِيِّ الْحَنْفِيِّ ، وَكَانَ إِمَامًا فَاضِلًا .^(٢)

(١) فِي السُّلُوكِ ج ٣ ص ٧٥٩ : (الْقُدْسِي) .

(٢) جَامِعُ الْمُتَمَتَّى هُوَ جَامِعُ أَوْلَادِ عَنَانَ بْنِ إِسْرَافِيلَ بِالقَاهِرَةِ .

(٣) رَوَايَةُ الْمُقَرَّرِيِّ ج ٤ ص ١٣ (الْيَسْرِي) .

وتُوفِّي الأمير سيف الدين بهادر بن عبد الله الأعسر في يوم عيد الفطر ، وكان من أعيان الأمراء ، وتنقل في عدّة ولايات .

- وتُوفِّي الأمير تُمُر بن عبد الله الشّهابي الحاجب أحدُ أمراء الطبلخانات بالديار المصرية ، وكان فقيهاً فاضلاً ، وإماماً بارعاً في الفقه وفروعه ، معدوداً من فقهاء الحنفية ، وكان شجاعاً مقداماً نَجَرَ عليه العرب العصاة فقاتلهم بغير حَرْح في المعركة ، ومات من جراحه ، رحمه الله .

- وتُوفِّي الأمير الجليل سُودون بن عبد الله الفخري الشيخوني ، نائب السلطنة بالديار المصرية بها ، في يوم الثلاثاء خامسُ جمادى الآخرة ، بعدما شاخ ، وكان أصله من مماليك الأمير الكبير شيخون العمري الناصري ، ثم ترقّى في الدول إلى أن ولي حجابية الحجاب بالديار المصرية ، في دولة الملك الصالح حاجي ، ثم نقله الملك الظاهر برقوق إلى نيابة السلطنة في أوائل سلطته ، وطالت أيامه في السعادة ، وكان وقوراً في الدول ، معظماً عند الملوك ، ولما كبر وشاخ أخذ يتبرّم من الإمرة والوظيفة ويستعفى ، إلى أن أعفاه الملك الظاهر بعد قدومه من سفرته إلى البلاد الشامية ، وكان سُودون مُقيماً بالقاهرة ، فلزم دأره من صفر سنة سبع وتسعين وسبعائة إلى أن مات في التاريخ المتقدم ذكره ، وكان أميراً خيراً ديناً وافر الخرمة ، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، ومنذ مات تجاهر الملك الظاهر برقوق بالمنكرات التي لم تكن قبل تُعرف منه ، وكان مُحباً للعلماء والفقراء ، كان يدور وينزل إلى بيوت الفقراء ، ويتبرك بهم ويبدّل إليهم الأموال .

(١) رواية المقرئ ج ٤ ص ١٤ (الأعشى) .

(٢) رواية السلوك ج ٤ ص ١٥ (جمادى الأولى) .

قال قاضي القضاة العيني — رحمه الله — : وكان حصل له شيء من التغفل والتساهي .

قلت : كان فيه سلامة باطن مع دين وشفقة ولين جانب ، حتى صار يُحكى عنه أشياء في حكوماته مختلفة عليه ، كما يذكر الناس ذلك عن الخادم بهاء الدين قرأقوش الصلاحى الحصى وليس لذلك صحة . انتهى .

وتوفي الأمير سيف الدين قطلوبك بن عبد الله الطشتمرى ، أحد أمراء الألوفا بالديار المصرية ، وكان جليل القدر وقورا من الأمراء المشايخ .

وتوفي الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن رجب بن كلك^(١) التركمانى الأصل المصرى . في يوم الجمعة سادس عشرين صفر ، كان شابا جميلا حسن الهيئة ، وهو ممن توفي بغير نجدة ، ولآه الملك الظاهر برقوقى أولا شاذ الدواوين بعد ابن آقبا آص ، ثم عزّل بابن آقبا آص ، وعوّض عن شدّ الدواوين بشدّ الدوايب الخاص ، عوضا عن خاله محمد بن الحسام ، بحكم انتقال خاله إلى الوزارة ، ثم بعد مدة صُودر ، وحمل مائة وسبعين ألف درهم ، وقبل أن يغلقها أفرج عنه ، ثم ولّاه الملك الظاهر الوزارة عوضا عن الوزير مؤوفى الدين ، في يوم الاثنين رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ست وتسعين وسبعائة ، وأنعم السلطان عليه في يوم ولايته للوزارة بإمرة مائة وتقدمة ألف بديار مصر ، ثم خلع السلطان على جماعة من الوزراء البطالين بوظائف تحت يده تعظيما له ، وصار الجميع في خدمته ، فأستقرّ الوزير سعد الدين نصر الله ابن البقرى ناظر الدولة ، وأستقرّ الوزير كريم الدين بن الغنّام في نظر البيوت ، وأستقرّ الوزير علم الدين سنّ إبرة في استيفاء الدولة ، شريكا للوزير تاج الدين عبد الرحيم

(١) في السلوك ج ٤ ص ١٥ (كلفت) .

ابن أبي شاكراً، ونزل الجميع في خدمته، وباشروا بين يديه، كما كانوا بين يدي خاله الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن الحسام الصفوي، فسمي بوزير الوزراء وباشر بحمرة وافرة إلى أن مات .

وَتَوَفَّى السيد الشريف صدر الدين مرتضى بن الشريف غياث الدين إبراهيم ابن حمزة الحسيني العراقي : نقيب الأشراف في ليلة [السبت ^(١)] ثالث شهر ربيع الآخر، ودفن على أبيه بتربة الأتابك يلبغا العمري بالصحراء خارج القاهرة، وكان ولي نظر وقف الأشراف مع نقابة الأشراف، ونظر القدس والخليل، وكان شكلاً جميلاً مهيباً فصيحاً بالألسن الثلاثة : العربية والعجمية والتركية، وكان ديناً خيراً، صاحب عبادة وُتُسك، وكان له نظم على طريق البغاددة — رحمه الله تعالى — وهو قوله :

يَحَقُّ عَلَيْكُمْ بِشَوْفِي إِلَيْكُمْ * إِذَا اسْتَقْتُ لَكُمْ تَعَالَوْا أَبْصُرُونِي

وَتَوَفَّى ملك الغرب وصاحب فاس السلطان أبو فارس عبد العزيز بن السلطان أبي العباس أحمد بن أبي سالم بن إبراهيم بن أبي الحسن المريني، وأقيم بعده على سلطنة فاس أخوه أبو عامر عبد الله .

وَتَوَفَّى الشيخ صلاح الدين محمد الشطنوفي موقع الحكم في شهر رمضان، وكان إماماً في صناعته .

(١) نكتة من السلوك ج ٤ ص ١٦

(٢) رواية السلوك ج ٤ ص ١٧ (بها جيلاً) .

(٣) رواية السلوك ج ٤ ص ١٧ (أبي سالم إبراهيم)

وتوفي الشيخ نور الدين علي بن عبد الله بن عبد العزيز [بن عمر بن عَوْض ^(١)]
الدميري المالكي شيخ القراء بخانقاه شيخون ^(٢) ، وأخو القاضي تاج الدين بهرام ،
في ثاني عشرين شهر رمضان ، وكان إماما في القراءات مشاركا في عدة فنون .

وتوفي الأمير ناصر الدين محمد بن جُمُق بن الأمير الكبير أيتمش البجاسي في يوم
الجمعة خامس صفر ، وحضر السلطان الصلاة عليه وكان أحد أمراء
الطبلخانات .

وتوفي الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير جاركس الخليلي في يوم الثلاثاء تاسع
صفر ، وكان محمد المذكور أيضا من أمراء الطبلخانات بالديار المصرية .

وتوفي القاضي شمس الدين محمد بن محمد بن موسى الشنشي الحنفي المعروف بالرخ ^(٣) ،
أحد نواب القضاة الحنفية بمصر في [يوم الخميس سادس ^(٤)] جمادى الأولى .

وتوفي الشيخ زين الدين مُقبل بن عبد الله الصرغتمشي الفقيه الحنفي في أول
شهر رمضان بالقاهرة ، وكان فقيها فاضلا مستحضرا لفروع مذهبه ، وله مشاركة
في عدة فنون .

وتوفي الأمير سيف الدين تغرى بردى بن عبد الله القردمي قتيلا في محبسه ،
وكان من أعيان الأمراء ، ووقع له أمور في واقعة الناصري ومنطاش مع الملك
الظاهر برقوق أولا ، ثم كان من حزب الملك الظاهر على منطاش آخر ، ودام على

(١) التكملة عن السلوك ج ٤ ص ١٥ .

(٢) توجد لهذه الخانقاه ترجمة منفصلة في ص ١٣١ من الجزء السابع ، وص ٣٠٣ من الجزء العاشر
من هذه الطبعة .

(٣) رواية السلوك ج ٤ ص ١٦ (الشنشي) .

(٤) التكملة من السلوك ج ٤ ص ١٦ .

ذلك إلى أن قُبِضَ عليه وحُجِسَ ، ثم قُتِلَ في التاريخ المذكور — رحمه الله — وكان شجاعاً مقداماً .

وتُوفِّيَ الشيخ الخطيب برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن الشيخ المعتقد الصالح عبد الله المتوفى الفقيه المالكي في شهر رجب ، وكان أحد الفقهاء المالكية ، أقرأ ودرّس وخطب بجامع الأمير شرف الدين أمير حسين بن جندر سنين ، وهو ابن العبد الصالح المشهور عبد الله المتوفى .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ستة أذرع وأثنا عشر إصبعا . مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعاً وإصبعا .



١٠ السنة الثامنة من سلطنة الملك الظاهر برقوق « الثانية على مصر »
وهي سنة تسع وتسعين وسبعمائة .

فيها تُوفِّيَ الأمير سيف الدين إياس بن عبد الله الخرجاوى نائب طرابلس بالقاهرة بعد أن قُبِضَ عليه وأُزِمَ بحمل مال كبير ، فأرسل خازن داره إلى حضور المال . فأت بعد يومين ، في يوم الجمعة ثامن عشرين صفر ، وكان أولاً من أمراء الألوף بالديار المصرية ، ثم تنقل في عدة أعمال بالبلاد الشامية ، حتى إنه ولي نيابة طرابلس ثلاث مرات آخرها في سلطنة الملك الظاهر برقوق الثانية إلى أن عُزِلَ بالأمير دمرداش المحمدي الظاهري ، نائب حماة ، وتوجه إياس أتابكاً بدمشق ، فأقام بها يسيراً وطلب إلى القاهرة وصوره وأهين إلى أن مات بعد يومين حسب

(١) توجد ترجمة وافية لهذا الجامع ص ٦٢ الحاشية رقم (٢) ج ٩ من هذه الطبعة .

ما تقدم ذكره، وقيل : إنه لما أهيئ كان في يده خاتمٌ سَمَّ فِصَّه فمات من وقته،
وقيل غير ذلك، وكان يَشْعَ المنظر ظالماً غشوما حدَّ المزاج كرية المعاشرة ، يرمى
بعظائم، قيل : إنه قال له رجل مرة : يا وجه القمر، بعد أن دعا له كما هي عادة
العوام ، فَضْرَبَ الرجل ضراباً مؤلماً ، وقال : أنا أعرف بنفسى منك، وكانت
بعض حظاياها ملكها الوالد من بعده وأستولدها، فكانت تَحْكِي عنه عظام من سوء
خُلُقِهِ وَخَلْقِهِ .

وَتُوِّفَ الأمير أبو بكر بن [محمد بن واصل] المعروف بابن الأحذب أمير العربان
ببلاد الصعيد قتيلاً .

وَتُوِّفَ الأمير ركن الدين بيبرس بن عبد الله التمان تمرى الأمير آخور الثانى،
وأحدُ أمراء الطليخانات بالديار المصرية ، فى رابع عشر جمادى الآخرة، وكان من
قدماء الأمراء، وهو من أول الأمر إلى آخره كان من حزب الملك الظاهر برقوق،
وكان الملك الظاهر يُنادمه ويُمازحه ويُعجبه كلامه ، وأنا أتعجب غاية العجب
من الملك الظاهر برقوق فى عدم ترقّيه، ولعلّه كان راضياً بما حو فيه - والله أعلم -
وهو والد صاحبنا الناصرى محمد بن بيبرس - رحمهما الله تعالى - .

وَتُوِّفَ الأمير عمر بن عبد العزيز أمير عرب هُوارة ببلاد الصعيد .
قلت : وعمر هذا هو والد بنى عمر أمراء العربان ببلاد الصعيد فى زماننا هذا،
ولعله يكون أول من ولى منهم الإمرة .

(١) يعنى والد المؤلف . (٢) الزيادة من السلوك ج ٤ ص ٣٠

(٣) أنزلهم الظاهر برقوق بعد واقعة بدر بن سلام فى سنة ٧٨٣ ، فأقطع لإسماعيل بن مازن منهم
ناحية دجرجا ، وكانت خراباً فمرها ، وهو جد الموازن ، وأقام بها حتى قتله على بن عريب منهم ، وهو جد
العراقى فولى بعده الأمير عمر بن عبد العزيز الحواري (عن شرح القاموس مادة هود) .

وَتُوِّفِيَ الشَّيْخُ الْمُسْنَدُ الْمُعْتَمَرُ زَيْنُ الدِّينِ أَبُو الْفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ أَحْمَدَ
ابْنُ الْمُبَارَكِ بْنُ حَمَادٍ الْمَغْرِبِيُّ الْمَعْرُوفُ بِأَبْنِ الشَّيْخَةِ^(١)، وَمَوْلَاهُ فِي سَنَةِ ثَمَاسٍ وَعَشْرِينَ
وَسَبْعِمِائَةٍ، وَمَاتَ فِي تَاسِعِ عَشْرِينَ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ، وَدُفِنَ خَارِجَ الْقَاهِرَةِ بَعْدَ أَنْ
حَدَّثَ سَنِينَ وَصَارَ رُحْلَةً فِي زَمَانِهِ .

- وَتُوِّفِيَ الشَّيْخُ نُورُ الدِّينِ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْعَقِيلِيِّ (بَفَتْحِ
الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ) الْمَالِكِيُّ إِمَامُ الْمَالِكِيَّةِ بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِمَكَّةَ الْمُشْرِفَةِ، وَأَخُو الْقَاضِي
أَبِي الْفَضْلِ . وَكَانَ يُعْرَفُ بِالْفَقِيهِ عَلَى النَّوِيرِيِّ، فِي ثَانِي جُمَادَى الْأُولَى بِمَكَّةَ الْمُشْرِفَةِ،
وَكَانَ سَمِيعَ الْكَثِيرِ وَحَدَّثَ سَنِينَ .

- وَتُوِّفِيَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْعَلَّامَةِ جَمَالُ الدِّينِ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَوْسُفَ بْنِ هِشَامٍ النَّحْوِيُّ، فِي لَيْلَةِ الْاِثْنَيْنِ رَابِعِ عَشْرِينَ شَهْرِ رَجَبِ
بَعْدَ أَنْ تَصَدَّقَ لِإِقْرَاءِ النَّحْوِ سَنِينَ، وَأَنْتَفَعَ بِهِ جَمَاعَةُ الطُّلَبَةِ، وَكَانَ لَهُ مِشَارَكَةٌ
جَيِّدَةً فِي الْفَقْهِ وَغَيْرِهِ، وَكَانَ خَيْرًا دِينًا .

- وَتُوِّفِيَ قَاضِي الْقَضَاءِ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ
الطَّرَابُلُسِيُّ الْحَنْفِيُّ، قَاضِي قَضَاءِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ . فِي يَوْمِ السَّبْتِ ثَامِنِ عَشْرِينَ
ذِي الْحِجَّةِ، وَكَانَ عَفِيفًا دِينًا مَشْكُورَ السَّيْرِ . وَتَوَلَّى الْقَضَاءَ مِنْ بَعْدِهِ قَاضِي الْقَضَاءِ
جَمَالُ الدِّينِ يَوْسُفُ بْنُ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَلَطِيُّ، بَعْدَ أَنْ خَرَجَ الْبَرِيدُ بِطَلْبِهِ، وَشَفَرَ
مَنْصِبَ الْقَضَاءِ بِالْقَاهِرَةِ، مِائَةً يَوْمٍ وَأَحَدَ عَشَرَ يَوْمًا . حَتَّى حَضَرَ وَوَلَّى قَضَاءَ
الْحَنْفِيَّةِ بِدِيَارِ مِصْرَ .

(١) في السلوك ج ٤ ص ٢١ (ابن السَّحْنَةِ) وقد عُدَّ لَهُ الْمُؤَلَّفُ رِجْعًا فِي الْمَنْهَلِ الصَّافِي (ج ٢

قلت : هكذا تكون ولاية قضاة الشرع الشريف بعزة وطلب واحترام ، لا كن يسعى فيها من بيت المال والأمير الكبير إلى بيت والى القاهرة ، حتى يلى بالمال والبذل من غير تسر في ذلك حتى إنه يعرف ولايته بالبرطيل ، كل أحد من المسلمين حتى النصرارى واليهود ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وتوفى الشيخ الإمام العالم زين الدين ميكائيل بن حسن بن إسرائيل الترمكلى ، الفقيه الحنفى فى ذى الحجة عن نيف وسبعين سنة ، كان فقيها فاضلا بارعا مشاركا فى فنون كثيرة من العلوم ، وكان مستحضرا لمذهبه مناصرا طلق اللسان فصيحاً وأقرأ ودرس سنين .

وتوفى القاضى جمال الدين محمود بن أحمد ، وسماه بعضهم محمودا بن محمد بن على ابن عبد الله القيصرى العجمى الحنفى ، قاضى قضاة الحنفية بالديار المصرية ، وناظر الجيوش المنصورة بها ، وشيخ شيوخ خانقاه شيخون ، فى ليلة الأحد سابع شهر ربيع الأول ، بعد أن جمع بين هذه الوظائف الثلاث التى لم تجتمع لغيره ، وكان من رجال الدهر حزماً وعزماً ، ومعرفةً وعقلاً وفضلاً ، وكان قديم إلى القاهرة فى عُنفوان شببته فقيراً مُملقاً ، وترك بالمدرسة الصرغتمشية مدة يخدم الفقهاء ، فرأى فى منامه أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول له : أنت شاهنشاه ، ففسر المنام على الشنشى ، وكان من جملة الصوفية بالصرغتمشية ، وتنقلت به الأحوال إلى أن

(١) ذكرها المقرئى فى خطه باسم خانقاه شيخو ، حيث قال : (فى ص ٤٢١ ج ٢) من خطه : إن هذه الخانقاه فى خط الصلية خارج القاهرة . راجع الكلام عليها ص ١٣١ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٢) تكلم المقرئى عن هذه المدرسة فى خطه ص ٤٠٣ ج ٢ . راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٨ ج ١٠ من هذه الطبعة تجد لها شرحاً مطولاً .

(٣) هو محمد بن محمد بن موسى القاضى شمس الدين الشنشى ، راجع ترجمته فى المثل الصافى (ج ٣ ص ١٢٧) .

صار يُقرئ الممالك بالأطباق من القلعة، وقُتل الملك الأشرف شعبان وصار
مخدومه طشتُمز اللقاف أتابك العساكر. فتكلم له في حِسبة القاهرة دفعة واحدة
فَوَلَّيَها، ونزل عند شخص في داره حتى تُعَيَّن له دار يسكنها، وبعث له قاضي
القضاة صدر الدين المناوي بثوب حتى لبسه، لعجزه عن شراء ثوب، وهذا كان
أول مبدأ أمره، ثم تنقل في الوظائف حتى كان من أمره ما كان. ولم يمت
خلف موجوداً كبيراً وكُتبا حسنة، وخلف ثمانية أولاد من الذكور والإناث،
منهم العلامة صدر الدين أحمد بن العجمي الآتي ذكره في وفات ثلاث وثلاثين
وثمانمائة، وتولى قضاء الحنفية من بعده القاضي شمس الدين محمد الطرالمسي،
ومات في السنة حسب ما تقدم، وولى الجيش بعده شرف الدين بن الدمايني.

- ١٠ وتوفي الأمير جمال الدين محمود بن علي بن أصفر عينه الأستاذار، في يوم الأحد
تاسع شهر رجب بخرانة شمائل^(٢)، بعد ما نكب وعوقب وصودر ودُفِن بمدرسته
خارج بابي زويلة المعروفة به، وجملة ما أخذه الملك الظاهر منه من المال
في أيام مصادرته ألف ألف دينار، وأربعمائة ألف دينار، وألف ألف درهم فضة،
وبضائع وغلل، وغير ذلك بما يُنيف على ألف ألف درهم فضة، وتلف له بأيدي
من عاقبه وحواشيه جملة كبيرة، وأخفى هو أيضاً أشياء كثيرة يترجى البقاء، ومن
عظم مآظمه له من المال، قالت العامة: ألا إن الله الحديد لدواد، والذهب لمحمود،
وكان أصل محمود هذا أنه كان في مبدأ أمره فقيراً يتعانى الشد في إقطاعات الجند.

(١) هو القاضي شرف الدين محمد بن محمد الدمايني المالكي الإسكندري. ذكره المؤلف ترجمة

في المنهل الصافي (ج ٣ ص ١٢٦٢).

(٢) كانت هذه الخزانة من مجون القاهرة. راجع المقرئ ج ٢ ص ١٨٨، والمجزع العاشر

ص ١٦ من هذه الطبعة. (٣) في (ف) شيئاً كثيراً.

ثم خدم عند بعض الأمراء، فصلحت حاله، وحصل رضى، حتى ولى شدة الدواوين بالقاهرة، فظهر منه نجابة ويقظة، وترقى حتى ولى الأستاذارية فى دولة الملك الظاهر برقوق الأولى، وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف، ونكبه الناصرى لما ملك مصر، وحبسه إلى أن خرج من السجن فى توبة بظا وأصحابه من الحب. وأعادته الملك الظاهر إلى وظيفة الأستاذارية، بعد مدة فإنه كان أولما قدم إلى مصر ولآه مشيراً، ثم أعاده إلى الأستاذارية، ودام بها إلى أن قبض عليه الظاهر. بسعى كاتبه سعد الدين إبراهيم بن غراب^(١)، وأجرى عليه العقوبة إلى أن مات.

وتوفى الوزير صاحب سعد الدين نصر الله القبطى الأسلمى، المعروف بابن البقرى، فى ليلة الاثنين رابع جمادى الآخرة مخنوقا بعد عقوبة شديدة ومصادرة.

وتوفى قاضى القضاة شمس الدين [أبو الخطاب محمد]^(٢) بن محمد قاضى قضاة الشافعية بدمشق، المعروف بابن المسلاقي الشافعى، بالقاهرة فى يوم الخميس سابع عشرين شهر رجب، وكان فقيها عالما أفتى ودرس وولى قضاء دمشق، وكان معدودا من علماء الشافعية.

وتوفى قاضى القضاة نجم الدين أبو العباس أحمد بن قاضى القضاة عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عبد العزيز بن صالح بن أبي العز و هيب بن عطاء بن جبير ابن جابر بن وهيب الحنفى الدمشقى، المعروف بابن أبي العز، وبابن الكشك قتيلا

(١) عقد له المؤلف ترجمة طويلة فى المنهل السانى (ج ١ ص ١٢٣).

(٢) النكلة عن السلوك ج ٤ ص ٣٢

(٣) عقد له المقرئ فى السلوك ج ٤ ص ٣٣ ترجمة تختلف فى الألقاب عما ورد فى الأصلين.

- بدمشق، في مستهل ذى الحجة بعد أن لزم داره مدة، وكان إماما فقيها بارعا عالما مُفْتَنًا، ولى قضاء دمشق استقلالا غير مرة، وحُسُنَت سيرته، وأُشْتُخِص في سنة سبع وسبعين وسبعائة إلى الديار المصرية، وولى بها قضاء الحنفية بعد قاضى القضاة صدر الدين محمد بن عبد الله التركمانى بعد موته، فلم تطل مدته وأستعفى، وألْحَ في ذلك حتى أعفاه السلطان، وولاه قضاء الحنفية بدمشق على عادته، فدام بها سنين، ثم صُيرَف عنها، ولزم داره حتى مات قتيلا بدمشق — رحمه الله تعالى —
- § أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمسة أذرع وعشرون إصبعا .
- مبلغ الزيادة تسعة عشر ذراعا وأثنا عشر إصبعا والله أعلم .



- ١٠ السنة التاسعة من سلطنة الملك الظاهر برقوق « الثانية على مصر »
وهي سنة ثمانمائة .

- وفيها تُوُفِّيَ الأمير سيف الدين تَنْبُكْ بن عبد الله الْبَحَاوِيّ الظاهريّ^(١)، الأمير أخور الكبير في ليلة الخميس رابع عشر شهر ربيع الآخر، ونزل السلطان إلى الإسطنبول ومشى في جنازته حتى حضر الصلاة عليه بمصلاة المؤمني^(٢)، ثم ركب وتوجه أمام جنازته حتى شاهد دفنه، وأقام القزاء على قبره أسبوعا، ووجد السلطان عليه كثيرا وبكى عند دفنه، وكان من عظماء الممالك الظاهرية، أنعم عليه السلطان بإمرة عشرة في أوائل واقعة الناصري ومنطاش، ثم رقاها حتى ولّاه الأمير آخورية بعد الأمير
- (١) في المقرئ ج ٤ ص ٥٥ (تأني بك) وكذا في المنهل الصافي (١ ص ١٣٨٥) وذكر أنها تكتب (تنبك) بناء مشاة من فوق ومفتوحة، ومعناه في اللغة التركية (أمير جسد) .
- (٢) أنشأ هذه المصلاة الأمير سيف الدين بكشمر بن عبد الله المؤمني، وأنشأ أيضا سبيلا مع المصلاة يعرف بسبيل المؤمني، ولكن ابن إياس ذكره في تاريخ مصر (ص ٢١١ ج ١) باسم سبيل المؤمنين، وقد أنشئت المصل والسبيل حوالي سنة ٨٧٦٥ . راجع المخطط التوفيقية (ص ٥٠ ص ١٢٣) .

بِكَلْمَش العَلَّانِي، لَمَّا نُقِلَ إِلَى إمْرَةِ سِلَاح، فِدَامَ فِي وَظِيفَةِ الْأَمِيرِ آخُورِيَّةَ إِلَى أَنْ تَوَفَّى، وَتَوَلَّى الْأَمِيرُ آخُورِيَّةَ بَعْدَ مَوْتِهِ الْأَمِيرُ نَوْرُوزَ الْحَافِظِي الظَّاهِرِي رَأْسَ نَوْبَةِ النُّوبِ .

وَتَوَفَّى السَّيِّدُ الشَّرِيفُ جَمَالُ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْكَافِي بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الطَّبَاطِبِيُّ نَقِيبُ الْأَشْرَافِ فِي لَيْلَةِ رَابِعِ عَشْرِينَ ذِي الْقَعْدَةِ .

وَتَوَفَّى الْقَاضِي الْعَلَامَةُ تَاجُ الدِّينِ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَمْرِو السَّنْجَارِيِّ الْحَنْفِيُّ الْمَعْرُوفُ بِقَاضِي صَوْرٍ (بَفَتْحِ الصَّادِ الْمَهْمَلَةِ) وَصَوْرٌ: بَلِيدَةٌ بَيْنَ حَصْنِ كَيْفَا،^(١) وَبَيْنَ مَارْدِينَ مِنْ دِيَارِ بَكْرٍ وَائِلٍ، وَكَانَ إِمَامًا عَالِمًا مُفْتًى بَارِعًا فِي الْفَقْهِ وَالْأَصْلِينَ، وَالْعَرَبِيَّةِ وَاللُّغَةِ، وَأَفْقَى وَدُرِّسَ سَنِينَ بِدَمَشْقٍ وَمِصْرَ، وَكَانَ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ لَمَّا قَدِمَ الْقَاهِرَةَ اجْتِازَ بِدَمَشْقٍ وَاسْتَوَظَنَهَا مَدَّةً، وَأَخَذَ بِهَا عَنِ الْعَلَامَةِ علاء الدِّينِ الْقَوْنَوِيِّ الْحَنْفِيِّ، ثُمَّ قَدِمَ إِلَى الْقَاهِرَةِ فَأَخَذَ عَنِ الْعَلَامَةِ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ الْأَصْبَهَانِيِّ وَغَيْرِهِ، حَتَّى بَرَعَ فِي عِدَّةِ فَنُونٍ، وَأَفْقَى وَدُرِّسَ وَصَنَّفَ وَأَشْغَلَ، وَمِنْ تَأْلِيفِهِ كِتَابُ «الْبَحْرِ الْحَاوِي فِي الْفَتَاوَى» وَنَظَمَ كِتَابُ «الْمُخْتَارُ فِي الْفَقْهِ» وَنَظَمَ «السَّرَاجِيَّةُ فِي الْفَرَائِضِ»

(١) حَصْنُ كَيْفَا : قَلْعَةٌ حَصِينَةٌ شَاهِقَةٌ بَيْنَ جَزِيرَةِ ابْنِ عَمْرِو مِيَا فَارَقِينَ .

(٢) مَارْدِينَ : ذَكَرَهَا ابْنُ حَوْفَلٍ فِي الْمَسَالِكِ ص ١٥٢ ، وَيَاقُوتُ فِي مَعْجَمِ الْبَسْلَةِ ابْنُ بَطْوَةَ ج ٢ ص ١٤٢ وَقَامُوسُ الْأَمَكَةِ لِلرَّحْمَنِ عَلَى يَهْجَتِ ، وَقَدْ حَدَّدَ مَوْضِعَهَا أَطْلَسُ فِيلِيسُ الْجُغْرَافِي طَبْعَ لَنْدُنِ سَنَةِ ١٩٢١ . وَرَاجِعْ ص ٩٧ ج ٨ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ حَيْثُ تَجِدُ لَهَا تَرْجُمَةً مَطْوُورَةً .

(٣) دِيَارُ بَكْرٍ : بِلَادٌ كَبِيرَةٌ وَاسِعَةٌ تُنْسَبُ إِلَى بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، وَهِيَ نَاحِيَةُ ذَاتِ مَدَنٍ كَثِيرَةٍ بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَقَصَبَتُهَا الْهَوَصْلُ ، وَبِهَا دَجْلَةُ وَالْفَرَاتُ . رَاجِعْ الْكَلَامَ عَلَيْهَا فِي مَعْجَمِ الْبَلْدَانِ لِيَاقُوتَ ، وَالنُّجُومُ الزَّاهِرَةُ (ج ٨ ص ١١٧ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ) ، وَمَرَاصِدُ الْأَطْلَاعِ ، وَأَنَارُ الْبِلَادِ ، وَأَخْبَارُ الْبِلَادِ لِلْقَزْوِينِيِّ .

(٤) هُوَ علاء الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبِي الْحَسَنِ الْقَوْنَوِيُّ : وَتَدَّ سَنَةَ ٦٩٠ وَتَوَفَّى سَنَةَ ٧٤٩ . رَاجِعْ الْمَنْهَلُ الصَّافِي (ج ٢ ص ٤٤٦ ب)

ونظم كتاب « سُلوَان المَطَاع لابن ظَفَر » وناب في الحكم بالقاهرة ، وولى وكالة بيت المال بدمشق ، وكان من محاسن الدنيا دينا وعلما وخيرا وكما .

وتوفى الأمير سيف الدين قَلَمَطَاي بن عبد الله العثماني الظاهري الدوادار الكبير بالديار المصرية في ليلة السبت ثالث عشر جمادى الأولى ، وحضر السلطان الملك الظاهر الصلاة عليه بمصلاة المؤمني ، وحضر دفنه أيضا بترته التي أنشأها عند الصُوة بالقرب من بلب الوزير ، وبكى السلطان عليه بكاء كثيرا ، وأقام القراء على قبره أسبوعا ، وتولى الدوادارية من بعده الأمير بيبرس ابن أخت السلطان ، وكان قَلَمَطَاي من أجل الممالك الظاهرية ، بأشر الدوادارية بحرمة وافرة ، ونالته السعادة وعَظُم في الدولة ، وهو صاحب الحاصل بالقرب من البندقيين بالقاهرة ، وخلف مالا كثيرا ، وهو أيضا ممن نَسَأه أستاذه الملك الظاهر برقوق في سلطته الثانية ، رحمه الله تعالى .

وتوفى أمين الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي الأنصاري الحمصي الحنفى كاتب سر دمشق بها في ثاني عشر ذي الحجة ، ومولده في يوم الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وسبعائة ، وتفقه بدمشق ، وبرع في الفقه والعربية ، وشارك في عدة فنون مشاركة جيدة ، ومهر في الأدب والترسل والنظم ، وتولى كتابة سر دمشق وباشرها بحرمة وافرة ، ونالته السعادة في مباشرته ، وكان ذا شكالة حسنة ، وعبارة فصيحة ، وفضل وإفضال ، وكان له يد في علم الموسيقى وتأديته ، وعنده ميل إلى اللهو والطرب مع حشمة ودين وكرم ، ومن شعره لما عاد

من تجريدَة أُرْزَنْكَانَ ^(١) حبيبة الأمير تَم الحسنى نائب الشام، وقد ضلَّ غالبُ العسكر
في بعض الليالي عن الماء، فنزل هو على ماء في بعض الطريق، وقال في ذلك :
(البسيط) .

صَلُّوا عن الماء لَمَّا أَنْ سَرَوْا سَحَرَا * قَوْمِي فَظَلُّوا حَيَارَى يَلْهَثُونَ ظَمًا
وَاللَّهِ أَكْرَمَنِي بِالْوَرْدِ دُونَهُمْ * فَقُلْتُ « يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا »
وله أيضًا — ساعده الله تعالى —
(الوافر) .

جَفَوْنُ مِنْ تَارِقِهَا دَوَامِي * مَدَامِعُهَا تَفِيضُ عَلَى الدَّوَامِ
قَدَبْتُ عِيُونَ مِنْ حَرَمَتِ عُيُونِي * مُنَاهَا مِنْ لِقَا طَيْبِ الْمَنَامِ
وَرَأَشْتُ مِنْ لَوَاحِظِهَا نَبَالًا * مَرَّاشِقُهَا شَفَقِينَ مِنَ السَّقَامِ
إِذَا لَحَظْتَنِي فَتَصِيبُ قَلْبِي * عَلَى الْقَلْطَاتِ مَوْفُورِ السَّهَامِ ^(٢)
لَهَا شَفَتَانِ قَدْ شَفَتَا فَوَادِي * وَلَا شَفَتَاؤَ إِلَّا لِلْغَرَامِ
وَتَغَرُّ مِنْ يَعْيشُ بِهِ آرَتَوَاءُ * يَمُوتُ مِنَ الصَّابَةِ وَهُوَ ظَامٍ
أَدَامَتْ لِي مَدَامَتَهُ آرَتِشَافَا * فَوَا سُكْرَاهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَدَامِ
وَلَمَّا رَامَ بِدَرُّ الْأَفْقِ نَخْرًا * وَتَشْبِيهَا بِمَا تَحْتَ اللَّثَامِ
بَدَتْ تَخْتَالُ مُجْبَا عَنْ عَقُودِ * وَتَبْسِمُ عَنْ جُحَانٍ بِأَنْتِظَامِ

(١) ذكر ياقوت في معجمه ج ١ ص ٢٠٥ أن اسمها (أرزنجان، بالجم)، وأهلها يسمونها
(أرزنكان) بالكاف، وهي بلدة طيبة، كثيرة الخيرات من بلاد أرمينية من بلاد الروم. وعالم أهلها
أرمن، وفيها مسلمون، وهم أعيان أهلها.

(٢) اسمه الأصلي ثَبَك، وكان نائب دمشق، ومن تمالك الظاهر برفقون، وله ترجمة في المنهل الصافي

(ج ١ ص ٤٣٨ ب).

(٣) في (م) ترافها.

(٤) راض السهم : ألصق به الريش ليسير بسرعة. (٥) كذا بالأصل.

فَأَزْرَى نَفْسُهَا بِالْهَدَرِ تَقْصًا * وَأَنْجَلَ وَجْهَهَا بِدَرِّ التَّمَامِ
بِمِيشِكَ يَا كَرِيمَ الْحَيْمِ كُنْ لِي ^(١) * مُعِينًا إِنْ مَرَرْتَ عَلَى الْحِيَامِ
وَقُلْ صَبَّ تَوَصَّلْ فِي أَوَانٍ * لَهُ قَلْبٌ تَقْطَعُ بِالْأَوَامِ ^(٢)
وَلُبُّ هَامٍ بِالذِّكْرِى وَدَمْعٌ * كَوْبِلُ عَطَاءٍ نَحْرِ الدِّينِ هَامِي ^(٣)

وَتُوِّفَى الْقَاضِي نَجْمُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو الطَّمْبُودِي وَكِلَ بَيْتُ الْمَالِ وَمَحْتَسِبُ
الْقَاهِرَةِ فِي رَابِعِ عَشْرِينَ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ . قَالَ الْمُقْرِزِيُّ : « وَكَانَ غَايَةً فِي الْجَهْلِ »

وَتُوِّفَى الشَّيْخُ الصَّالِحُ الْمُعْتَقَدُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامَةَ النُّوَيْرِيُّ الْمَغْرِبِيُّ
الْمَعْرُوفُ بِالْكَرْكِي طُغُولَ إِفَامَتِهِ بِمَدِينَةِ الْكَرْكِ فِي خَامِسِ عَشْرِينَ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ،
وَكَانَ عِنْدَ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَرْقُوقَ بِمَنْزِلَةٍ مَكِينَةٍ جَدًّا ، كَانَ يُجْلِسُهُ فَوْقَ قَضَاةِ الْقَضَاةِ ،
وَلَمْ يَغَيِّرْ لِبَسَ الْعِبَاءَةِ ، وَلَا أَخَذَ مِنَ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ شَيْئًا مِنَ الْمَالِ ، وَكَانَ النَّاسُ فِيهِ
عَلَى قَسْمَيْنِ مَا بَيْنَ مُفْرَطٍ فِي مَدْحِهِ ، وَمَا بَيْنَ مُفْرَطٍ فِي الْخَطِّ عَلَيْهِ . وَتَوَلَّى الْأَمِيرُ
يَلْبِغَا السَّالِمِي تَجْهِيْزَهُ ، وَبَعَثَ السُّلْطَانُ مَائَتِي دِينَارٍ لِلْقِرَاءَةِ عَلَى قَبْرِهِ مَدَّةَ أُسْبُوعٍ .

وَتُوِّفَى الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ آقُ بِلَاطُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَحْمَدِيُّ الظَّاهِرِيُّ أَحَدُ
أَمْرَاءِ الْعَشْرَاتِ وَرَأْسُ نُوْبَةٍ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ ، وَكَانَ تَرْكِيَّ الْجَنْسِ شَجَاعًا .

وَتُوِّفَى الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ طُوغَايُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَمْرِيُّ أَحَدُ أَمْرَاءِ الْعَشْرَاتِ
بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَتَقَبَّيَ الْفُقَرَاءُ الشُّطُوحِيَّةَ فِي أَوَّلِ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، وَكَانَ دِيْنًا
خَيْرًا يُحِبُّ الْفُقَرَاءَ ، وَيَتَرَدَّدُ لَزِيَارَةِ الصَّالِحِينَ .

(١) الحيم : الأصل .

(٢) الأوام : شدة الظلم .

(٣) يقال عطاء هام (بتووين الميم مكسورة) ، أى دائم الانصباب

وَتَوَفَّى الشَّيْخُ بَرَهَانَ الدِّينِ أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَحْمَدَ بْنَ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْبَلْبَكِيِّ
الدمشقي الضرير المعروف بالبرهان الشامي في ثامن جُمادى الأولى، وكان فاضلاً
أديباً فقيهاً .

وَتَوَفَّى الْأَمِيرُ سُؤْلَى بْنُ قَرَّاجَا بْنُ دُلْعَادِرِ التُّرْكَمَانِي، صَاحِبَ أْبُلُسْتَيْنَ^(٢٢)، قُتِلَ غِيلَةً
عَلَى فَرَّاشِهِ، وَكَانَ غَيْرَ مَشْكُورٍ السَّيْرَةِ، كَثِيرَ الشَّرُّورِ وَالْفِتَنِ .

وَتَوَفَّى الْأَمِيرُ شَرْفُ الدِّينِ مُوسَى بْنُ قُمَارِي أَمِيرِ شِكَاكٍ فِي ثَانِي عَشَرَ شَهْرِ رَجَبٍ
وَكَانَ مِنْ جَمَلَةِ أَمْرَاءِ الْعَشْرَاتِ .

وَتَوَفَّى الشَّيْخُ الْأَدِيبُ الْمَسَادِحُ أَبُو الْفَتْحِ مُحَمَّدُ بْنُ الشَّيْخِ الْعَارِفِ عَلَى الْيَدِ يَوْيُ
فِي ثَامِنِ عَشْرِ جُمَادَى الْآخِرَةِ بِالنَّحْرِيرَةِ^(٢٣)، وَكَانَ أَكْثَرَ شَعْرِهِ مَدَائِحَ .

(١) ذكره المقرئ ج ٤ ص ٥٨ ترجمة طويلة .

(٢) ذكرها ياقوت في معجمه ج ١ ص ٩٣ وقال إنها مدينة مشهورة ببلاد الروم قريبة من مدينة
أبسس مدينة أصحاب التكهف .

(٣) هذه البلدة هي التي تعرف اليوم باسم النصارى إحدى قرى مركز كفر الزيات بمديرية الغربية بمصر
والنحريرية هو اسمها الأصلي في الديوان، وردت به في قوانين الدواوين لابن عاتق . وفي تحفة الإرشاد
وفي التحفة السنية لابن الجيعان من أعمال الغربية ومن بعد الروك الناصري حُرِّفَ اسمها إلى النصاروية ،
فقصد وردت به في رحلة ابن بطوطة ، وفي كتاب وقف السلطان قايتباي ، وفي دليل أسماء البلاد المصرية
المحرر في سنة ١٢٢٤ هـ ، وفي انبساط التوفيق مضبوطة براءين مهملتين بينهما ألف ، ووردت في بعض
الكتب باسم النصاروية ويحتمل أن يكون ذلك من الغلط وقت الطبع لتشابه الحروف ، وفي العهد العثماني
حُرِّفَ اسمها للمرة الثانية إلى النصارية ، وهو اسمها الحالي وردت به في تاج العروس للزبيدي .

ويستفاد مما قرأته في عدة كتب عن هذه البلدة أنها كانت في بدء تكوينها ضيعة للأمير نحرير الأوغلي
الإخشيدى في القرن الرابع الهجري فنسبت إليه ، وكانت في إقطاع الأمير شمس الدين سقر السعدى ققيب
الجيوش المنصورة فأنشأ بها جامعاً وطاحوناً وخاناً ، ثم تزايدت في المارة حتى صارت بلدة كبيرة ذات إيراد
عظيم ثم خرج عنها الأمير شمس الدين لللك الناصر محمد بن قلاوون فأنشع أمرها وأنشئ فيها زيادة عن ثلاثين
بستاناً وأصبحت مدينة كبيرة ذات أسواق ودكاكين وقياسر وفنادق وعدة مساجد وحمامات ومعاصر للزيت =

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمسة أذرع وأثنا عشر إصبعا —
مبلغ الزيادة . تسعة عشر ذراعا وسبعة أصابع والله تعالى أعلم .

= وفيها تجار مياسير، ورغبت الناس في سكناها وبنوا بها الدور والقصور وبنى بها الملك الناصر جامعا كبيرا
وسماه المحمودية، وكان به ٣٥٠ عمودا، ورتب فيه عشرين درسا، ووقف عليه أوقافا جليلة، وقد اندثر
كل ذلك وأصبحت تلك المدينة الآن قرية زراعية تبلغ مساحة أرضها ١٩٥٠ فداناً وعدد سكانها
حوالى ٥٠٠٠ نسمة بما فيهم سكان العزب التابعة لها .



صورة ما جاء بالأصل الفوتوغرافى رقم ١٣٤٣ تاريخ

القسم الثانى من الجزء الخامس

١٠ يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ، وعظيم سلطانك ، لا تحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت
على نفسك ، فلك الحمد حتى ترضى ، ولك الحمد على الرضا ، ولك الحمد على كل حال . اللهم صل على سيدنا
محمد كلما ذكره المفاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون .
تم الجزء الخامس من كتاب النجوم الزاهرة ، في ملوك مصر والقاهرة من تأليف يوسف بن تغرى
بردي الشيباوى الأتابكى .



ذكر ما أشتمل عليه هذا الجزء من ملوك مصر وهم

٢٠ الملك الكامل شعبان بن الناصر محمد بن قلاوون ، ثم الملك المظفر حاجى بن الناصر محمد بن قلاوون ،
ثم الملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ، ثم الملك الصالح بن الناصر محمد بن قلاوون ، ثم الملك
الناصر حسن ثانيا ، ثم الملك المنصور محمد بن المظفر حاجى بن الناصر محمد بن قلاوون ، ثم الملك الأشرف
شعبان بن حسين بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، ثم الملك المنصور على بن الملك الأشرف شعبان بن
حسين بن محمد بن قلاوون ، ثم الملك الصالح حاجى بن الملك الأشرف شعبان بن حسين ، ثم الملك الظاهر
برقوق بن أنص العنابى اليلبغاوى ، ثم الملك الصالح حاجى ثانيا ، وغير لقبه بالملك المنصور ، ثم الملك الظاهر
برقوق ثانيا إلى أن مات . انتهى .

٢٥ وكان الفراغ من هذا الجزء المبارك على يد الفقير إلى الله تعالى ، الراجى غفوره ومغفرته محمد بن
عبد العزيز بن محمد البلقينى الكافى الشافى غفر الله له ولوالديه فى يوم الأربعاء المبارك العشرين من شهر
الله المحرم الحرام عام ست وثمانين وثمانمائة ، أحسن الله عاقبتهم بمحمد وآله وصحبه وسلم ورضى الله تعالى
عن أصحاب رسول الله أجمعين ، والحمد لله وحده .

ذكر سلطنة الملك الناصر فرج بن برقوق الأولى على مصر

السلطان الملك الناصر زين الدين أبو السعادات فرج بن السلطان الملك الظاهر
أبي سعيد برقوق بن الأمير آنص ، الجاركي الأصل ، المصري المولد والمنشأ ،
سلطان الديار المصرية ، والبلاد الشامية ، والأقطار الحجازية ، وهو السلطان السادس
والعشرون من ملوك الترك بالديار المصرية ، والثاني من الجراكسة ، وأمه أم ولد
رومية تسمى شيرين ، ماتت في سلطته . مولده في سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ،
قبل خلع أبيه الملك الظاهر برقوق من السلطنة ، وحبسه بالكرك ^(١) ، فأراد أن يُسميه
« بُلغاك » يعني « تَحْيِيْط » باللغة التركية ، فسَمَّى « قَرَجًا » .

جلس على تخت الملك بقلعة الجبل صبيحة موت أبيه يوم الجمعة النصف من
شوال سنة إحدى وثمانمائة بعهد من أبيه إليه حسب ما تقدم ذكره ، في أواخر
ترجمة أبيه ، وحسب ما ذكره أيضا .

وفي سلطنته يقول الأديب المقرئ شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن حسن
الأوحدي ^(٣) :
[الطويل]

مضى الظاهر السلطان أكرم مالك * إلى ربّه يرقى إلى الخلد في الدرج
وقالوا ستأتي شدة بعد موته * فأكرمهم ربّي وما جاسوى (فرج)

(١) الكرك : اسم لقلعة حصينة جدا في طرف الشام من نواحي البلقاء (راجع معجم البلدان لياقوت) .
(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا مطولا .
(٣) هو أحمد بن عبد الله بن الحسن بن طوغان بن عبد الله التمهاني الأوحدي نسبة إلى بيرس
الأوحدي نائب القلعة لكون جده لما قدم من بلاد الشرق سنة عشر وسبعمائة اتصل بخدمة وناب عنه
بالقاعة فشهريه . ولد سنة ٥٧٦١ هـ ومات سنة ٨١١ هـ (عن الضوء للأمع ١ : ٣٤٨) .

ذكر جلوسه على تخت الملك

- قال الشيخ نقي الدين المقرئ - رحمه الله تعالى - : ولما كان صبيحة يوم الجمعة اجتمع بالقلعة الأمير الكبير آيتمش ، والأمير تغرى بردي أمير سلاح ، وسائر أمراء الدولة ، واستدعى الخليفة وقضاة القضاة ، وشيخ الإسلام البلقيني ، فلما تكاملوا بالإسطبل السلطاني ، أحضر فرج بن السلطان الملك الظاهر برفوق ، وخطب الخليفة وبايعه بالسلطنة وقلده أمور المسلمين ، وأحضرت خلعة سوداء فأفيضت على فرج المذكور ، ونعت بالملك الناصر ، وركب بشعار السلطنة ، وطلع حتى جلس على تخت الملك بالقصر السلطاني ، وقبل الأمراء كلهم الأرض بين يديه على العادة ، وليس الخليفة تشريفًا جليلًا ، ثم أخذ الأمراء في تجهيز السلطان الملك الظاهر برفوق . انتهى كلام المقرئ .

١٠

قلت : ونذكر الآن في ابتداء دولة الملك الناصر فرج آسم خليفة الوقت ولقبه ، وقضاة القضاة ، وأرباب الوظائف من الأمراء وغيرهم من النواب ، بالبلاد الشامية ، ليكون ذلك مقدمة لما يأتي من تغيير الوظائف وتقلبات الدول . انتهى .

١٥

(١) هو عمر بن رسلان بن نصير بن صالح البلقيني ولد سنة ٥٧٢٤ هـ وتفق على مذهب الشافعي ، وكان عالمًا جليل القدر ، توفي سنة ٥٨٠٥ هـ .

(٢) في « ف » : « فلما كان تكاملهم » .

(٣) يستعاد مما ذكره المقرئ في خطه عند الكلام على صفة القلعة (ص ٢٠٤ ج ٢) ، وعلى الميدان بالقلعة (ص ٢٢٨ ج ٢) أن هذا الإسطبل مكانه اليوم مجموعة المباني التي بها مخازن ورش الجيش المصري بالقلعة الواقعة على يمين الداخل من باب العزب الذي كان يسمى قديماً باب الإسطبل

٢٠

نخليفة الوقت : أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عبد الله محمد العباسي^(٢) ،
والقاضي الشافعي صدر الدين محمد المناوي^(١) ، والقاضي الحنفي جمال الدين يوسف^(٣)
الملطي^(٤) ، والقاضي المالكي^(٥) وبلى الدين عبد الرحمن بن خلدون^(٦) ، والقاضي الحنبلي
برهان الدين إبراهيم بن نصر الله العسقلاني^(٧) ، والأمير الكبير أتابك العساكر أيتمش
البيجاسي^(٨) ، وأمير سلاح تغرى بردى من تشبغا الظاهري^(٩) (أعني الوالد) ، وأمير مجلس
أرغون شاه البيدزمري الظاهري^(١٠) ، والأمير آخور الكبير سيدي سودون قريب الملك
الظاهر برقوق ، وحاجب الحجاب فارس الأعرج الظاهري^(١١) ، ورأس نوبة الثوب
أرسطاي^(١٢) ، والدوادار الكبير بيبرس ابن أخت السلطان الملك الظاهر^(١٣) ، والخازندار
تشبك الشهباني الظاهري^(١٤) ، وهو أمير مائة ومقدم ألف ، وشاذ الشراب خاناه
سودون المارداني^(١٥) ، والأستادار الأمير يلغا الأحمدى الظاهري المجنون^(١٦) ، وكاتب

(١) هو صدر الدين محمد بن إبراهيم بن إسماعيل السلي المناوي الشافعي ، ولد سنة ٥٧٤٢ هـ ، وكانت له
عناية كبيرة بجمع الكتب ، وكان معظما عند الخاص والعام ، وتوفي سنة ٥٨٠٣ هـ عن الضوء الاعم ج ٦ : ٢٤٩ ،
وشذرات الذهب ج ٧ : ٣٤ ، والمهل الصافي ج ٣ : ٨٣ .

(٢) هو القاضي يوسف بن موسى بن محمد الملطي الحلبي قاضي قضاء الحنفية بمصر ، كان عالما فاضلا
وفقيها بارعا ، توفي سنة ٥٨٠٣ هـ عن حسن المحاضرة للسيوطي ١ : ٢٢٣ ، والضوء الاعم ج ١ : ٢٣٥ ،
طبع الموسوعات وإعلام النبلاء ٥ : ١٣٣ .

(٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الإشيلي^(١) ، قاضي قضاء المالكية بمصر ، ولد بنونس
وطلب العلم بها ، وجاء إلى مصر وولى قضاء المالكية في عهد الملك الظاهر برقوق ، ثم عزل وأعيد بعد
مدة ، ثم ولده الملك الناصر فرج قضاء المالكية ، ومكث بها إلى أن مات ليلة سنة ٥٨٠٨ هـ (انظر
التعريف بابن خلدون) .

(٤) هو إبراهيم بن نصر الله بن أحمد بن محمد قاضي قضاء الحنابلة بمصر ولد في سنة ٥٧٦٨ هـ
ونشأ بها وتنفقه بجماعة ، وناب في الحكم من أبيه ، واستمر في القضاء إلى أن توفي سنة ٥٨٠٢ هـ (الضوء
الاعم ج ١ ص ١٧٩ ، وشذرات الذهب ص ١٤ ج ٧) .

المترفع الدين فتح الله التبريزي ، والوزير تاج الدين عبد الرزاق بن أبي الفرج ،
 وناظر الجيش والخاص معا سعد الدين إبراهيم بن غراب ، ومحتسب القاهرة
 الشيخ تقي الدين أحمد المقرزي ، ووالى القاهرة شهاب الدين أحمد بن الزين ،
 بالبلاد المجازية والشامية ، وأمير مكة الشريف حسن بن تجلان الحسني ، وأمير
 المدينة النبوية الشريف ثابت بن نعيم الحسني ، ونائب الشام الأمير تلبك الحسني
 المعروف بتم الظاهري ، ونائب حلب آقبا الجمال الظاهري ، المعروف بالأطروش
 ونائب طرابلس يونس بلطال الظاهري ، ونائب حماة دمرdash المحمدي الظاهري ،
 ونائب صدد الطنبغا العثماني الظاهري ، ونائب غرة الطنبغا الحاجب الظاهري ،
 ونائب الكرك سودون الشمسي الظاهري المعروف بالظريف ، وعدة نواب أخر
 ببلاد الساحل وغيرها يطول الشرح في ذكرهم .

١٠

ولما تم أمر الملك الناصر فرج في الملك ، بعد أن دُفن والده ، وصار الأتابك
 أيتمش مدبر ملوكه ، أراد أيتمش أن يطلع إلى باب السلسلة ^(١) ويسكن بالإسطنبول
 السلطاني ، فتمعه من ذلك الأمير سودون الأمير آخور الكبير ، قريب الملك المظاهر ،
 ورد ما بعته الأمير الكبير أيتمش من القماش ، فأستدعى سودون إلى حضرة السلطان
 فأمتنع ، فأمسك أيتمش عن الكلام في ذلك ، ونكلم فيما يعود نفعه ، فأمر فكتب
 إلى سائر الأقطار بالعزاء في الملك المظاهر برقوق ، والثناء بسلطنة ولده الملك الناصر
 فرج ، وكتب تقليد الشريف حسن بن تجلان بإمرة مكة ، وكان بالقاهرة ،
 وكتب إلى مكة وبها الأمير ينسق الشيخى والى المدينة النبوية ، وتوجه بذلك
 بعض الخاصكة ، وكتب إلى الأمير نعيم بن حيار بإمرة آل فضل على عادته .

٢٥

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٢ ج ٧ من هذه الطبعة .

وعزل الأمير شمس الدين محمد بن عَنقَاء بن مُهَنَّا ، وعَرَف بموت الملك الظاهر ،
وبسلطنة الملك الناصر فرج ؛ وحُل إليه التَّشْرِيفُ والتَّقْلِيدُ على يد الأمير أَسْبَغَا
الدوادار ، وعَيَّن الأمير سُودُون الطَّيَّار الأمير آخُور بالكَتَب والحَلَع إلى نائب الشام
الأمير تَمَّ الحسنى ، وعَيَّن يلبغا الناصرى رأس نوبة إلى الأمير آقبا الجمالى نائب
حلب ، وعَيَّن الأمير تَقْصِرَى بردى قرا إلى الأمير يُونس بَلْغا نائب طرَابُلُس ، وعَيَّن
الأمير يَشْبَك إلى الأمير أَلْطُنْبغا العثماني نائب صفد ، وعَيَّن الأمير شاهين كُكَّ إلى
الأمير سُودُون الظريف نائب الكرك ، وعلى يد كل من هؤلاء كُتِبَ يَتَضَمَّنُ العزَاءَ
والهناء ، وأن يُحَلَفَ كُلُّ نائب أمراء بلده للملك الناصر فرج على العادة ، وقرر الأمير
الكبير أَيْمَش مع أرباب الدولة إبقاء الأمور على ما هي عليه .

ثم كَلَّمَ الوزير والأستادار في الكَفِّ عن الظلم وتجهيز الجَامِكِيَّة والعَلِيق برسم
لِمَالِك السلطانية .

وفي يوم الاثنين ثامن عشر شَوَّال خرج رَكْبُ الحَمَل إلى البركة صحبة أمير الحج
الأمير شَيْخ المَحمُودى الظَاهِرَى ، « أعنى الملك المؤيد » ، وأمير الركب الأول
الأمير الطَواشَى بهادر مقدَّم المَالِك السلطانية .

وفي اليوم المذكور أَجْتَمَعَ الأمراء بالقلعة في الخدمة السلطانية على عادتهم ،
وطلبوا الأمير سُودُون أمير آخُور ، فامتنع عن الحضور ، فبعث الأمراء إليه ثانيا
فامتنع ، فكررُوا الإرسال إليه ثلاث مرات إلى أن حَضَرَ فكلَّمُوهُ في التزول من

(١) الجَامِكِيَّة : رواتب خدام الدولة ، فارسى معرَّب .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٨١ من الجزء الخامس من هذه الطبعة

الإسطنبول فلم يُجِهم إلى ذلك ، فتحيلوا منه وآتموه بأنه يريد إثارة فتنة ، فقبضوا عليه وعلى الأمير علي بن إينال اليوسفي ، وأخرجوا ما كان له بالإسطنبول من خيول وقماش ونحو ذلك ، وسكن الأتابك أَيْمَنْ مكانه بالإسطنبول من باب السلسلة ، وأنزل سُودُون وعلي بن إينال في الحديد إلى الحزقة وجها إلى سخن الاسكندرية ثم نودي بالقاهرة ومصر بخروج طائفة العجم من الديار المصرية ، وهدد من تأخر بعد ثلاثة أيام بالقتل .

ثم خلع على الأمير يشبك الشعباني الخازندار باستقراره (لا لا) السلطان الملك الناصر فرج ، ومعه الأمير قطلوبغا الكركي (لا لا) أيضا .

ولما كان يوم حادى عشر من شوال جلس السلطان الملك الناصر فرج بدار العدل ، « أعنى بالإيوان من قلعة الجبل » على عادة الملوك ، وخلع على الأمير الكبير أَيْمَنْ ، وعلى الوالد الأمير تَنْزِي بَرْدِي وهو أمير سلاح ، وعلى أرغون شاه البيدمرى أمير مجلس ، وعلى بيبرس الدوادار ، وأرسطاي رأس توبة الثوب . وفارس حاجب الحجاب ، وتمربغا المنجكي الحاجب الثاني ، وأحد مقدّمى الألوف ، وعلى يلبغا المحنون الأستاذار ، وعلى جميع أرباب الدولة .

ثم قام السلطان من دار العدل ودخل إلى القصر ، وجلس القضاة بجامع القلعة حتى يَمْلَحَ عليهم ، فعند ما تكامل الأمراء وأرباب الدولة بالقصر ، أغلق الأمراء الخاصكية باب القصر ، وكان رئيسهم يوم ذاك سُودُون طاز . وسودون من زادة .

(١) الحرافة : سفينة حربية كبيرة كانت تستخدم بالبصرة لمل الأسلحة النارية ، وفي مصر لمل الأمراء .

رجال الدولة في الاستعراضات البحرية . راجع المقرئ ج ٢ ص ١٩٤ ، وشرح القاسوس مائة

(٢) في (م) حبس الإسكندرية .

(حرق)

(١) وآقبى رأس نوبة ، وجارَكنس القاسمى المصارع ، ثم سلّوا سيوفهم بمن معهم ، وهجموا على الأمراء وقبضوا على أرسطى رأس نوبة الثوب ، وتمراز وتمربغا المنجى ، وطغنجى وبلاط السعدى ، وطولو رأس نوبة ، وفارس الحاجب ، وفرّ مبارك شاه وطنج ، فأدركا ، وقبض عليهما أيضا ، وبلغ ذلك يلبغا المجنون الأستاذار وكان خارج القصر ، فخلع خلعتَه وسلّ سيفه ، ونزل من القلعة إلى داره .

(٢) ثم أحضر الخاصكية الأمراء المقبوض عليهم إلى عند الأمير الكبير أيتمش وقد بيّت وأسكت ، وقيدوا أرسطى رأس نوبة الثوب ، وتمراز وتمربغا المنجى ، وطغنجى أحد أمراء الطبلخانات ، وأطلقوا من عداهم ، وأستدعوا يلبغا المجنون الأستاذار ، فلما حضر قبض عليه أيضا وقيد وأضيف إلى الأمراء المقبوض عليهم وأنزل الجميع من يومهم إلى الحراقة ، وتوجهوا إلى سجن الإسكندرية ، ما خلا يلبغا المجنون فإنه فى يوم السبت ثالث عشرينه عصر يلبغا المجنون ليحضر المسال ، ثم أسلموه لسعد الدين إبراهيم بن غراب ناظر الجيش والخاص ليحاسبه ، فنزل به إلى داره ، وسألوا يلبغا السالمى بوظيفته الأستاذارية فامتنع ، فعرضوها على ناصر الدين محمد بن سنقر وابن قطينة فلم يوافقا ، فخلع على الأمير مبارك شاه بأستقراره أستاذارا عوضا عن يلبغا المجنون .

وفيه أنفق على الممالك السلطانية نفقة سلطنة الملك الناصر ، وتولّى الإتفاق عليهم يلبغا السالمى ، وفُرقت بحضرة السلطان والأمراء ، فأعطى كل مملوك من

(١) فى م : (آقبى) .

(٢) رواية (ف) ثم أحضر الخاصكية الأمراء المقبوض عليهم ، وأنزل الجميع من يومهم إلى الحراقة وتوجهوا إلى سجن الإسكندرية ما خلا يلبغا المجنون

من أرباب الخدم الجوانية والمشتريات ستين ديناراً ؛ صُرِفَ كل دينار ثلاثون درهماً .

وفي يوم الاثنين خامس عشرينه ، تأخر سائرُ أمراء الألوْف عن طلوع الخدمة السلطانية خوفاً من الخاصكية ، فإن الأمور صارت معذوقة بهم ، فبعث الخاصكية إلى الأمراء بالحضور فأبَوْا ذلك ، فنزل الخاصكية إلى الإسطنبول في خدمة الأمير الكبير أيتمش ، وأستدعوا الأمراء من منازلهم فحضروا ، وكثُر الكلام بينهم حتى آنفقوا جميعاً ، وتحالفوا على طاعة الأمير الكبير أيتمش ، والملك الناصر ، وحلّف لهم أيضاً أيتمش ، ثم حلف سائر المماليك والخاصكية ، وتولّى تحليفهم بلبغا السالمى ، وخُلِعَ على سُودون الماردانى بأستقراره رأس نوبة النُوب عوضاً عن أرسطاي المقبوض عليه قبل تاريخه ، وعلى قطلوبغا الحسنى الكركى بأستقراره شاد الشراب خاناه ، عوضاً عن سُودون الماردانى ، وأنعم على الأمير قرا كسك بإمرة مائة ، وتقديم ألف كانت مؤخرة .

ثم في يوم الثلاثاء سادس عشرين شوال خُلِعَ على الوزير تاج الدين عبد الرزاق ابن أبى الفرج بأستقراره في وظيفة الأستادارية مضافاً للوزر عوضاً عن مبارك شاه بحكم أستعفاء مبارك شاه .

وفيه كُتِبَ مرسومٌ سلطانيّ بأستقرار قرا يوسف بن قرا محمد صاحب تبريز (٢) في نيابة الرها على عادته ، وبأستقرار ديمشق سجّا في نيابة جعبر . (٣) (٤)

(١) معذوقة أى غير معلومة . (٢) راجع الحاشية ص ١٩ ج ٨ من هذه الطبعة .

(٣) الرها . (يحد ويقصر) مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام ، سميت باسم الرها . بن البلدى بن مالك .

راجع معجم البلدان لياقوت ٢ ص ٨٧٦ (٤) جعبر بالفتح ثم السكون ، وباء مفتوحة ؛ قلعة

على الفرات بين الراس والرافقة قرب صفين (معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٨٤) .

وفيه ورد الخبر بأن أبا يزيد بن عثمان ملك الروم تحرك للشي على البلاد الشامية ،
وفي ثامن عشر من شوال ، ورد الخبر بأن الأمير تَمَّ الحسنى نائب الشام أخذ قلعة
دمشق ، وكان خبرُ أخذه لقلعة دمشق أتت تَمَّ كان بالمرج من غُوطَة دمشق ، فقدم
عليه الخبر بموت الملك الظاهر برقوق ، فركب وقصد دمشق ولم يشعر به الناس ،
في ليلة الأربعاء العشرين من شوال ، حتى حضر إلى دار السعادة ^(١) ثلث الليل ، فلما
أصبح استدعى الأمير جمال الدين يوسف الهيدباني نائب قلعة دمشق ، بحجة أن الملك
الظاهر برقوق طلبه إلى الديار المصرية ، فعندما نزل إليه أسكبه وبعث من تسلم
قلعة دمشق ، فلم يعلم أحد ما قصده تم المذكور إلى أذان الظهر ، فوصل فارس
دوادار تم من مصر ، وأخبر بموت الملك الظاهر ، وسلطنة ولده الملك الناصر
فرج ، وأخبر أيضا بأن سودون الطيار قادم بالخلعة إلى الأمير تم ، فخرج الأمير
تم إلى لقائه ، ولبس الخلعة ، وبأس الأرض خارج مدينة دمشق ، ثم عاد إلى دار
السعادة وقد اجتمع بها القضاة والأعيان ، وقرئ عليهم كتاب السلطان الملك
الناصر فرج ، فأجابوا بالسمع والطاعة ، وتودى بدمشق بالأمان والزينة ، فزينت
البلد ، ودقت البشائر ، وسر الناس بذلك ، وأخذ الأمير تم يقول بأن السلطان
صغير ، وكل ما يصدر ليس هو عنه ، وإنما هو عن الأمراء ، وأنا وصي السلطان
لا يعمل أحد شيئا إلا بمراجعتي ونحو هذا ، فأضطرب الناس بدمشق ، وبلغ
ذلك نائب حص ، فأخذ قلعتها ، وأخذ أيضا نائب حماة قلعة حماة ، كل ذلك
قبل تكلمة خمسة عشر يوما من سلطنة الملك الناصر فرج .

(١) المقصود بدار السعادة هنا دار الحكومة التي يقيم فيها الحاكم . راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٨

ثم في أول ذى القعدة ركب الأمير طُغاي تَمْرَ مَقْدَم البريدية من مصر على البريد إلى البلاد الشامية ، ومعه ملطقات لأمرء الورسقى^(١) والأمرء الأوجقية^(٢) ، ومُطَلَقى لنواب الممالك والقلاع ، ومثال لأحمد بن رمضان نائب أذنة^(٣) ولأمرء التركمان ، ولنائب حلب ، ولنائب سيمس وصحبته أقيية مطوزة بقرو ، خمس عشرة قطعة ، وفوقانيات حرير بطررز زركش ؛ أربع وعشرون قطعة ، وتشاريف معة كبيرة .

وفي ثالث ذى القعدة فرغ تحليف الممالك السلطانية لللك الناصر فرج .

وفيه أنعم على الأمير إينال باى من قنقاس بإمرة مائة وتقدمة ألف ، وهو خُزْبَارِسطاى رأس نوبة الثوب ، وعلى سودون من على بك المعروف بطاز ، بتقدمة الأمير سودون أمير أخور المقبوض عليه ، وعلى آقبای من حسين شاه ، بتقدمة ألف أيضا عوضا عن تَمْرُبُغا المَتَجَكِي ، وأنعم على الأمير يعقوب شاه الخازندار بإمرة طبلخاناه زيادة على طبلخاناته ، فصارت تقدمته بثمانين فارسا « أعنى إمرة ثمانين » ، وأنعم على كل من قرابغا الأسنبغاوى ويَتَمْرُ المَحمَدى وآقبای الإينالى بإمرة طبلخاناه ، وعلى جَرَبَاش الشيخى بإقطاع يلغا المجنون ، إمرة خمسين فارسا وعلى آقبغا المَحمَدى بإمرة طبلخاناه أيضا وعلى كَلَّ من تَمْرُ الساقى وجركس القاسمى المصارع ، ولينال حطَب ، وكَشْبُغا الجمالى ، وَالطُنْبُغا الخليلي ، وكُرُل العجمي البَجمَقدار ، وقانى باى العلانى ، وجَمَّ من عَوَضه ، وَصُوماى الحسنى بإمرة عشرة .

(١) الورسقى والأوجقية من قبائل الغز التى تسكن شرق كليكيا .

(٢) في الأصل : الأوثرية .

(٣) وردت في تقويم البلدان ومعجم ياقوت والقاموس بالذال المعجمة ، وفي صبح الأعشى بالذال المهملة ، وهى مدينة من بلاد الأرمن كبيرة حصينة ، بينها وبين طرسوس ثمانية عشر ميلا .

وفي سابعه خلع على سُودون المَسارداني بِاستقراره رأس نوبة النُوب ، وكانت عِيْنَتْ له قبل ذلك ، غير أَنه كان متوعِّكًا ، وعلى يعقوب شاه الظاهري بِاستقراره حاجبًا ثانيًا ، عوضًا عن تمرِّبنا المنجكي بِإمرة ثمانين ، وعلى كُلٍّ من سُودون من زاده ، وتَنكِز بُغا الحَطِيطي ، وبَشباي وَجَم من عوض ، وأَقْبغا المحمودي الأشقر وأستقروا رءوس نُوب صِغارًا .

وفي تاسعه خلع على قرابغا الأَسْنَبغاوي ومُقْبِل الظاهري ، وأستقروا مُجَّابًا ، فصارت الحُجَّاب ستة بالديار المصرية ، ورءوس نُوب نحو العشرة ، وهذا شيء لم يكن قبل ذلك .

ثم حضر الأمير دُقاق المحمدي معزولاً عن نيابة مَلَطِيَّة بِتفادِم كثيرة .

وفي ثاني عشره خَلَعَ على الأمير جَرِياش الشِخِي وتَمان تَمَر ، بِاستقرارهما رءوس نُوب أيضًا ، فزادت عِدَّة رءوس النُوب على العشرة ، وخلع على كُرُل المحمدي العجمي البَجَمَقُدار بِاستقراره أَسَدار الصَّحبة ، عوضاً عن قرابغا الأَسْنَبغاوي ، المنتقل إلى الجُوبِيَّة ، وخلع على كل من الطواشين : شاهين الحسنى الأشرفي ، وعبد اللطيف الأشرفي بِاستقرارهما (لالا) السلطان .

وفي سابع عشره آسَدَعِيَ الأميرُ الكبيرُ الشِخِي سراج الدين عمر البُلُقِيْنِي والقضاة وأعيان الفقهاء من كل مذهب ، فحضر الجميع عِنْد الأمير الكبير بالإسْطِبل ، وقد حضر الأمراء والخاصَّة بِسبب الأموال التي خَلَفها السلطان الملك الظاهر بِرقوق ، هل تُقسَم في ورثته ؟ أو يكون ذلك في بيت مال المسلمين ؟ فوقع كلام كثير آخره أن تُفَرَّق في ورثته من السدس ، وما بقى فلبيت المال .

وفيه آسَتَقَرَّ الأمير أرغون شاه البِيدْمَرِي أمير مجلس في نظر خاتقاه شيخون عوضاً عن يلبغا السالمى .

وفي حادى عشرين ذى القعدة ، استقر الأمير سُودون الطيَّار أمير آخورا
كبيرا ، عوضا عن سُودون قريب السلطان ، بعد أن شَغَرَتِ عِدَّةُ أيام .

وفي ثالث عشرينه خُلِعَ على أستاذار الوالد؛ شهاب الدين أحمد بن عمر المعروف
بأبن قُطَيْبَةَ بِاستقراره وزيراً ، عوضا عن تاج الدين بن أبى الفرج .

- [وَخَلَعَ أيضا على يلبغا السالمى الظاهرى بِاستقراره أستاذارا عوضا عن أبى أبى
(١) الفرج] المذكور ، وَقُبِضَ على تاج الدين بن أبى الفرج وَصُودِرَ ، فلم تُطَلْ مدة
أبن قُطَيْبَةَ فى الوزر، وعُزِّلَ بفخر الدين ماجد بن غراب فى رابع ذى الحجة وعاد
إلى أستاذارية الوالد على عادته .

- (٢) (٣)
ثم قَدِمَ الخبر فى ثامن عشر ذى الحجة بأن أبن عثمان أخذ الأبلستين ^{مُؤَدَّوَةً} وَمَلْطِيَةَ ، وعزم
على المسير إلى البلاد الشامية ، فَعَمِلَ الأمراء مشورة فى أمره ، وَأَتَفَقَ الحال على
١٠ المسير إلى قتاله ، وتفترقوا فانكرا لملك السلطانية ذلك ، وقالوا هذه حيلة علينا حتى
نخرج من القاهرة ، وعينوا سُودون الطيَّار الأمير آخور لكشف هذا الخبر ، وحضر
البريد من دمشق بأن علاء الدين بن الطبلاوى ترك لُبْسَ الأمراء ، وتزيّياً بزيّ
الفقراء ، وأمتنع من الحضور إلى مصر ، وكان طُلِبَ إليها ، وأن تم نائب الشام
قال : هذا رجل فقير قد قَنِعَ بالفقر، أتركوه .

١٥

(١) الزيادة عن (ف) .

(٢) أبلستين : مدينة مشهورة ببلاد الروم ، وسلطانها من ولد قَلِج أرسلان السلجوق ، وهى قرية
من أبسس مدينة أصحاب الكهف (راجع ياقوت ص ٩٣ ج ١) .

(٣) ملطية كما فى ياقوت وقد ذكرت فى صبح الأعشى بكسر الطاء ، وتشديد الباء ؛ ويقول ياقوت : إن

هذه لغة العامة .

وفي يوم ثامن عشر المذكور خرج سُودون الطيَّار لكشف الأخبار ، فدخل
دمشق في العشرين منه ، وهذا شيء من وراء العقل ، كونه يصل من مصر إلى
الشام في يومين .

وفي أواخر ذي الحجة قَدِم الخبر بأن تَمَّ نائب الشام نخرج عن الطاعة ، وقَبَضَ
جانبك الجيأوى الظاهري ، الذي كان ولي نيابة قلعة دمشق ، ولم تُسَلِّمْ له قلعة
دمشق ، وأنه أرسل إلى نائب الصببية^(١) . فأفرج عن آقبا اللكاش ، وأُجيبًا الحاجب ،
وخضر الكریمی ، وأستدعاهم إلى دمشق ، فقَدِموا عليه ، فلم يتحرك بسبب ذلك
ساكنٌ بمصر لاختلاف الكلمة .

ثم في يوم الثلاثاء حادى عشرين المحرم سنة اثنتين وثمانمائة ، ركب السلطان الملك
الناصر من قلعة الجبل ، ومعه الأمير الكبير أَيْمَنُشُ البجاسي ، والوالد أمير سلاح ،
وسائر الأمراء ، ونزل إلى تربة أبيه بالصحراء وزاره ، ثم عاد بعد أن شقَّ القاهرة ،
وطلع إلى القلعة ، وهذا أول ركوب الملك الناصر .

ثم في هذه الأيام تزايد الاختلاف بين أكابر الأمراء ، وبين الأمراء الخاصية
وأشدت الوحشة بين الطائفتين ، وأتفق سُودون طاز ، وسودون من زاده ، وجرَّس
القاسمي المصارع ، وأقبای من حُسين شاه ، وبشباي وغيرهم ، وأنضموا على
الأمير تَشَبَكُ الشعباني الخازندار ، وصاروا في عُصبة قوية وشوكة شديدة ،
وَأَسْتَمَلُوا جماعة كبيرة من نَجْدَاشِيَّتِهِمُ الظاهرية^(٣) ، الذين بالأطباق من القلعة ،

(١) الصببية : اسم لقلعة بانياس الحصينة . (٢) تعرف هذه التربة بالمدرسة الناصرية
بالصحراء أو الخانقاة البروقية ، وهي أكبر تربة في جبال القاهرة لأن بها مسجداً فسيح الأرجاء وعلى
خاقاه للصوفية وعلى سبيلين وسارتين وقد ذكرها المقرئ ج ٢ ص ٣٦٣

(٣) النجداشية جمع نجداش أو خنداش ، فارسي معرب ، ومعناه الزميل في الخدمة ، وهم الأمراء
الذين نشوا عماليك عند سيد واحد فنبت بينهم رابطة الزمالة القديمة (راجع السلوك طبع الأستاذ زيادة
الجزء الأول ص ٣٨٨) .

- وَمَا كَدَّتِ الْفَتْنَةُ ، وَشَرَعَتْ كُلُّ مَنْ الطَّائِفَتَيْنِ تَدَبَّرَ عَلَى الْآخَرَى ، فَآخَذَ الْأَمْرَاءُ
الْخَاصِيكَةَ يَتَخَوَّفُونَ مَنْ تَمَّ نَائِبُ الشَّامِ ، فَأَرْسَلُوا بِتَفْوِضِ أُمُورِ الْبِلَادِ الشَّامِيَةِ إِلَيْهِ ،
فَلَمَّا وَصَلَ ذَلِكَ إِلَى تَمَّ عَلَى يَدِ مَمْلُوكِهِ سَوْنُجْبَا ، فِي ثَالِثِ عَشْرِ الْحَرَمِ ، وَقُرِئَ الْمَرْسُومُ
الشَّرِيفَ الَّذِي عَلَى يَدِهِ بَدَارُ السَّعَادَةِ ، وَفِيهِ أَنَّهُ يَعْزِلُ مَنْ شَاءَ ، وَيُؤَيِّلُ مَنْ شَاءَ ،
وَيُطْلِقُ مَنْ شَاءَ مِنَ الْمَسْجُودِينَ ، فَأَرْسَلَ أَطْلَقَ الْأَمِيرُ جُلْبَانَ الْكَشْبُغَاوِي الظَّاهِرِي
المَصْرُوفَ بِهَرَأَسَقُلِ الْمَعْزُولِ عَنْ نِيَابَةِ حَلَبَ ، ثُمَّ عَنْ أَتَابِكَةِ دِمَشْقَ ، مِنْ سِجْنِ
قَلْعَةِ دِمَشْقَ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ رَابِعِ عَشْرِينَ الْحَرَمِ ، وَأَطْلَقَ أَيْضًا الْأَمِيرُ أَزْدَمَرُ أَخَا إِيْنَالِ
الْيُوسُفِي ، وَمُحَمَّدَ بْنَ إِيْنَالِ الْيُوسُفِي ، مِنْ سِجْنِ طَرَابُلُسَ وَأَحْضَرَهُمَا إِلَى دِمَشْقَ ،
ثُمَّ بَعَثَ إِلَى نَوَابِ الْبِلَادِ الشَّامِيَةِ يَدْعُوهُمْ إِلَى طَاعَتِهِ ، وَإِلَى الْقِيَامِ مَعَهُ فَاجَابَهُ الْأَمِيرُ
أَقْبَا الْجَمَالِي الْأَطْرُوشَ نَائِبَ حَلَبَ ، وَالْأَمِيرُ يُونُسَ بَلَقْبَا نَائِبَ طَرَابُلُسَ ،
وَالْأَمِيرُ الْقَنْبَغَا الْعُثْمَانِي الظَّاهِرِي نَائِبَ صَفَدَ ، وَأَمْتَنَعَ مِنْ لُجَابَتِهِ الْأَمِيرُ دِمَرْدَاشَ
المُحَمَّدِي الظَّاهِرِي ، نَائِبَ حِمَاةَ ، ثُمَّ بَعَثَ تَمَّ إِلَى طَرَابُلُسَ بِتَجْهِيْزِ شَيْئٍ فِي الْبَحْرِ
إِلَى ثَغْرِ دِمَاسَاطَ ، لِيُحْمَلَ فِيهِ الْأَمِيرُ تَوْرُوزُ الْخَافِظِي ، وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَسْرَاءِ الَّذِينَ
بِثَغْرِ دِمَاسَاطَ ، فَبَادَرَ نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ بَهَادُرِ الْمُؤْمِنِي ، فَتَسَلَّمَ بَرُّجَ الْأَمِيرِ أَيْتَمُشَ
بَطْرَابُلُسَ ، وَرَكِبَ الْبَحْرَ إِلَى دِمَاسَاطَ ، وَقَدِمَ إِلَى الْقَاهِرَةِ ، وَأَعْلَمَ الْقَوْمَ بِمَا
قَصَدَهُ تَمَّ ، فَكَتَبَ عَلَى يَدِهِ عِدَّةَ مُلَطَّفَاتٍ إِلَى الْأَمِيرِ قُرْمُشَ حَاجِبَ حُجَابَ
طَرَابُلُسَ ، وَإِلَى الْقَضَاةِ وَالْأَعْيَانِ بَأَنَ قُرْمُشَ يَرْكَبُ عَلَى يُونُسَ بَلَقْبَا نَائِبَ طَرَابُلُسَ
وَيَقْتُلُهُ ، وَيَلِي نِيَابَةَ طَرَابُلُسَ عَوْضَهُ ، فَاتَّفَقَ أَنَّ يُونُسَ الْمَذْكُورَ قَبَضَ عَلَى قُرْمُشَ
الْحَاجِبَ وَقَتْلَهُ قَبْلَ وَصُولِ ابْنِ بَهَادُرِ إِلَى طَرَابُلُسَ ، ثُمَّ إِنْ تَمَّ اسْتَدْعَى الْأَمِيرَ
عِلَاءَ الدِّينِ عَلَى بْنِ الطَّبْلَاوِي الْمَقْدَمَ ذَكَرَهُ فِي تَرْجُمَةِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بِرُقُوقَ لَمَّا

(١) الشَّيْنِي : سَفِينَةٌ حَرْبِيَّةٌ كَبِيرَةٌ (عَنْ دَوْدِي) .

صَوْدِرَ وَحُسِبَ بِخَزَانَةِ شِمَائِلَ^(١)، ثُمَّ نُفِيَ وَخُلِعَ عَلَيْهِ، وَأَقَامَهُ مُتَحَدِّثًا فِي أُمُورِ الدَّوْلَةِ: كَمَا كَانَ فِي دِيَارِ مِصْرَ، فَأَخَذَ ابْنُ الطُّبْلَاوِيِّ هَذَا فِي الْإِفْخَاشِ فِي أَمْرِ الشَّامِيِّينَ، وَطَرَحَ عَلَيْهِمُ السُّكْرَ الْوَاصِلَ مِنَ الْغُورِ^(٢)، بِحَيْثُ إِنَّهُ طَرَحَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ، حَتَّى عَلَى الْفُقَهَاءِ وَنَقَبَاءِ الْقَضَاةِ، فَتَنَكَّرَتْ الْقُلُوبُ عَلَيْهِ، وَقَدِّمَ الْخَبْرُ بِهَذَا كُلَّهُ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، فَتَحَقَّقَ عِنْدَ ذَلِكَ أَعْيَانُ الدَّوْلَةِ عِصْيَانَهُمْ وَصَرَّحَ الْأُمَرَاءُ الْخَاصِكِيَّةُ بِأَنَّ الْأَمِيرَ الْكَبِيرَ أَيْتَمَشَ، وَالْوَالِدَ وَجَمَاعَةَ مِنْ أَكْبَرِ الْأُمَرَاءِ بِالْدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ، قَدْ وَافَقُوا تَمَّ عَلَى ذَلِكَ، وَكَاتَبُوهُ بِالْخُرُوجِ، وَلَمْ يَكُنْ لَذَلِكَ صَحَّةً، فَأَخَذَ الْأُمَرَاءُ الْخَاصِكِيَّةُ وَكَبِيرُهُمْ يَتَّبِعُ الشَّعْبَانِيَّ الْخَازِنْدَارَ، فِي التَّنْذِيرِ عَلَى أَيْتَمَشَ وَرُفَقَتِهِ، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَمْرٍ يَكُونُ فِيهِ زَوَالُ أَيْتَمَشَ وَأَصْحَابِهِ، وَعَلَّمُوا السُّلْطَانَ الْمُسْلِكَ النَّاصِرَ فَرَجًا بِقَوْلِ يَقُولُهُ إِلَى أَيْتَمَشَ

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْخَمِيسِ سَادِسَ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ آثْنَتَيْنِ وَثَمَانِمِائَةٍ وَجَمِيعُ الْأُمَرَاءِ بِالْخِدْمَةِ السُّلْطَانِيَّةِ، أَبْتَدَأَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ بِالْكَلَامِ مَعَ الْأَمِيرِ الْكَبِيرِ أَيْتَمَشَ، وَقَالَ لَهُ: يَا عَمُّ أَنَا قَدْ أَدْرَكْتُ وَبَلَغْتُ الْحُلُمَ، وَأُرِيدُ أَنْ أُرْسِدَ فَقَالَ لَهُ أَيْتَمَشَ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، وَاتَّفَقَ مَعَ الْأُمَرَاءِ الْخَاصِكِيَّةِ عَلَى تَرْشِيدِ السُّلْطَانَ وَصَوَّبَ ذَلِكَ بِجَمِيعِ الْأُمَرَاءِ؛ إِلَّا الْوَالِدَ وَفَارَسَ الْحَاجِبَ، وَخَالَفَا الْجَمِيعَ، فَأَخَذَ الْأَتَابِكُ أَيْتَمَشَ يُحَسِّنُ ذَلِكَ لِلْوَالِدِ وَلِفَارَسَ، حَتَّى أَذْعَنَّا عَلَى رَغْمِهَا لِتَرْشِيدِ السُّلْطَانَ وَأَنَّهُمْ يَمْتَنِّتُونَ بَعْدَ تَرْشِيدِهِ سَائِرًا مَا يَرْسُمُ بِهِ، وَطَلَبَ فِي الْحَالِ الْخَلِيفَةَ وَالْقَضَاةَ وَالسَّرَاجَ الْبَلْقِينِيَّ وَمُفْتَى دَارِ الْعَدْلِ فَخَضَرُوا، وَقَامَ سَعْدُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ غُرَابٍ نَاضِرَ الْجَيْشِ وَالْخَاصِ، وَأَدَّعَى عَلَى الْأَمِيرِ الْكَبِيرِ أَيْتَمَشَ، أَنَّ السُّلْطَانَ قَدْ بَلَغَ رُشْدَهُ

(١) راجع الحاشية رقم ١ ج ١٠ ص ١٦ من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا وافيا .

(٢) هو غور فلسطين، وهو حوض نهر الشريعة الكبير المسمى نهر الأردن .

- وشهد عدة من الأمراء الخاصة بذلك، ولم يكن ذلك صحة تحكم القضاء بعد البيتنة برشد السلطان، وخلع على الخليفة وقضاة القضاء وعلى الأمير الكبير أيتمش وأنفض الموكب، ونزل الأمير الكبير إلى داره التي كان يسكن بها بالقرب من باب الوزير ومعه جميع الأمراء، فلما سار أيتمش حتى صار تحت الطلخافاه السلطانية، وطلب أن يسلم على الأمراء، وألقت برأس فرسه، وقد وقف له جميع الأمراء لرؤسائه، وقبل أن يسلم عليهم، قال له الوالد: إلى أين يتوجه الأمير الكبير من هنا؟ قال الأمير أيتمش: إلى بيتي! أو ما علمت بما وقع عليه الاتفاق من ترشيد السلطان، وأنه يستبد بالأمور، وأنزل أنا من باب السلسلة إلى داري! فقال الوالد: نعم، وقع ذلك، غير أنه بتزولك تسكن الفتنة، إطلع إلى باب السلسلة، وأمكث به اليوم، وخذ في نقل قماشك شيئا بعد شيء إلى الليل حتى نبرم أمرا فعله في هذه الليلة، فإذا أصبحت فأنزل إلى دارك، فقال أيتمش: يا ولدي! ليس ذلك مصلحة ويقيم - من له غرض في إثارة الفتنة - المحجة علينا، فألح عليه الوالد حتى سمع كلامه كل أحد، وأيتمش لا يذعن إليه، وأبى إلا النزول إلى داره، ثم سلم عليهم، وألقت برأس فرسه، فقال الوالد: أنحرت بيتك وبيتنا بسوء تذكرك، وعاد الوالد إلى جهة داره، بحط الصليبة عند حمام الفارقاني، ومعه سائر الأمراء،

- (١) هذا الباب فتحه الوزير نجم الدين محمد بن علي بن شروين المروفي بوزير بغداد وقت أن كان وزيرا لملك الأشرف بكك بن الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٧٤٢ هـ لمرور الناس فيه بين المدينة وبين الجبل الواقعة خارج السور، وعلى الأخص بعد سنة الباب المحروق، ولهذا عرف من ذلك الوقت إلى اليوم باسم باب الوزير وإليه ينسب باب الوزير وقرافة باب الوزير بالقاهرة. والباب الحالي جده الأمير طراباى الأشرف صاحب القبة المجاورة لهذا الباب.
- (٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٦٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة، حيث تجد لها شرحا مفصلا.
- (٣) هذا الحمام أحد حمامات القاهرة، تجاه البندقدارية، بناء الأمير ركن الدين بيبرس الفارقاني، وقد هدم من زمن قديم، ومكانه اليوم المنزل ٤٨ وقف على أفندى طلعت بشارع قره قول المنشية. راجع ص ٢٦٦ من الجزء العاشر من هذه الطبعة.

فكلمهم في الطريق وقال : هؤلاء الأجلابُ لأبَدَ لهم معنا من رأس ، فإن كان ولا بد
 يكون ذلك في الإسطبل السلطاني معنا ، ونَدَبُ الأمراء إلى أن يتوجَّهوا إلى أَيْتَمَش
 في ذلك ، فقالوا : قد فات الأمر ، ونزل إلى داره ، ثم توجَّهَ كُلُّ واحد إلى منزله ،
 وفي الحال دُقَّت للمُشائِر لترشيد السلطان ، وزُيِّنَت القاهرة ، وأُتْرِقَ العسكر
 فرقتين : فرقة مع الأمير الكبير أَيْتَمَش البجاسي ، وهم جميع أكابر الأمراء والمماليك
 القرائص ، وفرقة مع الأمير يَسْبَك الشعباني الخازندار ، وهم الأمراء الخاصكية
 ومماليك الأطباق ، وقويت شوكة الأمير يشبك بمجز أَيْتَمَش وعدم أهليته في القيام
 بتدبير الأمور من يوم مات الملك الظاهر برقوق ، واستمر ذلك إلى ليلة عاشر شهر
 ربيع الأول المذكور ، وقد نَدِمَ الأمير الكبير أَيْتَمَش على نزوله من باب السلسلة ،
 حيث لا ينفعه الندم ، ولم يجد بداً من الركوب ، وأتَّفَقَ مع الأمراء على الركوب



ذكر الواقعة بين الأتابك أَيْتَمَش وبين يشبك وغيره

ولما كان ليلة الاثنين عاشر شهر ربيع الأول ، أنفق الأمراء الأكابر مع الأمير
 الكبير أَيْتَمَش ، ولبسوا الجميع آلة الحرب ، واجتمعوا على الأتابك أَيْتَمَش بداره
 بِحُطَّ باب الوزير ، بعد نزول أَيْتَمَش من باب السلسلة بثلاثة أيام ، وأخذ بعض
 رُفَقته من أكابر الأمراء يلومه على نزوله من الإسطبل السلطاني ، وعلى عدم ميله
 لكلام الأمير تغرى بردى (أعنى الوالد) في النزول ، فقال : هكذا قُدِّر ، وكان
 سبب ركوب أَيْتَمَش بعد نزوله من الإسطبل أنه لما وقع ترشيد السلطان ،
 وأتَّفَقوا معه على أن ينزل إلى داره ظنَّ أَيْتَمَش أن ينزله تسكن الفتنة ، وتطمئن
 الخواطر ، وبصير هو على عادته رأس مشورة ، ولا يُعْمَلُ شيء إلا بعد مشاورته ،

فتمشى الأحوال بذلك على أحسن وجه ؛ ولم يَدْرِ أن القصد كان بنزوله من باب
السلسلة حتى يَضَعَف أمرُه ؛ وتصير القلعة بأسرها في أيدي الجماعة ؛ ويستبدوا
بالأمر من غير مشارك ؛ ثم يقبضوا على واحد واحد ، حتى يصفو لهم الوقت ؛ وفطن
الوالد لذلك فعزف أيتش بالمقصود وقال له : إنه لا بد طوْلاً الجماعة من إثارة
فتنة فإن كان ولا بُدَّ فيكون ذلك ونحن مُلَّاك باب السلسلة ؛ وهي شطر القلعة ،
فأبى إلا ما أراد الله تعالى ، ونزل إلى داره وأقام يومه ، ثم أصبح وقد تحقق ما قاله
الوالد وغيره ، وعلم أنه متى ظَفِرُوا به وبالأمراء رفقته قبضوا عليهم ، فلم يجد بُدًّا
من الركوب وركب إلى الوالد في ظهر نهاره وترضاه ، حتى وافقه ، فعند ذلك وافقه
الجميع ، واتفق رأيهم على الركوب في ليلة الاثنين المذكورة ، فركبوا بعد صلاة
المناء الأخيرة ، وهم جماعة كثيرة من أمراء الألوْف والطبلخانات والعشرات والمالِك
السلطانية القرائيص ، فالذي كان معه من مقدمي الألوْف : الأمير تغرى بردى
من شِيفَا أمير سلاح (أغنى عن الوالد) ، والأمير أرغون شاه البيدمرى أمير مجلس ،
وفارس حاجب الحجاب ، ويعقوب شاه الحاجب الثاني ، ومن أمراء الطبلخانات
الطنبغا شادى ، وشادى نجبا العثماني ، وتغرى بردى الجلباني ، وبكتمر الناصري
المعروف بجَلَق ، وتكر بغا الحطّطي ، وآقبا الحمودى الأشقر ، وعيسى فلان وإلى
القاهرة ، ومن العشرينات أسندمر الإسعدى ، ومنكلى العثماني ، ولبغا من نجبا
الظريف ، ومن العشرات خضر بن عمر بن بكتمر الساقى ، و خليل بن قرطاي
شادَ العائر ، وعلى بلاط الفخرى ، وبيرم العلاني ، وأسنبغا الحمودى ، ومحمد بن يونس
النوروزى ، وألجينا السلطاني وتمان تمر الإشتقرى ، وتغرى بردى البيدمرى ،
وأرغون السيفي ، ولبغا الحمودى ، وبای نجبا الحسني ، وأحمد بن أرغون شاه
الأشرف ، ومُقِيل الحاجب ، ومحمد بن علي بن كلك تقيب الجيش وخيربك من

حسن شاه: و جُلْبَان العثماني، وكُرُول العلاقي ويدي شاه العثماني، وكَشْبَغَا الجمالي،
 وَأَلْطُنْبَغَا الخليلي، وأَلْطُنْبَغَا الحسني، ونحو الألف مملوك من أعيان المماليك السلطانية،
 ونُحْرَج أَيْتَمَش إلى داره مُلبَسًا هو ومماليكه، وكانوا نحو الألف مملوك، وصحبته الأمراء
 المذكورون، وعَبَّي عَسَاكِرُهُ، وأَوْقَفَ طُلْبَهُ ومماليكه بمن أنضاف إليهم من أمراء
 الطبلخانات والعشرات، والمماليك السلطانية بالصُّوَّة^(٣)، تُجَاه باب المدرج أحد أبواب
 قلعة الجبل، وأصعد جماعة أخر من حواشيه إلى سطح المدرسة الأشرفية التي مكانها
 الآن بيمارستان الملك المؤيد شيخ، ليرموا على مَنْ بالطبلخاناة السلطانية ويحسوا^(٤)
 ظهور مماليكه، ولم يخرج هو من بيته وكان الذي رتب العساكر الوالد، ووقف
 الأمير فارس حاجب الخُجَّاب ومعه جماعة من أمراء الطبلخانات والعشرات،
 في رأس الشارع الملاصق لمدرسة السلطان حسن^(٥)، المتوصل منه إلى سوق القَبْو،
 لِيُقَاتِل مَنْ يخرج من باب السلسلة من السلطانية، ووقف الوالد ومعه الأمير أرغون
 شاه أمير مجلس، برأس سويقة منعم من خط الصليبية، تجاه القصر السلطاني وتفرقت
 الأمراء والمماليك ثلاث فرق: كل فرقة إلى جهة من الأمراء المذكورين مع من
 أنضاف إليهم من المماليك البطالة والزُّعْم وغيرهم، وأخذ كل واحد من هؤلاء الأمراء
 يُعَيِّنُ طُلْبَهُ وعساكره، على حسب ما يختار، كَلَّ ذلك في الليل.

(١) في هامش (م) (ريدي) وفي (ف زبدي).

(٢) يجمع على أطلاب وهم الحرس الخاص لأمراء المماليك، يحملون سلاحا كالأجناد وهم الجند.

(٣) اسم يطلق على المنطقة الجبلية الواقعة في الجهة الشمالية من قلعة القاهرة قيا بين القلعة وجامع
 الرافعي (راجع خطط المقرئ ج ٢ ص ٢١٣ والجزء الحادي عشر من النجوم الزاهرة من هذه الطبعة).

(٤) هذا البيمارستان فوق الصوَّة تجاه طبلخاناة قلعة الجبل حيث كانت المدرسة الأشرفية، التي

هدمها الناصر فرج. (راجع خطط المقرئ الجزء الثاني ص ٤٠٨).

(٥) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٢٣ من الجزء التاسع من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا مطولاً.

وأما أهل القلعة فإن الأمير يَشْبِكُ الشعباني - الخازندار لما سمع بذلك ركب إلى القلعة هو وبيبرس الدَّوادار وطلعا إلى السلطان ، وقد اجتمع غالبُ الأمراء والخاصكية من الظاهرية عند السلطان ، وطلب يشبك في الحال ممالك الأتباع ، وأمرهم بلبس السلاح وليس هو وجميعُ الأمراء ، وحرَّضهم على قتال أيتمش ورفقته ، وخوفهم عاقبة الأمر ، وقال لهم : هؤلاء وإن كانوا خُشدا شئتًا ، فقد صاروا الآن أجنب ، وتركوا خبرَ الملك الظاهر برقوق ، وخرجوا على ولده ، وأرادوا يسلطون أيتمش ونحن نُقاتل مع ابن أستاذنا حتى نموت ، فأجابه جميع الممالك الجلبان وظنوا أن مقاتله حقيقة ، وفي الحال دُقَّت الكوسات الحربية بالقلعة وليس سائرُ الأمراء الذين بالقلعة ، وهم : بيبرس الدوادار ابن أخت الملك الظاهر برقوق ، ويشبك الشعباني الخازندار المتقدم ذكره ، وسُودون المارداني رأس نوبة التَّوب ، وسُودون من على بك طاز ، وإينال باي بن بجماس ، ويلغا الناصري . وبكتمر الركني ودُقاق الحمدي المعزول عن نيابة مَلَطِيَّة ، وشيخ الحمودي (أعنى المؤيد) وآقبا الطرطاني والجميع أوف ، وجماعة أُخر من الطليحانات والعشرات ، وأما الممالك السلطانية فمعظمهم ، ونزل السلطان الملك الناصر فرج من القصر إلى الإسطبل السلطاني ، ووقع القتال بين الطائفتين من وقت عشاء الأخيرة إلى باكر ١٥ النهار ومعظم قتال أهل القلعة مع الذين كانوا برأس سُوَيْفَةِ مُنِيم ، وتصادموا غير مرة ، وبينما القتال يشتد أمر الأتابك أيتمش البجاسي فودى من قبض على ملوك بَرَكِيَّة وأحضره إلى الأمير الكبير أيتمش فله كَيْت وكَيْت ، فلما سمعت الجراكسة الذين كانوا من حزب أيتمش ذلك حَتَقُوا منه وتوجه أكثرهم إلى السلطان ، مع أن أيتمش كان من أعظم الجراكسة ، غير أن زوال النعم شيء آخر ، فعند ذلك كَثُر جمعُ السلطانية وقوى أمرهم ، وحمَلوا على الوالد ، وبمن معه وهو برأس سُوَيْفَةِ

مُنْعِمٌ ، فكسروه ، فترجم معه من الأمراء ومماليكه حتى اجتاز بداره ، وهى دار طاز
بالشارع الأعظم تجاه حمام الفارقانى ، والقوم فى أثره ، فحصى ظهره بماليكه الجلبان^(٢)
الذين بالأطباق بالرمى على السلطانية ، حتى تركوه وعادوا ، ومرة الوالد حتى لحق
بالأمير أيتمش بالصوة .

وأما السلطانية فإنهم لما كسروا الوالد ، وكان الأهم عادوا لقتال فارس
الحاجب ، وكان فارس من الفرسان المعدودة الأقسية ، فثبت لهم فارس المذكور
ثباتا عظيما ، لولا ما كادوه من أخذ مدرسة السلطان حسن ، والرمى عليه من أعلاها
إلى أن هزموه أيضا ، وأنحاز بطائفته إلى أيتمش بالصوة ، ففكر أيتمش المناداة على
الممالك الجراكسة — خذلان من الله — ، فذهب من كان بقى عنده منهم ، وعند
ذلك صدمته السلطانية صدمة هائلة كسروه فيها ، وأنهزم من بقى معه من الأمراء
المذكورين والممالك وقت الظهر من يوم الاثنين عاشر شهر ربيع الأول من سنة
أثنيتين وثمانمائة ، ومرتوا فاصدين إلى جهة الشام حتى نزلوا بسرياقوس ، فأخذوا^(٣)
من الخيول السلطانية التى كانت بها من جيادها نحو المائة فرس ، ثم ساروا إلى نحو
البلاد الشامية ، وندب السلطان خلف أيتمش ورُفقتة من المنهزمين جماعة من أمراء
الألوف وغيرهم ، فالذى كان منهم من أمراء الألوف بكتمر الركنى المعروف

(١) هو الذى يعرف بقصة القاهرة أو شارع القاهرة ، وهذا الشارع يمتد بين باب الفتوح إلى باب
زويلة راجع الكلام عليه فى ص ٦٧ من الجزء التاسع من هذه الطبعة .

(٢) هذا الحمام لم يتكلم عليه المقرئ فى خطه ، ولكنه لما تكلم على دار الأمير طاز قال :
إنها تجاه حمام الفارقانى ، بناها هى والحمام الأمير ركن الدين بيبرس الفارقانى ، وهو غير مستقر آق الفارقانى
المسوبة إليه المدرسة الفارقانية

(٣) هى من القرى القديمة فى مصر ، وهى الآن من قرى مركز شبين القناطر بمديرية القليوبية ،
واحة على الشاطئ الشرقى لقرعة الإسماعيلية فى شمال القاهرة ، وعلى بعد ١٨ كيلو مترا منها .

بيكتمر باطيا، ويلبغا الناصري، وآقبقا الطرنطائي، ومن أمراء الطليخانات أسنبغا الدوادار وبشباي من باكي، وصوماي الحسني في جماعة كثيرة من أمراء العشرات، والمهاليك السلطانية، وهم نحو خمسمائة مملوك فلم يبقوا لهم على خبر، وعادوا من قريب .

- وامتدت الأيدي إلى بيوت الأمراء المنهزمين بالنهب، فقبهوا جميع ما كان فيها حتى نهب الزعر مدرسة أيتمش^(١) وأخذوا جميع ما كان فيها حتى حفروا قبر ولده^(٢) الذي كان بها، وأحرقوا الرقع المجاور لها من خارج باب الوزير، ونهبوا جامع آق سنقر المجاور لدار أيتمش، وأستهانوا حرمة المصاحف بها، ثم نهبوا مدرسة السلطان حسن، وأنهبوا بيوتا كثيرة من بيوت المنهزمين، فكان الذي أخذ من بيت الوالد فقط من الخيل والفماش والسلاح وغير ذلك ما تزيد قيمته على عشرين ألف دينار .

- ثم كسرت الزعر حبس الديلم وحبس الرحبة^(٣)، وأخرجوا من كان بهما من أرباب الجرائم، وصارت القاهرة في ذلك اليوم غوغاء، من غلب على شيء سار له، وقُتل في هذه الواقعة من الطائفتين جماعة كبيرة من المهاليك وغيرهم، فكان الذي قُتل من الأمراء بقماش المحمدى شاذ السلاح خاناه، وقرأ بفأسنبغاوى، وينتمر

(١) هذه المدرسة خارج القاهرة داخل باب الوزير تحت قلعة الجبل برأس التبانة؛ أنشأها الأمير الكبير سيف الدين أيتمش البجاسي ثم الظاهري في سنة خمس وثمانين ربيعة وجعل بها درس فقه الحنفية وبني بجانبها قنطرة كبيرة يعلوه ريع، ومن ودانها خارج باب الوزير حوض ماء للسبيل وربما راجع المخطط لقريري (ص ٤٠٠ ج ٢)

(٢) جامع آق سنقر بسوق السباعين على البركة الناصرية (راجع خطط المقريري ص ٣٠٩ ج ٢) .

(٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٨٢ من الجزء الحادى عشر من هذه الطبعة .

(٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٨٣ من الجزء الحادى عشر من هذه الطبعة .

المحمدي، وأختفى بالقاهرة ممن كان مع الأتابك أيتمش، مقبل الرومي الطويل أمير جاندار، وكشيفا الخصري وجماعة أخر يأتى ذكرهم، وتوجه بقية أصحابه الجميع صحبته إلى دمشق، وقصد أيتمش الأمير تَم الحسنى نائب الشام.

وأما تَم نائب الشام فإنه لما عَظُم أمره بدمشق وتم له ما قصده، وجه الأمير آقبا الطولوتى اللكاش فى عدة من الأمراء والعساكر إلى غزّة فساروا من دمشق فى أول شهر ربيع الأول المذكور. ثم ندب جماعة أخر من كبار الأمراء إلى البلاد الحلبية، وخرجوا من دمشق فى ثالث شهر ربيع الأول، وعليهم الأمير جُلبان الكَشْبُغَاوى الظاهرى، المعروف بقراسقل المعزول عن نيابة حلب قديما، ومعه الأمير أحمد بن الشيخ على نائب صفد كان، والأمير ينجبا المعروف بطيفور نائب غزّة كان، وهو يومئذ حاجب دمشق والأمير يلبغا الإشتِمَرى، والأمير صرق الظاهرى، وساروا إلى حلب لتهديد أمورها. ثم قبض الأمير تَم على الأمير ينجبا وعيسى التركمانى وحبسهما بالبرج من قلعة دمشق، ثم خرج تَم فيمن بقى معه من عساكره فى سادسه يريد حلب، وجعل الأمير أزدمر أخا إينال اليوسفى نائب القبية بدمشق، وسار حتى قدم حص وأستولى عليها، وولى عليها من يثق به من أصحابه. ثم توجه إلى حماة، فوافاه الأمير يونس بلطاً نائب طرابلس ومعه عسكر طرابلس، ونزلوا على مدينة حماة، فأمتنع نائبها الأمير دمرداش المحمدى بها، وقاتل تَم قتالا شديدا، وقتل من أصحاب تَم نحو الأربعة أنفس ولم يقدر عليه تَم، وبينما تَم فى ذلك ورد عليه الخبر بقيام أهل طرابلس على من بها من أصحابه.

وخبّر ذلك أنه لما قُرب محمد بن بهادر المؤمنى من طرابلس، بعث ما كان معه من اللطافات من الديار المصرية لأهل طرابلس، فوصلت إليهم قبل قدومه،

- ثم وصل هو بمن معه في البحر، فظنه نائب غيبة يونس بطلا من الفرنج، فخرج إليه في نحو ثلاثمائة فارس من أجناد طرابلس، فتبين له أنه من المسلمين، فطلبه نائب الغيبة بمن معه فلم يأت، وقالتهم على ساحل البحر فانهزم إلى برج أيتمش، وكان تحت حكم ابن المؤمنى المذكور، فأصبح الذين اتهم المطلقات من مصر، ونادوا في العامة بجهاد نائب الغيبة، وخطب خطيب البلد بذلك، فشرعت العامة في قتال نائب الغيبة حتى هزموه ونهبوا ما كان معه توجه إلى حماة، فأرسل تم الأمير الأمير صرق على عسكر كبير لقتال أهل طرابلس، فتوجه صرق إليهم، وقالتهم قتالا شديدا مدة تسعة أيام، وبينما تنم في ذلك ورد عليه الخبر بواقعة الأمير أيتمش مع المصريين، وأنه نزل بمن معه في دار النيابة بغزة، وأنه سار بمن معه يريد دمشق، فسرتهم بذلك وأذن لنائب غيبته بدمشق وهو الأمير أزدمر بدخول أيتمش، ومن معه إلى دمشق وبالقيام في خدمتهم حتى يحضر إليهم، ثم لما بلغه عجز صرق عن أهل طرابلس، جهز إليها نائبها الأمير يونس بطلا في طائفة كبيرة من العساكر، فسار إليها يونس ودخلها بعد أن هزم ابن المؤمنى، ركب البحر ومعه القاضي شرف الدين مسعود قاضي القضاة الشافعية بطرابلس، يريدان القاهرة بمن معهما، ونهب يونس أموال الناس كافة بطرابلس، وفعل في طرابلس وأهلها ما لا تفعله الكفرة، وقتل نحو العشرين رجلا من أعيان طرابلس وقضاتها وعلمائها منهم: الشيخ العالم المفتي جمال الدين بن النابلسي الشافعي. والخطيب شرف الدين محمود، والقاضي المحدث شهاب الدين أحمد الأذري المالكي. وقاضي القضاة شهاب الدين الحنفي، والقاضي موفق الدين الحنبلي، وقتل من عامة طرابلس ما يقارب الألف، وصادر الناس مصادرات كثيرة، وأخذ أموالهم وسبي حريمهم،

فكانت هذه الكائنة من أقبح الحوادث ، وكانت في الخامس عشر من شهر ربيع الأول المذكور .

وأما أمر الديار المصرية فإنه لما كان بعد الواقعة من الغد خلع السلطان على الأمير قرايضا مغروق الظاهري^(١) باستقراره في ولاية القاهرة عوضا عن عيسى فلان بحكم عصيانه مع أيتمش ، فمات من الغد من جرح كان أصابه في الواقعة ، وأستقر في ولاية القاهرة عوضه بليان أحد الممالك الظاهرية ، فنزل بليان المذكور بالخلعة إلى القاهرة فمتر من باب زويلة يريد باب الفتوح ، وعبرا كما من باب الجامع الحاكي وهو يتأدى بالأمان ، وإذا بالأمير شهاب الدين أحمد بن عمر بن الزين قد جاء من جهة باب النصر ، وهو أيضا يتأدى بين يديه باستقراره في ولاية القاهرة ، فتحيرت المقدمون والجليلة بينهما ، وبينما هم في ذلك وقد ألتقى بليان مع ابن الزين فقال بليان أنا ولاني فلان ، وقال ابن الزين أنا ولاني فلان ، وإذا بالطواشي شاهين الحسني قديم ومعه خلعة ابن الزين بولايته القاهرة ، فبطل أمر بليان ، وتصرف ابن الزين في أمور الولاية ونادى بالكف عن النهب ، وهدد من ظفر به من النهاية .

ثم في سادس عشره عرض السلطان الممالك السلطانية ، فقيد منهم مائة وثلاثون نفر قد أنهزموا مع الأتابك أيتمش .

ثم قبض السلطان على الأمير بكتمر جلق أحد أمراء الطبلخانات ، وتكزبا الحطيطي أحد أمراء الطبلخانات أيضا ورأس نوبة ، وقرمان المنجكي وكشيفا الحضري ، وخضر بن عمر بن بكتمر الساق ، وعلى بن بلاط الفخري ، ومحمد بن

(١) في هامش (م) (مفروق) بالقاء ، وقد بحثنا كثيرا عنها فلم نجد لها في غير الأصول .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤٠ من الجزء الثامن من هذه الطبعة .

يونس النوروزي وألجُبغا السلطاني وأرغون السيفي وأحمد بن أرغون شاه، والجميع من أصحاب أيتمش .

ثم رسم السلطان فكتب بإحضار الأمير سودون أمير أخور المعروف بسیدی سودون، والأمير تراز الناصري من سجن الإسكندرية، والأمير نوروز الحافظي الأمير أخور الكبير كان، من ثغري مياط وسارت القصاد لإحضارهم، فوصلوا في العشرين منه وقبلوا الأرض بين يدي السلطان ونزلوا إلى دورهم .

وفي أول شهر ربيع الآخر استقر الأمير آقباي من حسين شاه الطونطاني حاجب المجتاب عوضا عن الأمير فارس الأعرج، واستقر الأمير دقاق المحمدي المعزول عن نيابة ملطية باستقراره حاجبا ثانيا عوضا عن يعقوب شاه بحكم عصيانهما مع أيتمش .

ثم في ثالثه خلع السلطان على كل من الأمير أسنبغا العلائي الدوادار والأمير قاري الأسنبغاوي وإلى باب القلعة ومنكلى بفا الصلاحي الدوادار وسودون^(١) المأموري باستقرارهم حجابا، واستقر بفا المحمدي نائب القلعة .

وأما الأمير تَمَ فإنه لما جاءه خبر أيتمش ترك حصار حماة وعاد إلى دمشق ثم خرج إلى لقاء أيتمش وأصحابه في خامس شهر ربيع الآخر إلى ظاهر دمشق . فلما عاينهم ترجل عن فرسه وسلم عليهم وبالع في إكرامهم، وعاد بهم إلى دمشق وقدم إليهم تقايـم جليلة، لا سيما الوالد فإن تَم قام بخدمته زيادة عن الجميع، حتى يزول ما كان عنده حسب ما تقدم ذكره وسببه أنه كان وعمرَ خاطر أستاذه الملك الظاهر برقوق عليه حتى عزله عن نيابة حلب، فأخذ تَم يعتذر إليه، ويتلطف

(١) في (ب) وإلى باب القلعة .

به حتى زال ما كان عنده من الكائن القديمة، وصار من أعظم أصحابه، وحلفه على موافقته وحلف له، ووعد به أمور كثيرة يُستَحْيَا من ذكرها .

ثم كتب الوالد إلى الأمير دمرداش المحمدي نائب حماة بالدخول في طاعة تم حسب ما يأتي ذكره .

ثم قَدِمَ على الأمير تم كتابُ الملك الناصر فرج يأمُرُه بمسك الأتابك أيتمش وبمسك الوالد ومن قَدِمَ معهما، فأخذ تم الكتاب وأتى به إلى أيتمش ورفقته، وقرأه عليهم بالقصر الأبلق^(١) من الميدان، فضحك الوالد وقال له : امثل مرسوم السلطان وأفعل ما أمرك به فتبسّم تم وقال له : بالله عليك زوّل ما عندك وطبّب قلبك ، وقام وعانقه، ثم تكلم تم مع الأمراء فيما يفعله في أمر دمرداش نائب حماة، فأشار الوالد بأنه يتوجّه إليه صحبة الأمير الكبير أيتمش، ثم يتوجهان أيضا إلى نائب حلب يدعوانه إلى طاعة تم وموافقته ، فقال : هذا الذي كان خاطري ، فإن دمرداش لا يسمع لأحد غيرك ، ونرجا بعد أيام إلى جهة حماة ، فأجاب دمرداش بالسمع والطاعة، ودخل تحت طاعة تم ووعد بالقيام بنصرتة، ثم عاد الوالد وأيتمش إلى دمشق فسّر تم بذلك غاية السرور .

ثم قَدِمَ دمرداش بعد ذلك بأيام إلى دمشق، ونفّل عليه تمّ باستمراره على نيابة حماة ، وأنهم عليه بأشياء كثيرة وتوجّه إلى حماة ثم أخذ الجميع في التأهب إلى قتال المصريين .

وأما ما وقع بالديار المصرية من الولايات والعزل . فإنه لمّا كان العشر الأخير من شهر ربيع الآخر ، خلّع السلطان على الأمير بيبرس الدوادار باستقراره أتابك

(١) هذا القصر بناه الملك الظاهر بيبرس في الميدان القبل بدمشق سنة ٥٦٦٨ هـ (راجع خطط الشام ج ٤ ص ١٢٢ ، ج ٥ ص ٢٨٥ ، والنجوم الزاهرة ص ٢٧٨ ج ٧ من هذه الطبعة) .

العساكر بالديار المصرية عوضاً عن الأمير أيتمش البجاسي^(١) ، وأنعم عليه بإقطاعه
إلا النحريرية ومُنية بدران^(٢) وطوخ الجبل^(٣) ، فغضب بيريّس بسبب ذلك فلم يلتفت
إلى غضبه ، وأنعم بإقطاع الوالد ووظيفته على نوروز الحافظي ، وأنعم على تميزاز
الناصرى بإقطاع أرغون شاه أمير مجلس ، وأنعم على سُودون أمير آخور بإقطاع
يعقوب شاه الحاجب ، وأنعم بإقطاع بيريّس على بكتمر الركني ، وبإقطاع بكتمر
على دقاق المحمدي نائب ملطية كان ، وبإقطاع دقاق على جركس القاسمي^٥
المُصارع ، وأستقر أمير طبلخاناه ، وأنعم على كل من كركل الناصري ، وقاري
الأسنغاوي ، وشاهين من شيخ الإسلام ، وشيخ السلياني ، وبشباي من باكي ،
وتمرغا الظاهري ، وجكم من عوض ، وصوماي ، وتمر الساقى ، وإينال حطب ،
وقاني باي العلائي ، وسُودون المأموري ، والطنبغا الخليلي^{١٠} ، ومجترك القاسمي ،
وكركل المحمدي ، وبيغان الإينالي بإمرة عشرين ، وأنعم على كل من أربك
الرمضاني^{١٥} وأسندمر العمري وقرقاس السيقي ومنكلي بغا الصلاحي وآقبا
الجوجري وطيبغا الطولوتيري وقاني باي من باشاه ودمرداش الأحدي وآقباي
السلطاني وأرغون شاه الصلاحي ويونس العلائي وجمق ونكباي الأزدمري
وقاني بك الحسامي وبايزيد من بابا وآقبا المحمدي وسُودون الشمسي وسُودون
البجاسي وتمراز من باكي وسُودون النوروزي وأسنبغا المسافري وقطلوبغا
الحسني وقطلقتمر المحمدي وسُودون الحمصي وسُودون القاسمي وأرزمك
وأسنباي بإمرة عشرة ، وحلقوا الجميع على طاعة السلطان ، والسفر معه لقتال تيم.

(١) النحريرية : إحدى بلاد مركز كفر الزيات .

(٢) مُنية بدران : من القرى المصرية القديمة ، ومكانها العامرة مركز المنزلة .

(٣) في الأصلين (م ، ف) الجبل ، وفي هامش (م) (طوخ الجبل) ولعلها هي الرواية الصحيحة

كما ذكرها على مبارك في خطه ص ٦٣ ج ١٣

ولما بلغ الممالك السلطانية سفرُ السلطان إلى الشام امتنعوا وهددوا الأمراء
وأكثرُوا لهم من الوعيد ، فخاف سُودون طاز وتأخر عن الخدمة السلطانية ، ثم
اتفقت الممالك المذكورة ، وتوجهوا إلى الأمير يشبك وهو متوَعِّكٌ وحدثوه في أمر
السفر ، فأعذر لهم بما هو فيه من الضعف ، ثم وقع الخُلُف بين الأمير سُودون
قريب الملك الظاهر المعروف بسيدي سُودون وبين الأمير سُودون طاز ، وتسابَّأ
بسبب سُكْنَى الإسطنبول السلطاني بالحَرَاقَة ، وعلى وظيفة الأمير أخورية وكادا
يقتتلان ، لولا فرق بينهما الأمير نوروز الحافظي .

ثم وقع أيضا بين الأمير سُودون طاز المذكور وبين الأمير جركس القاسمي
المصارع تنافس ، وتقابضا بالأطواق ، ولم يبقَ إلَّا أن تثور الفتنة ، حتى فزق الأمراء
بينهما ، وصارت الملكة بأيدي هؤلاء الأمراء ، وكلٌّ من أراد شيئا فعله ، فصار
الرجلُ إلى الوظيفة من سعى فلان ، وينزل إلى داره فيُعزَلُ في الحال بأمر غيره ، وكلُّ
أحد يتعصب لواحد ، وكل منهم يروم الرتب العلية .

هذا ومثلُ تم وأتمش ورفقتُهما في طلبهم وفي القصد إلى الديار المصرية ، ثم
أخذ نوروز يُسكِّنهم عن إثارة الفتنة ، ويُخَوِّفهم عاقبةَ تم ، حتى عملوا مشورة بين
يدى السلطان بسبب قتال تم وغيره ، فحضر جميعُ الأمراء ورتبوا أمورا : منها
إقامة نائب بالديار المصرية ، وعينوا عدة تشاريف .

فلما كان يومُ الخميس ثاني عشر شهر ربيع الآخر خلع السلطان على الأمير
سُودون طاز باستقراره أميراً خورا كبيرا ، عوضا عن سُودون الطيار ، لتأخره يدمشق
عند تم ، وخلع على الأمير مبارك شاه باستقراره حاجبا ثالثا بإمرة مائة وتقدمة
ألف بالديار المصرية ، وهذا بخلاف العادة .

ثم خلع على بعض الأمراء وأستقر حاجباً ثامناً، وهذا أيضاً بخلاف العادة، لأن في القديم كان بمصر ثلاثة حُجَّاب (أعنى بالقديم في دولة الملك الناصر محمد ابن قلاوون) ثم لا زال الملك الظاهر برقوق يزيد الحُجَّاب حتى صار عدَّتْهم ستة، وذلك في أواخر دولته، والآن صاروا ثمانية ، وكان هذا أيضاً مما عابه الأمير تَمَّ على أمراء مصر فيما فعلوه .

قلتُ : والسَّكَاتُ أجملُ، فإن تلك الحُجَّاب الثمانية كان فيهم ثلاثة أمراء أُلُوف وثلاثةُ طلبخاناه، وأما يومنا هذا ففيه بمصر أزيد من عشرين حاجباً، ما فيهم أمير خمسة، بل الجميعُ أجناد، وفيهم من جُنْدِيَّتِهِ غيرُ كاملة، والحاجب الثاني أميرُ عشرة، فسبحانَ الحكيم السَّتَّار .

ثم بعد أيام خلع السلطان على الأمير نوروز الحافظي بأستقراره رأس توبة ١٠ الأمراء ، وعلى الأمير تمراز بأستقراره أمير مجلس ، وعلى الأمير سيدي سودون بأستقراره دوادارا كبيرا عوضاً عن بيبرس ، وكانت شاغرة منذ انتقل بيبرس عنها إلى الأتابكية .

وهذا كله بعد أن ورد الخبر على الملك الناصر بخروج الأمير تَمَّ من دمشق يريد ١٥ القاهرة ، فعندئذ أمر السلطان بأن يخرج ثمانية أمراء من مقدمي الأُلُوف بألف وخمسمائة مملوك من المشتروات ، وخمسمائة مملوك من ممالك الخدمة ، وأن يخرجوا في أول جمادى الآخرة، فمنهم من أجاب، ومنهم من قال : لا بد من سفر السلطان وأخلف الرأي وأنفَضُوا على غير شيء ، ونفوسهم متغيرة من بعضهم على بعض ، كل ذلك والأمراء تكذَّب خروج تَمَّ من دمشق حتى علَّق جاليش السفر على

(١) الجاليش : راية عظيمة في رأسها خصلة من الشعر .

الطلبخانة السلطانية، ووقع الشروع في النفقة للأمرء، فحمل إلى كل من الأمرء الأكرام مائة ألف درهم، ولمن دونهم كل واحد على قدر رتبته، وأنفق على ثلاثة آلاف مملوك وستائة مملوك لكل واحد مائة دينار، فبلغت جميع النفقة نحو خمسمائة ألف دينار.

ثم خرجت مدورة السلطان وخيامه، ونصبوا خارج القاهرة تجاه مسجد التين^(١).

ثم خلع السلطان على الأمير بكتمر الركني بأستقراره أمير سلاح عوضاً عن الوالد، وكانت شاغرة عنه منذ توجه مع أيتمش إلى الشام، وبينما السلطان في ذلك قديم علاء الدين على بن المكللة وإلى منفلوط، وأخبر أن الطنبغا نائب الوجه القبلي خرج هو ومحمد بن عمر بن عبد العزيز الهواري عن الطاعة، وكبسا عثمان بن الأحدب، ففتر ابن الأحدب إلى جهة منفلوط وتبعاه إليها وأحرباها، فرسم السلطان لكل من الأمير الكبير بيبرس والأمير إينال باي من بقماس وآقبای بن حسين شاه حاجب التجاب وسودون من زادة وإينال حطب رأس نوبة، وييسق الشيخ الأمير أخور الثاني، وبهادر فطيس الأمير أخور الثالث أن يتوجهوا إلى بلاد الصعيد لقتال الطنبغا وابن عمر الهواري فلم يوافقوا على ذلك ولا سار أحد.

(١) المدورة: مائدة من الفضة، تصب على الكرسي، وعليها من الأواني الذهبية والفضية الحاوية للأطعمة الفاخرة ما لا يليق إلا بالملوك. عن صبح الأعشى ج ٣ ص ٥٢٧

(٢) ذكر المقرئ (ص ٤١٣ ج ٢) في خطه: أن هذا المسجد خارج القاهرة مما يلي الخندق قريبا من المطرية، بنى في سنة ١٤٥ هـ، وعرف بمسجد البر بمسجد الجزيرة. وفي زمن الدولة الإخشيدية عمره الأمير تهر أحد الأمرء الأكابر في أيام الأستاذ كالور الإخشيدى ففر بمسجد تهر، وتسميه العامة بمسجد التين وهو خطأ. وأقول: إن هذا المسجد لا يزال قائما إلى اليوم باسم زاوية الشيخ محمد التبري في وسط أرض زراعية تابعة لسراي القبة وفي الشمال الغربي لمحلة القبة وبالقرب منها.

ثم قَدِم الخبر على السلطان بأن الأمير دِمرداش المحمدي نائب حماة قَدِم على الأمير تَمَّ يَدِمَشق بعساكر حماة ، وأن لأمير آقبا الجمالي الأطروش نائب حلب لما برز هو أيضا من حلب يريد المسير إلى دمشق ثار عليه جماعة من أمراء حلب وقالوه فكسَّهم ، وقبض على جماعة منهم ، ثم سار إلى دِمَشق فسَرَّ بقدومه تَمَّ وأكرمه غاية الإكرام ، وأنه قد خرج من دمشق من أصحاب تَمَّ الأمير أرغون شاه اليَدُمري أمير مجلس ، والأمير يعقوب شاه ، وفارس حاجب الحجاب ، وصرق وفرج بن منجك إلى غزّة ، فعند ذلك خلع السلطان على الأمير عمر بن الطحان حاجب غزّة باستقراره في نيسابة غزّة ، وعلى سودون حاجبها الصنير باستقراره حاجب مُحْجَب غزّة عوضا عن ابن الطحان المذكور .

١٠ ثم قَدِم الخبر على السلطان بأن عساكر تَمَّ خرجوا من دِمَشق في يوم خامس عشرين جُمادى الآخرة ، فأمر السلطان الأمير سودون المأموري الحاجب بالتوجه إلى دِمياط لينقل منها الأمير يلبغا الأحمدى المجنون الأستاذاركان ، والأمير تمرغا المنجكي ، وطغئجي وبلاط السعدى ، وقرأ كُوك إلى سجن الإسكندرية . هذا وقد تجهزت العساكر المصرية للسفر صحبة السلطان لقتال تَمَّ وتبأ الجميع .

١٥ فلما كان يوم الاثنين رابع شهر رجب نزل السلطان الملك الناصر من القلعة إلى الرِّيدانية خارج القاهرة ^(١) ، وأصبح من الغد خلع على الأمير الكبير بيبرس باستقراره في نظار البيارستان المنصوري ، وبنياية القَيْية بالديار المصرية ، وخلع على الأمير نوروز الحافظي رأس نوبة الأمراء باستقراره في نظار الخانقاه الشيوخونية ، ثم أصبح من الغد سادس الشهر خلع السلطان على الأمير نوروز المذكور بتقدمة

(١) راجع الحاشية رقم ٥ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

العساكر، ثم أنفق السلطان على جماعة من الممالك السلطانية بخمسة وعشرين ألف دينار إنعاما .

وفي اليوم المذكور رحل جاليش السلطان من الرندانية^(١) ، وفيه من الأمراء نوروز الحافظي - مقدم العساكر وبكتمر الركني المعروف باباطيا أمير سلاح ، وتمراز الناصري أمير مجلس ، وبلغا الناصري ، وسودون البدوادر المعروف بسیدی سودون ، وشيخ المحمودي هو المؤيد ، ودقاق الحمدي الحاجب الثاني ، والجميع مقدّمو ألوف .

ثم رحل السلطان بعدهم في يوم الجمعة ثامن بقیة العساكر ، وعدة ما سافر أولا وثانيا سبعة آلاف فارس ، وهذا سوى من أقام بالقاهرة ، وهم أيضا عدة كبيرة من الأمراء والممالك ، فأما الأمراء فكان بالقاهرة بيبرس ، وأقبای حاجب المجایب ، وأقام بقلعة الجبل الأمير اینال بای من جناس أحد مقدّمی الألوف ، وإینال حطّبت رأس توبة ، وأقام بالإسطنبول السلطاني^(٢) سودون من زادة ، وبهادر قطيس ويسق الشيخی أمير أخورثاني ، وأقام عند هؤلاء جماعة كبيرة من الممالك السلطانية .

وأما تم فكان من خبره أنه قدّم جماعة من أمرائه وعساكره إلى مدينة غزنة حسب ما ذكرناه ، وهم : الأمير أرغون شاه البیدمری أمير مجلس ، وفارس حاجب

(١) الجاليش (شاليش) : اسم لعلم من الأعلام التي كانت تحملها جيوش الممالك في الحروب ، وكان من الحرير الأبيض المطرز ، تعلق في أعلاه خصلة من الشعر . والجاليش كلمة تركية معناها مقدمة القلب ، وصمى بذلك لأن ترتيب جاليش السلطان في المواضع التي يحضرها يكون عادة في قلب الجيش .

(٢) يستفاد مما ذكره المقرئ في خطه عند الكلام على صفة القلعة (ص ٢٠٤ ج ٢) وعلى الميسدان بالقلعة (ص ٢٢٨ ج ٢) أن هذا الإصطبل مكانه اليوم بمجموعة المباني التي بها مخازن وورش الجيش المصري ، مع العلم بأن المكان الحالي للإصطبل المذكور ليس في منسوب أرض قلعة الجبل ، بل هو في مستوى أوطى مما عليه القلعة .

المجباب، ويعقوب شاه وصرق، والأمير فرج من منجك فتوجهوا أمامه بعساكر كثيرة .

- ثم قَدِمَ على تَمَّ الأمير يُونُسَ بلطاً نائب طرابلس بعساكرها وغيرهم، ومعه الأمير حمد بن يلبغا أمير مجلس كان، وكان قَدِمَ على تَمَّ قبله نائب حلب الأمير آقبا الجمالي الأتروش، ونائب حماة الأمير دِمْدِمَ داس المحمدى، فخرج هؤلاء الثواب أيضا أمامهم إلى جهة غزة، ثم تبعهم الأمير تَمَّ ومعه الأتابك أَيْتَمُش والوالد وبقيّة عساكره، بعد أن جعل الأمير بَرْكُوسَ المعروف بابي تَمَّ نائب الغيبة بدمشق، وعنده جماعة أُخَر من أعيان الأمراء، ثم خرج بعد الأمير تَمَّ الأمير يُونُسَ بلطاً نائب طرابلس، وسار تَمَّ في عساكر عظيمة إلى الغاية، وكان قبل سفره بدمشق منذ قَدِمَ عليه أمراء مصر يعمل كل يوم مَوْجِباً أعظم من الآخر، حتى قيل: إن موكبه كان يُضاهى موكب أستاذه الملك الظاهر بقوق بل أعظم، وكان يركب بالدَّفِّ والشَّابَةِ^(١) والشَّوَرَاءَ والجواهرية، ويركب في خدمته من الأتابك أَيْتَمُش إلى مَنْ دونه من أمراء الألوْف، وهم نحو خمسة وعشرين أميراً من أمراء الألوْف، سوى أمراء الطبلخانات والعشرات، وذلك خارج عن التركمان والأعراب والعشيرة^(٢)، وكانوا أيضاً جمعا كبيرا إلى الغاية، وآخر موكب عمله بدمشق كان فيه عساكر دِمَشق بتمامها وكلها، وعساكر حلب وطرابلس وحماة، وجماعة كبيرة من عظماء أمراء الديار المصرية (أعني أَيْتَمُش ورفقته)، وكان الجميع قد أذعنوا لنهم بالطاعة، حتى إنه لم يشك أحد في سلطته، حتى ولا أمراء مصر أخصامه، فإنهم كتبوا له في الصلح غير مرة، وفي المستقبل أيضا حسب ما يأتي ذكره، وأنفق تَمَّ في العساكر من الأموال مالا يُحصى .

(١) الشَّابَةِ : قصة الزمر المعروفة .

(٢) العشيرة : بدو الشام والدروز .

وأما أمراء الديار المصرية فإنه لما سافر السلطان إلى جهة تم بعساكره في ثامن الشهر، قَدِمَ الخبرُ في صبيحته على الأمير بيبرس وهو يوم السبت من البَحْيرة، بأن الأمير سُودون المأموري الحاجب أخذ الأمراء من ثغردِباط، وسار بهم نحو الإسكندرية، فلما وصل بهم إلى دَيْرُوط^(١) لقيه الشيخ المعتقد عبد الرحمن ابن نفيس الدَيْرُوطي وأضافه، فعندما قعد الأمير سُودون المأموري هو والأمراء للأكل قام بلبغا المجنون ووثب هو ورفقته من الأمراء على سُودون المأموري، وقبضوا عليه وعلى ممالিকে وقبضوهم بقيودهم، وبينما هم في ذلك قَدِمَت حَراقة من القاهرة فيها الأمير كَشْبُغا المحضري وإياس الكَشْبُغاوى وجَقَمَقَ البَجَمَقْدَار، وأمير آخر، والأربعة في القيود، فدَخَلَت الحَراقة بهم إلى شاطئ دَيْرُوط ليقضوا حاجة لهم، فأحاط بهم يابغا المجنون، وخَلَصَ منهم الأربعة المقيدَين، وأخذهم إلى أصحابه.

ثم كتب يلبغا إلى نائب البَحْيرة بالحضور إليه، وأخذ خيول الطواحين، وركب هو ورفقته من الأمراء وسار بهم إلى مدينة دَمَنْهَور وطرقها بغتة، وقبض على متولّيها، وأنته العربان من كل فجّ حتى صار في عدد كبير.

ثم نادى بإقليم البَحْيرة بحِطّ الخراج عن أهلها عدّة سنين، وأخذ مال السلطان الذي أَسْتَخْرَجَ من تروجة وغيرها، وبعث يستدعى بالمال من النواحي، فرااه الناس، فإنه كان ولي وظيفة الأستاذارية سنين كثيرة، فكتب بيبرس بذلك يعترف السلطان والأمراء، فوردت كتبهم إلى نائب الإسكندرية بالاحتراز على مدينة

(١) إحدى بلاد مركز الحمودية بمديرية البحيرة.

(٢) هي القرية التي كانت موجودة لغاية القرن التاسع الهجري، ثم درست مساكنها، ومحلها الآن

كوم تروجة بحوض تروجة زاوية صقر مركز أبي المطاير بمديرية البحيرة.

- إسكندرية وعلى من عنده من الأمراء المسجونين ، وكتب السلطان أيضا إلى أكابر
العربان بالبحيرة بالإنكار عليهم ، وبإمساك يلبغا المجنون ورُفْقَتِهِ ، وكتب السلطان
أيضا للأمير بيبرس أن يتجرد هو وأقبای الحاجب وإينال باى بن بقماس ويسق
أمير أخور ، وإينال حطب رأس نوبة ، وأربعمائة مملوك من المحالیک السلطانية
لقتال يلبغا المجنون ، وكتب السلطان مثالا (١) إلى عربان البحيرة بمحط الخراج عنهم
مدة ثلاث سنين .

- وأما يلبغا المجنون فإنه عدى من البحيرة إلى الغربية خوفا من عرب البحيرة ،
ودخل المحلة (٢) ، ونهب دار الكاشف ، ودار إبراهيم بن بدوى كبيرها ، وقبض عليه
وأخذ منه ثلاثمائة فقة فلوس ، ثم عدى بعد أيام ستمتود إلى بر أشموم طناح ، وسار
إلى الشرقية ، ونزل على مشنول الطواحين ، وسار منها إلى العباسية ، فارتجت القاهرة ،
وبعث الأمير بيبرس إلى بر الجيزة حيث الخيول مربوطة به على الربيع ، فأحضرها
إلى القاهرة خوفا من يلبغا ، لئلا يطرقهم على حين غفلة ، وبنى بيبرس في ذلك
ورد عليه الخبر بنحامرة كاشف الوجه القبل مع العرب ، فاضطرب بيبرس وخاف
على القاهرة ، وكان فيه لين جانب وأعكاف على اللهو والطرب ، فشرع بيبرس
في استخدام الأجناد ، وأراد بيبرس الخروج إلى يلبغا المجنون ، فنع ، وخرج إليه
الأمير أقبای الحاجب و يلبغا السالمى ، ويسق أمير أخور ، ومحمد بن سنقر في ثلاثمائة
مملوك من المحالیک السلطانية كما سنذكره .

(١) المراد بالمثال هنا الأوراق التي كان يعطيها السلطان إلى الجند مبينا بها مقدار الأطيان التي كانت
تمنح إقطاعا لهم و بيان النواحي الكائنة بها تلك الأطيان .

(٢) المحلة ، هي المحلة الكبرى : وقد سبق التعليل عليها في الحاشية رقم ٨ ص ٣٠٧ من الجزء
التاسع من هذه الطبعة .

(٣) هي مشنول السوق إحدى قرى مركز بلبيس مديرية الشرقية .

(٤) العباسية : إحدى قرى مركز الزقازيق بمديرية الشرقية .

وأما السلطان الملك الناصر فإنه لما سار بعساكره من الريدانية، وأستقل بالمسير من يومه حتى نزل على منزلة تل العجول خارج مدينة غزة في ثامن عشر رجب، وأقام به يومه، فلم يلبث إلا وجاليش الأمير تم طرفة، ومقدم العسكر المذكور الولد، وصحبته من أكابر الأمراء والنواب : آقبا الجمالى نائب حلب ودمرداش الحمدي نائب حماة ، وألطنغا العثمانى نائب صفد وجقمق الصفوى نائب ملطية ، وجماعة أخرى من أكابر الأمراء وهم : أرغون شاه أمير مجلس وفارس الحاجب ، وآقبا الطولوتى اللكش، ويعقوب شاه، وجماعة كبيرة من الأمراء والعساكر، فركبت العساكر المصرية فى الحال، وقاتلوهم من بكرة النهار إلى قريب الظهر، وكل من الفريقين يبذل جهده فى القتال، والحرب تشتد بينهم إلى أن نرج من جاليش عسكر تم دمر داش الحمدي نائب حماة بمالكة وطلبه، ثم تبعه آلطنغا العثمانى نائب صفد بطلبه وعساكره، ثم صراى تمر الناصرى أتابك حلب بمالكة، ثم جقمق الصفوى نائب ملطية بطلبه وممالكة، ثم فرج بن منجك أحد أمراء الألوف بطلبه وممالكة، ثم تبعهم عدة أمراء أخر، فعند ذلك أنهزم الوالد بمن بقي معه إلى نحو الأمير تم، ومَلَكَ السلطان الملك الناصر مدينة غزّة، ونزل على مصطبة السلطان .

وأما تم فإنه نزل بعساكره على مدينة الرملة وأجتمع عليه الوالد بها بمن بقي معه من العساكر الشامية، وقصّ عليه ما وقع من أمر القتال وهروب الأمراء من عسكره، فتأثرتم قليلا ثم أراد القبض على الأمير بفتحاص، فتمعه بعض أصحابه من ذلك، ثم أخذ يتبها لقتال المصريين، ولم يكثر بما وقع لجاليشه لكثرة عساكره، وقوته بمن بقي معه من أكابر الأمراء وغيرهم .

(١) هى جهة بين عكا والعائنة .

وأما العسكر السلطاني المصري فإنهم لما دخلوا إلى غزّة بلغهم أنّ تمّ إلى الآن لم يصل إلى الزملة بعساكره، وإما الذي قاتلهم هو جاليش عسكره، فكثّر عند ذلك تخوّفهم منه، وداخلهم الرعب، وعملوا بسبب ذلك مشورة، فاتفق الرأي أن يتكلموا معه في الصلح، وأرسلوا إليه من غزّة قاضي القضاة صدر الدين المتناوي الشافعي، ومعه المعلم نصر الدين محمد الزماح أمير أخور، وطفای تمر مقدّم البريدية، فخرجوا الجميع من غزّة في يوم الثلاثاء تاسع عشر شهر رجب، وكتبَ لتمر صحبتهم أماناً من السلطان، وأنه باقٍ على كفّالته يدمشق إن أراد ذلك، وإلاّ فيكون أتابك العساكر بمصر، وإليه تدبير ملك ابن أستاذه الملك الناصر فرج لا يُشاركه في ذلك أحد.

- ١٠ ثم كُتب إليه أعيان الأمراء يقولون: أنت أبونا وأخونا وأستاذنا، فإن أردت الشام فهي لك، وإن أردت مصر تكّنا ممالكك، وفي خدمتك، فصنّ دماء المساميين ودع عساكر مصر في قوتها، فإن خلفنا مثل تيمورلنك، وأشياء كثيرة من أنواع التضرع إليه، فسار إليه قاضي القضاة المذكور برفيقه حتى وافاه بمدينة الرملة وهو بمخيمه على هيئة السلطان، والأتابك أيمش عن يمينه والوالد عن يساره، وبقية الأمراء على منازلهم مميّنة وميسرة، فلما عاين تمّ قاضي القضاة المذكور قام له وأعتقه، وأجلسه بجانبه فحدثه قاضي القضاة المذكور في الصلح، وأدّى له الأمان ووعظه، وحذّره الشقاق والخروج عن الطاعة، ثم كلمه ناصر الدين الزماح وطفای تمر بمثل ذلك، وترقّاه عن لسان الأمراء، وأن السلطان هو ابن الملك الظاهر برقوق، ليس له من يقوم بصرته غيرك، فقال تمّ: أنا مالى مع السلطان كلام، ولكن يُرسل إلى شبك وسودون طاز وجرّكس المصارع، وعدّد جماعة أحر كثيرة،

(١) في (م) غزّة وما أئبناه عن (ف).

ويعود الأمير الكبير أَيْمَنْش وجميع رُفَقته على ما كانوا عليه أولاً، فإن فعلوا ذلك وإلا فما بيني وبينهم إلا السيف، وصمّم على ذلك، فراجعه قاضى القضاة غير مرة فيما يريد غير ذلك، فأبى إلا ما قاله، فعند ذلك قام القاضى من عنده، فخرج معه تَمَّ إلى ظاهر محبته يؤادعه، فلما قَدِم صدر الدين المناوى على الملك الناصر وأعاد عليه الجواب قال : السلطان : أنا ما أسلمَ لآلاتى لأحد (يعنى عن يشبك الشهبانى) ، وأنقضُ الأمراء، وقد أجمعوا على قتاله، وركبتم بعساكره من مدينة الرملة يريد جهة غزة، وركب السلطان بعساكره من غزة يريد الرملة . إلى أن أشرف على الحيتين قريب الظهر، فعابن تَمَّ وقد عبأ عساكره، وهم نحو الخمسة آلاف فارس، ونحو ستة آلاف راجل، وصَفَ الأطلاب فعياً أيضاً الأمراء عسكر السلطان ميمية وميسرة، وقلبا في قلب في قلب، ولكل جماعة رديفٌ^(٢)، وكان ذلك تعبئة ناصر الدين المعلم أخذت أنا هذه التعبئة عن الأتابك آقبا التمرأزى عنه، انتهى .

ثم تقدم المسكران وتصادما فلم يكن إلا أسرع وقت، وكانت الكسرة على تَمَّ، وأنها م غالب عسكره من غير قتال، خذلان من الله تعالى، لأنه تقنطر عن فرسه في أوائل الحرب، فانكسرت عساكره لتقنطره في الحال ولوقوعه في الأسر، وقبض عليه وعلى جماعة كبيرة من أعيان أصحابه من أكابر الأمراء والنواب، ولقد سألت جماعة من أعيان مماليك تَمَّ ممن كان معه في الواقعة المذكورة عن سبب تقنطره، فإنه لم يطمعه أحدٌ من العسكر السلطاني، فقالوا: كان في فرسه الذى ركبهُ شؤمٌ. إما شعر رسل أو تحجيل، انتهى الوهم متى، قالوا: فكلمناه في ذلك ونهيناه عن ركوبه فأبى

(١) الجيتان شى جيت : قرية بـلـد غـزـة . راجع معجم البلدان لياقوت (ج ٥ ص ١٨) .

(٢) في (ف) حلة . (٣) الشعر الرسل : الطويل وهو مكروه في الخيل .

(٤) الشؤم و تحجيل الخيل هو يياض اليد والرجل من الشق الأيمن، وهو مكروه . عن (المختص

إلا بركوبه، وقال: ما خباثته إلا لهذا اليوم، فحالما علا ظهره وحركه لينظر حال عسكره
ووعّل في القوم تَقَنطُر به، وقد كَرَّت عساكره إلى نحوه، ولم يلحقه أحد من مماليكه،
فَظْفِر به، ولما قبض على تم قبض معه بعد هزيمة عسكره على الأمير آقبا الجمالي
نائب حلب، ويونس بلطاً نائب طرابلس، وأحمد بن الشيخ على نائب صفد كان،
وجلبان قراسقل نائب حلب كان، وفارس حاجب الحجاب، وبيغوت وبيرم رأس
نوبة أيتمش، وشادي نجبا. ومن الطبلخانات والعشرات من أمراء مصر والشام
ما يُنِيف على مائة أمير، وفز الأتابك أيتمش والوالد، وأحمد بن بليغا أمير مجلس
كان، وأرغون شاه أمير مجلس، ويعقوب شاه وآقبا اللكاش، وبيخجا المدعو
طيغور نائب غزنة كان، وجماعة أخرى نحو ثلاثة آلاف مملوك، وتوجهوا
إلى دمشق.

ولما قُبِض على تَم أُتْرِل في خيمة وقيد، ثم شكا العطش وطلب ماء ليشربه،
فقام الأمير قطلوبغا الحسنى الكركى وهو يوم ذلك أحدُ أمراء الطبلخانات وشاد
الشراب خاناه السلطانية، وتناول الكوز وأخذ شيشنة^(١) على عادة المملوك، ثم سقاه
لتم، وكان لما أمسك تم أدعى مملوك من الظاهرية أنه قنطر تم عن فرسه، وطلب
إمرة عشرة، فلما بلغ ذلك تم قال: اطلبوه إلى عندي، فأحضره، فنظر إليه طويلا
ثم قال له: أنت تستاهل إمرة عشرة وغيرها بدون ذلك، إلا أن الكذب قبيح،
هذا قرقلي^(٢) إلى الآن على، أين المكان الذى طعننتني فيه برمحك، أنا ما رمانى إلا الله
تعالى، ثم فرسى الأشقر.

(١) الشيشنة: أخذ جرعة من الشراب عنه للاختبار مخافة أن يكون به سم. (عن دوزى).

(٢) الفرقل: الدرع تصنع من صفائح الحديد المشاة بالدياج الأصفر والأحمر (عن مسيح الأعنى).

وعندما أُمِسِكَ تَمَّ كَتَبَتْ البشائرُ إلى الديار المصرية والبلاد الشامية بذلك ،
وَدُقَّتْ البشائرُ ، وسارَ أَيْتَمُشُ ورفقته إلى نحو دِمَشْقَ حتى وصلوها ، فأراد الوالد
ويعقوب شاه وجماعة أن يتوجهوا إلى بلاد التُركان ، حتى يأتهم أمانٌ من
السلطان ، وأشاروا على أَيْتَمُشَ بذلك ، فأمتنع أَيْتَمُشُ من ذلك ، وأبى إلا دخول
دِمَشْقَ ، فحال دخولهم إليها وهم في أشد ما يكون من التعب ، وقد كلَّتْ خيولهم ، ثار
عليهم أمراء دِمَشْقَ ، وقهضوا على أَيْتَمُشُ والوالد ، وأقبوا اللُكَّاشَ وأحمد بن يَلْبِغا
النابلسي ، وحبسوا بدار السعادة ، وفَرَّ من بقي ، ثم أُمِسِكَ بعد يومين أَرْغون شاه
ويعقوب شاه ، وتبعَ أمراء دِمَشْقَ بقية أصحاب تَمَّ من كل مكان حتى قبضوا على
جماعة كبيرة منهم .

وأما يَلْبِغا المجنون فإنه لما خرج إليه العسكر من مصر مع آقبای الحاجب ، سار
آقبای إلى العباسية فلم يقف ليَلْبِغا المجنون على خبر ، ف قيل له إنه سار إلى قُطَيَّا ،
فتزل آقبای بالعساكر على الصالحية فلم يروا له أثرا ، فعادوا إلى القاهرة من غير
جرب ، وسار أن سُنْفَرُ وَيَسْقُ نحو بلاد السباخ فلم يجدا أحدا ، فعادا إلى
عِيْتا في يوم الجمعة وأقاما بها ، فلم يشعرا إلا ويَلْبِغا المجنون قد طرَفهما وقبض
عليهما ، وأخذ خَطَّهما بجملة من المال ، فَأَرْتَجَّتْ القاهرة لذلك ، ثم سار يَلْبِغا بعد

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٠٩ من الجزء الثالث من هذه الطبعة حيث تجد لها شرحا لا بأس به .

(٢) ذكر ياقوت في معجم البلدان أنها على بعد يوم من القرم . وفي زبدة كشف الممالك أنها مزمن
الدرب حتى لا يمكن الوصول إلى الديار المصرية إلا منها . وفي رحلة النابلسي أنها مكان أخذ المكوس من
كل من يمر في هذا الطريق .

(٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٧ من الجزء العاشر من هذه الطبعة .

(٤) ذكر على مبارك في خطه أن غيئا إحدى قرى مديرية الشرقية تبعد مركز بليس (انظر الخطوط

التوفيقية ج ١٤ ص ٦٤) .

(١) أيام، حتى نزل البئر البيضاء، فبعث له بيبرس أماناً، فقبض على من حضر من عند بيبرس وطوقه من الحديد، فاستعد الناس تلك الليلة بالقاهرة لقتاله، وباتوا على أهبة اللقاء، وركب الأمراء بأسرهم من الغد إلى قبة النصر خارج القاهرة، وصفوا عسكرهم من الغد، وبعد ساعة أقبل بليغا المجنون بجوعه فواقعهم عند بساتين المطرية ومعه نحو ثلاثمائة فارس، فيهم واحد من ممالك الوالد يسمى كُرُل بَقَا، وصددهم بمن معه، وقصد القلب، وكان فيه سودون من زادة، وإينال حطَب، ونحو ثلاثمائة مملوك من الممالك السلطانية، فأطبق عليه الأمير بيبرس من الميمنة، ومعه بليغا السالمي الأستاذار، وساعدهما إينال باي من جَمَّاس بمن معه من الميسرة، فتقنطر سودون من زادة، ونحرق بليغا المجنون القلب في عشرين فارساً، وسار إلى الجبل الأحمر، وأنكسر سائر من كان معه من الأمراء وغيرهم، فقبضهم العسكرون في ظنهم أن بليغا المجنون فيهم، فادركوا الأمير تمرُّبغا المنجكي بالزيات، وقبضوا عليه، وأخذ طلب بليغا المجنون من عند خليج الزعفران فوجدوا فيه ابن سُنُقُر وبِسُق الشيعي أمير آخور اللذين كان قبض عليهما بليغا المجنون بالبئر البيضاء، فأطلقوهما، وعاد العسكر إلى تحت قلعة الجبل، وسار بليغا المجنون في عشرين فارساً مع ذيل الجبل إلى نجاه دار الضيافة، فلما رأى كثرة من اجتمع من العامة خاف منهم أن

(١) يستفاد مما ورد في صبح الأعشى عند الكلام على مراكرها يد وعلى الطريق بين غزة والقاهرة (ج ١٤ ص ٣٧٦) أن هذه البئر كانت واقعة بين بلد الخانكة وبليس : وبالبحت تبين أن مكانها اليوم

عزبة أبي حبيب الواقعة في حوض البيضاء بأراضي ناحية الزوامل بمركز بليس .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤١ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٦٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٤) الزيات : قرية القليج مركز شين القناطر مديرية القليوبية . راجع الحاشية رقم ٥ ص ٣٧٧

من الجزء الحادى عشر من هذه الطبعة .

يرجموه ، فقال لهم : أنتم ترجعونى بالمجاردة وأنا أَرْجُحُكم بالذهب ، فدَعَوْا له وتركوه فسار من خَلْفِ القلعة ومضى إلى جهة الصعيد من غير أن يُعرَفَ الأمراء ، وتوجه في نحو المسائة فارس ، وأخذ خَيْلَ والى الفيوم ^(١) ، وأنضمَّ عليه جماعة من العربان .

وأما السلطان الملك الناصر فإنه لما كَسَرَتْهم وقبض عليه وعلى جماعة من أصحابه وقيدهم ، أرسل في الحال سعد الدين إبراهيم بن غراب إلى الشام لتحصيل الإقامات ، ثم ندب السلطان الأمير جَمَكَم من عوض رأس نوبة للتوجه إلى دمشق لتقييد الأمير أَيْمَشُ ورُفَقته وإيداعهم بسجن قلعة دمشق ، ثم خَلَعَ السلطان على الأمير سُودُون الدوادار المعروف بِسَيْدَى سُودُون ، باستقراره في نيابة دمشق عوضا عن الأمير تَمَّ الحَسَنِ ، فسار جَمَكَم وفعل ما أُمِرَ به ، ثم دخل بعده سودون نائب الشام إليها في ليلة الاثنين ثانى شعبان ومعه الأمير تَمَّ نائب الشام وعشرة أمراء في القيود ، فحُيِسَ الجميع بقلعة دمشق ، ثم دخل السلطان الملك الناصر بعساكره وأمرائه إلى دمشق من الغد في يوم الاثنين ثانى شعبان المذكور ، فكان لدخوله يومٌ مشهود ، وأوقع أبْنُ غُرَابِ الحَوَطة على حواشى تَمَّ . وعلى الأمير علاء الدين بن الطبلاوى .

ثم أصبح السلطان من الغد وخَلَعَ على سَيْدَى سُودُون بناية الشام ثانيا ، وعلى الأمير دمرداش المحمدي نائب حماة باستقراره في نيابة حلب عوضا عن آقبا الجمالى الأطروش ، وعلى الأمير شيخ المحمودى المؤيد باستقراره في نيابة طرابلس عوضا عن يُونُسَ بَلَطَا ^(٢) ، وعلى الأمير دُشَاق المحمدي باستقراره

(١) الفيوم : كلمة مصرية قديمة معناها البحيرة ، وكان هذا الاسم يطلق على أراضي الوادى المنخفض الذى يعرف اليوم بمديرية الفيوم .

(٢) الإقامات : جمع إقامة ، وهى ما يلزم العساكر من المؤونة والمطاف (عن دوزى) .

(٣) فى «م» : «سودون» .

في نيابة حماة عوضا عن ديمرداش المحمدي، وعلى الأمير الطنبغا العثماني باستقراره على نيابة صفد، وعلى الأمير جتتمتر التركاني نائب حمص بنيابة بعلبك، وعلى الأمير بشباي من باكي باستقراره حاجب حجاب دمشق عوضا عن بيخجا المدعو طيقور.

واستمر السلطان بساكره في دمشق إلى ليلة الأحد رابع عشر شعبان، فاتفقت

- الأشراف المصريون على قتل جماعة من المقبوض عليهم، فذبح في الليلة المذكورة الأمير الكبير أيتمش البجاسي، وجلبان الكشيبغاوي المعروف بقراسقل نائب حلب كان، في دولة أستاذة الملك الظاهر برقوق، وأرعون شاه اليمدري الظاهري أمير مجلس كان، وأحمد بن يلغا العمري أمير مجلس كان، وآبن أستاذ الملك الظاهر برقوق، وأقبغا الطولوت عمري الظاهري اللكاش أحد أمراء الألوفا بالديار المصرية وأمير مجلس وفارس الأعرج حاجب الحجاب بالديار المصرية، وكان من الشجعان، وفيه يقول الشيخ المقرئ الأديب شهاب الدين أحمد الأوحدي : [الرجز]

يا دهر كم تقي العكرام حامدا * هل أنت سبع للورى تمس

أيتمش رب الملا صرغته . ورحت للنسب الهام فارس

- والأمير يقوب شاه الظاهري الحاجب الثاني، وأحد مقسدي الألوفا بالديار المصرية، وبيخجا المدعو طيقور نائب غزة كان، ثم حاجب حجاب دمشق، ١٥ والامير بيغوت اليحياوي الظاهري أحد أمراء الطبلخانات، والامير مبارك المجنون والامير بهادر العثماني الظاهري نائب البيرة، وجميع من قتل من هؤلاء المذكورين من عظماء ممالك الملك الظاهر برقوق، قتلهم مجدا شيئهم بذب واحد لأجل الرئاسة، ولم يكن فيهم غير ظاهري إلا الأتابك أيتمش، وهو أيضا من أقامه الملك الظاهر برقوق وأنشأه، بل كان اشتراه أيضا في سلطته الأولى حسب ما ذكرناه، وكان عند الظاهر بمنزلة عظيمة لسلامة باطنه، ولين جانبه وشيخوخته، فإنه كان

بمعزل عن إثارة الفتن ، ويَكْفِيكَ أن منطاشا لَمَّا مَلَكَ الديار المصرية بعد خَلْع
الظاهر برقوق ، والقبض على الناصري قَتَلَ غالبَ حواشي الملك الظاهر برقوق ،
وكان أَيْتَش في حبسه بقلعة دِمَشْق وهو أتابك العساكر وعظيمُ دولة برقوق ، فلم يَتَعَرَّضْ
إليه بسوء ، لكونه كان مكفوفاً عن الشرور والفتن ، إلا هؤلاء القوم ، فإنهم لَمَّا
ظَفِرُوا بِقَتْمٍ وأصحابه لم يرحموا كبيراً لِكِبَرِهِ ولا صغيراً لِصِغَرِهِ ، ولهذا سَاطَ الله تعالى
بعضهم على بعض ، إلى أن تَفَانُوا جميعاً .

ثم جَهَّزُوا رَأْسَ الأتابك أَيْتَش المذکور ، ورَأْسَ فارس الحاجب لا غير إلى
الديار المصرية ، فَعَلَّقَا بِبَابِ قلعة الجبل ، ثم بِيَابِ زويلة أياماً ثم سَلَّمَا إلى أهلها .
ثم خَلَعَ السلطان الملك الناصر على الأمير يَشْبَك الشهباني الخازندار بآستقاره
دوادارا كبيراً عوضاً عن سيدي سودون المُنْتَقِل إلى نياية الشام ، وآسَمَر السلطان
بِدِمَشْق إلى ليلة الخميس رابع شهر رمضان ، فَقُتِلَ في الليلة المذكورة الأمير تَمَّ
الحسيني نائب الشام بِتَحْسِيسِهِ بقلعة دِمَشْق . وَقُتِلَ معه الأمير يُونُس بَلَطَا نائب
طرابلس أيضاً . خَنَقًا بعد أن أَمْتَصِفِيَتْ أموالها بالعقوبة ، ثم سَلَّمَا إلى أهلها ،
فَدَفِنَ تَمَّ بِقَرْبِهِ التي أنشأها عند ميدان الحصى خارج دِمَشْق ، وكان تَمَّ المذکور
— رحمه الله — من محاسن الدنيا ، وكانت مدة ولايته على دِمَشْق سبع سنين وستة

١٥

أشهر ونصفاً . ولقد أخبرني بعضُ ممالك الوالد — رحمه الله — قال : لَمَّا حَصَرَ
تِيُورلُوك العساكر المصرية بدمشق ، كان الوالد يوم ذلك متولياً نياية دمشق ، وكان
مقيماً على بعض أبواب دمشق لحفظها ، وكان نَوْرُوز الحافظي على باب آخر ، فركب
نوروز الحافظي في بعض الأيام ، وأتى الوالد ووقف يُحَادِثُهُ ، فكان من جملة كلامه
للوالد ، يا فلان ، انظر عساكر هذا اللعين ما أَكْثَرَهَا ، والله لو عاش أستاذنا لَمَّا
قدر عليه لكثرة عساكره ، فتبسم الوالد وخاشسته في اللفظ يُمَازِحُهُ ، وقال له :

٢٠

والله لو كان تم حياً للقبه من الفرات وهزمه أقبح هزيمة، وإنما عساكرنا الآن مفلولة، وآراؤهم مختلفة، وليس فيهم من يرجع إلى كلامه، فلهذا كان ماترى . انتهى .

ثم دُفِنَ يُونُسُ بطا بصالحية دمشق^(١)، وكان أيضاً ولي نيابة طرابلس نحو ست سنين، ثم قتل جميع من كان من أصحاب أيتمش وتم، ولم يبق منهم إلا آقبا الجمالى الأطروش نائب حلب، والوالد أبقى لشفاة أخته خوند شيرين أم السلطان الملك الناصر فرج فيه، فإنها كانت ألزمت الأمير نوروز الحافظى والأمير تشبك الشعبانى بالوالد وحرصتهما على بقائه، وكان لها يوم ذلك جاه كبير لسلطنة ولدها الملك الناصر، ثم أوصت ولدها الملك الناصر أيضاً به، فزاد ذلك فسحة الأجل فأبقى، وأما آقبا الأطروش فإنه بذل فى إبقائه مالا كبيرا للأمرء فأبقى .

ثم خلع السلطان على الأمير بتخاص السودونى باستقراره فى نيابة الكرك عوضاً عن سودون الظريف .

ثم خرج السلطان بعساكره وأمرائه من مدينة دمشق فى يوم رابع شهر رمضان صبيحة قتل تم ويونس يريد الديار المصرية، وسار حتى نزل غزوة فى ثانى عشر شهر رمضان المذكور، وقتل بغزوة علاء الدين على بن الطبلاوى أحد أصحاب تم، ثم خرج من غزوة وسار يريد القاهرة حتى وصلها فى سادس عشرين رمضان من سنة آتيتين ومائمائة، بعد أن زينت القاهرة، وفريشت له الشقاق الحرير من ثربة الأمير يونس الدوادار بالصحراء إلى قلعة الجبل، وكان يوم دخوله إلى مصر من الأيام المشهودة، وطلع إلى القلعة وكثرت التهانى بها لمحبيته .

(١) هى بضع قاسيون القرى بجوار المدرسة العزبية، أنشأها الملك المعظم عيسى بن العادل . ودرس

بها جلة من العلماء، منهم شمس الدين بن عطاء الله الأذرعى وغيره .

ثم في ثامن عشرينه أنعم السلطان على الأمير قُضْلُوبغا الكرّكي الحسنى الظاهري بإقطاع سيّدَى سودون نائب الشام وأنعم على الأمير آقبای الكرّكي الحازندار بإقطاع شيخ المحمودى المتقل إلى نيابة طرابلس ، وأنعم على الأمير جركس القاسمى المصارع بإقطاع مبارك شاه ، وأنعم على الأمير جَكَم من عوض بإقطاع دقاق المحمدى نائب حماة ، والجميع تقادم ألوف ، وأنعم السلطان على الأمير الطواشى مُقْبِل الزتام بإقطاع الطواشى بهادر الشَّهابى مقدّم الممالك بعد موته ، وأنعم بإقطاع مقبل على الطواشى صواب السعدى المعروف بِشَنَكَل ، وقد آسَفَتْ مقدّم الممالك بعد موت بهادر المذكور ، وأنعم بإقطاع صواب المذكور على الطواشى شاهين الأبلحائى نائب مقدّم الممالك .

ثم قَدِمَ على السلطان مملوك الأمير يلبغا المجنون من بلاد الصعيد بكتاب يلبغا المجنون يسأل في نيابة الوجه القبلى ، فرَسَمَ السلطان أن يُخْرِجَ إليه تجريدة من الأمراء وهم : الأمير تُوْرُوْز الحافظى وهو مقدّم المسكر المذكور ، وبَكْتُمُر أمير سلاح ، وآقبای الحاجب ، وتمراز أمير مجلس ، وَيَلْبَغَا الناصرى ، وإينال باى بن بَقْمَاس ، وَأَسْبَغَا الدوادار ، وتَمَتَّة ثمانية عشر أميراً ، وخرجوا من القاهرة في ثالث عشر شوال ومعهم نحو خمسمائة مملوك من الممالك السلطانية .

وفي صبيحة يوم خروج المسكر ، ورد الخبر على السلطان بأن الأمير محمد بن عمر ابن عبد العزيز الهوارى حارب يلبغا المجنون ، وأنه قبض على أمير على دواداره ، وعلى نائب الوجه البحرى ، وعلى الأمير إياس الكَشْبَغَاوى الخاصكى ، وعلى جماعة من أصحابه ، وأن يلبغا المجنون فر بعد أن أنهزم ونزل إلى البحر بفرسه ففرق ، وأنه أخرج من النيل ميتاً ، فوجدوه قد أكل السمك لحم وجهه ، فسر السلطان والأمراء بذلك ، وخرج البريد في الوقت بعود الأمراء المجزدين إلى القاهرة .

ثم في ثامن عشره خرج أمير حاج المحمل يسبق الشسيخي أمير آخور الثاني بالمحمل ، وكان تكلم الناس بعدم سفر الحاج في هذه السنة ولم يكن لذلك أصل .
ثم ابتدأت الفتن بين الأمير يشبك الشعباني الدوادار وبين الأمير سودون من على بك المعروف بطاز الأمير آخور الكبير؛ ووقع بينهما أمور .

- ٥ فلما كان يوم ثامن عشرين شوال المذكور منع جميع مباشرى الدولة بديار مصر من التزول إلى بيت الأمير يشبك الدوادار ، وذلك أن المباشرين بأجمعهم الكبير منهم والصغير كانوا يتزلون في خدمة يشبك منذ قدم السلطان من دمشق ، فعظم ذلك على سودون طاز ، وتفاوض معه في مجلس السلطان في كنهه عن ذلك ، حتى أذعن يشبك فنعوا ، ثم نزلوا إليه على عادتهم ، وصاروا جميعا يجلسون عنده من غير أن يقفوا ، وكانوا من قبل يقفون على أقدامهم .

- ١٠ ثم في ثاني ذي القعدة ورد الخبر على السلطان من حلب بواقعة الامير دمرداش المحمدي نائب حلب مع السلطان أحمد بن أويس صاحب بغداد والعراق . وخبره أن القان غياث الدين أحمد بن أويس المذكور لما ملك بغداد بعد حضوره إلى الديار المصرية حسب ما تقدم ذكره في ترجمة الملك الظاهر برفوق الثانية ، فأخذ السلطان أحمد المذكور يسير مع أمرائه ورعيته سيرة سيئة ، فركبوا عليه ١٥ وقتلوه ، وكاتبوا صاحب شيراز في القدوم عليهم لأخذ بغداد ، وخرج ابن أويس منهزما إلى الأمير قرا يوسف يستنجده ، فركب معه قرا يوسف وسار إلى بغداد ، فخرج إليهما أهل بغداد ، وقتلوهما وكسروهما بعد حروب طويلة ، فانهزما إلى شاطئ الفرات ، وبعثا يسألان الأمير دمرداش نائب حلب في نزولهما ببلاد الشام ،

(١) شيراز : قصة بلاد فارس ، وهي مدينة عظيمة (انظر معجم البلدان) .

فنى الحال أستدعى دمرداش دقاق نائب حماة بعساكره إلى حلب فقدم عليه ،
 وخرجا معا في عسكر كبير وكبسا ابن أويس وقرا يوسف ، وهما في نحو سبعة آلاف
 فارس ، فاقتلا قتالا شديدا في يوم الجمعة رابع عشرين شوال ، قتل فيه الأمير
 جانيك اليحياوى أتابك حلب ، وأسر دقاق المحمدي نائب حماة ، وأنهزم دمرداش
 المحمدي نائب حلب ، وفتر فيمن بقى من عسكره إلى حلب ، ثم لحقه دقاق بعد أن
 فدى نفسه بمائة ألف درهم ، وحضر الوقعة الأمير سودون من زاده المتوجه
 بالبشارة إلى البلاد الشامية بسلامة السلطان ، وقدم مع ذلك كُتُبُ ابن أويس
 وقرا يوسف على السلطان تتضمن : إنا لم نحى محاربين ، وإنما جئنا مستجيرين
 مستنجدين بسلطان مصر ، على عوائد فضل أبيه الملك الظاهر — رحمه الله —
 خاربنا هؤلاء بقتة ، فدافعنا عن أنفسنا وإلا كنا هلكا ، فلم يلتفت أهل الدولة إلى
 كتبهما ، وكتبوا إلى نائب الشام بمسيره بعساكر الشام وقتال ابن أويس وقرا يوسف
 والقبض عليهما وإرسالهما إلى مصر .

هذا وخوند شيرين والدة الملك الناصر فرج مستمرة السعى في الإفراج عن
 الوالد من سجنه بقلعة دمشق . إلى أن أجاب الأمراء إلى ذلك وكتب بالإفراج
 عنه وعن الأمير آقبا الجالى الأطروش نائب حلب في يوم عرفة من محبسهما
 بقلعة دمشق ، وحملا إلى القدس بطالين بها .

وبينا القوم في انتظار ما يرد عليهم من أمر السلطان أحمد بن أويس وقرا
 يوسف ، قدم عليهم الخبر من حلب بنزول تيمورلنك على مدينة سيواس ^(١) ، وأنه
 حارب سليمان بن أبى يزيد بن عثمان ، فانهزم سليمان المذكور إلى أبيه بمدينة برصاء ^(٢)
 ومعه قرا يوسف ، وأخذ تيمور سيواس وقتل من أهلها مقتلة عظيمة .

(١) سيواس : مدينة كبيرة مشهورة ، وبها قلعة صغيرة بينها وبين قيسارية ستون ميلا (عن تقويم البلدان
 لأبى الفداء اسماعيل) . (٢) أطلنا البحث عن معرفة موقع هذا المكان فلم نهند إلى موقعه .

- ثم وصلت بعد قليل رسل ابن عثمان إلى الديار المصرية وكتبه يتضمن اجتماع الكلمة وأن يكون مع السلطان عوناً على قتال هذه الطاغية تيمورلنك ، ليستريح الإسلام والمسلمون منه ، وأخذ يتخضع و يلج في كتابه على اجتماع الكلمة ، فلم يلتفت أحد إلى كلامه ، وقالت أمراء مصر يوم ذاك الآن صار صاحبنا ، وعندما مات أستاذنا الملك الظاهر برقوق مشى على بلادنا ، وأخذ ملطية من عملنا ، فليس هو لنا بصاحب ، يقاتل هو عن بلاده ، ونحن نقاتل عن بلادنا ووعيتنا ، وكتب له عن السلطان بمعنى هذا اللفظ ، وكان ما قاله أبو يزيد بن عثمان من أكبر المصالح ، فانه حدثني فيما بعد الأمير أسنباي الظاهري الزردكاش^(١) ، وكان أسره تيمور وحظى عنده وجعله زردكاشه ، قال : قال لي تيمورلنك ما معناه : إنه لقي في عمره عساكر كثيرة وحاربها ، لم ينظر فيها مثل عسكرين : عسكر مصر وعسكر ابن عثمان المذكور ، غير أن عسكر مصر كان عسكراً عظيماً ليس له من يقوم بتدريبه لصغر سن الملك الناصر فرج ، وعدم معرفة من كان حوله من الأمراء بالحروب ، وعسكر ابن عثمان المذكور - غير أنه كان أبو يزيد صاحب رأى وتدبير وإقدام ، لكنه لم يكن له من العساكر من يقوم بنصرته .
- قلت : ولهذا قلت إن المصلحة كانت تقتضي الصلح مع أبي يزيد بن عثمان المذكور ، فإنه كان يصير للعساكر المصرية من يدبرها ، ويصير لابن عثمان المذكور عساكر مصر مع عساكره عوناً ، فكان تيمور لا يقوى [على] مدافعتهم ، فإن كلا من العسكرين كان يقوى دفعه لولا ما ذكرناه ، فما شاء الله كان .
- وبعد أن كتب لابن عثمان بذلك لم يتأهب أحد من المصريين لقتال تيمور ، ولا التفّت إلى ذلك ، بل كان جل قهقري كل أحد منهم ما يوصله إلى سلطنة مصر

(١) الزردكاش : الصانع المقيم بالسلاح خاناه لإصلاح العدد ؛ وهي لفظة أعجمية ، ومعناها صانع الزرد

و إبعاد غيره عنها ، ويدع الدنيا تنقلب ظهرا لبطن ، فإنه مع ورود هذا الخبر المزعج بلغ السلطان والأمراء أن الأمير قانى باى العلائى الظاهرى أحد أمراء الطبلخانات ورأس نوبة يريد إثارة فتنه ، فطلبه السلطان وأمره بلبس التشريف بناية غزنة ، فامتنع من لبسه ، فأمر السلطان به فقبض عليه وسلم للأمير آقبای الحاجب ، فأخذه ونزل إلى داره وأقام عنده إلى آخر النهار ، فاجتمع عليه طائفة من المماليك السلطانية يريدون أخذه من آقبای الحاجب غصيا ، فخاف آقبای وطلع به إلى القلعة ، فطلب السلطان الأمراء وتشاوروا على قتله^(١) ، فانفقوا على إبقائه فى إمرته ووظيفته .

ثم فى خامس عشرين المحرم من سنة ثلاث وثمانمائة ورد البريد على السلطان من حلب بأخذ تيمور ملطية ، ثم وصل من القصد البريد أيضا بوصول أوائل عسكر تيمورلنك إلى مدينة عينتاب ، وفى الكتاب : أدركوا المسلمين وإلا هلكوا ، فاستدعى السلطان بعد يومين الخليفة والقضاة والأمراء وأعيان الدولة ، وعلموا أن تيمورلنك وصلت مقدمته إلى مرعش وعينتاب ، وكان القصد بهذا الجمع أخذ مال التجار إعانة على النفقة فى العساكر ، فقال القضاة : أتم أصحاب الأمر والنهى وليس لكم فيه معارض ، وإن كان القصد الفتوى فى ذلك فلا يجوز أخذ مال أحد يخاف على العساكر من الدماء ، فقبل لهم نأخذ نصف الأوقاف من البلاد ، نقطعها للأجناد البطالين ، فإن الأجناد قلت لكثرة الأوقاف ، فقال القضاة : وما قدر ذلك ؟ ومتى عمدتم على البطالين فى الحرب ، خيف أن يؤخذ الإسلام ، وطال الكلام فى ذلك حتى استقر الرأى على إرسال الأمير أسنبغا الدوادار لكشف الأخبار ، وتجهيز عساكر الشام إلى جهة تيمورلنك ، وسار أسنبغا فى خامس صفر من سنة ثلاث المذكورة على البريد ، ووقع التخاذل والتقاعد لاختلاف الكلمة وكثرة الآراء .

(١) فى م « فى أمره » . (٢) فى ف (فإن الأنبياء) .

هذا وأهل البلاد الشامية في أمر لا يعلمه إلا الله تعالى، مما داخلهم من الرعب والخوف، وقصد كل واحد أن يرحل من بلده، فتمنع من ذلك حاكم بلده، ووعد بمحضور العساكر المصرية والدفع عنهم.

- ثم بعد أيام قدم البريد بكتاب نائب حلب الأمير دمرداش المحمدي، ومحبته أيضا كتاب أسنبغا الدوادار بأن تيمور نزل على قلعة بهسنا^(١)، بعد ممالك مدينتها، وأنه مستمر على حصارها، وقد وصلت عساكره إلى عيتاب^(٢)، ووصل هذا الخبر إلى مصر رابع عشرين صفر المذكور، فوقع الشروع عند ذلك في حركة سفر السلطان، ثم علق جاليش السفر في يوم ثالث شهر ربيع الأول، وكان من خبر أسنبغا الدوادار أنه وصل إلى دمشق في سابع صفر، فقرأ كتاب السلطان في الجامع الأموي^(٣)، وهو يتضمن تجهيز العساكر الشامية وخروجهم لقتال تيمور، وقدم في تاسعه رسول تيمور إلى الشام وعلى يده مطالعات تيمور للشايخ والقضاة والأمرء، بأنه قدم في عام أول إلى العراق، يريد أخذ القصاص بمن قتل رسله بالرجبة^(٤)، ثم عاد إلى الهند، فبلغه موت الملك الظاهر، فعاد وأوقع بالكرج^(٥).

- (١) بهسنا (بفتحين وسكون السين ونون وألف) قلعة عجيبة بقرب مرعش وحميساط، وهي من أعمال حلب (عن معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٧٧٠).
- (٢) هي قلعة حصينة ورستاق بين حلب وأنطاكية.
- (٣) كان ابتداء عمارة جامع دمشق في أواخر سنة ٨٦ هـ وتكامل في عشرينين؛ وكان الفراغ منه سنة ٩٦ هـ وفي هذه السنة توفي بانيه الوليد بن عبد الملك، وقد بقيت فيه بقايا من الزخرفة فكلها أخوه سليمان بن عبد الملك، وجددت فيه أشياء أخرى، فن ذلك القبة الغربية التي في صحن الجامع، ويسمى الناس قبة عائشة، راجع وصف الجامع في ص ٢٧٥ من الجزء الخامس من كتاب خطط الشام حيث نجد هناك شرحا كاملا.

- (٤) هي بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات جنوبي قرقيسيا (عن معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٧٦٤).
- (٥) الكرج (بالضم ثم بالسكون وآخره جيم) : جبل من الناس نصارى، كانوا يسكنون في جبال القيق وبلد السريه، قويت شوكتهم حتى ملكوا مدينة قلايس، ولم يولاه نصب إليهم (راجع معجم البلدان لياقوت ص ٢٥١ ج ٤).

ثم قصد الروم لما بلغه قلة أدب هذا الصبي سليمان بن أبي يزيد بن عثمان أن يعرك أذنه، فتوجه إليه وفعل بسواس^(٢) وغيرها من بلاد الروم ما بلغكم، ثم قصد بلاد مصر ليضرب بها السكة، ويذكر اسمه في الخطبة، ثم يرجع، وطلب في الكتاب أن يرسل إليه أطمش المقبوض عليه من أمرائه قبل تاريخه، في دولة الملك الظاهر برقوق، وإن لم ترسلوه يصير دماء المسلمين في ذمتكم، فلم يلتفت سودون نائب الشام إلى كلامه، وأمر بالرسول فوسط.

وتوجه أسبقا إلى حلب فوجد الأخبار صحيحة، فكتب بما رآه وعلمه إلى الديار المصرية صحيفة كتاب نائب حلب، فوصلت الكتب المذكورة إلى مصر في ثالث شهر ربيع الأول، وكان ما تضمنته الكتب أن تيمور نزل على بزاعة^(٣) ظاهر حلب، وقد اجتمع بحلب سائر نواب البلاد الشامية، واستحث في خروج السلطان بالعساكر من مصر إلى البلاد الشامية، وأن تيمور لما نزل على بزاعة خرج الأمير شيخ المحمودي نائب طرابلس هو الملك المؤيد وبرز إلى جاليش تيمورلنسك في سبعمائة فارس، والتار في نحو ثلاثة آلاف فارس، وتراى الجمعان بالنشاب ثم آفتلوا ساعة، وأخذ شيخ من التار أربعة، وعاد كل من الفريقين إلى موضعه، فوسط الأربعة على أبواب مدينة حلب محضرة من أجمع بحلب من النواب، وكان الذي أجمع بها الأمير سودون نائب الشام بعساكر دمشق وأجنادها وعشيرها،

(١) تقع بلاد شرق الخليج القسطنطيني وشمال الشام وغربي بحر الروم ومن الجنوب بلاد الشام والجزيرة. راجع تقويم البلدان لأبي الفداء إسماعيل ص ٣٧٨.

(٢) راجع الحاشية رقم ١٠ ص ١٦٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة.

(٣) بزاعة (بضم الباء الموحدة وفتح الزاي وبعد الألف عين مهملة مفتوحة وهاء): قرية من أعمال حلب. راجع الكلام عليها في النجوم الزاهرة (ج ٥ ص ٣٢٢ طبعة دار الكتب المصرية) وتقويم البلدان لأبي الفداء إسماعيل (ص ٢٦٦ و٢٦٧).

ونائب طرابلس شيخ المحمودى المذكور بعساكر طرابلس وأجنادها ورجالها ،
ونائب حماة دقاق المحمدي بعساكر حماة وعربانها ، ونائب صفد أطنبغا العثماني
بعساكر صفد وعشيرها ، ونائب غزة عمر بن الطحان بعساكرها ، فأجتمع منهم
بجلب عساكر عظيمة ، غير أن الكلمة متفرقة ، والعزائم محلولة لعدم وجود
السلطان . انتهى .

وكان تيمور لما نزل على عينتاب أرسل رسوله إلى الأمير دمرداش المحمدي
نائب حلب يعده باستمراره على نيابة حلب ، ويأمره بمسك سودون نائب الشام ،
فإنه كان قتل رسوله الذي وجهه إلى دمشق قبل تاريخه ، فأخذ دمرداش الرسول
وأحضره إلى النواب ، فأنكر الرسول مسك سودون نائب الشام ، وقال لدمرداش :
إن الأمير (يعنى تيمور) لم يأت البلاد إلا بمكاتباتك إليه ، وأنت تستدعيه أن ينزل
على حلب ، وأعلمته أن البلاد ليس بها أحد يدفع عنها ، فحقق منه دمرداش لما سمع
منه هذا الكلام ، وقام إليه وضربه ، ثم أمر به ، فضربت رقبته ، ويقال : إن
كلام هذا الرسول كان من تنبيق تيمورلنك ودهائه ومكره ليفرق بذلك بين العساكر ،
فعلم الأمراء ذلك ، ولم يقع ما قصده ، ومن الحليين جماعة يقولون إلى الآن :
إنه كاتب تيمور وتقاعد عن القتال . والله أعلم بصحة ذلك .

١٥

ثم أجمع الأمراء والنواب على قتال تيمور ، ونهياً كل منهم للقاءه بعد أن يشؤوا
من مجيء السلطان وعساكره ، لعلمهم بعدم رأى مدبرى مملكة مصر من الأمراء ،
ولصغر سن السلطان ، وقدفات الأمر وهم في قلة إلى الغاية بالنسبة إلى عساكر تيمور
وجنوده وجموعه ، وكان الأليق بخروج السلطان من مصر بعساكره ووصوله إلى
حلب قبل رحيل تيمور من سيواس ، كما فعل الملك الظاهر برقوق — رحمه الله —
فبا تقدم ذكره .

٢٠

وبينا النواب في إصلاح شأنهم للقتال، نزل تيمور بعساكره على قرية جيلان^(١)، خارج حلب في يوم الخميس تاسع شهر ربيع الأول وأحاط بمدينة حلب، وأصبح من الغد في يوم الجمعة، زحف على مدينة حلب وأحاط بسورها، فكانت بين أهل حلب وبينه في هذين اليومين حروب كثيرة، ومناوشات بالنشاب والتفوط والمكاحل، وركب أهل حلب أسوار المدينة وقاتلوه أشد قتال، فلما أشرقت الشمس يوم السبت حادى عشره خرج نواب الشام بجميع عساكرها، وعامة أهل حلب إلى ظاهر مدينة حلب، وصباؤا الأطلاب والعساكر لقتال تيمور، ووقف سيدي سودون نائب دمشق بماليكه، وعساكر دمشق في المينة، ووقف دمرداش نائب حلب بماليكه، وعساكر حلب في الميسرة، ووقف بقية النواب في القلب، وقدعوا أمامهم أهل حلب المشاة، فكانت هذه التعبئة من أيسم^(٢) التعابي، وهذا مع أدعاء دمرداش بالمعرفة لتعبئة العساكر، وحال وقوف الجميع في منازلهم زحف تيمور بجيوش قد سدّت الفضاء، وصدم عساكر حلب صدمة هائلة فالتقاء النواب وثبتوا لصدمته أولا، ثم أنكسرت الميسرة، وثبت سودون نائب الشام في المينة، وأردفه شيخ نائب طرابلس وقتلاه قتالا عظيما، وبرز الأمير عز الدين أزدمر أخو الأتابك إينال اليوسفى وولده يشبك بن أزدمر في عدة من الفرسان وقد بذلوا نفوسهم في سبيل الله، وقاتلوا قتالا شديدا وأبلوا بلاء عظيما وظهر عن

(١) جيلان ويقال لها (الجل وكيلان) قال صاحب صبح الأعشى في الكلام على إقليم الجبل (ج ٤ ص ٣٨٠) نقلا عن مسالك الأبصار: إن بلاد كيلان في وطأة من الأرض يحيط بها أربعة حدود، من الشرق إقليم مازندران، ومن الغرب موقان، ومن الجنوب عراق العجم، ومن الشمال بحر طبرستان. وهي شديدة الأمطار كثيرة الأنهار، ومدنها غير مسورة، وجميع مبانيها بالآجر، وبها حمامات يجرى إليها الماء من الأنهار، وبها المساجد والمدارس وتسمى الخواق اه ملخصا.

(٢) ورد في لسان العرب (مادة شام): «الشؤم: ضد اليمن، والعامة تقول: ما أيسمه.»

أزدمر وولده يشبك من الشجاعة والإقدام ما لعله يُذكر إلى يوم القيامة، ولم يزل أزدمر يقتحم القوم ويكرّث فيهم إلى أن قُتل وفقد خبره فإنه لم يُقتل إلا وهو في قلب العدو، وسقط ولده يشبك بين القتلى وقد أُنخنت جراحاته، وصار في رأسه فقط زيادة على ثلاثين ضربةً بالسيف وغيره، سوى ما في بدنه .

- ثم أخذ وحل إلى بين يدي تيمور، فلما رأى تيمور ما به من الجراح تعجب من إقدامه وثباته غاية العجب، وأمر بمداواته، فيما قيل؛ ولم تَمِضْ غير ساعة حتى ولّت العساكر الشامية منهزمة يريدون مدينة حلب، وركب أصحاب تيمور أفقيتهم، فهلك تحت حوافر الخيل من البشر ومن أهل حلب وغيرها من المشاة ما لا يدخل تحت حصر، فإن أهل حلب خرجوا منها لقتال تيمور، حتى النساء والصبيان، وأزدهم الناس مع ذلك في دخولهم إلى أبواب المدينة، وداس بعضهم بعضاً، حتى صارت الرّم طولاً قامة، والناس تمشي من فوقها، وقصد قواب المسالك الشامية قلعة^(١) حلب وطمعوا إليها، فدخلها معهم خلائق من الحلبيين وكانوا قبل ذلك قد نقلوا إليها سائر أموال الناس بحلب .

- هذا وقد أفتح عساكر تيمور مدينة حلب في الحال، وأشعلوا فيها النيران وأخذوا في الأسر والنهب والقتل، فهرب سائر نساء البلد والأطفال إلى جامع حلب وبقية المساجد، قال أصحاب تيمور عليهم، وربطوهم بالحبال أسرى، ثم وضعوا السيف في الأطفال، فقتلوهم بأسرهم، وشرعوا في تلك الأفعال القبيحة على عاداتهم، وصار الأبقار تُفتَض من غير تسنُّر، والمخدرات يُفسق فيهن من غير احتشام، بل

(١) قلعة حلب، هي مقام إبراهيم الخليل، وفي هذا المقام صندوق به قطعة من رأس يحيى بن زكريا

عليه السلام ظهر سنة ٣٥ هجرية راجع معجم البلدان لباقوت (ج ٢ ص ٣٠٨) .

(٢) أطلنا البحث في المصادر التي تحت بدنا عن وصف جامع حلب فلم نجد ما يوصلنا إلى موضعه .

يأخذ التتري الواحدة ويسلوا في المسجد والجامع بمحضرة الجتم الفغير من أصحابه ومن أهل حلب ، فإراها أبوها وأخوها وزوجها وولدها ولا يقدر أن يدفع عنها لقلة مقدرته ، ولشغله بنفسه بما هو فيه من العقوبة والعذاب ، ثم ينزل عنها الواحد فيقوم لها آخر وهي مكشوفة العورة .

ثم بذلوا السيف في عامة حلب وأجنادها حتى امتلأت الجوامع والطرق بالقتل ، وجافت حلب ، واستمر هذا من ضحوة نهار السبت إلى أثناء يوم الثلاثاء رابع عشر ربيع الأول ، هذا والقلعة في أشد ما يكون من الحصار والقتال ، وقد نقبها عسكريون من عدة أماكن ، وردم خندقها ولم يبق إلا أن تؤخذ .

فتشاور النواب والأعيان الذين بالقلعة ، فأجمعوا على طلب الأمان ، فأرسلوا ليمور بذلك ، فطلب ييمور نزول بعض النواب إليه ، فترل إليه دمر داش نائب حلب ، فخلع عليه ، ودفع إليه أماناً وخلصاً إلى النواب ، وأرسل معه عدة وافرة من أصحابه إلى قلعة حلب ، فطلعوا إليها وأخرجوا النواب منها بمن معهم من الأمراء والأعيان ، وجعلوا كل اثنين في قيد ، وأحضروا الجميع إلى ييمور وأوقفوا بين يديه ، فنظر إليهم طويلاً وهم وقوف بين يديه ورئيسهم سودون نائب الشام .

ثم أخذ يقزعهم ويوتجهم ويلوم سودون نائب الشام في قتله لرسوله ، ويكثر له من الوعيد . ثم دفع كل واحد منهم إلى من يحتفظ به .

ثم سبقت إليه نساء حلب سبايا ، وأحضرت إليه الأموال والجواهر والآلات الفاخرة ، ففرقها على أمرائه وأخصائه ، واستمر النهب والسي والقتل بحلب في كل يوم

مع قطع الانتحار وهدم البيوت وإحراق المساجد ، وجافت حلب وظواهرها من القتلى ، بحيث صارت الأرض منهم فراشا ، لا يجرد الشخص مكانا يمشى عليه إلا وتحت رجله رمة قتيل . وعمل تيمور من رؤوس المسلمين منائر عدة مرتفعة من الأرض نحو عشرة أذرع في دور عشرين ذراعا ، حسب ما فيها من رؤوس بني آدم فكان زيادة على عشرين ألف رأس ، ولما بُنيت جعلت الوجوه بارزة يراها من يترها .

ثم رحل تيمور من حلب بعد أن أقام بها شهرا ، وتركها خاوية على عروشها ، خالية من سكانها وأنيسها ، قد خربت وتعطلت من الأذان والصلوات ، وأصبحت نرابا يبابا مظلمة بالحريق موحشة قفرا ، لا يأويها إلا البوم والزخم . وسار تيمور قاصدا جهة دمشق ، فز بمدينة حماة ، وكان أخذها ابنه ميران شاه .

وكان من خبرها أن ميران شاه بن تيمور نزل عليها بكرة يوم الثلاثاء رابع عشر شهر ربيع الأول المذكور ، وأحاط بها بمساكره ، بعد أن نهب خارج مدينة حماة ، وسبي النساء والأطفال ، وأسرا الرجال ، وأسبمت أيدى أصحابه يفعلون في النساء

(١) في م : « منابر » .

(٢) في السلوك : « تمر ، وقيل تيمور » ؛ وكلاهما صحيح . وبإضافة « لك » إلى الآم يكون معناه تيمور الأعرج . وهو ما سجد شرحه في ترجمته ؛ وضبط الآم ابن عرب شاه في كتابه (نحائب المقدور) ص ٥ : « تيمور : بناء مكسورة وباء ساكنة مثناة من تحت وواو ساكنة بين ميم مضمومة وراء مهملة » .

(٣) حلب : مدينة كبيرة ببلاد الشام شمالا ؛ فتحها أبو عبيدة عامر بن الجراح وخالد بن الوليد ، وكانت تسمى قديما هليون أو هلبة ، وعند الفراعنة خالوبو . وعند الآشوريين خالبان . وفيها مشهد لإبراهيم الخليل . قيل إنه مكان تعبد . (معجم البلدان ج ٣ ص ٣١١) و (قاموس الجغرافية القديمة) واشتهرت بآثارها الأيوبية وقلعتها المشهورة المحفوظة بأهم تفاصيلها ونقوشها وكتابات ، كما اشتهرت بأسواقها الجميلة .

(٤) كذا في (الضوء اللامع) ، و (البدر الطالع) . والذي في (الشذرات) و (نحائب المقدور) : « أمران شاه » .

والأبكار تلك الأفعال القبيحة، ونَحَرُوا جميعَ ما نَحَرَجُ^(١) عن سور المدينة . هذا وقد
 أَسْتَعَدَّ أَهْلُ حِمَاةٍ لِلْقِتَالِ ، وَرَكِبَ النَّاسُ سَوْرَ الْمَدِينَةِ ، وَأَمْتَنَعُوا مِنْ تَسْلِيمِ الْمَدِينَةِ ،
 وَبَاتُوا عَلَى ذَلِكَ ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا خَادَعَهُمْ أَبُو تَيْمُورٍ ، فَفَتَحُوا لَهُ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْمَدِينَةِ ،
 وَدَخَلَ أَبُو تَيْمُورٍ الْمَذْكُورَ مَدِينَةَ حِمَاةٍ وَنَادَى بِالْأَمَانِ ؛ فَقَدِمَ النَّاسُ عَلَيْهِ ، وَقَدَّمُوا
 لَهُ أَنْوَاعَ الْمَطَايِمِ ، فَقَبِلَهَا مِنْهُمْ ، وَعَزِمَ أَنْ يَقِيمَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَيْهَا ، فَقِيلَ لَهُ :
 إِنَّ الْأَعْيَانَ قَدْ خَرَجُوا مِنْهَا ، فَخَرَجَ إِلَى مَحْجَمِهِ وَبَاتَ بِهِ .

ثم رحل يوم الخميس عنها ووعد الناس بخير ؛ ومع ذلك فإن قلعة حماة^(٢)
 لم يتسلمها ، بل كانت أمتنعت عليه .

فلما كان ليلة الجمعة نزل أهل القلعة وقتلوا من أصحاب أبي تيمور رجلين كان
 اقترهما بالمدينة ، فلما بلغ ذلك أبي تيمور رجع إليها وأقتحم البلد ، وأشعل النار بها ،
 وأخذ أصحابه يقتلون ويأسرون وينهبون حتى صارت كمدينة حلب ، غير أنه كان
 رَفَقَ بِأَهْلِ حَلَبٍ ، فَإِنَّهُ كَانَ سَأَلَ قِضَاءَ حَلَبٍ لَمَّا صَارُوا فِي أَسْرِهِ عَنْ قِتَالِهِ ، وَمِنْ
 الشَّهِيدِ [مِنَ الْعَسْكَرِينَ] ؟ فَأَجَابَ مُحَمَّدُ بْنُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الشَّحْنَةِ الْحَنْفِيُّ^(٣) بِأَنْ
 قَالَ : سَأَلَ رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — عَنْ هَذَا ، فَقَالَ : ” مَنْ قَاتَلَ لَتَكُونَ
 كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ الشَّهِيدُ “ ، فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ وَحَادَثَهُمْ ، فَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَمْفُو عَنْ

(١) كذا في ف والسلوك . وفي باقي الأصول : « ما خارج » وهو غير مستقيم كما لا يخفى .

(٢) قلعة حماة : هذه . بما تيمور لذك بعد أن تسلمها ، ومن ذلك الحسين بقيت خرابا ليس فيها
 إلا بعض بيوت وجدران قائمة ، وآثار مجنن محكومة بقيت إلى القرن الحادي عشر الهجري
 (تاريخ حماة ص ٥٢) .

(٣) هاتان الكلمتان سافطتان من « م » .

(٤) انظر كتابه (روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر) المطبوع بهامش الجزء التاسع من تاريخ
 (الكامل لابن الأثير ص ٢١٤) طبع بولاق . وانظر أيضا (عجائب المقدور ص ٩٦) .

أهل حلب، ولا يقتل أحداً؛ فأتتهم جميعاً وحلف لهم، فحصل بذلك بعض رفقٍ بالنسبة إلى غيرهم .

وأما أهل دمشق، فإنه لما قدم عليهم الخبر بأخذ حلب، نودى في الناس بالرحيل من ظاهرها إلى داخل المدينة، والاستعداد لقتال العدو المخدول فأخذوا في ذلك، فقدم عليهم المنهزمون من حماة، فعظم خوف أهلها وهُمُوا بالجلأ، فقتلوا من ذلك، ونودى « من سافر نهب »، فعاد إليها من كان خرج منها، وحصنت دمشق، ونُصبت المجانيق على قلعة دمشق، ونُصبت المكايل على أسوار المدينة، وأستعدوا للقتال استعداداً جيداً إلى الغاية .

ثم وصلت رُسُلُ تيمور إلى نائب القية بدمشق ليتسلموا منه دمشق، فهمم نائب القية بالفرار، فردّه العائمة ردّاً قبيحاً، وصاح الناس وأجمعوا على الرحيل عنها، وأستغاث النساء والصبيان، وخرجت النساء حاسرات لا يعرفن أين يذهبن، حتى نادى نائب القية بالاستعداد .

وقدِم الخبرُ في أثناء ذلك بجيئ السلطان إلى البلاد الشامية، ففترعزمُ الناس عن الخروج من دمشق ما لم يحضر السلطان .

(١) المنجنيق : آلة من خشب لها دفتان قائمتان، بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف وفيه تجمل كفة المنجنيق التي يوضع فيها الحجر، يجذب حتى ترتفع أسافله على أعاليه، ثم يرسل فيرتفع دبه الذي فيه الكفة، فيخرج الحجر أو النبط منه، فإصاب شيئاً إلا أهلكه . وفارسيتها « من جه نيك » . وقال فرنكل : إن الكلمة معربة عن اليوناني (الألفاظ الفارسية ص ١٤٦) .

(٢) مكاحل البارود : هي المدافع التي يرى عنها النبط، وهي أنواع : فمنها ما يرى بأسهم عظام تكاد تحترق الحجر، وبعضها يرى ببندق من حديد زنته ما بين عشرة أرتال إلى ما يزيد عن مائة رطل .

(٣) نائب القية : هو نائب السلطان أو نائب نائبه، وله حرية التصرف في الحكم (صبح الأعشى

وأما أمراء الديار المصرية فإنه لما كان ثامن عشر شهر ربيع الأول وهو
بعد أخذ تيمور لمدينة حلب بسبعة أيام ، فُرِّقَت الجُمَاكِي (١) على الممالك السلطانية
بسبب السفر .

ثم في عشرينه نودى على أجناد الحلقة بالقاهرة أن يكونوا في يوم الأربعاء
ثاني عشرينه في بيت الأمير يَسْك الشَّعْبَانِي الدَّوَادَار للعرض عليه .

ثم في خامس عشرينه ورد عليهم الخبر بأخذ تيمور مدينة حلب ، وأنه يحاصر
قلعتها ، فكذبوا ذلك ، وأمسك المخبر وحبس حتى يعاقب بعد ذلك على أفرائه ،
ووقع الشروع في النفقة ، فأخذ كل مملوك ثلاثة آلاف وأربعمائة درهم .

ثم خرج الأمير سُودُون من زادة والأمير إِيْنَال حطب على الهُجْن في ليلة
الأربعاء تاسع عشرينه لكشف هذا الخبر .

ثم ركب الشيخ سراج الدين عمر البلقيني وقضاة القضاة والأمير آقبای
الحاجب ، ونودى بين أيديهم : « الجهاد في سبيل الله تعالى لعدوكم الأكبر تيمورلنك ،
فإنه أخذ البلاد ووصل إلى حلب وقتل الأطفال على صدور الأمهات ، وأخرب
الدور والجوامع والمساجد ، وجعلها إسطبلات للدواب ، وأنه قاصدكم ، يُخَوِّب

(١) الجماكي : يراد بها مرتبات الجند . وفي الأصلين : « الجمل » تحريف .

(٢) أجناد الحلقة : هم عدد جم ، وربما دخل فيهم من ليس بصفة الجند من المتممين وغيرهم .
ولكل أربعين منهم مقدم ليس له عليهم حكم إلا إذا خرج العسكر فيكون له الإشراف عليهم ، فهم أقرب
إلى احتياطي الجيش .

(٣) الدوادار : وظيفة تعادل وظيفة السكرتير الخاص للسلطان ، (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٩) .

(٤) في ف والسلوك : « حاجب الحجاب والأمير مبارك شاه » .

(٥) زاد في السلوك قوله : « بالقاهرة من ورقة تتضمن أمر الناس » .

بلادكم ، ويقتل رجالكم ؛ فاضطربت القاهرة لذلك ، واشتد جزع الناس ، وكثر بكائهم وصراخهم ، وأنطلقت الألسنة بالوقعة في أعيان الدولة .

وأمستهل شهر ربيع الآخر^(١) ، فلما كان ثلثه قدم الأمير أسنبغا الحاجب وأخبر بأخذ تيمور مدينة حلب وقلعها باتفاق ديمرداش ، وحكى ما نزل بأهل حلب من البلاء ، وأنه قال لنائب الغيبة بدمشق يخلى بين الناس وبين الخروج من دمشق^(٢) ، فإن الأمر صعب ، [وإن النائب لم يمكن أحدا من السير] فخرج السلطان الملك الناصر من يومه من القاهرة ونزل بالريذانية بأمرائه وعساكره [والخليفة^(٣) والقضاة ، وتعين الأمير تيمراز الناصري أمير مجلس لنيابة الغيبة بالديار المصرية ، وأقام بمصر من الأمراء الأمير جكم من عوض في عذبة أخر ، وأقام الأمير تيمراز بعرض أجناد الحلقة ، وفي تحصيل ألف فرس وألف جمل ، وإرسال ذلك مع من يقع عليه الاختيار من أجناد الحلقة للسفر .

ثم رسم باستقرار الأمير أرططاي من نجباً على رأس نوبة النوب كان في نيابة الإسكندرية بعد موت نائبها فرج الحلبي^(٤) .

(١) في ف : « ربيع الأول » . (٢) في ٢ : « الدوادار » . وقد ولى كلنا الوظيفتين .

(٣) زاد في السلوك قوله « ٥١ » . (٤) تكله عن السلوك . (٥) الاسكندرية : أكبر ثغور مصر ، وكان اسمها عند قدماء المصريين راكوتي ، وعند اليونان راكوتس . وكانت العرب تسميها راقودة ، كما في المقرئ وغيره ، ومحلها القديم كوم الشقافة . وهي من أجمل موانئ البحر الأبيض المتوسط ، بناها الإسكندر المقدوني سنة ٣٣١ قبل الميلاد ، وكان لها منار عال بلغ ارتفاعه ٤٠٠ قدم على جزيرة فاروس الموجود بها (طابية قايتباي الآن) .

وكانت في عصر البطالة دار العلوم والفنون بالشرقي ، وكان فيها مكتبة شهيرة لا نظير لها في العالم ، أحرقها عساكر يوليوس قيصر ، فالتهمت النارجون عظيماتها ، ثم احترقت ثانيا سنة ٣٩٠ ق ، وقد لعبت =

وكان أرسطى منذ أفرج عنه بطلاً بالإسكندرية ، فوردت عليه الولاية وهو بها ، وأخذ الأمير تيمراز في عَرْض أجناد الحلقة ، وتحصيل الخيول والجمال وطلب العربان من الوجه القبلي والبحري لقتال تيمور ، كل ذلك والسلطان بالريذانية .

ثم خرج الجاليش في بكرة يوم الجمعة ثامن شهر ربيع الآخر، وفيه من أكابر الأمراء مقدّمى الألوف : الأتابك بيبرس ، والأمير نوروز الحافظى رأس نوبة الأمراء ، والامير بكتمر الركنى أمير سلاح ، وآقبای حاجب الحجاب ، وبلبغا الناصرى ، وإينال باى بن بقماس ، وعدة أنحر من أمراء الطليخانات والعشرات .

ثم رحل السلطان ببقية الأمراء والعساكر من الريذانية يريد جهة الشام لقتال تيمورلنك ، وسار حتى نزل بغزة في يوم عشرين من الشهر، واستدعى بالوالد وآقبغا

١٠ = الإسكندرية في الفتح الإسلامى دورا خطيرا عما دعا عمر بن العاص إلى فتحها مرتين : الأول سنة ٦٤١ هـ ١٢٤١ م والثانية سنة ٦٤٥ هـ ١٢٤٥ م وقد عنى مؤرخو العرب بالإشادة بفضلها وفضل المراقبة فيها . والمتنوع للراجع التاريخية الخاصة بمصر يلبس فقر الإسكندرية فيها ، فلم تنفرد إلا بمؤلفات قليلة لتاريخها وطبوغرافيتها حتى إن هذا القليل فقد أيضا ، ومنها المؤلف الذى وضعه عنها منصور بن سليم السكندرى وعنوانه (الدرّة السنية في تاريخ الإسكندرية) حيث لم نجد له في مقره مكتبة أباصوفيا .

١٥ وزاد الأمر عموما أن أكثر معالمها الأثرية الإسلامية فقدت أو تجددت ، ففقدت مميزات الفنية ونصوصها التاريخية .

ومن خيرة من أهتم بها القريرى في خططه ج ١ ص ١٤٤ - ١٧٢ وعلى مبارك باشا في خططه الجديدة أيضا إذ أفرد لها الجزء السابع . وقد تناولها بالبحث في مقال كبير نشر في مجلة الكتاب عدد يناير سنة ١٩٤٧ تحت عنوان « الإسكندرية في العصر الاسلامى » ص ٣٧٩ - ٣٩٣ أوجزت فيه تاريخها والمؤلفات العربية التى ألقت فيها ومطالنها ، كما تناولت أثر صلاح الدين والحافظ السلفى في نهضتها العلمية ، وأنها سبقت مصر في إنشاء المدارس ، مع ذكر آراء الرحالة فيها ومن لقوا بها من العلماء ، مع إحصاء لبعض ما كان بها من مساجد ومدارس ، وإحصاء موجز لأشهر علمائها وشعرائها وشواعرها وندوات الأدب والعلم بها .

الجمالى- الأطروش نائب حلب كان من القدس، وأُخلع على الوالد بأستقراره في نيابة دمشق عوضا عن سودون قريب الملك الظاهر برقوق بحكم أسره مع تيمور، وهذه ولاية الوالد على دمشق الأولى .

- وخلع على الأمير آقبا الجمالى الأطروش بأستقراره في نيابة طرابلس عوضا عن شيخ المحمودى بحكم أسره مع تيمور أيضا، وعلى الأمير تيمربغا المنجى بأستقراره في نيابة صفد عوضا عن أَلطُنْبغا العثمانى بحكم أسره ، وعلى طولو من على باشاه باستقراره في نيابة غزّة عوضا عن عمر بن الطحان ، وعلى صدقة بن الطويل باستقراره في نيابة القدس، وبعث الجميع إلى ممالكهم .

- وأما الوالد فإنه قال للسلطان وللأمراء: عندى رأى أقوله، وفه مصلحة للمسلمين وللسلطان، فقليل له: وما هو؟ فقال: رأى أن السلطان لا يتحرك هو ولا عساكره من مدينة غزّة ، وأنا أتوجه إلى دمشق وأعرض أهلها على القتال ، وأحصنها — وهى بلدة عظيمة لم تُتْكَب من قديم الزمان، وبها ما يكفى أهلها من الميرة سنين، وقد داخل أهلها أيضا من الخوف ما لا مزيد عليه ، فهم يقاتلون قتال الموت — وتيمور لا يقدر على أخذها متى بسرعة ، وهو فى عسكر كبير إلى الغاية لا يطيق لمكث بهم بمكان واحد مدة طويلة ، فإما أنه يدع دمشق ويتوجه نحو السلطان إلى غزّة ، فيتوغل فى البلاد ويصير بين عسكرين ، وأظنه لا يفعل ذلك ، وإما أنه يعود إلى جهة بلاده كالمنهزم من عدم معرفة عساكره

(١) فى ابن إياس : « طولو بن على شاه » . وترجه ابن تفرى بردى فى المنهل الصافى : « طولو

ابن عبد الله من على باشا الظاهرى » .

(٢) رواية ٣ : « المؤونة » والمعنى واحد .

بالبلاد الشامية ، وقلة ما في طريقه من الميرة لخراب البلاد ، ويركب السلطان بمساكره المصرية والشامية أقبية التمرية إلى الفرات ، فيظفر منهم بالفرض وزيادة^(١) ، فاستصوب ذلك جميع الناس ، حتى تيمور عند ما بلغه ذلك بعد أخذه دمشق ، وما بقى إلا أن يرسم بذلك ، تكلم بعض جهال الأمراء مع بعض في السرتمن عنده كمين من الوالد من واقعة أئتمش ونتم ، وقال : تقتلوا رفقته وتسلموه الشام ، والله ما قصده إلا أن يتوجه إلى دمشق ، ويتفق مع تيمور ويعود يقاتلنا ، حتى ياخذ منا ثأر رفقته ، وكان نوروز الحافظي بإزاء الوالد ، فلما سمع ذلك استحيا أن يديه للوالد ، فإشار إليه بالسكات والكف عن ذلك ، وانفض المجلس ، وخرج الوالد من الخدمة وأصلح شأنه ، وتوجه إلى دمشق ، فوجد الأمير دمرداش نائب حلب قد هرب من تيمور وقدم إلى دمشق ، وقد جفل أهل دمشق لما بلغهم قرب تيمور إلى دمشق ١٠ فاخذ الوالد في إصلاح أمر دمشق^(٢) ، فوجد أهلها في غاية الاستعداد ، وعزمهم قتال تيمور إلى أن يفنوا جميعا ، فتأسف عند ذلك على عدم قبول السلطان لرأيه ولم يسعه إلا السكات .

ثم رحل جاليش السلطان من غزة في رابع عشرين شهر ربيع الآخر ، ثم رحل السلطان ببقية عسكره من غزة في سادس عشرينه ، وسار الجميع حتى وافوا دمشق . ١٥

وكان دخول السلطان دمشق في يوم الخميس سادس جمادى الأولى ، وكان لدخوله يوم مهول من كثرة صراخ الناس وبكائهم والابتهاال إلى الله بنصرته ، وطلع السلطان إلى قلعة دمشق وأقام بها إلى يوم السبت ثامنه ، فنزل من قلعة دمشق

(١) رواية ٢ : « زيادة » .

(٢) في ٢ : « أهل » .

ونخرج بعساكره إلى حُيْمَه عند قبة يَلْبُغا ظاهر دمشق، وتَهِيا للقاء تيمور هو بعساكره وقد قَصَّرت الممالك الظاهرية أرماحهم حتى يَتَمَكَّنُوا من طعن التُّمَرِيَّةِ أولا بأول لازدراءهم عساكر تيمور .

فلما كان وقت الظهر من اليوم المذكور وصل جاليش تيمور من جهة جبل الثلج^(٢) في نحو الألف فارس ، فبرز إليهم مائة فارس من عسكر السلطان وصدموهم صدمة واحدة ، بذدوا شملهم وكسروهم أفتَحَ كسرة ، وقتلوا منهم جماعة كبيرة وعادوا . ثم حضر إلى طاعة السلطان جماعة من التمرية وأخبروا بتزول تيمور على البقاع العزيزي فلتكونوا على حذر ، فإن تيمور كثير الجبل والمكر ، فاحترز القوم منه غاية الاحتراز .

- ١٠ (١) قبة يلبغا : علق عليها حضرة الأستاذ محمد أحمد دهمان مؤرخ دمشق في الحاشية رقم ٢ ص ٦٦ من (القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية) بقوله : « كان لدمشق في العصر المملوكي طريقان عظيمان : أحدهما طريق مصر وهو أعظمها لكونها العاصمة . وكان عند قرية القدم قبة تدعى قبة يلبغا وبما كان مكانها موضع القبة التركية القائمة أمام زاوية الشيخ أحمد الصالبي ، فكان السلطان أو النائب إذا كان قادما إلى دمشق صحبته الموابك الرسمية منها حتى يدخل دمشق ، وإذا كان خارجا إلى مصر صحبته الموابك إليها » .
- ١٥ ولما ترجم المؤلف في كتابه (المنهل الصافي ٣ ص ٣١) (لأمر يلبغا قال : « وعمر قبة النصر عند مسجد القدم » . وهذا يفيد أنها عرفت أيضا بقبة النصر لوقوعها عند قرية القدم الموجود بها مسجد القدم الباقي إلى الآن خارج دمشق بعد حي الميدان . (ثمار المقاصد في ذكر المساجد ص ١٢٩ ، ٢٤٤) .
- (٢) جبل الثلج وجبل لبنان وجبل اللكام : هذه الجبال متصلة ببعضها فكدت جبلا متدا من الجنوب إلى الشمال ، فالطرف الجنوبي لهذا الجبل بالقرب من صفد ، وهو يمتد إلى الشمال ويتجاوز دمشق ، ويسمى إذا صار في شمالها جبل شين . وجانبه المطل على دمشق فاسيون . ويمر غربي بعلبك ؛ ويسمى الجبل المقابل لبعلبك جبل لبنان ، (تقويم البلدان ص ٢٦٨) .
- ٢٠ (٣) البقاع العزيزي أو سهل البقاع أو بقاع العزيز : يمر في الكلاب المقدس بوادي لبنان . وفي المؤلفات العربية : بمرج الروم . وهو قسم من سورية خلف جبل لبنان . (معجم الخريطة التاريخية ص ٣٠) ، (صبح الأعشى ج ٤ ص ١١٠) .

ثم قدم على السلطان خمسة أمراء من أمراء طرابلس بكتاب أسندهم نائب القبة بطرابلس يتضمن أن الأمير أحمد بن رمضان أمير التركمان هو وابن صاحب الباز وأولاد شهرى آتفقوا وساروا إلى حلب وأخذوها من التمرية، وقتلوا من أصحاب تيمور زيادة على ثلاثة آلاف فارس، وأن تيمور بعث عسكرياً إلى طرابلس، فثار بهم أهل القرى وقتلهم عن آخرهم بالحجارة لدخولهم بين جبلين، وأنه قد حضر من عسكري تيمور خمسة نفر، وأخبروا بأن نصف عسكري تيمور على نية المسير إلى طاعة السلطان.

وكان ذلك من مكاييد تيمور، ثم قال: وإن صاحب قبرص وصاحب الماغوسة وغيرهم وردت كتبهم بانتظار الإذن لهم في تجهيز المراكب في البحر لقتال تيمور معاونة للسلطان، فلم يلتفت أحد لهذا الكتاب، وداموا على ما هم فيه من اختلاف الكلمة.

ثم في يوم السبت نزل تيمور بعساكره على قطناء، فلاثت عساكره الأرض كثرة، وركب طائفة منهم لكشف الخبر، فوجدوا السلطان والأمراء قد تهيئوا للقتال وصفت العساكر السلطانية، فبرز إليهم التمرية وصدموهم صدمة هائلة، وثبت كل من العسكرين ساعة، فكانت بينهم وقعة أنكسر فيها ميسرة السلطان، وأنهزم

(١) المقصود بالباز «بازارجق» لا «بازمر» . وهي من أفضية لواء مرعش بولاية حلب (آثار الأدهار ٦٤٤).

(٢) قبرص بالصاد (ونكتب بالسين أيضاً) : جزيرة مشهورة بالبحر الأبيض المتوسط .

(٣) الماغوص أو الماغوسة : مدينة مشهورة بقبرص، ونسى أيضاً المراض .

(٤) قطناء : قرية من قرى دمشق . (معجم البلدان ج ٧ ص ١٢٥) .

العسكر الغزائى وغيرهم إلى ناحية حوران^(١)، وجرح جماعة، وحمل تيمور بنفسه حملة^(٢) شديدة ليأخذ فيها دمشق، فدفعته ميمنة السلطان بأسنان الرماح حتى أعادوه إلى موقفه.

- ونزل كل من العسكر بن بمعسكره، وبعث تيمور إلى السلطان في طلب الصلح وإرسال أطمش أحد أصحابه إليه، وأنه هو أيضا يبعث من عنده من الأمراء المقبوض عليهم في وقعة حلب، فأشار الوالد ودمرداش وقطلوبغا الكركي في قبول ذلك لما يعرفوا من اختلاف كلمتهم، لا لضعف عسكرهم، فلم يقبلوا وأبوا إلا القتال.
- ثم أرسل تيمور رسولا آخر في طلب الصلح، وكرر القول نائيا، وظهر للأمراء والجميع العساكر صدق مقالته، وأن ذلك على حقيقته، فأبى الأمراء ذلك^(٣)، هذا والقتال مستمر بين الفريقين في كل يوم.

- فلما كان نائى عشر جمادى الآخرة اختفى من أمراء مصر والمماليك السلطانية جماعة، منهم الأمير سودون الطيار، وقانى باى العلانى رأس نوبة، وجمقى، ومن الخاصكية يشبك العثمانى وقش الحافظى وبرسبغا الدوادار وطرباى في جماعة أخرى، فوقع الاختلاف عند ذلك بين الأمراء، وعادوا إلى ما كانوا عليه من التشاحن في الوظائف والإقطاعات والتحكم في الدولة، وتركوا أمر تيمور كأنه لم يكن، وأخذوا في الكلام فيما بينهم بسبب من اختفى من الأمراء وغيرهم.

(١) حوران : كورة واسعة من أعمال دمشق ذات قرى كثيرة ومرارع .

(٢) في م : « حملة عظيمة شديدة » .

(٣) لم ترد هذه الكلمة في « م » .

(٤) رواية السلوك ٢٦ ج ٣ قسم ١ : « وقع الحافظى » ؛ والصواب ما أثبتنا كما في الأصلين والضوء.

هذا وتيمور في غاية الاجتهاد في أخذ دمشق وفي عمل الحيلة في ذلك .
ثم أعلم بما الأمراء فيه ، ففقوى أمره واجتهاده ، بعد أن كان عزم على الرحيل ،
وأستعد لذلك .

ثم أشيع بدمشق أن الأمراء الذين آخفوا توجهوا جميعا إلى مصر ليلسطنوا
الشيخ لاجين الجركسى أحد الأجناد البرآنية ؛ فعظم ذلك على مدبرى المملكة لعدم
رايهم ، وكان ذلك عندهم أهم من أمر تيمور ، وآتفقوا فيما بينهم على أخذ السلطان
الملك الناصر جريدة ، ^(١) وعودته إلى الديار المصرية في الليل ، ولم يعلموا بذلك إلا جماعة
يسيرة ، ولم يكن أمر لاجين يستحق ذلك ، بل كان تيمراز نائب الغيبة بمصر يكفى
السلطان أمرهم ، ﴿ وَلَكِنْ لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ .

فلما كان آخر ليلة الجمعة حادى عشرين جمادى الأولى ركب الأمراء وأخذوا
السلطان الملك الناصر فرج على حين غفلة ، وساروا به من غير أن يعلم العسكر به
من على عقبه ^(٢) دمر يريدون الديار المصرية ، وتركوا العساكر والرعية من المسلمين
غفما بلا راع ، وجدوا في السير ليلا ونهارا حتى وصلوا إلى مدينة صفد ، فاستدعوا
نائبها الأمير تيمربغا المتنجى وأخذوه معهم ، وتلاحق بهم كثير من أرباب الدولة
وأمرائها ، وسار الجميع حتى أدركوا الأمراء الذين ساروا إلى مصر — عليهم

(١) الجريدة : فرقة من الخيالة .

(٢) رواية ف والسلوك : « جمادى الآخرة »

(٣) عقبه دمر : مشرفة على غوطة دمشق ، وهى من جهة الشمال في طريق بعلبك ، (معجم البلدان

ج ٤ ص ٧٢) .

(٤) زاد في السلوك بعد هذه الكلمة ما نصه : « إلى غزة » .

من الله ما يستحقوه - بمدينة غزة ، فكلموهم فيما فعلوه ، فاعتذروا بعذر غير مقبول في الدنيا والآخرة ؛ فندم عند ذلك الأمراء على الخروج من دمشق حيث لا ينفع الندم ، وقد تركوا دمشق أكلة لليمور ، وكانت يوم ذاك أحسن مدُن الدنيا وأعمرها .

- وأما بقية أمراء مصر وأعيانها من القضاة وغيرهم لما علموا بخروج السلطان من دمشق خرجوا في الحال في إثره طوائف طوائف يريدون اللحاق بالسلطان ، فأخذ غالبهم العشير ، وسلبوهم ، وقتلوا منهم خلقا كثيرا .^(١)

- أخبرني غير واحد من أعيان الممالك الظاهرية قالوا : لما بلغنا خروج السلطان ركبنا في الحال ، غير أنه لم يُعقنا عن اللحاق به إلا كثرة السلاح الملقى على الأرض بالطريق مما رمته الممالك السلطانية ليخف ذلك عن خيولهم ، فن كان فرسه ناهضا نخرج ، وإلا لحقه أصحابُ تيمور وأسروه ، فمن أسروه قاضى القضاة صدر الدين المناوئ^(٣) ومات في الأسر حسبا يأتى ذكره في الوقايات^(٤) ونتابع دخول المنقطعين من الممالك السلطانية وغيرهم إلى القاهرة في أسوأ حال من المشى

(١) زاد هنا في السلوك قوله : « ما معهم » .

(٢) رواية ف « غير كثرة » .

(٣) في السلوك : « صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوئ الشافعي » .

(٤) ورد في السلوك بعد هذه الكلمة ما نصه : « وكان قاضى القضاة ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون للالكي بداخل مدينة دمشق فلما علم بتوجه السلطان تدلى من سور دمشق وسار إلى تيمورلنك فأكرمه وأجله وأنزله عنده ثم أذن له في المسير إلى مصر فساد إليها وتتابع » الخ .

والعُرَى والجوع، فرسم السلطان لكلَّ من الممالك السلطانية المذكورين بألف درهم وجامكية شهرين .

وأما الأمراء فإنهم دخلوا إلى مصر وليس مع كلِّ أمير سوى مملوك أو مملوكين . وقد تركوا أموالهم وخیولهم وأطلابهم وسائر مآمهم بدمشق ؛ لأنهم خرجوا من دمشق بفتنة بغير مُوَاعِدة لما بلغهم توجّه السلطان من دمشق ، وأخذ كلِّ واحد ينجو بنفسه .

وأما العساكر الذين خلفوا بدمشق من أهل دمشق وغيرها ، فإنه كان أجمع بها خلائق كثيرة من الخليين والمحويين والمحصبين وأهل القرى ممن خرج جافلا من تيمور .

ولما أصبحوا يوم الجمعة وقد فقدوا السلطان والأمراء والنائب غلقوا أبواب دمشق، وركبوا أسوار البلد، ونادوا بالجهاد، فنهبا أهل دمشق للقتال، وزحف عليهم تيمور بعساكره، فقاتله الدمشقيون من أعلى السور أشد قتال، وردوهم عن السور والخندق، وأسرهم جماعة ممن كان أفتحهم باب دمشق، وأخذوا من خيولهم عدة كبيرة، وقتلوا منهم نحو الألف، وأدخلوا رؤسهم إلى المدينة، وصار أمرهم في زيادة فأعيا تيمور أمرهم ، وعلم أن الأمر يطول عليه ، فأخذ في مخادعتهم، وعمل الحيلة في أخذ دمشق منهم .

وبينا أهل دمشق في أشد ما يكون من القتال والاجتهاد في تحصين بلدهم ، قدم عليهم رجلان من أصحاب تيمور من تحت السور وصاحا من بُعد : «الأمير يريد الصلح ، فأبعثوا رجلا عاقلا حتى يحدثه الأمير في ذلك» .

قلت : هذا الذى كان أشار إليه الوالد عند استقراره بغزة في نيابة دمشق، وقوله : إن أهل دمشق عندهم قوة لدفع تيمور عن دمشق، وأن دمشق بلد كثيرة الميرة والرزق، وهى في الغاية من التحصين، وأنه يتوجه إليها ويقايل بها تيمور، فلم يسمع له أحد في ذلك، فلعمري لو رأى من لا أعجبه^(١) كلام الوالد قتال أهل دمشق الآن وشدة بأسهم وهم بغير نائب ولا مدبر لأمرهم، فكيف ذاك لو كان عندهم متسولي أمرهم بماليك وأمراء دمشق وعساكرها بمن أنضاف إليهم لكان يحق له الندم والاعتراف بالتقصير . انتهى .

ولما سمع أهل دمشق كلام أصحاب تيمور في الصلح وقع اختيارهم في إرسال قاضى القضاة تقي الدين إبراهيم بن [محمد بن] مفلح الحنبلى، فأرسل من سور دمشق إلى الأرض، وتوجه إلى تيمور واجتمع به وعاد إلى دمشق، وقد خدعه تيمور بتنميق كلامه، وتلطف معه في القول، وترفق له في الكلام، وقال له : هذه بلدة الأنبياء والصحاب، وقد اعتقتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة عني وعن أولادى، ولولا حننى من سودون نائب دمشق عند قتله لرسولى ما أتيتها، وقد صار سودون المذكور في قبضتى وفي أسرى، وقد كان الغرض في مجيئى إلى هنا، ولم يبق لى الآن غرض إلا العود، ولكن لا بد من أخذ عادتى من التقدمة من الطقزات .

وكانت هذه عادته إذا أخذ مدينة صلحا يخرج إليه [أهلها]^(٢) من كل نوع من أنواع المأكول والمشروب والدواب والملابس والتحف تسعة ؛ يستعملون ذلك طقزات، والطقز باللغة التركية : تسعة، وهذه عادة ملوك التتار إلى يومنا هذا .

(١) كذا في الأصلين . ولعله « يعجبه » . (٢) الزيادة عن السلوك .

(٣) الزيادة عن م والسلوك .

فلما صار ابن مفلح بدمشق شرع يَحْدِلُ الناس عن القتال ويُنْثِي على تيمور
ودينِه وحسن اعتقاده ثناءً عظيماً، ويكفّ أهل دمشق عن قتاله، فمال معه طائفة
من الناس، وخالفه طائفة أخرى وأبوا إلا قتاله، وباتوا ليلة السبت على ذلك،
وأصبحوا نهار السبت وقد غلب رأى ابن مفلح على مَنْ خالفه، وعزم على إتمام
الصلح، ونادى في الناس: إنه من خالف ذلك قُتِلَ وهُوْدِرَ دُمُه؛ فكفّ الناس
عن القتال.

وفي الحال قدم رسول تيمور إلى مدينة دمشق في طلب الطُّفُزَاتِ المذكورة،
فبادر ابن مفلح، وأستدعى من القضاة والفقهاء والأعيان والتجار، حمل ذلك كُلِّ
أحد بحسب حاله، فشرعوا في ذلك حتى كمل، وساروا به إلى باب النصر ليخرجوا
به إلى تيمور، ففمنهم نائب قلعة دمشق من ذلك، وهددهم بحريق المدينة عليهم إن
فعلوا ذلك، فلم يلتفتوا إلى قوله، وقالوا له: [أنت] ^(١) أحكم على قلعتك، ونحن نحكم على
بلدنا، وتركوا باب النصر وتوجهوا، وأخرجوا الطُّفُزَاتِ المذكورة من السور، وتدلّى ابنُ
مفلح من السور أيضاً ومعه كثير من أعيان دمشق وغيرهم وساروا إلى مخيم تيمور،
وباتوا به ليلة الأحد، وعادوا بكرة الأحد، وقد آسَفتْ تيمور بجماعة منهم في عدّة
وظائف: ما بين قضاة القضاة، والوزير، ومستخرج الأموال، ونحو ذلك، معهم فرمان
من تيمور لهم، وهو ورقة فيها تسعة أسطر يتضمّن أمان أهل دمشق على أنفسهم

(١) باب النصر وباب الفتوح: أسماء تيمّن أطلقت على أبواب الحصون في مصر وتونس ودمشق.
وباب النصر هذا بدمشق ويسمى باب السرايا وصفه الأستاذ صلاح الدين المنجد في مؤلفه القيم عن
دمشق القديمة بأنه باب فتحه الملك الناصر من الجهة الغربية لسور دمشق، وكان مكانه سوق الأروام
اليوم وقد أزاله شرواني باشا أحد ولاة الأتراك سنة ١٨٦٣ م عند فتح سوق الجديدة.

(٢) الزيادة عن (م).

وأهلهم خاصة ؛ ففرئ الفرمان المذكور على منبر جامع بنى أمية بدمشق ، وفتح
 من أبواب دمشق باب الصغير فقط ، وقدم أمير من أمراء تيمور ، جلس فيه ليحفظ^(١)
 البلد ممن يعبر إليها من عساكر تيمور ، فثنى ذلك على الشاميين وفرحوا به ، وأكثر
 ابن مفلح ومن كان توجه معه من أعيان دمشق الثناء على تيمور وبث محاسنه
 وفضائله ، ودعا العامة لطاعته وموالاته ، وحثهم بأسيرهم على جمع المال الذي تقتر
 لتيمور عليهم ، وهو ألف ألف دينار ، وفرض ذلك على الناس كلهم ، فقاموا به من
 غير مشقة لكثرة أموالهم ، فلما كل المال حمله ابن مفلح إلى تيمور ووضع بين
 يديه ، فلما عاينه غضب غضبا شديدا ، ولم يرض به ، وأمر ابن مفلح ومن معه أن
 يخرجوا عنه ، فأخرجوا من وجهه ، ووكل بهم جماعة حتى ألتموا بجمل ألف
 تومان ، والتومان عبارة عن عشرة آلاف دينار [من الذهب]^(٢) ، إلا أن سعر
 الذهب عندهم يختلف ، وعلى كل حال فيكون جملة ذلك عشرة آلاف ألف دينار ،
 فآلتموا بها ، وعادوا إلى البلد ، وفرضوها ثانيا على الناس [كلها]^(٣) عن أجرة أملاكهم
 ثلاثة أشهر ، وألزموا كل إنسان من ذكر وأنثى حر وعبيد بعشرة دراهم ، وألزم

(١) باب الصغير هو باب المدينة الجنوبي ، وسمى بذلك لأنه كان أصغر أبوابها ، وهو باق إلى الآن
 وهو الذي جدد زمن الأيوبيين ، وما زال محتفظا بنصوصه التاريخية ، (دمشق القديمة - أسوارها
 أبراجها ، أبوابها) ص ٤٩ .

(٢) الزيادة عن (م) . والتومان يطلق إلى الآن على عملة صغيرة في إيران . وفي سنة ١٨٥٤ م
 كان يساوي خمسين فرنكا ، (قاموس الأكنة والبقاع ٧٣) . والتومان يطلق أيضا على الفرقة العسكرية
 المكوتة من عشرة آلاف نسمة ، (تاريخ العراق ج ١ ص ١٣١) .

مباشر كل وقف بجمل مال له جرم ، فزول بالناس باستخراج هذا منهم ثانياً^(١)
 بلاء عظيم ، وعوقب كثير منهم بالضرب^(٢) ، ففلت الأسعار ، وعز وجود الأقوات ،
 وبلغ المذ القمح - وهو أربعة أقداح - إلى أربعين درهما فضة ، وتعطلت^(٣)
 صلاة الجمعة من دمشق فلم تقم بها جمعة إلا مرتين حتى دُعي بها على منابر
 دمشق للسلطان محمود ولولّى عهده ابن الأمير تيمورلنك ، وكان السلطان محمود مع
 تيمور آله ، كون عادتهم لا يتسلطن عليهم إلا من يكون من ذرية الملوك . انتهى .

ثم قدم شاه ملك أحد أمراء تيمور إلى مدينة دمشق على أنه نائبها من
 قبل تيمور .

ثم بعد جمعتين منعوا من إقامة الجمعة بدمشق لكثرة غلبة أصحاب تيمور
 بدمشق ، كل ذلك ونائب القلعة ممتنع بقلعة دمشق ، وأعوان تيمور تحاصره أشد
 حصار ، حتى سلمها بعد تسعة وعشرين يوماً ، وقد رمى عليها بمدافع ومكاحل
 لا تدخل تحت حصر ، يكفيك أن التمرية من عظم ما أعياهم أمر قلعة دمشق
 بنوا تجاه القلعة قلعة من خشب ، فعند فراغهم من بنائها وأرادوا طلوعها

(١) زاد في السلوك قوله : « من سائر الأوقاف » .

(٢) زاد في السلوك بعد هذه الكلمة قوله : « وشغل كل واحد بما هو فيه » .

(٣) زاد في السلوك ما نصه : « والجماعة » .

(٤) يستفاد مما كتبه ابن عرب شاه في عجائب المقدور في صحيفتي ٦٨ ، ٩٠ أن تيمورلنك كتب
 إلى نواب حلب وإلى القاضي برهان الدين أبي العباس أحمد الحاكم بقصيرة وتوقات وسيواس أن
 يخطبوا باسم محمود خان « أوسبورغاتمش خان » وباسم الأمير الكبير تيمور كوركان .

ليقاتلوا من أعلاها مَنْ هو بالقلعة، رمى أهل قلعة دمشق نَفْطًا فأحرقوها عن آخرها،
فأنشئوا قلعة ثانية أعظم من الأولى وطلعوا عليها وقاتلوا أهل القلعة .

هذا وليس بالقلعة المذكورة من المقاتلة إلا نفر يسير دون الأربعين نفرا،
وطال عليهم الأمر، ويسوا من النجدة، وطلبوا الأمان، وسلموها بالأمان .

قلت : لا شئت يداهم ! هؤلاء هم الرجال الشجعان . رحمهم الله تعالى .

ولما تكامل حصول المال الذي هو ألف تومان، أخذه ابن مفلح وحمله
إلى تيمور؛ فقال تيمور لابن مفلح وأصحابه : هذا المال بحسابنا إنما هو يسوى
ثلاثة آلاف ألف دينار، وقد بقي عليكم سبعة آلاف ألف دينار، وظهر لى أنكم
عجزتم .

وكان تيمور لما آنفق أولا مع ابن مفلح على ألف ألف دينار يكون ذلك على
أهل دمشق خاصة، والذي تركته العساكر المصرية من السلاح والأموال يكون
لتيمور، فخرج إليه ابن مفلح بأموال أهل مصر جميعها، فلما صارت كلها إليه وعلم
أنه آستولى على أموال المصريين ألزمهم بإخراج أموال الذين فزوا من دمشق،
فسارعوا أيضا إلى حمل ذلك كله، وتدافعوا عنده حتى خلص المال جميعه، فلما

(١) رواية عجائب المقدور ص ١١٢ : « ثم إنه صار في هذه المدة يحاصر القلعة ويعد لها
ما استطاع من عدة، وأمر أن يبنى مقابلها بناء يعلوها، ليصعدوا عليه فيهدوها . فجمعوا الأخشاب
والأحطاب وعبوها . وصبوا فوق الأجر التراب ودكوها، وذلك من جهة الشمال والغرب، ثم علوا عليها
وناوشوها الطعن والضرب، وفرض أمر الحصار لأمير من أمرائه الكبار يدعى جهان شاه، فتكفل بذلك
وعائاه، ونصب عليها المجانيق، ونقب تحتها وعلقها بالعاليق . وكان فيها من المقاتلة فئة غير طائفة،
أمثلهم شهاب الدين الزردكاشي الدمشقي، وشهاب الدين أحمد الزردكاشي الحلبي . »

(٢) في م : « قليل » . (٣) في الأصلين : جميعه .

كل ذلك ألزمهم أن يُخْرِجُوا إليه جميع ما في البلد من السلاح جليلها وحقيرها ،
فتبّعوا ذلك وأخرجوه له حتى لم يَبَقَ بها من السلاح شيء ، فلما فرغ ذلك كله
قَبَضَ على ابن مفلح ورفقته ، وألزمهم أن يكتبوا له جميع خطط دمشق وحاراتها
وسكّكها ، فكتبوا ذلك ودفعوه إليه ، ففرقه على أمرائه ، وقسم البلد بينهم ، فساروا
إليها بمالِكهم وحواشيهم ، ونزل كل أمير في قسمه وطلب من فيه ، وطالبهم
بالأموال ، فحينئذ حلّ بأهل دمشق من البلاء ما لا يوصف ، وأجرى عليهم أنواع
العذاب من الضرب والمضرب والإحراق بالنار ، والتعليق منكوساً ، وغَمُّ الأنف ^(١) بمخرقة
فيها تراب ناعم كلما تنفس دخل في أنفه حتى تكاد نفسه تَرَقُّق ، فكان الرجل إذا
أشرف على الهلاك يُخَلِّي عنه حتى يستريح ، ثم تعاد عليه العقوبة أنواعاً ، فكان المعاقب
يحسد رفيقه الذي هلك تحت العقوبة على الموت ، ويقول : ليتني أموت وأستريح
بما أنا فيه ، ومع هذا كله تؤخذ نساؤه وبناته وأولاده الذكور ، وتُقسم جميعهم على
أصحاب ذلك الأمير ، فيشاهد الرجل المعبّد أمراته أو بنته وهي توطأ ، ولده وهو
يُلاط به ، يصرخ هو من ألم العذاب ، والبنت والولد يصرخان من إزالة البكارة
واللواط ، وكل ذلك من غير تستر في النهار بحضرة الملا من الناس . ورأى أهل
دمشق أنواعاً من العذاب لم يُسمع بمثلا ، منها أنهم كانوا يأخذون الرجل
فَتَشَدُّ رأسه بحبل ويلويه حتى يَفُوصَ في رأسه ، ومنهم من كان يضع
الحبل بكتفي الرجل ويلويه بعصاه حتى تنخلع الكتفان ، ومنهم من كان
يربط إبهام يدي المعبّد من وراء ظهره ثم يلقيه على ظهره ويُنْزَلُ في منخريه

(١) غم الأنف : تغطيته .

(٢) في (م) : « فيصرخ » .

(٣) في م : « ويلويه » .

(١)
الزئاد مسحوقاً، فيقرّ على ما عنده شيئاً بعد شيء، حتى إذا فرغ ما عنده لا يصدّقه صاحبه على ذلك، فلا يزال يكرّر عليه العذاب حتى يموت، ويعاقب ميتاً مخافة أن يتماوت . ومنهم من كان يعلّق الملعّب بإبهام يديه في سقف الدار ويُشعل النار تحته، ويطول تعليقه، فربّما يسقط فيها، فيُسحب من النار ويلقّوه على الأرض حتى يُفَيّق، ثم يعلّقه ثانياً .

واستمرّ هذا البلاء والعذاب بأهل دمشق تسعة عشر يوماً، آخرها يوم الثلاثاء ثامن عشرين شهر رجب من سنة ثلاث وثمانمائة، فهلك في هذه المدة بدمشق بالمعقوبة والجوع خلق لا يعلم عددهم إلا الله تعالى .

فلما علمت أمراء تيمور أنه لم يبق بالمدينة شيء، خرجوا إلى تيمور، فسألهم: هل بقي لكم تعلّق في دمشق؟ فقالوا: لا؛ فأنعم عند ذلك بمدينة دمشق على أتباع الأمراء فدخلوها يوم الأربعاء آخر رجب، ومعهم سيوف مسلولة مشهورة وهم مُشاة، فنهّبوا ما قدروا عليه من آلات الدّور وغيرها، وسبّوا نساء دمشق بأجمعهنّ، وساقوا الأولاد والرجال، وتركوا من الصغار من عمره خمس سنين فما دونها، وساقوا الجميع مرهوبين في الحبال .

١٥ ثم طرحوا النار في المنازل والدّور والمساجد، وكان يوم عاصف الريح، فعمّ الحريق جميع البلد حتى صار لهيب النار يكاد أن يرتفع إلى السحاب، وعملت النار في البلد ثلاثة أيام ليلاتها آخرها يوم الجمعة .

(٢)
وكان تيمور — لعنه الله — سار من دمشق في يوم السبت ثالث شهر شعبان بعد ما أقام على دمشق ثمانين يوماً، وقد احترقت كلّها وسقطت سُقوف جامع بني أمية

من الحريق ، وزالت أبوابه وتَفَطَّرَ رُحَامُهُ ، ولم يَبْقَ غَيْرُ جُذْرِهِ قَامَةً . وذهبت
مساجد دمشق ودُورُها وقِيَاسُهَا وَحَمَامَاتُهَا وصارت أطلالا باليةً ورسوما خالية ،
ولم يبق بها [دابة تدب] ^(٢) إلا أطفال يتجاوز عددهم [آلاف] ^(٣) فيهم من
مات ، وفيهم من سيموت من الجوع .

وأما السلطان [الملك الناصر فرج] ^(٤) فإنه أقام بغزة ثلاثة أيام ، وتوجه إلى الديار
المصرية بعد ما قَدِمَ بين يديه آقبغا الفقيه أحد الدوادارية ، فقدم إلى القاهرة
في يوم الاثنين ثاني جمادى الآخرة ، وأعلم الأمير تيمراز نائب القبية بوصول السلطان
إلى غزّة ، فأرتجت القاهرة ، وكادت عقولُ الناس تَرَهَقُ ، وظن كل أحد أن
السلطان قد أنكسر من تيمور ، وأن تيمور في أثره ، وأخذ كل أحد يبيع ما عنده
ويستعد للهروب من مصر ، وغلا أثمان ذوات الأربع حتى جاوز المثل أمثالا .

فلما كان يوم الخميس خامس جمادى الآخرة المذكور قدم السلطان إلى قلعة
الجبيل ومعه الخليفة وأمراء الدولة ونواب البلاد الشامية ، ونحو ألف مملوك
من المحاليل السلطانية ، وقيل نحو الخمسمائة .

ثم في يوم السبت سابع جمادى الآخرة المذكور أنعم السلطان على الوالد بإمرة
مائة ، وتقدّمة ^(٥) ألف بالديار المصرية كانت موفّرة في الديوان السلطاني ، بعد استعفائه

(١) القيسارية في مصر : سوق مسقوفة تجمع مختلف الصناعات والتجارات . وفي الشام أطلقت
على الخانات والوكايل الكبيرة . (٢ و ٣) الزيادة عن السلوك .

(٤) نكتة عن « م » . (٥) إمرة مائة وتقدمة ألف : وظيفتان عسكريتان يتدرّج
فيهما الجندي من أمير عشرة إلى إمرة طلبخناه ، إلى أمير مائة وتقدمة ألف ، وهي أعلى مراتب
الأمراء ، والحائز لها إلى الوظائف الكبيرة . وسمى أمير مائة بسبب تخصيص مائة مملوك لخدمته .

من نيابة دمشق ، وعين السلطان لنيابة دمشق آقبغا الجمالى الأطروش ، ورسم للوالد أن يجلس رأس مبصرة .^(١)
^(٢)

ثم أذن السلطان للأُمير يلبغا السالمى^(٣) الأستاذار أن يتحدث في جميع ما يتعلق بالملكمة ، وأن يجهز العسكر إلى دمشق لقتال تيمور ، فشرع يلبغا السالمى المذكور في تحصيل الأموال ، وفرض على سائر أراضي مصر فرائض من إقطاعات الأمراء ، وبلاد السلطان ، وأخباز الأجناد ، وبلاد الأوقاف عن عبدة كل ألف دينار خمسمائة درهم فضة وفرس .^(٤)

ثم جى من سائر أملاك القاهرة ومصر وظواهرها أجرة شهر ، حتى إنه كان يقوم على الإنسان داره التى يسكنها ، ويؤخذ منه أجرتها ، وأخذ من الرزق ، وهى الأراضي التى يأخذ مغلها قوم على سبيل البر والصدقة عن كل فدان عشرة دراهم ، وكان يوم ذاك أجرة الفدان من ثلاثين درهما إلى ما دونها .

قلت : أخذ نصف خراجها بدورة دارها ، وأخذ من الفدان القصب أو القلقاس أو النيلة من القنطار مائة درهم ، وهى نحر أربعة دنانير ، وجى من البساتين عن كل فدان مائة درهم .

-
- ١٥ (١) نيابة دمشق : لقب القائم مقام السلطان فى حكمها . ولأهمية دمشق يطلق على نائبها كافل السلطنة . ومن دونه إلى أكبر التواب يكتب لهم « نائب السلطنة الشريفة بكدا » .
(٢) رأس المبصرة : كبير الأمراء المتقدمين فى السن من أكابر أمراء المائة ، وهم أمراء المشورة .
(٣) الأستاذار : لفظ فارسى معناه وكيل الخراج والمؤونة . وفى دولى المماليك اعتبرت وظيفة من وظائف أرباب السيوف ، وموضوعها التحدث فى سائر ما يتعلق بتجاسة السلطان وماليته .
(٤) أخباز الأجناد : هى إقطاعاتها .

ثم استدعى أمنا^(١) الحكم والتجار وطلب منهم المال على سبيل القرض، وصار يكبس الفنادق والحواصل في الليل، فمن وجده حاضرا فتح مخزنه وأخذ نصف ما يجده فيه من النقد، وهي الذهب والفضة والفلوس، وإذا لم يجد صاحب المال أخذ جميع ما يجده من النقود وهي الذهب والفضة والفلوس، وأخذ جميع ما وجد من حواصل الأوقاف، ومع ذلك فإن الصيرفي^(٢) يأخذ عن كل مائة درهم ثلاثة دراهم، وبأخذ الرسول الذي يحضر المطلوب ستة دراهم، وإن كان نقيبا أخذ عشرة دراهم، قاله الشيخ تقي الدين المقرئ رحمه الله، قال: فاشتد ما بالناس، وكثر دعاء الناس على السالمى.

قلت: وبالجملة فهم أحسن حالا من أهل دمشق. وإن أخذ منهم نصف ما لهم، وأيش يعمل السالمى! مسكين، وقد ندبه السلطان لإخراج عسكران من الديار المصرية لقتال تيمور. انتهى.

ثم خلع السلطان على الأمير نوروز الخافضى وعلى الأمير يشبك الشعبانى، واستقرأ مشيرى الدولة ومدبرى أمورها.

ثم فى ثالث عشره خلع على القاضى أمين الدين عبد الوهاب بن قاضى القضاة شمس الدين محمد الطرابلسى [قاضى العسكر باستقراره]^(٥) قاضى قضاة الحنفية بالديار المصرية بعد موت قاضى القضاة جمال الدين يوسف الملطى، وعلى القاضى

(١) أمنا. الحكم: هم أمنا. القاضى، وعليهم التحفظ على أموال اليتامى والغائبين.

(٢) فى السلوك: «فمن وجده صاحبه».

(٣) زاد فى السلوك بعد هذه الكلمة قوله: «تستخرج مما تقدم ذكره».

(٤) أيش: بمعنى أى شئ، خفف منه (شفاء الغليل ص ١٧ طبع بولاق).

(٥) الزيادة عن (م). وقضاة العسكر: من الوظائف الجليلة القديمة، يحضر صاحبها إلى دار العدل مع القضاة، ويسافر مع السلطان إذا سافر (صبح الأعشى ج ٤ ص ٣٦).

جمال الدين عبد الله الأفقهي^(١) بأستقراره قاضي قضاة المالكية بالديار المصرية
عوضاً عن القاضي نور الدين علي بن الجلال بحكم وفاته .

وفيه قديم من الشام من الممالك المنقطعين ثلثائة مملوك بأسوأ حال : من
المشئى والعمرى والجوع .

- ثم في حادى عشرينه حضر إلى القاهرة قاضى القضاة موفق الدين أحمد بن
نصر الله الحنبلى من دمشق بأسوأ حال، وقديم أيضا قاضى قضاة دمشق علاء الدين
علي بن أبى البقاء الشافعى، وحضر كتاب تيمورلنك للسلطان على يد بعض الممالك
السلطانية يتضمن طلب أطمش^(٢)، وأنه إذا قدم عليه أرسل من عنده من
الأمرء والنواب وغيرهم، وقاضى القضاة صدر الدين المناوى الشافعى، ويرحل
عن دمشق، فطلب أطمش من البرج بالقلعة، وأطلق وأنعم عليه بخمسة آلاف
درهم، وأنزل عند الأمير سودون طاز الأمير آخور الكبير، وعين للسفر معه قطلوبغا^(٣)
العلاى، والأمير محمد بن سنقر .

- ثم خرج إلى تيمور الأمير بيسق الشيخى الأمير آخور رسولا من السلطان
بالإفراج عن أطمش وأشياء أخر، هذا ويلغا السالى يحد في تحصيل الأموال،
وأخذ في عرض أجناد الحلقة، وألزم من كان منهم قادرا على السفر بالخروج إلى
الشام لقتال تيمور، وألزم العاجز عن السفر بحضور بديل، أو تحصيل نصف مقله^(٤)

(١) نسبة إلى أفهىس : بلد بمصر بالصعيد من كورة البهنسى وتعرف أيضا بالأففاص (ياقوت)

ج ١ ص ٣٣٨ طبع أوربا .

(٢) رواية بحجاب المقدور ص ٩٠ «أطلايش» ، وهو زوج بنت أخت تيمور .

(٣) في السلوك ص ٢٨ ج ٣ قسم ١ «قطلوبك» . وترجمه السخاوى في (الضوء اللامع) : ج ٦

ص ٢٢٤ قطلوبك العلاى . (٤) سقطت هذه الكلمة من « ف »

في السنة ، وألزم أرباب الغلال المحضرة للبيع في المراكب بسواحل القاهرة أن يؤخذ منهم عن كل إردب درهم ^(١) [وأن يؤخذ من كل مَرَكَب من المراكب التي تسير فيها الناس مائة درهم] ^(٢) .

ثم في يوم الثلاثاء أول شهر رجب أمر السالمى أن تُضْرَب دنانير مازنة الدينار ^(٣) مائة مثقال ومثقال ، ومنها ما زنته تسعون مثقالا ومثقال ، ثم ما دون ذلك ، إلى أن وصل منها دينار زنته عشرة مثاقيل ، فضرب من ذلك جملة دنانير .

ثم في ثالثه خلع السلطان على عَلم الدين يحيى بن أسعد المعروف بأبي كُم باستقراره وزيرا بديار مصر عوضا عن نحر الدين ماجد بن غراب .

ثم ورد الخبر أن دمر داش المحمدي نائب حلب تخلص من تيمور ، وجمع جموعا من التركمان ، وأخذ حلب وقلعتها من القرية ، وقتل منهم جماعة كبيرة .

ثم خلع السلطان على شاهين الحلبي نائب مقدم الممالك باستقراره في مقدمة الممالك السلطانية عوضا عن صواب المعروف بجنكل ، واستقر الطواشي فيروز من جرجي مقدم الرِّفْق نائب المقدم .

(١) سقطت هذه الكلمة من « م » وقد أثبتناها عن ف والسلوك .

(٢) رواية السلوك « بنزه » .

(٣) رواية السلوك « وأهل شهر رجب بيوم الثلاثاء فبلغت الدنانير السالبة ثلاثة آلاف دينار وأمر السالمى » . (٤) في السلوك بعد هذه الكلمة قوله : « أيضا منها » .

(٥) قلعة حلب : من أهم عمارات حلب ، بل ومن أهم التحصينات الأثرية ، وهي قائمة على هضبة صخرية ؛ ومعظم أبنيتها الباقية تعود إلى زمن الملك الناصر غازي الذي جدد حصونها وبنى منعدراتها وخندقها . وقد زينت أسوارها مرارا خلال القرون الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر (نزعات أثرية في سورية ٩٢-٩٣) . وقال عنها ابن الشحنة : عجائب الدنيا ثلاث : جب الكلب ونهر الذهب وقلعة حلب ؛ والثلاثة موجودة بحلب (تاريخ ملكة حلب ص ٤٧) .

ثم حضر في سابع شهر رجب من عربان البحيرة إلى خارج القاهرة ستة آلاف فارس ، وحضر من عربان الشرقية من عرب آبن بقر الفان وخمسمائة فارس ، ومن العيساوية وبني وائل ألف وخمسمائة فارس ، فانفق فيهم يلبغا السالى الأموال لينجهزوا للحرب تيمور .

- ثم حضر في ثامن قاصد الأمير نعيم ، وذكر أنه جمع عربا كثيرة ونزل بهم على تدمر^(١) ، وأت تمرنك رحل من ظاهر دمشق إلى القطيفة^(٢) .

هذا وقد التفت أهل الدولة إلى يلبغا السالى والعمل في زواله حتى تم لهم ذلك .

- فلما كان رابع عشر شهر رجب المذكور قبض على يلبغا السالى وعلى شهاب الدين أحمد بن عمر بن قطينة أستاذار الوالد الذى كان ولى الوزر قبل تاريخه ، وسلمهما لسعد الدين إبراهيم بن غراب ليحاسبهما على الأموال المأخوذة من الناس في الحجايات .

(١) تدمر : عروس صحراء الشام وعاصمة مملكة الزباء . الخافضة بالأجداد حقبة من الزمن انطوى فيها أجد صفعة من صفحات حضارة الشرق . وهى مدينة قديمة معناها بالعبرية « النخيل » . وهى واقعة بطرف بادية الشام ، وسط قصور الحير الشرق والحير الغرب ووصافة هشام ؛ وهذه كلها قصور لهشام بن عبد الملك ، وقد كانت ترتبط بمحس . وكان لها شأن عظيم مع الرومان ، وعلى الأخص في عصر ملكتها نائمة بنت عمرو بن الطرب المروقة بالزباء ، وقد توفر على دراستها ودراسة طيوغرافيتها وآثارها في مختلف عصورها الأستاذان صلاح الدين المنجد وجان استاركي في مؤلف قيم أخرجته مديرية الآثار العامة بدمشق سنة ١٩٤٧ .

(٢) القطيفة بالتصغير : قرية دون ثنية العقاب للقاصد إلى دمشق في طرف البرية من ناحية

قلت : فصار حاله كالمثل السائر « أفقرني فيمن أحب ولا أستغني » .
 ثم في ثامن عشره استقر سعد الدين إبراهيم بن غراب المذكور أستاذارا
 عوضا عن السالى مضافا لما بيده من وظيفتي نظر الجيش والخاص .

ثم في خامس شعبان برز الأمراء المعينون للسفر لقتال تيمور بمن عين معهم
 من الممالك السلطانية وأجناد الحلقة إلى ظاهر القاهرة ، وهم الذين كانوا
 بالقاهرة في غيبة السلطان بدمشق ، وتقدم الجميع الأمير تيمراز الناصري الظاهري
 أمير مجلس ، والأمير آقبای من حسن شاه الظاهري حاجب الحجاب ، ومن
 أمراء الطلبخانات : الأمير جرباش الشيعي ، والأمير تمان تمر والأمير صوماي
 الحسني ، وأمتنع الأمير جكم من السفر .

وفي اليوم قدم الأمير شيخ المحمودي نائب طرابلس فازا من أمر تيمور إلى
 الديار المصرية ، وأخبر برحيل تيمور إلى بلاده ، فرسم السلطان بإبطال السفر ، ورجع
 كل أمير إلى داره من خارج القاهرة .

ثم في الغد قدم دقاق المحمدي نائب حماة فازا أيضا من تيمور .
 وفيه طلب الوالد وخلع عليه باستقراره في نيابة دمشق ثانيا على كره منه ،
 وكانت شاعرة من يوم قدوم تيمور دمشق .

(١) رواية م : « فإيا أحب » .

(٢) بالرغم من كون المؤلف ينقل كثيرا عن السلوك فإنه ترك بعض حوادث شهر رجب وأوائل
 شعبان ، فلم يذكر قدوم ابن خلدون إلى مصر مع من شفع فيهم لدى تيمورلنك وانتقل إلى خامس شعبان .

(٣) رواية السلوك : « وفي ما به » .

(٤) رواية السلوك : « وفي تاسع عشره » .

ثم أخلع على الأمير شيخ المحمودى بأستقراره في نيابة طرابلس على عادته ، وعلى الأمير دُقاق المَحمَدى بأستقراره في نيابة حماة على عادته .

ثم أخلع السلطان على الأمير تَمْرُبُغا المَنجَكي بأستقراره في نيابة صَفَد وعلى الأمير تَنِكزُبُغا الحَطَطى بنيابة بعلبك .

ثم نودى بالقاهرة ألا يقيم بها أحد من الأعاجم ، وأمهلوا ثلاثة أيام ، وهُدِّد من تخلف منهم بالقاهرة ، فلم يخرج أحد ، وأكثر الناس من الكتابة في الحيطان : « مِنْ نُصرة الإسلام ، قَتَلَ الأَعْجَام » ، كل ذلك وأحوال مصر غير مستقيمة .

وأما البلاد الشامية فحصل بها جَراد عظيم بعد خروج اللُتُك منها ، فزادت نرابا على خراب ^(٣) .

قلت : ولندكر هنا بُدَّةَ يسيرة من أخبار تيمورلنك ونسبه وكثرة عساكره وعظم دهبه ومكره ؛ ليكون الناظر في هذا الكتاب على عِلْم من أخباره وأحواله ، وإن كان في ذلك نوع تطويل ونحروج عن المقصود ، فهو لا يخلو من فائدة .

(١) رواية السلوك : « أن لا يقيم بديار مصر » .

(٢) كذا في ف . والذي في م والسلوك : « تمرلنك » .

(٣) يلاحظ أن المؤلف قطع حوادث شهر شعبان ، وأخذ يترجم تيمورلنك ، بينما سار المقرئ في السلوك في سرد الحوادث مع الشهور ، كما يلاحظ أن المؤلف بعد أن فرغ من ترجمة تيمورلنك وأخباره عاد إلى سرد الحوادث ابتداء من أول شوال مهملًا بقية حوادث شهر شعبان ورمضان .

(٤) في « م » . « ليكون ناظر هذا الكتاب » .

فنعول: هو تَمَرْتَنَك وقيل تيمور، كلاهما بمعنى واحد، والثاني أفصح. [وهو] باللغة التركية الحديد بن أيتش قنلغ بن زلكي بن سنيا بن طارم طر بن طغرل بن فليج ابن سنقور بن كنجك بن طغر سبوقا بن التاخان المغولي - الأصل التركي - من طائفة جغتاي الطاغية تيمور، كوركمان، أعني باللغة المعجمية صهر الملوك.^(١)

مولده سنة ثمان وعشرين وسبعائة بقرية تسمى خواجا أيلغار من عمل كَشْ أَحَد مدائن ما وراء النهر، وبعد هذه البلدة عن مدينة سمرقند يوم واحد، ويقال:

(١) الزيادة عن (مخائب المقدور ص ٦) .

(٢) رواية (مخائب المقدور) « الحديد بن ترغاي بن ابغاي » .

(٣) رواية السدترات ج ٧ ص ٦٢ « ابن سيبيا بن طارم طر بن طغر بك بن فليج بن سنقور ابن كنجك بن طغر سبوقا » .

(٤) رواية مخائب المقدور « المغولية » .

(٥) قال ابن عرب شاه بعد أن ضبط اسمه بالعبارة في ص ٥ من كتابه (مخائب المقدور): « إن الألفاظ الأعجمية إذا تداولها صولحان اللغة العربية خلطها في الدوران على بناء أوزانها ودورها كيف شاء في ميدان لسانها . فقالوا في هذا تارة . تيمور ، وأخرى تمرتك ، ولم يجر عليهم في ذلك حرج ولا ضحك .

وشاركة في هذا النقد ابن تقي بردي ج ١١ ص ٢٢٦ — فإنه بعد أن أورد نماذج من تحريف الأسماء وتفسيرها قال: « حتى إن بعض الأتراك والأعاجم إذا سمعها لا يفهمها إلا بعد جهد كبير ، وقد أوضنا هذا وغيره في مصنف على حدة في تحريف أولاد العرب للأسماء التركية والمعجمية ... » . وأقول: ليتنا نعثر على هذا المؤلف ، فإن الأثر بين المؤرخين يمانون الكثير في ضبط الأعلام الفارسية والتركية، وفي ضبط كتابتها ومخالفة المتداول لما هو منقوش على الآثار، ومخالفة ما هو منقوش على الآثار للرسم التركي الصحيح .

(٦) كذا في (مخائب المقدور) وهو الصحيح . أما رواية الأصلين والمنهل « خواجا ابغار » .

(٧) كَشْ: إحدى مدن ما وراء النهر، قال ابن حوقل: هي مدينة مقدارها نحو ثلث فرسخ من مثله، وبنائها طين وخشب . وهي مدينة خصية جدا تدرك فيها الفواكه أسرع مما تدرك في سائر ما وراء النهر ... (قاموس الأمكنة والبقاع ص ١٣٢) ، (صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٣٥) ، وفي (تاريخ جرجان ص ٤٦٢): أنها قرية على الجبل على ثلاثة فراسخ من جرجان .

إنه رأى يوم ولد كأن شيئاً يشبه الخوذة تراءى طائراً في جَو السماء، ثم وقع إلى الأرض في فضاء كبير، فطائر منه جمر وشرر حتى ملا الأرض . وقيل : إنه لما نرج من بطن أمه وجدت كَفاه مملوءتين دماً، فوجدوا أنه تُسْفَك على يديه الدماء .
قلت : وكذا وقع .

وقيل : إن والده كان إسكافاً . وقيل : بل كان أميراً عند السلطان حسين صاحب مدينة بلخ^(٢)، وكان أحد أركان دولته، وإن أمه من ذرية جنكركان .
وقيل : كان للسلطان حسين المذكور أربعة وزراء، فكان أبو تيمور أحدهم، وولى تيمور بعد موته مكانه عند السلطان حسين . وأصل تيمور من قبيلة برلاص .

وقيل : إن أول ما عُرِف من حال تيمور أنه كان يتجزم^(٣)، فسرق في بعض الليالي غنمة^(٤) وحملها ليهرب بها، فأتته الراعى وضربه بسهم فاصاب كتفه، ثم ردفه بآخر فلم يصبه، ثم بآخر فاصاب نَحْذَه وعمل فيه الجرح الثاني الذي في نَحْذَه حتى عرج منه ؛ ولهذا سمي تمرلنك، لأن « لنك » باللغة العجمية أعرج، وأما اسمه الحقيقي فـ (تمر) بلا « لنك »، فلما أعرج [تمر] أضيف إليه « لنك » .

ولما تماقأ أخذ في التجزم على عادته وقطع الطريق ، وصحبه في تجزومه جماعة عذتهم أربعون رجلاً .

(١) رواية م : « لبة » .

(٢) بلخ : مدينة شهيرة بخراسان .

(٣) في الأصلين « يتجرم » . والتصويب عن تاريخ العراق ج ٢ ص ١٢٣ « يتجرم » .

(٤) هذا من قول العامة ، وإلا فالغم محركة لا واحد له من لفظه .

(٥) الزيادة عن ف .

وكان تيمور لنك يقول لهم في تلك الأيام : لا بد أن أملك الأرض وأقتل ملوك الدنيا ؛ فيسخر منه بعضهم ، ويصدقه البعض ، لما يروونه من شدة حزمه وشجاعته . وقيل : إنه تاه في بعض تجزماته مدة أيام إلى أن وقع على خيل السلطان حسين المقدم ذكره ، فأنزله الجُشارى صاحب مرج الخيل ^(١) عنده ، وعطف عليه وآواه وأتى إليه بما يحتاجه من طعام وشراب . وكان لتيمور معرفة تامة في جياد الخيل فأعجب الجُشارى منه ذلك ، فاستمر به عنده إلى أن أرسل معه بنحبول إلى السلطان حسين وعزفه به ، فأنعم عليه وأعادته إلى الجُشارى ، فلم يزل عنده حتى مات ، فولاه السلطان حسين عِوضه على جُشاره ، ولا زال يترقى بعد ذلك من وظيفة إلى أخرى حتى عظم وصار من جملة الأمراء . وتزوج باخت السلطان حسين ، وأقام معها مدة إلى أن وقع بينهما في بعض الأيام كلام ، فعائزته بما كان عليه من سوء الحال ، فقتلها وخرج هاربا ، وأظهر العصيان على السلطان حسين ، وأستفحل أمره ، وأستولى على ما وراء النهر ، وتزوج بنات ملوكها ، فعند ذلك لُقِبَ بـ « بكوركان » ، وقد تقدم الكلام على اسم كوركان . ولا زال أمره ينمو وأعماله تتسع إلى أن خافه السلطان حسين ، وعزم على قتاله ، وبلغه ذلك فخرج هاربا . ^(٢)

(١) كذا في كلا الأصلين . والذي في بحاشي المقدور : « فأنزله الجُشارى راعي الخيل عنده » .

(٢) بلاد ما وراء النهر ، قال ياقوت في المشترك : توران : اسم لمجموع ما وراء النهر ، وهما بلاد

الهياطلة . والذي ظهر لنا في تحديد ما وراء النهر أنه يحيط بها من جهة الغرب حدود خوارزم ، ومن الجنوب نهر جيحون من لدن بذخشان إلى أن يتصل بحدود خوارزم (تقويم البلدان ٤٨٣) .

(٣) زاد في المنهل الصافي بعد هذه الكلمة قوله : « من بلد إلى أخرى » .

(١) ثم قوى أمره بعد سنة ستين وسبعائة، فلما كثر عسكره بعث إلى ولاية بلخشان وكانا أخوين قد ملكا بعد موت أبيهما يدعوها إلى طاعته، فأجاباه، وكانت المُلُك قد نهضت من جهة الشرق على السلطان حسين، وكان كبيرهم الخان قمر الدين فتوجه السلطان حسين إليهم وقاتلهم، فأرسل تيمور يدعوهم إليه، فأجابوه ودخلوا تحت طاعته، فقويت بهم شوكته.

(٢) ثم قصد السلطان حسين ثانيا في عسكر عظيم حتى وصل إلى ضاغلفا، وهو موضع ضيق يسير الراكب فيه ساعة، وفي وسطه باب إذا أغلق وأحجى لا يقدر عليه أحد، وحوله جبال عالية، فملك العسكر فم هذا الدربند من جهة سمرقند، ووقف تيمور بمن معه على الطريق الآخر، وفي ظن العسكر أنهم حصروه وضيقوا عليه، فتركهم ومضى في طريق مجهولة، فسار ليلة في أوعار مشقة حتى أدرَكهم في السحر وقد شرعوا في تحميل أنقاهم، على أن تيمور قد انهزم وهرب خوفا منهم، فأخذ تيمور يكيدهم بأن نزل هو ومن معه عن خيولهم [وتركوها ترعى في تلك المروج] وناموا كأنهم من جملة العسكر فمرت بهم خيولهم [وهم يظنون أنهم منهم قد قصدوا الراحة، فلما تكامل مرور العسكر ركب تيمور بمن معه أقيتهم، وهم يصيحون وأيديهم تدقهم دقا بالسيوف، فاخبط الناس وانهزم السلطان حسين بمن معه لا يلوى أحد على أحد، حتى وصل إلى بلخ فاحتاط تمر [لنك] على ما كان معه، ولم

(١) بلخشان : من ولايات سمرقند . (مجانِب المقدور) ١٧٠

(٢) كذا في ٢ ، وفي ف : « ثم قصدم » .

(٣) رواية المنهل . « قاغلفا » .

(٤) الزيادة عن المنهل الصافي .

(٥) الزيادة عن (م) ؛ وفي المنهل : « تيمور بما كان معه » .

(٦) رواية المنهل : « وضع اليه من بقى » .

من بقي من العسكر عليه ، فعظم جمعه ، وكثر ماله ، واستولى على الممالك^(١) ، ولا زال حتى قبض على السلطان حسين بعد أن أتمه قتله ، فهذا أول عظمته .

والثانية واقعة مع تقيتمش^(٢) خان ملك التتار ، فإنه لما واقعه بأطراف تركستان^(٣) قريبا من نهر تُجند^(٤) ، واشتد الحرب بينهما وكثرت القتلى في عسكر تيمور حتى كادت تفتى ، وعزم تيمور على الهزيمة ، فإذا هو بالمعتقد السيد الشريف بركة قد أقبل على تيمور ، فقال له تيمور وقد جهده البلاء : يا سيدى جيشى انكسر ، فقال له السيد الشريف بركة المذكور : لا تخف ، ثم نزل عن فرسه وتناول كفا من الحصى ثم ركب فرسه ورمى بها في وجوه جيش تقيتمش وصرخ قائلا بأعلى صوته : « ياغى قجتي » . يعنى باللغة التركية العدو هرب ، فصرخ بها أيضا تيمور كقالة الشريف بركة^(٥)

(١) رواية المنهل الصافي : « واستولى على ممالك ما وراء النهر ورتب جنودا ، وكتب الى شيره على نائب السلطان حسين بسمرقند بتسليمها له قال اليه على أن تكون المملكة بينهما نصفين ، فاقبضا تلك الأعمال . ثم قدم عليه شيره على ، فأكرمه ومضى على ما وافقه عليه ثم سار يريد بلخشان فلقاه ملكها بالهدايا والتحف وأمدّه بعسكر ومضى معه إلى بلخ فترل عليها وحصرها وبها السلطان حسين إلى أن ضعف حاله وسلم نفسه فقبض عليه ورد صاحب بلخشان إلى عمله مكرا مبيجا . ثم عاد إلى سمرقند ومعه السلطان حسين فترلها واتخذها دار ملكة ، ثم قتل السلطان حسين وأقام عوضه رجلا من ذرية جنكزخان يقال له صرغتمش وجعله السلطان ، ولم يحفل له شيئا من الأمر » .

(٢) رواية مجانب المقدور : « توقناميش » . وفي المنهل : « تقيتمش » .

(٣) تركستان : تحده شمالا بالروسيا ، وغربا ببحر الخزر ، وجنوبا ببلاد خراسان وبلاد الأفغان ، وشرقا بالجلال الصينية ، وهي تابعة لروسيا . ومن مدنها بخارى ، وهي مركز تجارة وسط آسيا . (قاموس الأمانة والبقاع) ص ٧٣

(٤) نخجند : بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطئ سيحون ، في وسطها نهر جار . (معجم البلدان ج ٣ : ٤٩٢) .

(٥) رواية المنهل : « الديو يهرب »

فامتلاّت آذان القرية بصرختهما وأتوه بأجمعهم بعد ما كانوا ولّوا هارين، فكرّ بهم
 تيمور ثانيا في عسكر تقتمش وما منهم أحد إلا وهو يصرخ «يا غي جقي»، فانهزم عند
 ذلك عسكر تقتمش خان وركبت القرية أفقيتهم وغنموا منهم من الأموال
 ما لا يدخل تحت حصر، فاستولى على غالب بلاد تقتمش خان.

- والثالثة واقعته مع شيره على صاحب مازندران وكيلان وبلاد الري والعراق^(١)
 وكسره وقبض عليه وقتله وملك جميع بلاده، ثم قصته مع شاه شجاع صاحب
 شيراز وتزوج بنت شاه شجاع لابن تيمور، ومهادنة شاه شجاع له إلى أن مات شاه^(٢)
 شجاع، واختلفت أولاده وقوى شاه منصور على اخوته فحشي عليه تيمور هذا،
 فلقبه شاه منصور في ألفى فارس لا غير.

- ١٠ (١) زاد في المثل قوله: «وتركوا جميع ما معهم»
 (٢) رواية بجانب المقدور: «على شير»
 (٣) مازندران: اسم لولاية طبرستان (معجم البلدان ٣٦٣ ج ٧)
 (٤) كيلان: تسمى أيضا الجيسل وجيلان. وكيلان من جهة الغرب شيء من أذربيجان وبعض
 بلاد الري ويحيط بهما من جهة الجنوب قزوین وشي من أذربيجان وبعض الري. ويحيط بهما من
 جهة الشرق بقية الري وطبرستان. ويحيط بهما من الشمال بحر الخزر، وهي غربي طبرستان. (تقويم
 البلدان ص ٤٢٦)
 (٥) الري: كانت مدينة عظيمة ببلاد الجبال اسمها القديم راعة، ومنه اشتق الاسم العربي. وهي
 الآن أطلال على مسافة خمسة كيلو مترات من طهران تعرف باسم مشهد عبد العظيم. (فهرست معجم
 الخريطة التاريخية ٥١)
 (٦) شيراز: مدينة في بلاد فارس جنوبا. وكانت قاعدة عماد الدولة بن بويه. وفيها قبر سيويه.
 (صبح الأعشى ج ٤٤ ص ٤)، (فهرست معجم الخريطة ٦٥)
 (٧) رواية ف: «وتزوج»، ورواية المثل: «وتزوج ابنه لنت تيمور فلم يتم ذلك».

وشاه منصور هذا هو أفرس من قاتل تيمور من الملوك بلا مدافعة. فإنه برز إليه في ألفي فارس وعساكر تيمور نحو المائة ألف .

وعند ما برز له شاه منصور فسر من عسكره أمير يقال له محمد بن أمين الدين^(١) إلى تيمور بأكثر العساكر، فبقى شاه منصور في أقل من ألف فارس، فقاتل بهم تيمور يومه إلى الليل .

ثم مضى كل من الفريقين إلى معسكره ، فركب شاه منصور في الليل وبيت التمرية ، فقتل منهم نحو العشرة آلاف فارس .

ثم انتخب شاه منصور من فرسانه خمسمائة فارس ، فأصبح وقاتل بهم من الغد وقصد بهم تيمور حتى أزاله عن موقفه ، وهرب تيمور واختفى بين حرمة ، فأحاط بهم التمرية مع كثرة عددهم وهو يقاتلهم حتى كَلَّت يداؤه وقتلت أبطاله ، فانفرد عن أصحابه وألقى نفسه بين القتلى ، فعرفه بعض التمرية فقتله ، وأتى برأسه إلى تيمور ، فقتل تيمور فاتله أسفا عليه . واستولى تيمور أيضا على جميع ممالك العجم بأسرها بعد شاه منصور .

(١) رواية عجائب المقدور ص ٣٢ : «وكان في عسكر شاه منصور أمير خراساني مياطين لتيمور يدعى محمد بن زين الدين من الفجرة المعتدين» .

(٢) رواية المنيل : «فعمد شاه منصور إلى فرس جفول وربط في ذنبه قدرا من نحاس قد لفها بلباس أسود ، وأحكم شدّها ، ثم ساقها في معسكر تيمور وهم نيام بعد هدأة من الليل ، فعند ما جالت في معسكرهم وهي تنعيط من حركة القدر ، ناز القوم من وقتهم مذعورين لا يدرون من يقتلون ، وفي ظنهم أن شاه منصور قد يبتهم . هذا وشاه منصور واقف بمن معه يقتل من ظفره من التمرية ويجول في نواحي عسكر تيمور برجال فوارس ويخزق بهم صفوف تيمور يمينا وشمالا ويقول : أنا شاه منصور وهم يفرون منه حتى قتل منهم نحو العشرة آلاف فارس» .

(٣) م : «فضربه» .

هذا وقد استوعبنا واقعة شاه منصور بأوسع من ذلك في تاريخنا (المنهل الصافي).
إذ هو كتاب تراجم .

ثم أخذ تيمور في الاستيلاء على مملكة بعد مملكة حتى ملك العراقين، وهرب
منه السلطان أحمد بن أويس، وأحرب غالب العراق : مثل بغداد والبصرة والكوفة
وأعمالهم ، ثم ملك غالب أقاليم ديار بكر، وأحرب بها أيضا عدة بلاد .

ثم قصد البلاد الشامية في سنة ثمان وتسعين وسبعائة، ثم رجع خائفا من الملك
الظاهر برقوق إلى بلاده، فبلغه موت فيروز شاه ملك الهند عن غير ولد، وأن أمر
الناس بمدينة دلي في اختلاف، وأنه جلس على تخت الملك بدلي وزير يقال له ملو

(١) هو شاه منصور بن شاه ولي بن محمد بن مظفر البزدي سلطان عراق العجم . ذكره ترجمة موجزة
في ص ١٧٣ ج ٢ قسم ١ المنهل الصافي .

(٢) العراقان : يقصد بهما عراق العرب ، وعاصمتها بغداد ، وعراق العجم ، وهي بلاد الجبل ، ويحيط بها
من جهة الغرب أذربيجان ، ومن الجنوب شى . من بلاد العراق وخوزستان ، ويحيط بها من جهة الشرق
مقازة خراسان وقارص ، ويحيط بها من جهة الشمال بلاد الديلم وقزوين . (تقويم البلدان ٤٥٨)

(٣) بغداد : عاصمة العراق ومهد الحضارة ، يمر في منتصفها نهر دجلة فيقسمها إلى قسمين كبيرين .
الشرق منها « الرصافة » والغربي « الكرخ » ويربط هذين الجانبين أربعة جسور ضخمة . وتعرف
بمدينة السلام . (البلدان لليعقوبي) ، و (قاموس الأمانة) ، و (جغرافية العراق) .

(٤) البصرة : واقعة على نحو أربع مائة وعشرين كيلو مترا من الجنوب الشرق لمدينة بغداد .

(٥) الكوفة : مصرها سعد بن أبي وقاص سنة ١٧ من الهجرة ، وهي قرب الحيرة على نهر صغير من
روافد العراق . (فهرس معجم الخريطة ٩٢) .

(٦) ديار بكر : مدينة كبيرة بأرض الجزيرة تسمى أيضا آمد وقره آمد ، واسمها القديم : آميدا .
(قاموس الجغرافية القديمة ٤١) .

(٧) دلي : ضبطها ابن نغرى بردى في المنهل بكسر الدال وتشديد اللام وكسر الهاء ، وضبطها القلقشندي
(ج ٥ ص ٦٨) بفتح الدال وتشديد اللام وكسر الهاء وقال : وسماها صاحب (تقويم البلدان)
في تاريخه دهل ، وعليه اعتمد في التعليق عليها في الحاشية رقم ٣ صفحة ٧٧ من هذا الجزء ، وضبطها بالفتح
الدكتور محمد مصطفى زيادة في الحاشية ٢ ص ٩١٦ قسم ٣ ج ١ سلوك وقال : هي المعروفة في كتب
التاريخ باسم هندستان ، وعاصمتها مدينة دلي نفسها .

نخالف عليه أخو فيروز شاه، واسمه سارنك خان متولى مدينة مولتان^(١)، فلما سمع
تيمور هذا الخبر آغتم الفرصة وسار من سمرقند في ذى الحجة سنة ثمانمائة إلى مولتان
وحاصر ملكها سارنك خان ستة أشهر، وكان في عسكر سارنك خان ثمانمائة فيل
حتى ملكها .

ثم سار تيمور إلى مدينة دلي وهي تحت الملك، فخرج لقتاله صاحبها مأو^(٢)
المذكور وبين يديه عساكره ومعهم الفيلة، وقد جعل على كل فيل برجا فيه عدة من
المقاتلة، وقد ألبست تلك الفيلة العدد والبركستوانات^(٣)، وعلق عليها من الأجراس
والقلاقل ما يهول صوته ليحفل بذلك خيول الجفنتاي، وشدوا في خراطيمها عدة^(٤)
من السيوف المرهفة، وسارت عساكر الهند من وراء الفيلة لتتفر هذه الفيلة خيول
التمرية بما عليها، فكادهم تيمور وحسب حسابهم بأن عمل آلافا من الشوكات
الحديد مثلثة الأطراف، ونثرها في مجالات الفيلة، وجعل على خمسمائة حمل أحمال
قصب محشوة بالفتائل المغموسة بالدهن، وقدمها أمام عسكره، فلما تراءى الجمعان
وزحف الفريقان للحرب، أضرم تيمور في تلك الأحمال النار وساقها على الفيلة .
فركضت تلك الأباعر من شدة حرارة النار، ثم نخسها سواقوها من خلف . هذا
وقد كن تيمور كميناً من عسكره .

(١) مولتان : بلدة بإقليم « بنجاب » كانت من حواضر الهند الكبرى ، دخلها الإسكندر المقدوني
وفتحها محمد الغزنوي سنة ١٠٠٥ م . (فهرس معجم الخريطة التاريخية ص ١٠٥) .

(٢) رواية المنهل : « ملكها » .

(٣) البركستوان : كسوة مزركشة تكسى بها الخيول والفيلة .

(٤) رواية المنهل : « القلايد » .

ثم زحف بمساكره قليلا [قليلا^(١)] وقت السحر . فعندما تناوش القوم للقتال لوى تيمور رأس فرسه راجعا يومهم القوم أنه قد أنهزم منهم ويكف عن طريق القبيلة كأن خيوله قد جفّلت منها ، وقصد المواضع التي نثر فيها تلك الشوكات الحديد التي صنعها ، فشت حيلته على الهنود ، ومشوا بالقبيلة وهم يسوقونها خلفه أشد السوق حتى داست على تلك الشوكات الحديد ، فلما وطئتها نكصت على أعقابها .

ثم التف تيمور بمساكره عليها بتلك الجمال ، وقد عظم لهيبها على ظهورها ، وتطاير ضررها في تلك الآفاق ، وشنع زعاقها من شدة النخس في أديبارها .

فلما رأت القبيلة ذلك جفّلت وكرت راجعة على العسكر الهندي ، فأحست بنخشونة الشوكات التي طرحها تيمور في طريقها ، فبركت وصارت في الطريق كالجبال مطروحة على الأرض لا تستطيع الحركة ، وسالت أنهار من دماؤها ، فخرج عند ذلك الكين [من عسكر تيمور^(٢)] من جنبي عسكر الهنود ، ثم حطّ تيمور بمن معه فتراجعت الهنود وتراموا بالسهام .

ثم إنهم تضايقوا وتقاتلوا بالرمح ثم بالسيوف والأطبار^(٣) ، وصبر كل من الفريقين زمانا طويلا ، إلى أن كانت الكسرة على الهنود بعد ما قتل أعيانهم وأبطالهم ، وأنهزم باقيهم بعد أن ملوا من القتال ، فركب تيمور أصفيتهم حتى نزل [على] مدينة دلي وحصرها [مدة^(٤) حتى] أخذها [من جوانبها^(٥)] بعد مدة عنوة ، وآستولى على

(١) الزيادة عن المنهل الصافي .

(٢) رواية ف : ثم « آلفت » ، وهو تحريف .

(٣) الزيادة عن ٢ .

(٤) الأطبار : جمع طبر ، والطبر : الفأس من السلاح معزب تبر ، (الألفاظ الفارسية المعربة

ص ١١١) . (٥ - ٧) الزيادة عن المنهل .

تحت ملكها وأستصفي ذخائر^(١)ها ، وفعلت عساكره فيها على عادتهم القبيحة من
الأسر والسبي والقتل والنهب والتخريب .

وبينا هم في ذلك بلغ تيمور موت الملك الظاهر برقوق صاحب مصر ، وموت
القاضي برهان الدين أحمد صاحب سيواس من بلاد الروم ، فرأى تيمور أنه بعد
موتهما ظفر بمملكتيهما ، وكاذ أن يطير بموتهما فرحا ، فنجز أمره وولى مسرعا بعد
أن استتاب بالهند من يثق به من أمرائه ، وسار حتى وصل سمرقند ، ثم خرج منها
عجلا في أوائل سنة اثنتين وثمانمائة ، فنزل خراسان .^(٣)

ثم مضى منها إلى تبريز فاستخلف بها ابنه ميران شاه ، ثم سار حتى نزل قرا باغ^(٥)
[في سابع عشر] شهر ربيع الأول ، فقتل وسبي ، ثم رحل منها ونزل قفليس^(٦)
[في يوم الخميس ثاني] جمادى الآخرة وعبر بلاد الكرج ، وأسرف فيها أيضا في القتل
والسبي ، ثم قصد بغداد ففتر منه [صاحبها] السلطان أحمد بن أويس^(٩) [في ثامن عشر
شهر رجب] إلى قرا يوسف فعاد تيمور من بغداد وصيف ببلاد التركان ثم سار إلى
[ماردين فعصى صاحبها عليه الملك الظاهر محمد الدين عيسى ، فتركه تيمور ومضى إلى]^(١٢)

(١) رواية المنهل الصافي : « ذخائر ملوكها وأموالهم » .

(٢) رواية المنهل الصافي : « وولى من ولى بسرعة » .

(٣) خراسان : إقليم من أكبر الأقاليم الفارسية . (صبح الأعشى ج ٤ ص ٣٨٩) ، (فهرس

معجم الخريطة التاريخية ٤٢) . (٤) رواية المنهل الصافي : « أميران شاه » .

(٥) قرا باغ : مصيف فيما بين مدينة السلطانية وتبريز . (رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ٤٤) .

(٦) الزيادة عن المنهل الصافي .

(٧) قفليس : بلد بأرمينية ، والبعض يقول بأزنان ، وهي قصبة ناحية برزان قرب باب الأبواب .

(معجم البلدان ج ٢ ص ٢٩٦) . (٨) (١٠٩٠٨) الزيادة عن المنهل الصافي .

(١١) رواية المنهل : « فتمهل تيمور عن المنبر إلى بغداد فعاد إليها أحمد بن أويس ومعه قرا يوسف ،

ثم خرجا منها إلى بلاد الروم مصيف تيمور » . (١٢) الزيادة عن المنهل الصافي

سبّوأس وقد أخذها الأمير سليمان بن أبي يزيد بن عثمان، فحصرها ثمانمائة عشر يوما حتى أخذها في خامس المحرم من سنة ثلاث وثمانمائة، وقبض على مقاتلتها وهم ثلاثة آلاف نفر، فحفر لهم سردابا وألقاهم فيه وطعمهم بالتراب بعد ما كان حلف لهم ألا يريق لهم دما وقال: أنا على يميني ما أرقّت لهم دما، ثم وضع السيف في أهل البلد وأحربها حتى محارمومها .

ثم سار إلى بهسنا فنهب ضواحيها وحصر قلعتها ثلاثة وعشرين يوما حتى أخذها، ومضى إلى ملطية فذكتها دكا، وسار حتى نزل قلعة الروم فلم يقدر عليها، فتركها وقصد عين تاب، ففقر منه نائبها الأمير أركّاس الظاهري، وهو غير أركّاس الدوّادار في الدولة الأشرفية .

ثم قصد حلب ووقع له بها وبدمشق ما تقدم ذكره إلى أن خرج من البلاد الشامية .

وكان رجله عن دمشق في يوم السبت ثالث شعبان من سنة ثلاث وثمانمائة المذكورة، وأجتاز على حلب وفعل بها ما قدر عليه ثانيا، ثم سار منها حتى نزل على ماردين يوم الاثنين عاشر شهر رمضان من السنة، ووقع له بها أمور، ثم رحل عنها .

- ١٥ (١) رواية المنهل: « وقد قرّنها » . (٢) كذا في م . والذي في « ف » والمثل الصافي « سرايا » . (٣) بهسنا: قلعة حصينة عجبة بقرب مرعش وسميساط، من أعمال حلب . (معجم البلدان ج ٢ ص ٣٢٥)، (صبح الأعشى ج ٤ ص ١١٩)، وورد ذكرها عند ذكر النهر الأزرق، ووصفه بأنه نهر بالتفرع بين بهسنا وحصن منصور في طرف بلاد الروم من جهة حلب . (معجم البلدان ج ٨ ص ٣٣٥) . (٤) قلعة الروم (قاعة المسلمين): قلعة حصينة في غربي الفرات مقابل البيرة بينها وبين سميساط . (صبح الأعشى ج ٤ ص ١١٩) .
- (٥) رواية المنهل: « فلم يصل لأخذها للمدافعة نائبها ناصر الدين محمد بن موسى بن شهري فتركها » .
- (٦) عين تاب: مدينة بالشام شمالي منبج . (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٢١) .
- (٧) ماردين: حصن من بلاد الجزيرة . قال ابن حوقل: وبالقرب من نصيبين جبل ماردين من الأرض إلى ذروته نحو من فرسخين، وبه قلعة منيعة . (تقويم البلدان ٢٧٩) .

وأوهم أنه يريد سمرقند يُورَى بذلك عن بغداد ، وكان السلطان أحمد بن
أويس قد استناب ببغداد أميراً يقال له فرج ، وتوجه هو وقرا يوسف نحو بلاد
الروم ، فندب تيمور على حين غفلة أمير زاده رسم ومعه عشرون ألفاً لأخذ بغداد .
ثم تبعه بمن بقي معه ونزل على بغداد ، وحصرها حتى أخذها عنوة في يوم
عيد النحر من السنة ، ووضع السيف في أهل بغداد .

حدثني الأمير أسنباي الزردكاش الظاهري برقوق — وكان أسر عند تيمور^(١)
وحظي عنده ، وجعله زرد كاشه عند أخذ بغداد وحصارها — بأشياء مهولة ، منها أنه^(٢)
لما استولى على بغداد ألزم جميع من معه أن يأتيه كل واحد منهم برأسين من رؤوس
أهل بغداد ، فوقع القتل في أهل بغداد وأعمالها ، حتى سالت الدماء أنهاراً ، حتى أتوه
بما أراد ، فبني من هذه الرؤوس مائة وعشرين مثدنة ، فكانت عدّة من قتل في هذا اليوم
من أهل بغداد تقريباً مائة ألف إنسان . وقال المقرزي : تسعين ألف إنسان ، وهذا^(٣)
سوى من قتل في أيام الحصار ، وسوى من قتل في يوم دخول تيمور إلى بغداد ،
وسوى من ألقى نفسه في الدجلة ففرق ، وهو أكثر من ذلك .^(٤)

قال : وكان الرجل المرسوم له بإحضار رأسين إذا عجز عن رأس رجلٍ قطع
رأس امرأة من النساء وأزال شعرها وأحضرها ، قال : وكان بعضهم يقف بالطرقات
ويصطاد من مرّ به ويقطع رأسه .

(١) رواية ف : « مع » .

(٢) الزردكاش : الصانع المختص بإصلاح الزرد واللاح .

(٣) رواية المنهل الصافي : « تسعين ألف » .

(٤) دجلة : نهر مشهور بالعراق يشق مدينة بغداد ، لا تلحقه أداة التعريف قط ، فلا يقال الدجلة .

(١) ثم رحل تيمور من بغداد وسار حتى نزل قرا باغ بعد أن جعلها دكا خرابا ، ثم
 (٢) كتب إلى أبي يزيد بن عثمان صاحب الروم أن يُخرج السلطان أحمد بن أويس
 وقرا يوسف من ممالك الروم وإلا قصده وأنزل به ما نزل بغيره ، فرد أبو يزيد
 جوابه بلفظ خشن إلى الغاية ، فسار تيمور إلى نحوه ، فجمع أبو يزيد بن عثمان
 عساكره من المسلمين والنصارى وطوائف التتر .

فلما تكامل جيشه سار لحربه ، فأرسل تيمور قبل وصوله إلى التتار الذين
 مع أبي يزيد بن عثمان يقول لهم : نحن جنس واحد ، وهؤلاء تركمان ندفعهم
 من بيننا ، ويكون لكم الروم عوضهم ، فآخذوا له ووعدوه أنهم عند اللقاء
 يكونون معه .

- ١٠ وسار أبو يزيد بن عثمان بعساكره على أنه يلقي تيمور خارج سيواس ، ويرده
 عن عبور أرض الروم ، فسلك تيمور غير الطريق ، ومشى في أرض غير مسلوكة ،
 ودخل بلاد ابن عثمان ، ونزل بأرض مخضبة وسبعة ، فلم يشعر ابن عثمان إلا وقد
 نهبت بلاده . فقامت قيامته وكرّ راجعا ، وقد بلغ منه ومن عسكره التعب
 مبلغا أوهن قواهم ، وكلت خيولهم ، ونزل على غير ماء ، فكادت عساكره أن
 تهلك ، فلما تدانوا للحرب كان أول بلاء نزل بابن عثمان محاصرة التتار بأسرها
 ١٥ عليه ، فضعف بذلك عسكره ، لأنهم كانوا معظم عسكره ، ثم تلاهم ولده سليمان
 ورجع عن أبيه عائدا إلى مدينة برصا بياق عسكره ، فلم يبق مع أبي يزيد إلا

(١) رواية م « عن » . ورواية المنهل الصافي « ثم جمع تيمور أموال بغداد وأمتعتها وسار إلى قرا باغ » .

(٢) يقول ابن تقي بردي في المنهل ج ٣ قسم ٣ ص ٥١٠ : إن صواب الاسم بايزيد .

(٣) أرض الروم أى آسيا الصغرى حيث كان يطلق على الأتراك أبناء الروم أو الروم ، وإلى عهد
 ليس بالبعد كان يطلق على امبراطورية القسطنطينية ملكة الروم ، كما أطلق علماء الجغرافيا من العرب
 اسم بلاد الروم وأرض الروم على شبه جزيرة الأناضول .

(٤) زاد في المنهل الصافي بعد هذه الكلمة قوله : « ذات ماء كثير » .

(٥) برصا وتعرف أيضا بروسة أو برسا : مدينة عظيمة في الأناضول . (آثار الأدهار ٨٢٢) .

نحو خمسة آلاف فارس، فثبت بهم حتى أحاطت به عساكر تيمور، وصدمهم
صدمة هائلةً بالسيوف والأطبار حتى أفنوا من التمرية أضعافهم، واستمر القتال
بينهم من ضحى يوم الأربعاء إلى العصر، فكَلَّت عساكر ابن عثمان، وتكاثروا التمرية
عليهم يضربونهم بالسيوف لقتلهم وكثرة التمرية، فكان الواحد من العثمانية يقاتله
العشرة من التمرية، إلى أن صُرِعَ منهم أكثرُ أبطالهم، وأخذ أبو يزيد بن عثمان
أسيراً قبضاً باليد على نحو ميل من مدينة أنقرة^(١)، في يوم الأربعاء سابع عشرين
ذى الحجة سنة أربع وثمانمائة بعد أن قتل غالبُ عسكره بالعطش، فإن الوقت كان
ثامن عشرين أبيب بالقبطى وهو تموز بالرومى، وصار تيمور يوقِف بين يديه فى كل
يوم ابن عثمان ويسخر منه وينكبه بالكلام، وجلس تيمور مرة لمعاقرة الخمر مع
أصحابه وطلب ابن عثمان طلباً من عجباً، فحضر وهو يرُسِف فى قيوده وهو يرجف،
فأجلسه بين يديه وأخذ يحادثه، ثم [وقف تيمور] وسقاه من يد جواريه الآتى^(٢)
أسره تيمور، ثم أعاده إلى محبسه.

ثم قدم على تيمور إسفنديار أحد ملوك الروم بتقادم جليلة، فقبلها وأكرمه وردّه
إلى مملكته [بقسطنطينية]^(٣)، هذا وعساكر تيمور تفعل فى بلاد الروم وأهلها تلك
الأفعال المقدم ذكرها.

(١) أنقرة ويقال أنكورا وأنكورية : إحدى ولايات تركيا فى آسيا الصغرى ، وهى العاصمة الحديثة
لتركيا الآن . (آثار الأدهار : ٣٣٦) . (٢) رواية المنهل الصافى « يرفل » .
(٣) زاد فى المنهل بعد هذه الكلمة قوله : « ويؤانسه » . (٤) الزيادة عن م . و رواية
ف والمنهل « ثم سقاه » . (٥) كذا فى م . و رواية ف : « الذين »
(٦) كذا فى المنهل وبجانب المقدور ص ١٤٠ وهو الصواب . وفى كلا الأصلين « إسبندار »
نصحيح (٧) الزيادة عن المنهل . وقسطنطينية : جنوب آسيا الصغرى .

وأما أمر سليمان بن أبي يزيد بن عثمان ، فإنه جمع المال الذي كان بمدينة برصا ، وجميع ما كان فيها ورحل إلى أدرنة^(١) وتلاحق به الناس ، وصالح أهل إستانبول^(٢) ، فبعث تيمور فرقة كبيرة من عساكره صحبة الأمير شيخ نور الدين إلى برصا فأخذوا ما وجدوا بها ، ثم تبعهم هو أيضا بعساكره .

- ثم أفرج تيمور عن محمد وعن أولاد ابن قرمان من حبس أبي يزيد بن عثمان ، وخلع عليهما وولاهما بلادهما ، وألزم كل واحد منهما بإقامة الخطبة ، وضرب السكة باسمه وأسم السلطان محمود خان المدعو صرغتمش^(٣) .

ثم شتا في معاملة منتشا وعمل الحيلة في قتل التتار الذين أتوه من عسكر ابن عثمان حتى أفناهم عن آخرهم .

- ١٠ • وأما أبو يزيد بن عثمان ، فإنه استمر في أمر تيمور من ذى الحجة سنة أربع ، إلى أن مات بكرته وقيوده ، في أيام من ذى القعدة سنة خمس وثمانمائة ، بعد أن حكم ممالك الروم نحو تسع سنين .

وكان من أجل الملوك حَزْما وعزما وشجاعة ، رحمه الله تعالى . وهو المعروف

بـيَلْدَرَم بـايزِيد .

- ١٥ • ثم توجه تيمور من بلاد الروم وقد تعلقت آماله بأخذ بلاد الصين ، فأخذه الله قبل أن يصل ، ولولا خشية الإطالة لذكرنا أمره وما وقع له بطريق الصين إلى

(١) رواية ف : « سوادريه » ، والمنهل : « سوادرنة » والصواب ما أثبتنا ، وهي إحدى ولايات تركيا .

(٢) إستانبول وإسلامبول : القسطنطينية ، فتحها السلطان محمد في سنة ٨٥٧ هـ ١٤٥٣ م .

(٣) رواية عجائب المقدور ص ٣٨ « محمود خان أوسور غاتمش خان » .

(٤) كذا في الأصلين . وفي عجائب المقدور ١٤١ « في ولايات منتشا » .

(٥) كذا في ف . والذي في م : « رجع » .

أن توفي [لعنه الله ^(١)] ولكن أضربنا عن ذلك خشية الإطالة ، وأيضا قد ذكرناه في ترجمته في (المنهل الصافي) مستوفاة ، فلتنظر هناك ^(٢) .

وكانت وفاة تيمور في يوم الأربعاء سابع عشر شعبان سنة سبع وثمانمائة وهو نازل بالقرب من أترار ، وأترار بالقرب من آهنگران ، ومعنى آهنگران باللغة العربية الحدادون ^(٣) .

ولما مات لبسوا عليه المسوخ ، ولم يكن معه أحد من أولاده سوى حفيده سلطان خليل بن ميران شاه بن تيمور ، فتسلطن موضع جدّه تيمور في حياة والده ميران شاه المذكور ، فاستولى خليل المذكور على خزائن جدّه وبذل الأموال ، وتم أمره . انتهى ما أوردناه من قصة تيمورلنك على سبيل الاختصار .

ولنعد إلى مانحن بصدده من ترجمة السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق [رحمه الله ^(٤)] .

ولما كان يوم الأحد أول شوال أفرج السلطان عن الأمير بلبغا السالمى وهو متضعف بعد ما عُصِر وأهين إهانة بالغة .

(١) الزيادة عن م .

(٢) كذا في ف . والذي في م : « تاريخنا » .

(٣) راجع تفاصيل تلك الحملة في ص ٤٢٥ — ٤٢٦ ج ١ قسم ٣ (المنهل الصافي) ، (وعجائب المقدور ص ١٦٦) .

(٤) كذا في ف ؛ والذي في م : « ليلة » .

(٥) أترار ، أو أطرار : مدينة عظيمة وولاية واسعة في أول حدود الترك بما وراء النهر على نهر

سبحون قرب فاراب . (معجم البلدان) ج ١ ص ٢٨٥

(٦) زاد في المنهل الصافي بعد هذه الكلمة مانصه : « فأهنگر يعنى حداد ، وآهنگران جمع حدادين » .

(٧) الزيادة عن م .

وفي هذه الأيام كثر احتراز الأمراء بعضهم من بعض، وتحدث الناس بمثارة
فتنة^(١).

- ثم في سابع شوال المذكور استقر الأمير طُولُو من على باشاه الظاهري في نيابة
إسكندرية عوضا عن الأمير أرسطاي، واستقر الأمير بُشَاي^(٢) من باكي الظاهري
حاجبا ثانيا على خبز سودون الطيار، إمرة طبلخاناه، واستقر كل من سودون
الطيار والطنبغا من سيدي حجابا بحلب لأمر أقتضى ذلك.

- ثم استدعى السلطان الأمراء بقلمة الجبل، وقال لهم: قد كتبنا مناشير جماعة
من الخاصكية بأمرات^(٣) ببلاد الشام من أول شهر رمضان، فلم لا يسافروا؟ وكل
ذلك بتعليم يشبك الدوادار، فقال الأمير نوروز الحافظي ما في هذا مصلحة، إذا أرسل
السلطان هؤلاء من يبقى عنده من مماليك أبيه الأعيان؟ ووافق نوروز سودون
المارداني. فقال السلطان: من رد مرسومي فهو عدوي، فسكت الأمراء
وأمر السلطان بالمناشير أن تبعث إلى أربابها.

فلما نزلت إليهم امتنعوا من السفر، ومنهم من رد منشوره، فغضب السلطان
وأصبح الجماعة يوم الأحد، وقد اتفقوا مع الأمراء وساروا للأمير نوروز الحافظي

١٥ (١) زاد في السلوك بعد هذه الكلمة قوله: « بينهم ».

(٢) رواية السلوك « باشاي ».

(٣) هكذا وردت هذه العبارة في م والسلوك. أما ف فقد وردت فيها هكذا (خير) بدون

نقط. ولما ترجمه في المثل لم يورد هذه الجملة وقال: ولم تعلم أحدا سمى بهذا الاسم من الأكابر غيره

ومعناه باللغة التركية « رأس سعيد »، وخبز هنا بمعنى إقطاع.

٢٠ (٤) الخاصكية: هي خاصة السلطان وحاشيته.

وتحدثوا معه في عدم سفرهم ، فاعتذر إليهم ، وبعثهم لسودون المارداني رأس نوبة النوب^(١) فخذنوه في ذلك ، وما زالوا به حتى ركب للأمير يشبك الشعباني الدوادار وحدته في ألا يسافروا ، فأغلظ يشبك في رد الجواب عليه ، وهذدهم بالتوسيط إن^(٢) أمتنعوا من السفر^(٣) .

ثم أمره أن يطلع إلى السلطان ويسأله في [ذلك فطلع سودون المارداني إلى السلطان] ،^(٤) وسأله في إعفائهم من السفر ، وأعلمه أنه قد اتفق منهم نحو الألف تحت القلعة ، وهم مجتمعون ، فبعث السلطان إليهم بعض الخاصكية يقول لهم : نحن ما خلتناكم بلا رزق بل عملناكم أمراء ، فما هو إلا أن نزل إليهم وكلمهم في ذلك ، ثاروا عليه وسبوه ثم ضربوه حتى كاد يهلك ، فبينما هم في ضربه ، وإذا بالأمير قطلوبغا الحسنى الكركي والأمير آقبای الكركي الخازندار نزلا من القلعة ، قال عليهم الممالك يضربونهم بالدبابيس إلى أن سقط قطلوبغا الكركي ، وتكاثر عليه بمالئك وحملوه إلى بيته ، ونجا آقبای الكركي الخازندار وألتجأ إلى بيت الأمير يشبك الدوادار ، وماجت البلد وغلقت الأسواق ، فنودى بعد العصر من اليوم المذكور بطلوع الأمراء والممالك السلطانية في الغد إلى القلعة ، ومن لم يطلع حل ماله ودّمه للسلطان .

ثم طلع الأمير يشبك ، ونوروز الحافظي ، وآقبای الكركي الخازندار ، وقطلوبغا الكركي إلى القلعة بعد عشاء الآخرة ، وباتوا بالقلعة إلا نوروزا فإنه أقام معهم ساعة عند السلطان .

(١) رأس نوبة النوب : لقب لمن يتحدث على ممالك السلطان أو الأمير وينفذ أمره فيهم ، ويجمع على رموس نوب . والعامّة يقول لأعلام في خدمة السلطان : رأس نوبة التواب ؛ وهو خطأ ؛ والصواب رأس رموس النوب أي أعلام . (صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٥) .

(٢) التوسيط : نوع من أنواع التعذيب ، اذ يصلب المذبذب ويشق نصفين .

(٣) رواية ف «من» . (٤) الزيادة عن م .

(٥) كذا في م . ورواية ف : « وكلمهم بذلك » .

ثم نزل إلى داره وطلع أيضا في الليل غالب الممالك السلطانية .

- وأصبحوا يوم الاثنين تاسع شوال ، فطلع جميع الأمراء والممالك إلا الأمير جكم من عوض ، وسودون الطيار ، وقافى باى العلاءى ، وقرقاس الأينالى ، وجمعى وتمربغا المشطوب ، فى عدة من الممالك السلطانية الأعيان ، منهم يشبك العثمانى ، وقج وبرسبغا وطرباى وبقيه خمسمائة مملوك ، والجميع لبسوا السلاح وآلة الحرب .
 ووقفوا تحت القلعة حتى تضحى النهار . ثم مضوا إلى بركة الحبش^(١) ونزلوا عليها .
 وأما أهل القلعة ، فإن يشبك بعث فى الحال نقيب الجيش^(٢) إلى الشيخ لاجين الجركسى أحد الأجناد ، فقبض عليه وحمله إلى بيت آقباى حاجب الحجاب ، فوكل به آقباى من أخرجه من القاهرة إلى بلبيس ليسافر إلى الشام .

- ثم قبض على سودون الفقيه ، أحد دعاة الشيخ لاجين ، وأخرج إلى الإسكندرية فسجن بها .

وآسתר الأمير جكم ورفقته ببركة الحبش إلى ليلة الأربعاء ، فاستدعى الأمير يشبك سائر الأمراء ، فلما صاروا بالقلعة وكل بهم من يحفظهم ، فآسثروا على ذلك حتى مضى جانب من الليل .

- (١) سبق التعليق عليها بالحاشية رقم ٢ ص ١٤ ج ٥ من هذا الكتاب . وموقعها اليوم منطقة الأراضى الزراعية التابعة لزام دير الطين ، وجزء عظيم من الأراضى الزراعية التابعة لزام قرية البساتين .
 وتحد من الغرب بحجر النيل الموصل بين مصر القديمة ودير الطين ، ومن الجنوب باقى أراضى ناحية البساتين ، ومن الشرق سكن قرية البساتين والجبل الشرق ، ومن الشمال جبل الرصد والقرافة الكبرى .
 وكانت من أجل متزهات مصر .

- (٢) نقيب الجيش : هو الذى يتكفل بإحضار من يطلبه السلطان من الأمراء وأجناد الحلقة ونحوهم . (صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٥٦) .

ثم نزل الطلب إلى الأمير سودون طاز الأمير آخور الكبير من السلطان ليطلع إلى عند الأمراء، وفي عز مهم أنه إذا طلع قبضوا عليه، فمّ لسودون طاز بعض الخاصكية يسمى قاني باي، وقال له : فز بنفسك؛ فلم يكذب سودون طاز الخبر، وأخذ الخيول السلطانية التي بالإسطبل السلطاني، وركب بماليكه، وسار حتى لحق بالأمير جكم بركة الحبش، وبلغ السلطان ذلك، فأرتج القصر السلطاني، وقام كل أمير ونزل إلى داره ولبس آلة الحرب بماليكه، ودقت الكؤوسات وطلعوا إلى القلعة.

فلما أصبح نهار الأربعاء نزل السلطان من القصر إلى الإسطبل، وبعث إلى الأمير جكم من عوض بأن يتوجه إلى صفد نائباً بها، فزّد جكم الجواب « نحن مماليك السلطان، وهو أستاذنا وآبن أستاذنا، ولو أراد قتلنا ما خالفناه، غير أننا لنا غرماء يدعنا نحن وإياهم، ثم بعد ذلك مهما أراد السلطان يفعل فينا، فنحن بين يديه ». فلما عاد الرسول بذلك بكى الأمير يشبك الدوادار، وتكلم هو والأمير آقباي الكرّكي الخازندار وقطلوبغا الكرّكي مع السلطان، ودار بينهم كلام كثير، حتى بعث السلطان بالأمير نوروز الحافظي والقاضي الشافعي وناصر الدين المعلم الرماح أمير آخور إلى الأمير جكم في طلب الصلح، فترلوا إليه وكلموه في ذلك، فأمتنع جكم من الصلح هو ومن معه وقالوا : لا بدّ لنا من غرمائنا، وأخذوا عندهم الأمير نوروز الحافظي، وعاد القاضي الشافعي وناصر الدين الرماح بالجواب، فعند ذلك قال السلطان ليّشبك : دُونك وغرماءك؛ فطلب يشبك المساعدة من السلطان عليهم، فلم يفعل، فنزل يشبك إلى داره وقد اختل أمره.

(١) أمير آخور هو المشرف على الإسطبلات الخاصة والبريد والهجن.

(٢) في السلوك : « الجواب فقال ». (٣) في ٢ : « الكلام الكثير ».

(٤) رواية السلوك « وقاضي القضاة ناصر الدين محمد بن الصالحى ».

(٥) عبارة ف : « وعاد قاضي القضاة ».

ثم عاد إلى القلعة ليطلع إلى السلطان فلم يمكن منها، وتحلّى عنه الممالك السلطانية؛ فلم تكن غير ساعة حتى أقبل جحّم وسودون طاز ونوروز في عددهم وأصحابهم . وصاحب الموكب نوروز وجحّم عن يسره ، وسودون طاز عن يمينه ، وساروا نحو يشبك، فنادى يشبك: «من قاتل معي من الممالك السلطانية فله عشرة آلاف درهم» فأتاه طائفة، وخرج من بيته وصوّف عساكره، فحمل عليه نوروز بمن معه، وصدمه صدمة واحدة كسره فيها؛ فأنهزم إلى داره وقاتل بها ساعة، ثم هرب منها، فنهبت داره ودار قطلوبغا الكركي .

وكان بيت يشبك دار منجك اليوسفي الملاصقة لمدرسة [السلطان] ^(٣) حسن وهي الآن على ملك تمر بغا الظاهري الدوادار، ودار قطلوبغا [الكركي] ^(٤) البيت الذي تجاهه، وقبض على آقبای الكركي الخازندار، فشفع فيه السلطان، فترك في داره إلى يوم الخميس ثاني عشره، فركب الأمير جحّم إليه، وأخذَه وطلع به إلى الإسطنبول السلطاني وقبده .

ثم قبض على الأمير قطلوبغا الكركي الحسيني من بيت الأمير يلبغا الناصري وقبده .

- ١٥ (١) كذا في ف . والذي في م : «إلا» وكلنا الكلمتين بمعنى واحد .
- (٢) دار منجك اليوسفي السلحدار ليست ملاصقة لمدرسة السلطان حسن، ولكنها قريبة منها، وخاصة لما كانت مبانيها ممتدة إلى القرب من مدرسة السلطان حسن . وبقيابها الآن موجودة بأول سويقة العزى (سوق السلاح) بجوار البوستان، وتلك البقايا ماثلة في مدخلها المنشأ سنة ٧٤٧-١٣٤٨م وما يتصل به من عقود صغيرة . وهو مدخل نغم كتب حول عقد سقفه اسم المنشئ وألقابه ، كما اشتمل على ونكه ، وهو سيف على جانبي المدخل .

٢٠

- ١: دار قطلوبغا الكركي فقد هدمت ولم يبق لها أثر . (٣) الزيادة عن م .
- (٤) دار يلبغا بسويقة العزى ، كانت موجودة إلى سنة ١٢٢٢ هـ ، (الجبرقي ج ٤ ص ٦٩) .

ثم قبض على جركس القاسمي المصارع من عند سودون الجلب، وقيده
وبعث الثلاثة إلى الإسكندرية، والثلاثة أمراء ألوف من أصحاب يشبك،
وسافروا إلى الإسكندرية في ليلة السبت رابع عشر شوال المذكور من سنة
ثلاث وثمانمائة، وكتب جكم بإحضار سودون الفقيه من الإسكندرية .

وسودون الفقيه هذا هو هو الملك الظاهر ططر، وجد الملك الصالح محمد
ابن ططر الآتي ذكرهما . وطلب جكم الأمير يشبك الشعباني الدوادار فلم يقدر
عليه إلى ليلة الاثنين سادس عشره دُلَّ عليه أنه في تربة بالقرافة^(١)، فنزل إليه جكم
فلما أحيط يشبك [وهو] في التربة المذكورة ألقي نفسه من مكان مرتفع، فشجَّ^(٢)
جبينه، وقبض عليه الأمير جكم، وأحضره إلى بيت الأمير نوروز الحافظي، فقيده
وسير من ليلته إلى الإسكندرية فسجن بها .

وفي يوم الاثنين خلع على سعد الدين إبراهيم بن غراب باستمراؤه [في وظائفه]^(٣)
وهو أحد أصحاب يشبك بعد أن اجتهد غاية الاجتهاد في رضا جكم عليه فلم يقدر .

(١) رواية ابن إياس ج ١ ص ٣٣٩ : « أنه أمسك من تربة خوند سمرا التي تتجه باب جامع
قوصون خارج باب القرافة » .

وهذا النص كان سببا في التعريف بأثر من أهم الآثار بالقرافة الصغرى تحت القلعة مسجل ضمن الآثار
العربية تحت رقمي ٢٨٨ ، ٢٨٩ باسم التربة السلطانية . وتدل بقاياها المثلثة في قبته ومئذنته على أنه من
أهم الآثار المنشأة في دولة المماليك البحرية ، وأنه وقعت عليه تأثيرات فارسية وخاصة قبطية ، وقد هدم
حسين باشا المعاز إحدى هاتين القبتين للوقوف على تصميمها .

وموقعها تجاه بقايا مسجد قوصون يتوسطهما قبر الإمام البيهقي . وخوند سمرا هي زوجة الأشرف
شعبان وأم ولده أحمد ، ونخلوها من النصوص التاريخية واستنادا إلى تفاصيلها المهارية نضعها ضمن
مقتات النصف الثاني من القرن الثامن الهجري الموافق الرابع عشر الميلادي .

(٢) هذه الكلمة عن « م » . (٣) الزيادة من السلوك .

ثم في ثامن عشره أخلع السلطان على الأمير شيخ المحمودى نائب طرابلس باستقراره على نيابته ، وهى خلعة السفر^(١)، وكان له من يوم قدم من أسرتيجور بالقاهرة فى عمل مصالحه ، وكذلك الأمير دقاق نائب صند خلع عليه خلعة السفر .
- وكان دقاق أولا نائب حماة ، ثم صار الآن فى نيابة صَند ، وأذن لهما بالسفر إلى محل كفالتهما .^(٢)

وفى تاسع عشره خلع السلطان الملك الناصر على الأمير جَحمَ باستقراره دوادارا كبيرا عوضا عن يَشسبك الشعبانى ، بحكم حبسه بالإسكندرية ، وعلى سُودون من زاده بأستقراره خازندارا ، عوضا عن آقبای الكركى ، وعلى أرغون من يشغا باستقراره شاذ الشراب خاناه ، عوضا عن قُطْلُوبغا الكركى ، وأخلع على بَيْسَق الشيعى خلعة إمرة الحاج على العادة ، ورسم له أن يقيم بعد انقضاء الحج بمكة لعلمارة ما بقى من المسجد الحرام .

ثم فى سادس عشرين شَوال أخلع السلطان على الأمير يونس الحافظى باستقراره فى نيابة حماة بعد عزل الأمير عمر بن الهيدبانى ، وفى هذا اليوم أنعم على

(١) رواية السلوك : « ألبس الأمير شيخ المهدردى نائب طرابلس قباء نسيج ، وخلعة السفر وصفها ابن تفسرى بردى فى كتابه حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور ، الفصل ٣ ص ١٨ : بأنها فوقانيا بطرزر وكش » .

(٢) رواية السلوك : « ولا ياتهما » . (٣) رواية السلوك وابن إياس : « أرغون بن يشغا » .
(٤) الشرايخ : الموضوع المخصص للأشربة والحلوى والعقاير والقواكة . وشاذ الشرايخ : هو المشرف على شؤونها . أما الشربدار فهو لقب للقائم بتقديم أنواع الشراب .

(٥) هذه العلمارة أجريت عقب الحريق والسيل اللذين أصابا المسجد سنة ٨٠٢ هـ ١٣٩٩ م وكانت عمارة هامة ، كشف فيها عن أساسات العمدة الرخامية ، وأسفر الكشف عن وجود حديد فيها بنظام أقرب إلى طريقة الحرساة المسلحة . (الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٨٩ - ٩٠) .

(٦) رواية السلوك : « الهيدبانى » .

الأمير جكم من عوض الدوادار بإقطاع يشبك الشعباني الدوادار ، وعلى سودون الطيار بإقطاع الأمير جكم ، وأنعم بإقطاع آقبای الكرکی على قانی باى العَلّائی ، وبإقطاع قطلوبغا الكرکی على تمرغا من باشاه المعروف بالمشطوب ، وبإقطاع بركس القاسمی المصارع على سودون من زاده بستین فارما .

ثم في أول ذی القعدة ألزم سعد الدين بن غراب بتجهيز نفقة المسالك السلطانية ، فآلترم أن يحمل منها مائة ألف دينار ، وألزم الوزير ناصر الدين محمد بن سنقر ، وتاج الدين عبد الرزاق بن أبي الفرج ، وبلغا السالمى بمائة ألف دينار ، فشرع الجميع في تجهيزها .

ثم قبض على السالمى وصور ، وعُذّب بأنواع العذاب ، ثم أفرج عنه بعد مدة ، واستمر الحال على أن جكم صار متحدثا في المملكة .

ثم في رابع ذی الحجة أخفى سعد الدين بن غراب^(١) ، وأخوه نحر الدين ماجد ، ولم يعرف خبرهما . فاستقر ناصر الدين محمد بن سنقر في الأستدارية ، عوضا عن سعد الدين بن غراب ، مضافا له معه من الذخيرة والأملاك .

ثم أستعفى سودون من زاده من وظيفة الخازندارية^(٢) ، وأخلع على الوزير علم الدين أبي كم بأستقراره في نظر الخاص مضافا على الوزر عوضا عن

(١) في السلوك : « سعد الدين ابراهيم بن غراب » .

(٢) الخازندارية : وظيفة المشرف على خزائن السلطان من نقد وأمنية .

(٣) نظر الخاص : وظيفة أحدثها السلطان الناصر محمد بن علاودن . واختصاصه الإشراف على مالية السلطان .

سبعده الدين بن غراب ، وأُخلع على سعد الدين بن أبي الفرج بن بنت الملكى ، صاحب ديوان الجيش ، وأستقرّ في نظر الجيش عوضاً عن ابن غراب .

- ثم في تاسع ذى الحجة ورد كتاب مشايخ تروجة يتضمن قدوم سعد بن غراب إليهم ، ومعه مثال سلطاني باستخراج الأموال ، ومسيرهم معه إلى الإسكندرية لإخراج يشبك والأمراء من سجن الإسكندرية ، وإحضارهم إلى القاهرة . فأُخلع السلطان على رسولهم ، وكتب على يده مثالا سلطانياً بالقبض على ابن غراب ومن معه ، وإرسالهم إلى القاهرة . ثم قدم كتاب نائب الإسكندرية بأن سعد الدين ابن غراب طلب زُعران الإسكندرية ، فخرج إليه أبو بكر المعروف بعلام الخدام بالزُعر إلى تروجة ، فأعطى لكل واحد منهم مبلغ خمسمائة درهم ، وقرّر معهم قتل النائب ، فبلغ ذلك النائب ، فلما قدموا إلى الإسكندرية قبض على جماعة منهم وقتل بعضهم وقطع أيدي بعضهم ، وضرب علام الخدام بالمقارع ، وأنه أيضاً ظفر بكتاب ابن غراب لبعض تجار الإسكندرية ، وفيه أن يجتمع بالنائب ويؤكد
- ١٠

(١) ديوان الجيش : يعادل وزارة الحربية الآن .

(٢) نظر الجيش : يعادل وظيفة وزير الحربية الآن لأن اختصاصه الإشراف على شئون الجيش .

(٣) تروجة : بلدة كانت غربي ناحية بطورس بقليل ، وفي الجنوب الغربي لدمهور ، وأقرب البلاد إليها من الجهة القبلية ناحية حوش عيسى ، وكانت مدينة عظيمة ذات مساجد وقصور وأسواق ارتبط ذكرها بالكثير من حوادث مصر في مختلف عصورها ، وكثيراً ما قصدها الملوك والأمراء للصيد .

وللفقور له محمد رمزي بك تعليق عليها بالحاشية رقم ٣ ص ١١ ج ٤ من هذا الكتاب يقول فيه : إنها درست ومحلها كوم تروجة بمحوض تروجة بأراضي ناحية زاوية قصر مركز أبي المطاير بمديرية البحيرة .

(٤) كذا في ف . والذي في م : « نخلع » .

(٥) كذا في الأصلين . ورواية السلوك « أبو بكر غلام الخدام » .

عليه ألا يقبل ما يرد عليه من أمراء مصر في أمر يشبك الدوادار ومن معه من
الأمراء، وأن يجعل باله لا يجرى عليه مثل ما جرى على ابن عرّام في قتله
الأمير بركة .

ثم وردت كتب مشايخ تروجة بسؤال الأمان لابن غراب ، فكتب له
السلطان أمانا ، وكتب الأمراء ما خلا الأمير جكم^(١) ، فإنه كتب إليه كتابا ولم
يكتب إليه أمانا ، فقدم إلى القاهرة في حادي عشرينه في الليل ، ونزل عند
صديقه جمال الدين يوسف أستاذار بجاس ، وهو يومئذ أستاذار الأمير سودون طاز
أمير آخور ، فتحدث له مع سودون طاز وأوصله إليه ، فأكرمه وأنزله عنده
يومى الثلاثاء والأربعاء ، حتى استرضى له الأمراء ، وأحضره في يوم الخميس
ثالث عشرينه إلى مجلس السلطان ، وخلع عليه بأستقراره في وظائفه القديمة :
الأستادارية ، ونظر الجيش ، والخاص .

ونزل إلى بيت الأمير جكم الدوادار ، فمنعه جكم من الدخول إليه وردّه
وما زال يسعى ابن غراب حتى دخل إليه مع الأمير سودون من زادة ، وقبل
يده فلم يكلمه كلمة ، وأعرض عنه ، فلم يزل حتى أراضاه بعد ذلك ، ثم في يوم
الخميس سلخ ذى الحجة أنفق ابن غراب ثمن النفقة على الممالك السلطانية .
فأعطى كل واحد ألف درهم ، وعند ما نزل من القلعة أدركه عدّة من الممالك
السلطانية ورجعوه بالجارية يريدون قتله ، فبادر إلى بيت الأمير نوروز وأستجار به
حتى أجاره .

(١) في السلوك : « وكتب له » .

ثم في محرم سنة أربع وثمانمائة ، كُتِبَ الأُمراء بمصر لأُمراء دمشق بالقبض على الوالد^(١) ، فكتب للوالد بذلك بعض أعيان أسراء مصر ، فسبق ذلك المشال السلطاني ، فركب الوالد من دار السعادة^(٢) بدمشق في نفر من مماليكه في ليلة الجمعة ثاني عشرين المحرم ونخرج إلى حلب ، فتعين لنيابة دمشق عوضا عن الوالد ، الأمير آقبا إجمالى الأطروش أتابك دمشق وكتب بانتقال دقاق نائب صفد إلى نيابة حلب ، عوضا عن دمرداش المحمدي بحكم عصيانته وأنضمامه على الوالد لما قدم عليه من دمشق ، وأستقر الأمير تمر بغا المنجكي في نيابة صفد عوضا عن دقاق .

وأما الوالد رحمه الله فإنه لما سار إلى حلب وجد الأمير دمرداش نائب حلب قد قبض على الأمير خليل بن قراجا بن دلفادر أمير التركمان^(٤) ، فأمره الوالد

(١) في الملوك : « بالقبض على الأمير تغرى بردى ، أغنى الوالد » .

(٢) دار السعادة : سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ٣ ص ٢٩٢ ج ٧ النجوم . وهي دار العدل التي أنشأها في دمشق قريبا من باب النصر قبل قلعة دمشق الشهيد محمود بن زنكي ، واشتهرت في عصر المماليك بدار السعادة ، وحقق موقعها المؤرخ الشيخ محمد أحمد دهمان الدمشقي بأنها قبل سوق الأروام .

(٣) رواية ف : « فتعين إلى نيابة » .

(٤) التركمان : خلق كثير من نسل الترك الذين فتحوا بلاد الروم في مدة السلاجقة ، ومن قبيلة أغز تنفرع التركان وهم اثنا عشرون بطنا . وأعظمهم قنق ، ومنهم السلاطين والأُمراء ومنهم بنو سلجوق ومن ذريتهم الملوك الذين ملكوا بلاد الروم (القسطنطينية) .

وأما التركان الذين يسكنون بلاد الروم والشام فأصلهم من التركان الذين جاءوا مع السلطان ألب أرسلان السلجوقي فسكنوا البلاد وحالة بيوت تركوات ، فطائفة سكنت ببلاد ديار بكر ، ومنهم تركان قرا محمد وولده قرا يوسف ، وبنو بحر ، وبنو يغمور ، ومنهم طائفة سكنت ببلاد الروم على سواحل البحر الملح ، فسمي تركان ورج وأولاد حميد و سليمان باشاء ، ومنهم أولاد قرمان وأصلهم من تركان سكنوا أرمناك من بلاد لارندة (تقويم البلدان ٣٧٩) ، (الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ص ١٠) ، (وديوان لغات الترك ج ١ ص ٢٧) .

بإطلاقه، فأطلقه، واتفق الجميع على الخروج عن طاعة السلطان بسبب من حوله من الأمراء، واجتمع عليهم خلائق من التركمان وغيرهم على ما سياتى ذكره .

ثم وقع بين أمراء مصر، وهو أن سودون الجمزوى وقع بينه وبين أكابر الأمراء، مثل نوروز، وجكم، وسودون طاز، وتمربغا المشطوب، وقانى باى العلانى، فاقطعوا الجميع عن الخدمة السلطانية من أول صفر، وعزموا على إثارة فتنة، فلبس سودون الجمزوى آلة الحرب في داره، واجتمع عليه من يلود به .

وكان الأمراء المذكورون، قد عيّنوا قبل ذلك للخروج من ديار مصر ثمانية أنفس، وهم سودون الجمزوى المذكور، وسودون بقجة وهما من أمراء الطبلخانات ورعوس نوب، وأزبك الدوادار، وسودون بشتو وهما من أمراء العشرات، وقانى باى الخازندار، وبردبك وهما من الخاصكية، وآخرين، ولما لبس الجمزوى مشت الرسل بينهم في الصلح إلى أن وقع الاتفاق على خروج سودون الجمزوى إلى نيابة صفد، وإقامة الباقي بمصر من غير حضورهم إلى الخدمة السلطانية .

ثم في سابع عشرين صفر المذكور، أخلع على سودون الجمزوى بناية صفد وبطل ولاية تمربغا المنجكي من صفد .

وفي هذا الشهر، حضر الأمير الطنبغا العثماني نائب صفد كان^(٤)، والأمير عمر ابن الطحان نائب غزّة كان، من أسر تيمورلنك، وذكر أنهما فارقا من أطراف بغداد .

(١) رواية م : «وم» . (٢) رواية م : «وآثران» . (٣) رواية م : «الصلح على أن» . (٤) (كان) بمعنى سابقا، واستعملت أيضا في الجمع وفي بعض النصوص المتأخرة كشواهد قبور القرنين الحادى والثانى عشر الهجرى .

ثم في يوم الاثنين نصف شهر ربيع الأول من سنة أربع وثمانمائة ، طلع الأمير نوروز الخدمة السلطانية ، بعد ما انقطع عنها زيادة على شهر ، فخلع عليه خبطة الرضا .

ثم في ثامن عشره ، طلع الأمير جكم من عوض الدوادار الخدمة بعد ما انقطع عنها مدة شهرين وخلع عليه أيضا ، هذا ودقاق نائب حلب ، وأقبغا الأطروش نائب الشام في الاستعداد وجمع التركان والعشير لقتال الوالد ودمرداش .

ثم خرج الوالد ودمرداش من حلب إلى ظاهرها لانتظار دقاق وقتاله .

ثم إن السلطان في شهر ربيع الآخر أخلع على جحق رأس نوبة بأستقراره دوادارا ثانيا عوضا عن حركس المصارع ، وكانت شاغرة من يوم مسك حركس المذكور ، وأستقر مبارك شاه الحاجب وزيرا عوضا عن علم الدين يحيى المعروف بابي كم ، وقبض على أبي كم وسلم لشاذ الدواوين للصادرة .^(١)

وفي العشر الأخير من هذا الشهر أستقر جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني قاضي قضاة الديار المصرية بعد عزل القاضي ناصر الدين الصالحى ، وهذه أول ولاية جلال الدين البلقيني .

ثم في ثامن جمادى الأولى أستقر الأمير الطنبغا العثماني نائب صفد كان في نيابة بغزة عوضا عن الأمير صُرُق بعد عزله .

ثم ابتدأت الفتنة بين الأمراء ، وطال الأمر وانقطع جكم ونوروز عن الخدمة السلطانية أياما كثيرة .

(١) شد الدواوين : « اختصاصها أن يكون صاحبها رفيقا للوزير ، ويدخل في اختصاصه استخلاص

الأموال وما في معنى ذلك » . ويعين فيها أمير عشرة ، مائضا من صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٢ .

ودخل شهر رمضان واتقضى، ولم يحضروا الهناء بالعيد، ولا صلّوا صلاة العيد مع السلطان .

وأستهلّ شوال فقيوت فيه القالة بين الأمراء، وأرجف بوقوع الحرب غير مرة .

فلما كان يوم الجمعة ثانى شوال ركب الأمراء للحرب بالسلح، ونزل الملك الناصر إلى الإسطبل السلطاني عند سودون طاز الأمير آخور، وركب الأمير نوروز وجكّم وخصمهما سودون طاز، ووقع الحرب بينهما من بكرة النهار إلى العصر .

فلما كان آخر النهار بعث السلطان بالخليفة المتوكل على الله والقضاة الأربعة إلى الأمير نوروز في طلب الصلح، فلم يجد نوروز بُداً من الصلح وترك القتال، وخلع عنه آلة الحرب، فكف الأمير جكّم أيضاً عن الحرب، وكان ذلك مكيدة^(١) من سودون طاز، فإنه خاف أن يُقلّب ويسلمه السلطان إلى أخصامه، فتمت مكيدته بعد ما كاد أن يؤخذ، لقوة نوروز وجكّم بمن معهما من الأمراء والخاصة، وسكنت الفتنة، وبات الناس في أمن وسكون .

فلما كان يوم السبت ركب الخليفة والقضاة، وحلفوا الأمراء بالسمع والطاعة للسلطان، فطلع الأمير نوروز إلى الخدمة في يوم الاثنين خامس شوال، وخلع عليه السلطان، وأركبه فرسا بسرّج ذهب وكنبوش زركش .

ثم طلع الأمير جكّم في ثامنه وهو خائف ولم يطلع قاني باى ولا قرقياس، وطلباً فلم يوجداه فجّهز إليهما خلمتان، على أن يكون قاني باى نائباً بجماه، وقرقياس حاجباً بدمشق، ونزل جكّم بغير خلة فكاد أن يهلك لكونه لم يخلع عليه .

(١) رواية م : « القتال » .

وعند ما جلس بداره نزل إليه جرباش الشيخى رأس نوبة، وبشباى الحاجب الثانى يطلبان قانى باى منه ظنا أنه اختفى عنده، فأنكر أن يكون عنده وصرفهما بجواب ملفق .

- ثم ركب من ليلته بمن معه من الأمراء والممالك وأعيانهم قش الخالصى الخازندار، ويشبك الساقى، وهو الذى صار أنابكا فى دولة الأشرف برسباى، ويشبك العثمانى، والطنبغا جاموس، وجانيباى الطبي، وبرسبغا الدوادار، وطرباى الدوادار، وساروا الجميع إلى بركة الحبش خارج القاهرة، ولحق بهم فى الحال قانى باى، وقرقاس الرماح، وأرغز، وقبجق، ونحو الخمسمائة مملوك من الممالك السلطانية، وغيرهم وأقاموا جميعا ببركة الحبش إلى ليلة السبت عاشر شوال فأتاهم الأمير نوروز، وسودون من زاده رأس نوبة، وتمربغا المشطوب، فى نحو الألفين من الممالك السلطانية وغيرهم، وأقاموا جميعا ببركة الحبش إلى ليلة الأربعاء رابع عشر شوال، وأمرهم فى زيادة وقوة، بمن يأتهم أولا بأول من الأمراء والممالك السلطانية .

- وفى الليلة المذكورة، دبر سودون طاز أمره وطلع إلى السلطان، وأنزله إلى الإسطنبول السلطاني وبات به .

فلما أصبح بكرة يوم الأربعاء المذكور، ركب السلطان فيمن معه من الأمراء والخاصية ونزل من القلعة، وسار نحو بركة الحبش من باب القرافة^(١)، بعد ما نادى فى أمسه بالعرض، واجتمع إليه جميع عساكره، وقد صف سودون طاز عساكر

(١) باب القرافة : أحد الأبواب فى سور صلاح الدين المتمدن من القلعة إلى الفسطاط المنشأ بين

سنة ٥٦٦ - ٥٧٨ هـ وقد اكتشفته إدارة حفظ الآثار العربية وهو بجوار مدفن تمر باى الحسينى الفاصل بينه وبين باب السيدة عائشة (قائىباى) .

السلطان ، فلما قارب بركة الحبش ، ركب نوروز وجمَّ بمن مهمما أيضا ، من الأمراء والممالك السلطانية ، فصدّهم سودون طاز باليسكر السلطاني صدمه كسرهم فيها ، وأسر الأمير تمرُّبغا المشطوب ، وسودون من زاده ، وعلى بن إينال وأرغز ، وهرب نوروز وجمَّ في عدّة كثيرة من الأمراء والممالك إلى بلاد الصعيد ، وعاد السلطان ومعه الأمراء وسودون طاز مظفرا منصورا ، وقبض سودون طاز الأمراء المسوكين ، وبعثهم إلى الإسكندرية في ليلة السبت سابع عشره ، وسار نوروز وجمَّ إلى أن وصلا إلى منية القائد ، ثم عادوا إلى طموه ونزلوا على ناحية منبابة ، من برّ الجيزة تجاه بولاق ، وطلب الأمير يشبك الشعباني الدوا دار من سجن الإسكندرية ، فقدم يوم الاثنين تاسع عشره إلى قلعة الجبل ، ومعه خلائق ممن خرج إلى لقائه ، فقبل الأرض ونزل إلى داره ، كل ذلك والأمراء بالجيزة .

فلما كان ليلة الثلاثاء عشرين شوال ركب الأمير نوروز نصف الليل وعدى النيل ، وحصر إلى بيت الأمير الكبير بيبرس ، وكان قد تحسّث هو وإينال بأى من الخماس مع السلطان في أمر نوروز حتى أتمته ووعدته بناية دمشق ، وكان ذلك

(١) في م : « يريدون » .

(٢) في م : « المأسورين » .

(٣) منية القائد : هي ميت القائد الآن ، إحدى قرى مركز العياط ، وقد سبق التعليق عليها في الحاشية

رقم ٧ ص ١٢٤ ج ٧ النجوم .

(٤) طموه : قرية بمركز الجيزة ، سبق التعليق عليها بالحاشية رقم ١ ج ١٠ ص ٢١٨ النجوم .

(٥) منبابة : قاعدة مركز امبابه مديرية الجيزة ، وقد سبق التعليق عليها بالحاشية رقم ٢

أيضا من مكر سودون طاز، فمضى ذلك على نوروز وحضر، فاختلف عند ذلك أمر جكم، وتفترق منه من كان معه، وصار فريدا، فكتب إلى الأمير بيبرس الأتابك يسأله^(١) في الحضور، فبعث إليه الأمير أزيك الأشقر رأس نوبة، والأمير بشباي الحاجب، وقدا به ليلة الأربعاء حادى عشرين شوال إلى باب السلسلة^(٢) من الإسطبل السلطان، فتسلمه عدوه الأمير سودون طاز، وأصبح وقد حضر الأمير يشبك وسائر الأمراء للسلام عليه، فلما كانت ليلة الخميس ثانى عشر ربه، قُيِّد وحُل إلى الإسكندرية، فسجن بها في البرج الذى كان سجن يشبك الدوادار فيه، وسكن يشبك مكانه وعلى إقطاعه بعد ما حبس بالإسكندرية نحو من سنة، وأستقر دوادار على عادته عوضا عن جكم المذكور، على ما سيأتى ذكره.

١٠. وأما أمر البلاد الشامية فإن دقاق جمع جموعه من العساكر ~~التي~~ والوالد ودمرداش نائب حلب، وسار إلى جهة الوالد^(٣)، فخرج إليه الوالد وعلى مقدمته دمرdash، وصدموه صدمة واحدة أنكسر فيها بجموعه وولوا الأدبار، ونهب مامعهم. وعاد دقاق منهنما إلى دمشق، وأستنجد بنائبها الأمير آقبا الجمالى الأطروش، وكتب أيضا دقاق لجميع نواب البلاد الشامية بالحضور والقيام بنصرة السلطان، وجمع من التركمان والعربان جمعا كبيرا، وخرج معه غالب العساكر

(١) رواية م: « يستأذنه » .

(٢) باب السلسلة: هو باب القلعة الموجود بميدان صلاح الدين، وعرف قديما بباب الإسطبل للوصول منه إلى الإسطبل السلطانى. والباب الحالى جدده الأمير رضوان كتنخدا الخلقى سنة ١١٦٠ هـ و ١١٧٤ هـ. وبداخله مسجد أحمد كتنخدا العزب المنشأ سنة ١١٠٩ هـ ١٦٩٧، المشتمل على بقايا مصل وسبيل الملك المؤيد شيخ.

٢٠. أما السور الخارجى أمام الباب بشرفاته وصفه فهو من عمارة الخديو إسماعيل سنة ١٨٦٨ م.

(٣) كما فى م. والذى فى م: « حلب » .

الشامية ، وعاد إلى جهة حلب بعساكر عظيمة ، والوالد ودمرداش في ممالئهم لا غير ، مع جذب البلاد الحلبية ، وخراب قراها ، فإنه عقيب توجه تيمور بسنة واحدة وأشهر .

فاما قارب دقاق بعساكره حلب أشار دمرdash على الوالد بالتوجه إلى بلاد التركان من غير قتال ، فقال الوالد لابد من قتالنا معه ، فإن آتصرنا وإلا توجهنا إلى بلاد التركان بحق ، فتوجه^(١) لدقاق بمالئهم ، وقد صف دقاق عساكره وأفتتلا قتالا شديدا ، وثبت كل من الفريقين وقد أشرف دقاق على الهزيمة .

وبينا هو في ذلك خرج من عسكر الوالد ودمرداش جماعة إلى دقاق ، فانكسرت عند ذلك الميمنة .

ثم أنهزم الجميع إلى نحو بلاد التركان ، فلم يتبعهم أحد من عساكر دقاق ، وملك دقاق حلب ، واستمر الوالد ودمرداش ببلاد التركان ، على ماسياتي ذكره . وأما ما وقع بمصر فإنه لما حبس جكم من عوض بالإسكندرية ، أخلع على نوروز الحافظي في بيت بيبرس في يوم الأربعاء بناية دمشق ، وتوجه إلى داره .

فلما كان من الغد في يوم الخميس قبض عليه وحمل إلى باب السلسلة فقيده به وحمل من ليلته ، وهي ليلة الجمعة ثالث عشرين شوال إلى الإسكندرية ، فسجن بها ، وغضب لذلك الأميران بيبرس الأتابك ، وإينال باي من قجاس ، وتركوا طلوع الخدمة السلطانية أياما .

ثم أرضيا وطلعا إلى الخدمة ، وراحت على نوروز ، واختفى الأمير قاني باي العلائي وقرقاس الرماح ، فلم يُعرف خبرهما .

(٢) رواية م : « ابن قجاس »

(١) رواية م : « فبرزا » .

فلما كان يوم الاثنين ثالث ذى القعدة ، أنعم السلطان بإقطاع الأمير نوروز على الأمير إينال العلاني المعروف بمحطب رأس نوبة بعد أن أخرجوا منه الحرية . وأنعم السلطان بإقطاع قاني باي العلاني على الأمير علان جلق ، وبإقطاع تمرغا المشطوب على الأمير بشباي الحاجب الثاني ، فلم يرض به ، فاستقر باسم قُطْلُوبغا الكركي ، وكان إقطاعه قبل حبسه بالإسكندرية ، وهو إلى الآن لم يحضر من سجن الإسكندرية . وبقى بشباي على طبلخانته .

وأنعم بإقطاع جكم من عوض على الأمير يشبك الشهباني الدوادار ، وهو إقطاعه أيضا قبل حبسه بالإسكندرية .

وأنعم على الأمير بينغوت بإمرة طبلخانة ، وعلى أسنبغا المصارع بإمرة طبلخانة وعلى سودون بشتا بإمرة طبلخانة .^(١)

١٠

ثم في سادس ذى القعدة ، قدم الأمراء من سجن الإسكندرية من أصحاب يشبك ، وهم الأمير آقبای طاز الكركي الخازندار ، وقُطْلُوبغا الحسنی الكركي وحرکس القاسمی المصارع ، وصعدوا إلى القلعة ، وقبلوا الأرض بين يدي السلطان ثم تزلوا إلى بيوتهم ، ثم رسم السلطان بانتقال الأمير شيخ المحمودى الساقى من نيابة طرابلس إلى نيابة دمشق ، بعد عزل الأمير آقبغا الجمالى الأطروش ، وتوجيهه إلى القدس بطالا .

١٥

ولما كانت يوم الثلاثاء ثامن عشر ذى القعدة لعب الأمراء الكرة في بيت الأتابك بيبرس ، فاجتمع على باب بيبرس من المماليك السلطانية نحو الألف مملوك يريدون الفتك بسودون طاز .

(١) في حاشية « م » بشر .

وعند ما خرج سودون طاز من بيت بيبس هوا به ، فتحاوطته أصحابه ومما ليكه ، وساق سودون حتى لحق بباب السلسلة ، وامتنع بالإسطلب السلطاني حيث هو سكنه ، ووقع كلام كثير . ثم تَحَدَّت الفتنة .

فلما كان رابعَ عشرينه ، خلع السلطان على الأمير يَشْبِك الشعباني باستقراره دوادرا على عادته ، عوضا عن الأمير جُحَم من عوض بحكم حبسه .

ثم في يوم السبت رابع عشر ذى الحجة خلع السلطان على الأمير آقباي الكركي باستقراره خازندارا على عادته .

ثم في سلخ ذى الحجة استقر الأمير جُحَم الدوادار الثاني في نيابة الكرك ، واستقر الأمير علان جَلَق أحد مقدمي الألو ف بديار مصر في نيابة حماة ، بعد عزل يونس الحافظي ، فشَقَّ ذلك على سودون طاز .

ثم كتب للأمير دمرdash أمانا ، وأنه يستقر في نيابة طرابلس عوضا عن الأمير شيخ المحمودي المتَّيَل إلى نيابة دمشق ، وكتب للأمير على بك بن دلفادر نيابة عين تاب ، وللأمير عمر بن الطحان نيابة مَلَطِيَّة .

وكانت الأخبار وردت بجمع التركمان وزولهم مع دمرdash إلى حلب ، وأن دلفاق نائب حلب أجمع معه نائب حماة والأمير نُعَيْر ، وأن تيمورلنك نازل على مدينة سيواس ، ولم يَحْجِجْ أحد في هذه السنة من الشام ولا من العراق .

وفي يوم ثالث المحرم من سنة خمس وثمانمائة أنعم السلطان بإقطاع علان جَلَق المستقر في نيابة حماة على الأمير جركس القاسمي المصارع ، وبإقطاع جُحَم المستقر في نيابة الكرك على آقباي الكركي الخازندار ، وزيد عليه قرية سَمَسْطَا^(٢) .

(١) رواية « م » « وفي ثالث » الخ .

(٢) سَمَسْطَا ، ويقال : سَمَسْطَا ، ومنهم من يقول : سَمَسْطَا ، من عمل اليهنا (معجم البلدان) ج ٥ ص ١٢٦ ووردت في (الدليل الجغرافي) باسم سَمَسْطَا السلطاني . وسَمَسْطَا الوقت : مركز بيا مديرية بن سويف .

هذا والكلام بكثيرين الأمراء والمهالك، والناس في تخوف من وقوع فتنة .
فلما كان سابع المحرم نزل الأمير سودون طاز الأمير آخور الكبير من الإسطبل
السلطاني بأهله وبماليكه إلى داره ، وعزل نفسه عن الأمير آخورية ، وصار
من جملة الأمراء .

- ثم في هذا الشهر قدم الوالد إلى دمشق بأمان كان كتب له من قبل السلطان
مع كتب جميع الأمراء .

فلما وصل إلى دمشق خرج الأمير شيخ المحمودى إلى تلقية ، حتى عاد معه
إلى دمشق وأتزله بالقرمانية ، وأكرمه غاية الإكرام بحيث إنه جاءه في يوم واحد
ثلاث مرات .

- ١٠ ثم خرج الوالد بعد أيام من دمشق يريد الديار المصرية ، فخرج الأمير شيخ
أيضا لوداعه ، وسار حتى وصل ^(١) إلى مصر في سلخ المحرم . بعد ما خرج الأمراء
إلى لقائه ، وطلع إلى القلعة ، وقبل الأرض بين يدي السلطان ، فأخلع السلطان
عليه كاملية بمقلب تيمور ، وأركبه فرسا بسرج ذهب وكنبوش زركش .

- ثم نزل إلى داره ومعه سائر الأمراء ، وظهر الأمير قرقاس الزماح ، فنشفع فيه
الوالد ، فإنه كان أنبه ، فقبل السلطان ^(٢) شفاعته .

١٥

وأما أمر سودون طاز ، فإنه أقام بداره إلى ليلة الاثنين ثالث عشر صفر
من سنة خمس وثمانمائة المذكورة ، خرج من القاهرة بماليكه وحواشيه إلى المرج ^(٣)

(١) هذه الكلمة ساقطة من « ف » . (٢) في الاصلين : « أنبه » وهو تحريف .

(٣) المرج : من القرى القديمة ، وهي اليوم من قرى شين الكوم بمديرية القليوبية .

والزيات بالقرب من خاتناه سرياقوس^(٢) ليقم هناك حتى يأتيه من واقفه ويركب على أخصامه ويقهرهم ويعود إلى وظيفته .

وكان خبر سودون طاز أنه لما وقع بينه وبين يشبك أولا وصار من حزب نوروز وجكم قبضوا على يشبك وأصحابه من الأمراء وسجنوا بئغر الاسكندرية حسبما تقدم ذكره ، صار تحكّم مصر له وإشاركه في ذلك نوروز وجكم فنقلا عليه ، وأراد أن يستبدّ بالأمر والنهي وحده ، فدبر في إخراجهما حتى تم له ذلك ، ظنا منه أنه ينفرد بالأمر بعدهما ، فانتدب إليه يشبك الشعباني الدوادار وأصحابه لما كان في نفوسهم منه قديما بعد مجيئهم من حبس الاسكندرية ، لأنه كان انحصر لخروجهم من الحبس .

وكان الملك الناصر يميل إلى يشبك وقطلوبغا الكركي ، لأن كل واحد منهما كان لآله^(٣) .

وكان الأمير آقبای طاز الكركي الخازندار يعادى سودون طاز قديما ويقول « طاز واحد يكفى بمصر ، فأنا طاز وهو طاز ما تحملنا مصر » واتفقوا الجميع عليه ، وظاهرهم السلطان في الباطن ، فتلاشى أمر سودون طاز لذلك ، وما زالوا في التدبير عليه حتى نزل من الإسطنبول السلطاني ، خوفا على نفسه من كثرة جموع يشبك الدوادار ، وجرأة آقبای الخازندار الكركي ؛ فعندما نزل ظن أن السلطان يقوم بناصره ، فلم يلتفت السلطان إليه ، وأقام هذه المدة من جملة الأمراء ،

(١) الزيات ، هي القرية المعروفة اليوم بالقليج إحدى قرى مركز شين الكوم قليوبية ، وقد سبق التعليق عليها وعلى المرح في الحاشيتين ٤ ، ٥ ص ٢٧٧ - ١١ .

(٢) خاتناه سرياقوس : سبق التعليق عليها في الحاشية رقم ٢ ص ٧٠ من هذا الجزء . وفي هذا التعليق

خطأ مطبعي في ص ٧١ فقد ذكر أن كتاب وقف الأشرف برسبای محزوسة ٧٤١ والصواب ٨٤١

(٣) لآله : مريته .

- فشق عليه عدم تحككه في الدولة، وكفه عن الأمر والنهي، وكان اعتاد ذلك، فخرج لتأنيته الممالك السلطانية وغيرهم، فإنه كان له عليهم أيد وإحسان زائد عن الوصف — ليحارب بهم يشبك وطائفته، ويُخرجهم من الديار المصرية، أو يقبض عليهم كما فعل أولاً ويستبدّ بعدهم بالأمر، بغاء حساب الدهر غير حسابه، ولم يخرج إليه أحد غير أصحابه الذين خرجوا معه، وأخلع السلطان على الأمير اينال باي من بقماس باستقراره عوضه أمير آخورا كبيرا في يوم الاثنين عشرين صفر، وبعث السلطان إلى سودون طاز بالأمر قتلوبغا الكركي يأمره بالعود على إقطاعه وإمرته من غير إقامة فتنة، وإن أراد البلاد الشامية فله ما يختاره من النيابات بها، فامتنع من ذلك وقال: لا بد من إخراج آقبای طاز الكركي الخازندار أولاً إلى بلاد الشام، فلم يوافق السلطان على إخراج آقبای، وبعث إليه ثانيًا بالأمر بشباي الحاجب الثاني فلم يوافق، فبعث إليه مرة ثالثة فلم يرض، وأبى إلا ما قاله أولاً من إخراج آقبای، فلما يئس السلطان منه ركب بالعساكر من قلعة الجبل^(١)، ونزل

- (١) قلعة الجبل، هي قلعة مصر التي تشرف على القاهرة، وقد سبق التعليق عليها في ج ٦ ص ٥٤، ج ٧ ص ١٩٠، وفي صحيفتي ٧، ٢٨ من هذا الجزء، واستدرك على تلك التعليقات أن صلاح الدين أمر بإنشائها لتكون داراً للذك وحصناً يقي مصر شر العدوان. وقد وضع مشروع إنشاء القلعة وبناء أسوار تربطها بالقاهرة والقساط، وعهد بتنفيذ هذا المشروع إلى وزيره بهاء الدين قراقوش. فبدأ بإنشائها سنة ٥٧٢هـ، ١١٧٦م. وظل العمل جارياً فيها حتى توفي صلاح الدين قبل أن يتم بناؤها. وفي لوحة تذكارية فوق باب المدرج وهو بابها الأعظم تقرأ: «أمر صلاح الدين بإنشائها بإشراف أخيه الملك العادل سيف الدين أبو بكر محمد، على يد أمير مملكته قراقوش بن عبد الله الملك الناصر». وفي أبراج القلعة وأبوابها وأسوارها نلس عظمة الحصون المنجة. ولا تزال محفظة بأبوابها وأبراجها التي ترجع إلى عصر صلاح الدين والملك العادل. وهي مثلة في ضلعها الشرق والقبل. وذلك إلى كثير من أجزائها التي تنسب إلى ملوك مصر في دولتي المماليك البحرية والخراسكية، ثم في العصر العثماني إلى عصر المغفور له محمد علي باشا، وإليه يرجع إنشاء مداخلها الحالية الباب الجديد والباب الأوسط وكثير من الأسوار والدراوى فوق أسوار القلعة. هذا عدا مسجده الكبير ودار الضرب وقصرى الجوهرة والحرم.

جميع عساكره بالسلح وآلة الحرب في يوم الأربعاء سادس شهر ربيع الأول ، فلم يثبت سودون طاز ، ورحل بمن معه وهم نحو الخمسمائة من الممالك السلطانية ومما ليكه ، وقد ظهر الأمير قاني باي العلاني ولحق به من نحو عشرة أيام ، وصار من حربه ، فتبعه السلطان بعساكره وهو يظن أنه توجه إلى بلبيس .

وكان سودون عند ما وصل إلى سرياقوس نزل من الخليج ومضى إلى جهة القاهرة وعبر من باب البحر بالمق^(١)س ، وتوجه إلى الميدان ، وهجم قاني باي العلاني في مئة كبيرة على الرمي^(٢)لة تحت القلعة ليأخذ باب السلسلة ، فلم يقدر على ذلك ، وصر السلطان الملك الناصر وهو سائق على طريق بلبيس ، وتفترقت عنه العساكر وتاهوا في عدة طرق .

وبينا السلطان في ذلك بلغه أن سودون طاز توجه إلى نحو القاهرة وهو يحاصر قلعة الجبل ، فرجع بأمرائه مسرعا يريد القلعة حتى وصل إليها بعد العصر ، وقد بلغ منه ومن عساكره التعب مبلغا عظيما ، ونزل السلطان بالمقعد المطلق على الرمي^(٢)لة من الإسطبل بباب السلسلة ، وندب الأمراء والممالك لقتال سودون طاز ، فقاتلوه في الأزقة طعنا بالرمح ساعة فلم يثبت ، وأنهزم بمن معه ، وقد جرح من الفريقين جماعة كثيرة ، وحال الليل بينهم ، وتفترق أصحاب سودون طاز عنه ، وتوجه كل واحد إلى داره ، وبات السلطان ومن معه على تخوف ، وأصبح من الغد فلم يظهر لسودون طاز ولا قاني باي خبر ، ودام ذلك إلى الليل ، فلم يشعر الأمير يشبك وهو جالس بداره بعد عشاء الآخرة إلا وسودون طاز دخل عليه في ثلاثة

(١) باب البحر ، يعرف بباب المقس ، ويعرف اليوم بباب الحديد ، وينسب إليه ميدان باب

الحديد ، وقد سبق التطبيق عليه في الحاشية رقم ٥ ص ١٩٦ ج ٣

(٢) الرمي^(٢)لة : (ميدان صلاح الدين) ، (المنشأة الآن) .

أنفس، وتراعى عليه، فقبله وزاد^(١) في إكرامه وأنزله عنده، وأصبح يوم الجمعة كتب سودون طاز وصيته وأقام بدار يشبك إلى ليلة الأحد عاشره، فأنزل في حراسة وتوجه إلى [نغر] دمياط بطالا بغير قيد، ورُتب له بها ما يكفيه، بعد أن أنعم عليه الأمير يشبك بالف دينار مكافأة له على ما كان سعى في أمره حتى أخرجه من حبس الإسكندرية وعوده إلى وظيفته وإبقائه في قيد الحياة، فإن حكم الدوادار كان أراد قتله عند ما ظفر به، وحبسه بالإسكندرية لولا سودون طاز هذا.

وأما قاني باى هذا فإنه أختفى ثانيا فلم يعرف له خبر، وسكنت الفتنة.

فلما كان خامس عشر شهر ربيع الأول قدم الأمير سودون الحزاوى نائب صفد إلى القاهرة باستدعاء من السلطان صحبة الطواشى عبد اللطيف اللالا بسعى الأمير آقبای طاز الكرکی الخازندار في ذلك لصداقة كانت بينهما. وأخلع السلطان على الأمير شيخ السليمانى شاد الشراب خاناه، وأستقر في نيابة صفد عوضا عن سودون الحزاوى، وأنعم السلطان على سودون الحزاوى بإمرة مائة وتقدمة ألف بالقاهرة.

١٥

(١) في «م» «وبالغ» وهما بمعنى واحد.

(٢) سقطت هذه الكلمة من «ف».

(٣) دمياط : من أشهر ثغور مصر على مصب فرع النيل، لعبت دورا خطيرا في الحروب الصليبية. وأسمها القديم تيمائيس. وقد سبق التعليق عليها في صفحتي ٤٠، ٦٥ من هذا الجزء وفي ج ٥ ص ٣١٢ باقتضاب. ولأهميتها يحسن مراجعة (خطط المقرئى) ج ١ ص ٢١٣ (والخطوط

٢٠

التوفيقية الجديدة) ج ١١ ص ٣٦ (وقاموس الأمانة والبقاع) ص ١١٤

(٤) في «م» «وأما قاني باى العلائى».

ثم أنعم السلطان على الوالد بإمرة مائة وتقدمة [ألف] ^(١١)، وأزيد مدينة أبيار من ^(١٢) الديوان المفرد، ورسم له أن يجلس رأس ميسرة .

ثم أخرج الأمير قرقاس الرقاع إلى دمشق على إقطاع الأمير صُرُق . ^(١٣) وأخلع ^(١٤) السلطان على سودون الحزأوى المعزول عن نيابة صفد بأستقراره شاذ الشراب خاناه عوضا عن شيخ السليمانى المسرطن المنتقل إلى نيابة صفد ، فلم يبق سودون الحزأوى فى المشددة إلا أياما ، ومرض صديقه الأمير آقبای الكرکى الخازندار ومات ، فولى الخازندارية عوضه فى يوم الاثنين سابع جمادى الآخرة .

ثم فى ليلة الأربعاء ثالث عشرين [جمادى الآخرة] ^(١٥) غزى على قانى باى العلانى فى دار فكبس عليها ، وأخذ منها ^(١٦) ، وقيد وحمل إلى الإسكندرية .

وفى هذه الأيام ورد الخبر أن سودون طاز خرج من نغردمياط يوم الخميس رابع عشرين جمادى الآخرة فى طائفة ، وأنه اجتمع عليه جماعة كبيرة من العربان والممالك ، فندب السلطان لقتاله الوالد والأمير تراز الناصرى أمير مجلس وسودون الحزأوى فى عدة أمراء أخر ، وخرجوا من القاهرة ، فبلغهم أنه عند الأمير [علم الدين سليمان بن] ^(١٧) بقر بالشرقية جاءه لیساعده على غرضه ، فعند ما أتمه أرسل ^(١٨) [ابن] بقر إلى الأمراء يعلمهم بأن سودون طاز عنده ، فطرقه الأمراء وقبضوا عليه وأحضروه إلى القلعة فى يوم الأربعاء سابع جمادى الآخرة .

(١) سقطت هذه الكلمة من « ف » . (٢) أبيار : بلدة قديمة من مديرية الغربية شرق كفر الزيات . (المخطط التوفيقية الجديدة) ٨ ص ٢٨ (ورحلة ابن بطوطه) ١ ص ١٥ فقد زارها ووصف صناعاتها ومن لق بها من العلماء . ووصف الاحتفال برؤيا رمضان فيها . (٣) رواية السلوك : « وفى سابع عشره أخرج » . (٤) رواية السلوك : « وفى عشرينه حلق » . (٥) هذه الكلمة ساقطة من « ف » . (٦) كذا فى « ف » ورواية « م » « عليه بها » . (٧) الزيادة : عن السلوك . (٨) ساقطة من الأصلين ، وسباق الكلام يقتضى إثباتها .

ثم أصبح السلطان في يوم الخميس أول شهر رجب، ستم خمسة من الممالك السلطانية من كان مع [الأمير^(١)] سودون طاز، أحدهم سودون الجلب الآتي ذكره في عدة أماكن، ثم جانبك القرماني حاجب حجاب زماننا هذا، فاجتمع الممالك السلطانية لإقامة الفتنة بسببهم : وتكلم الأمراء مع السلطان في ذلك، نفلى عنهم، وقيدوا ومجنوا بخزانة شمائل، ونفى سودون الجلب إلى قبرس بلاد الفرنج من الإسكندرية .

ثم في ثالث شهر رجب حمل سودون طاز مقبدا إلى الإسكندرية، ومجن بها عند غريمه الأمير جكم من عوض الدوادار .

وفي هذا الشهر ورد الخبر من دمشق أنه أقيمت الجمعة بالجامع الأموي وهو خراب، وكان بطل منه صلاة الجمعة من بعد كائنة تيمور، وأن الأمير شيخا المحمودي نائب دمشق سكن بدار السعادة بعد أن عمرت، وكانت حرق أيضا في نوبة تيمور، وأن سعر الذهب زاد عن الحد، فأجيب : بأن الذهب [قد^(١)] زاد سعره بمصر أيضا، حتى صار سعر المنقال الهرجة بخمسة وستين درهما، والدينار المشخص، بستين درهما .

ثم عقد السلطان للأمير سودون الجزاوي على أخته خوند زينب بنت الملك الظاهر برقوق، وعمرها نحو الثمان سنين، فصارت أخوات السلطان الثلاث

(١) سقطت هذه الكلمة من « ف » .

(٢) المنقال الهرجة : عرف المقرزي المنقال بأنه اسم لماله نقل سواء كبير أو صغير، وعلب عرته على الصغير . وصار في حرف الناس أسماء على الدينار حاشية ه ص ٨٤ : (إنفاة الأمة بكشف القصة) ولم أفت على تفسير الهرجة، ولعل المقصود به الدينار المهرج، أي الردي، المخلوط (إنفاة الأمة) ص ٦٧ (٣) الدينار المشخص : عمله أجنبية مرسوم على أحد وجهيها صورة ملك الدولة التي ضربت فيها

وعرفت بالدنانير الأفرقية . صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٤١ .

(٤) كذا في « ف » ورواية « م » « ثم عقد السلطان عقد الأمير » .

كل واحدة مع أمير من أمرائه ، فخوند سارة زوجة الأمير نوروز الحافظي ،
وخوند يريم زوجة الأمير إينال باي بن قحاس ، وخوند زينب وهي أصغرهن
مع سودون الخزاوي هذا .

ثم في يوم الاثنين سادس عشرين شهر رجب أخلع السلطان على قاضي القضاة
كمال الدين عمر بن العديم بآستقراره في قضاء الحنفية بالديار المصرية بعد أن
عزل القاضي أمين الدين عبد الوهاب الطرابلسي بسفارة الوالد لصحية كانت
بينهما من حلب .

ثم في ليلة الثلاثاء سابع عشرين شهر رجب المذكور أرسل السلطان إلى
الإسكندرية الأمير أفندي والأمير تقيك من الأمراء العشرات في ثلاثين مملوكا
من الممالك السلطانية ، فوصلوها في تاسع شعبان ، وأخرجوا الأمير نوروز الحافظي ،
وجمهم من عوض ، وسودون طاز ، وقاني باي العلاني من سجن الإسكندرية
وأزولهم في البحر المالح ، وساروا بهم إلى البلاد الشامية ، فحبس نوروز وقاني باي
في قلعة الصبية من عمل دمشق . وحبس جمهم في حصن الأكراد من عمل
طرابلس ، وحبس سودون طاز في قلعة المرقب ، ولم يبق بسجن الإسكندرية من
الأمراء غير سودون من زاده ، ومثربغا المشطوب .

(١) قلعة الصبية ، هي قلعة بانياس جنوبي غربي دمشق ، وهي على بعد ساعة من بانياس ، ورتفع بها
نحو ٢٠٠ قدم . وما زالت بقاياها موجودة إلى الآن . وكانت قلعة حصينة قديمة ، عني بإصلاحها
الصليبيون والمسلمون (آثار الأدهار) ٦٧٨

(٢) حصن الأكراد : قلعة الحصن ، أو حصن الأكراد والكرك كما يسمها فرسان الصليبيين .
وهي محفوظة من عهد الصليبيين على ما هي عليه . وهي آية في الهندسة والإنقان . (خطط الشام) ج ٥ ، ٢٩٦ ، ٥

(٣) قلعة المرقب : اسم لبلد وحصن يشرف على ساحل بحر الشام وعلى مدينة بانياس .
عمرها المسلمون سنة ١٠٦٢٨ ٤٥٤ م ولا تزال القلعة موجودة تطل على البحر بجوار طرسوس . وكانت
في سنة ١٨٨١ م مركزا للحكومة ، (معجم البلدان) ج ٨ ص ٢٧ ، و (تاريخ العرب) لفيليب ج ٣
ص ٧٧٨ و (تاريخ سوريا) لجورجي بن ص ٣٥٦ .

ثم حُولَ جَئَمَ بعد مدة إلى قلعة المَرْقَب عند غريمه سودون طاز .

ثم في ثامن عشر شَوَّال خلع السلطان على الأمير بَكْتَمُر الرُّكْنِي أمير سلاح باستقراره رأس نوبة الأُمراء عوضاً عن نوروز الحافظي ، واستقرَّ الأمير تِمراز الناصري أمير مجلس عوضه أمير سلاح ، واستقرَّ سودون المارداني رأس نوبة الثوب أمير مجلس عوضاً عن تِمراز ، واستقرَّ سودون الحمزاوي رأس نوبة النوب عوضاً عن سودون المارداني ، وأُخلع السلطان على الأمير طُوخَ باستقراره خازِندارا عوضاً عن سودون الحمزاوي .

ثم في خامس عشرين ذى القعدة أُفْرِجَ عن سعد الدين إبراهيم بن غراب وأخيه نحر الدين ماجد ، وكان السلطان قبض عليهما من شهر رمضان ، وولَّى وظائفهما جماعة ، واستقرَّ في المصادرة إلى يومنا هذا ، وكان الإفراج عنهما بعد ما التزم سعد الدين بن غراب بِجَمَل ألف ألف درهم [فضة ^(١)] ونحر الدين ^(٢) بثلاثمائة ألف درهم ، وُقِلَّا إلى السالمى ليستخرج الأموال منهما ثم يقتلها .

وكان ابن قايماز أهانها وضرب نحر الدين وأهانته ، فلم يعاملها السالمى [بمكره ^(٣)] ولم ينتقم منها ، وخاف سوء العاقبة ، فعاملها من الاحسان والإكرام بما لم يكن ببالي أحد ، وما زال يسعى في أمرهما حتى نُقِلَّا من عنده لبيت شاذ الدواوين ناصر الدين محمد بن جلبان الحاجب ، وهذا بخلاف ما كانا فعلاً مع السالمى ، فكان هو المحسن وهم المسيئون .

ثم أُخلع السلطان على يَلْبُغا السالمى باستقراره أستاذدارا ، وعَزَلَ ابن قايماز ، وهذه ولاية يَلْبُغا السالمى الثانية .

(١) تكلمة عن « م » . (٢) كذا في « م » . والذي في « ف » « لبقتهما » .

(٣) هذه الكلمة عن « م » .

ثم في سابع ذى الحجة من سنة خمس أخرج السلطان الأمير أسبغا المصارع ،
والأمير نكجى الأزدمرى وهما من أمراء الطليخاناه بمصر إلى دمشق ، وإينال
المظفرى وآخر . وهما من الأمراء العشرات ، ورسم للاربعة بإقطاعات هناك ،
لأمر آقتضى ذلك ، فساروا إلى القلعة ^(١) .

فما كان يوم تاسع عشرين ذى الحجة أغلق الممالك السلطانية باب القصر
من قلعة الجبل على من حضر من الأمراء ، وعوقبهم بسبب تأخر جوامعهم ، فزل
الأمراء من باب السر ^(٢) ، ولم يقع كبير أمر ، وأمر السلطان ليبلغا السالمى أن يتفق
عليهم فتفق عليهم .

ثم في يوم الثلاثاء رابع المحرم من سنة ست وثمانمائة عزل ليبلغا السالمى عن
الأستادارية ، وأعيد إليهما ركن الدين عمر بن قايماز ، وقبض على السالمى وسلم إليه .

ثم في ثامنهِ أخلع السلطان على الصاحب علم الدين يحيى أبى كرم وأستقر
في الوزارة ونظر الخاص معا عوضا عن تاج الدين بن البقرى واستقر ابن البقرى
على ما بيده من وظيفتي نظر الجيش ونظر ديوان المفرد ^(٣) ، فلم يباشر أبو كرم الوزر غير
ثمانية أيام وهرب وأختفى ، فأعيد تاج الدين بن البقرى إليها ، وهذا والسالمى
في المصادرة .

(١) في كلتا النسخين « من » ، وسياق الكلام يقتضى ما أثبتنا .

(٢) كذا في « ف » . والذي في « م » ؛ « القاهرة » .

(٣) باب السر : أحد أبواب قلعة الجبل ، وكان مخصصا لدخول أكابر الأمراء وخوادم الدولة
كالوزير ، وكاتب السر ، ونحوهما . وكان يتوصل إليه من الصوة ، وهى بقية النشرا الذى بنيت عليه القلعة .
ومحله الآن الباب الوسطانى الذى جددته محمد على باشا الكبير . وقد سبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ١
صحيفة ١٧٢ ج ٨ النجوم . (٤) كان للخليفة فى الدولة الفاطمية ديوان يسمى الديوان المفرد . وكان
للك الظاهر يرقوق ديوان المفرد أيضا أفرد له بلادا للصرف من مستهلها على ثقة ماله من جامكات
وعلى وكسوة . (صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٥٧) .

وفي هذه السنة كان الشراق العظيم بمصر^(١) ، وعقبه الغلاء المفرط ثم الوباء ، وهذه السنة هي أول سنين الحوادث والمحن التي خرب فيها معظم الديار المصرية وأعمالها ، من الشراق ، واختلاف الكلمة ، وتغيير الولاية بالأعمال وغيرها .

ثم في شهر ربيع الأول كتب بإحضار دقاق نائب حلب ، وفيه اخفى الوزير تاج الدين بن البقرى ، فخلع على سعد الدين بن غراب وأستقر في وظيفتي^٥ الأستادارية ونظر الجيش ، وصرف ابن قايمآز ، وخلع على تاج الدين رزق الله وأعيد إلى الوزارة .

وفي خامس صفر كتب بأستقرار الأمير آقبا الجمالى الأطروش في نيابة حلب عوضا عن دُقاق ، فلما بلغ دقاق أنه طُلب إلى مصر هرب من حلب .

ثم قدم الخبر على السلطان بأن قرا يوسف بن قرا محمد قدم إلى دمشق . فأنزله^{١٠} الأمير شيخ المحمودى بدار السعادة وأكرمه .

وكان من خبر قرا يوسف أنه حارب السلطان غياث الدين أحمد بن أويس وأخذ منه بغداد .

فلما بلغ تيمور ذلك بعث إليه عسكريا ، فكسروهم قرا يوسف ، فجهز إليه تيمور جيشا ثانيا فهزموه ، ففر بأهله وخاصته إلى الرّحبة ، فلم يمتكن منها ونهبت العرب ، فسار إلى دمشق ، فوافق بها السلطان أحمد بن أويس وقد قدمها أيضا قبل^{١٥}

(١) يمزو المقرئى أسباب هذه المحن إلى قصر مدّ النيل ، فقد شنع الأمر وارتفعت الأسعار حتى تجاوز الإردب الفصح أربعة دهم ، وسرى ذلك في كل ما يباع من مأكل ومشرب وملبس ، وتزايدت أجرة الأجراء ، كالبائنين والفعلة وأرباب الصنائع والمهنة ترايدا لم يسمع بمثله فيما قرب من هذا الزمن . حتى جاء القوت من الله تعالى في سنة سبع وثمانائة ، فكثرت زيادة النيل ، وعم النفع به « ملخصا من إنفاة^{٢٠} الأمة بكشف الغمة للمقرئى » ص ٤٢ .

تاريخه، وأخبر الرسول أيضا أن قاني باى العلائى هرب من سجن الصببية، فتأخر نوروز بالسجن ولم يعرف أين ذهب .

ثم فى يوم الثلاثاء خلع السلطان على بدر الدين حسن بن نصر الله القوى^(١) وأستقر فى نظر الخالص عوضا عن ابن البقرى ، وهذه أول ولاية صاحب بدر الدين ابن نصر الله للوظائف الجليلة .

ثم فى عاشره آخنى الوزير تاج الدين، وفى ثالث عشره أعيد ابن البقرى للوزر على عادته ونظر الخالص ، وصرف ابن نصر الله ، هذا والموت فاش بين الناس وأكثر من كان يموت الفقراء من الجوع .

ثم فى آخر جمادى الآخرة رسم بالقبض على السلطان أحمد بن أويس ، وقرا يوسف بدمشق ، فقبض عليهما الأمير شيخ ومجنهما .

ثم فى يوم الاثنين ثامن عشر شهر رجب قدم إلى القاهرة سيف الأمير آقبا الجمالى الأطروش نائب حلب بعد موته ، فرسم السلطان بانتقال الأمير دمرداش المسمى نائب طرابلس إلى نيابة حلب ، وحمل إليه التقليد والتشريف الأمير سودون المسمى المعروف تلى .

(١) القوى : نسبة إلى قوة التابعة لمركز دمشق ، وله بها مسجد معروف به .
(٢) التقليد ، هو مرسوم التعيين الموقع من السلطان . والتشريف ، هو الملابس المهداة إلى كبار الموظفين . ونياحة حلب جليلة تلى نيابة دمشق ، والتشريف الذى يصرف إلى نائبها يكون مكونا من : فوفان أطلس أحمر بطرز زركش مفرى بسنجا بداره يحف من ظاهره مع غشا قندس ، ومحتة قبا أطلس أصفر ، وكلوة زركش بكلايب ذهب ، وشاش رفيع موصول به طرفان من حرير أبيض ، مرقومان بأقارب السلطان مع نقوش باهرة من الحرير الملون . ومنطقة ذهب مركبة على حاشية حرير تشد فى وسطه ، ويختلف حال المنطقة بحسب المراتب . فأعلاها أن يعمل من عدها بواكير وسطا ومحبسين ، مرصعة بالبلخش والزمرد واللؤلؤ ثم ما كان بيكارية واحدة مرصعة ، ثم ما كان بيكارية واحدة من غير ترصيع ، فإن كان التشريف لتقليد ولاية مفضحة مثل دمشق أو حلب أو حماة زيد عليها محل يذهب وفرسا مسرجا ملجبا بكنبوش زركش . وربما زيد أكار التواب كتاب الشام . تركية زركش على القوفان وشاش حرير سكندرى مموج بالذهب ، ويعرف ذلك بالتمر — صبح الأعشى ج ٤ ص ٥٢ .

- وفي أثناء ذلك ورد الخبر بأن الأمير دقاق نزل على حلب ومعه جماعة من التركمان فيهم الأمير على بك بن دلقادر ، وفز منه أمراء حلب ، فلك دقاق حلب ، ورسم السلطان بانتقال الأمير شيخ السلباني المسرطن نائب صفد إلى نيابة طرابلس ، وحمل إليه التقليد والتشريف الأمير أقبردى ، ورسم باستقرار الأمير بكتمر جاق أحد أمراء دمشق في نيابة صفد عوضاً عن شيخ السلباني المسرطن ، وخرج الأمير
- ٥ إينال المأمور بقتل الأمراء المسجونين بالبلاد الشامية ، وقبل وصول إينال المذكور أفرج الأمير دمرداش نائب طرابلس عن الأمير جكم وعن سودون طاز ، وكانا ببعض حصون طرابلس وسار بهما إلى حلب ، وهذا أول أمر جكم وظهوره بالبلاد الشامية على ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

- ثم في يوم الخميس سابع عشر ذى الحجة قبض السلطان على الأمير بيبرس الدوادار الثاني ، وعلى الأمير جانم من حسن شاه ، وعلى الأمير سودون المحمدي تلي ، وحملوا إلى سجن الإسكندرية ، واستقر الأمير قرقاس أحد أمراء الطبلخانات دوادارا ثانيا عوضاً عن بيبرس المذكور .

- ثم في صفر من سنة سبع وثمانمائة ، وقع بين الأمير يشبك الشعباني وبين الأمير إينال باي بن قحاس الأمير آخور كبير وسبب ذلك : أن الأمير يشبك الشعباني الدوادار صار هو مدبر الدولة وبيده جميع أمورها من الولاية والعزل ، فصار له بذلك عصبة كبيرة ، فأحبوا عصبته عزل إينال باي من الأمير آخورية ، لاختصاصه بالسلطان الملك الناصر لقربايته منه ثم لمصاهرته ، فإنه كان تزوج بخوند

(١) رواية ٤٣ « طرابلس » ؛ وهو خطأ .

(٢) رواية (ف والسلوك) « المأموري » .

يبرم بنت الملك الظاهر برقوق، وسكن بالإسطنبول السلطاني على عادة الأميرة خورية، فصار السلطان ينزل عنده ويقوم بيت أخته ويعاقره الشراب، فعظم أمر إينال باي لذلك، فخافه حواشي يشبك، وأحبوا أن يكون حركس القاسمي المصارع عوضه أميراً خوراً، واتفقوا مع يشبك على ذلك، فانقطعوا عن حضور الخدمة السلطانية من جمادى الأولى، فاستوحش السلطان منهم. وتماذى الحال إلى يوم الجمعة، فأمر السلطان لإينال باي أن ينزل للأمراء المذكورين ويصالحهم، ففزع جماعة من الماليك السلطانية إينال باي أن ينزل، واشتد ما بينهم من الشر حتى خاف السلطان عاقبة ذلك، وابتاعوا مترقين وقوع الحرب بينهما، وكان السلطان رسم للأمير يشبك أن يتحول من داره قبل تاريخه، فإنها مجاورة لمدرسة السلطان حسن^(٢)، فامتنع يشبك من ذلك

١٠ (١) المقصود بالإسطنبول السلطاني بالقلعة، لأن وظيفة الأمير خور الإشراف على الإسطبلات الخاصة والبريد والهجن. (زبدة كشف الممالك) ص ١٢٦

(٢) هذه المدرسة بيدان صلاح الدين تحت القلعة، وهي من مقابر العهدة الإسلامية، لا يصادفها بناء آخر في الشرق بأجمعه، فقد جمعت شتى الفنون فيها. ووصفها المقرئ بقوله « فلا يصرف في بلاد الإسلام معبد من معابد المسلمين يحاكي هذا الجامع وقبته التي لم يبن بديار مصر والشام والعراق والمغرب واليمن مثلاً، أنشأها السلطان حسن بن محمد بن قلاوون لتكون مسجداً ومدرسة للذهاب الأربعة وألحق بها مساكن للطلبة، وامتازت هذه المدرسة بضخامة عقد إيوانها الشرق الذي لا نظير له في العهدة الإسلامية. وكان البدء في إنشائها سنة ١٣٥٦٨٧٥٧ م وصرف عليها بسطاء عظيم، واحتفل بافتتاحها قبل الفراغ من بنائها وذلك في سنة ١٣٥٩٨٧٦٠ م. ورغم أن الأمير بشير الجدار قام بأعمال تكميلية في المدرسة بعد وفاة السلطان حسن سنة ١٣٦١٨٧٦٢ م فإن الكثير من زخامها وزخارفها لم يتم إلى الآن كما يبدو في المدخل العام. ٢٠

ويتوسط القبة قبر دفن فيه الشهيد أحمد بن السلطان حسن التوفى سنة ١٣٨٦٨٧٨٨ م. أما السلطان حسن فلم يدفن بها، ولم يعرف له قبر.

راجع تاريخها بإمهاب في تاريخ المساجد الأثرية ج ١ ص ١٦٥ — ١٨١.

فساء ظن السلطان به، ثم استدعى السلطان القضاة في يوم السبت ثانی صفر إلى بيت الأمير الكبير بيرس ليصلحوا بين إينال باى وبين يَشْبَك ورفقته، فلم يقع صالح بين الطائفتين، وتسور بعض أصحاب يَشْبَك على مدرسة السلطان حسن، فتحقق السلطان عند ذلك ما كان يظنه بيَشْبَك، ويحذره منه إينال باى وغيره، وأخذ كل أحد من الطائفتين في أهبة الحرب، والسلطان من جهة إينال باى، وأصبحوا جميعا يوم الأحد لابسين السلاح، وطلع أعيان الأمراء إلى السلطان، وهم الأنابك بيرس، والوالد، وبكتمر رأس نوبة الأمراء، وسودون الماردانى أمير مجلس، وأقبای حاجب الحجاب، وطوخ الخازندار في آخرين من مقدمى الألوף والطلبخانات والعشرات والماليك السلطانية.

- ١٠ وكان مع يَشْبَك من أمراء الألوף سبعة^(١)، وهم الأمير تَمراز الناصرى أمير سلاح، ويَلْبَغَا الناصرى، وإينال حطب العلائى، وقُطْلُوْبَغَا الكركى، وسودون الخزاوى رأس نوبة النوب، وطُولو، وحركس المصارع، وانضم معهم سعد الدين إبراهيم بن غراب الأستاذار، ومحمد بن سنقر البكجى، وناصر الدين محمد بن على ابن كلبك^(٢)، في جماعة من الأمراء والماليك السلطانية، وتجهز يَشْبَك للحرب، وأعد بأعلى مدرسة السلطان حسن مدافع النفط والمكاحل والأسهم الرمى على الإسطبل السلطانى وعلى من يقف تحته من الرميّة، واجتمع عليه خلائق، ونزل السلطان أيضا من القصر إلى الإسطبل السلطانى، وجلس بالمقعد واجتمع عليه أكابر أمراءه وخاصيته، ووقع القتال بين الطائفتين والحصار الرمى بالمدايع من بكرة يوم الأحد إلى ليلة الخميس سابعه، وقد ظهر أصحاب السلطان على الشبكية، وحصروهم والقتال مستمر بينهم، وأمر يَشْبَك في إداره، وحال السلطان في استظهار، إلى أن
- ٢٠

(١) في (ف): «سنة»، والترتيب الآتى يندفع ما أنبتنا كافي (م). (٢) في حاشية (م): «بك».

كانت ليلة الخميس المذكورة، فاتفق الأمير يشبك مع أصحابه، وركب نصف الليل، وخرج بمن معه من الأمراء من الرملة على حِمَّة، ومرتوا من تحت الطبلخاناه إلى جهة الشام، فلم يتبعهم أحد من السلطانية، ونودى بالقاهرة في آخر الليلة المذكورة بالأمان، ومنع أهل الفساد والزعر من النهب، ومرت يشبك بمن معه من الأمراء والمساكين إلى قَطِيَا، فتلقاه مشايخ عربان العائد بالتقادم، وسار إلى العريش وقد بلغ خبره إلى غزّة، فتلقاه نائب غزّة الأمير خير بك بعساكر غزّة، فدخلها يوم الأربعاء ثالث عشر صفر^(٢) ونزل بها.

ثم بعث الأمير طُولو إلى الأمير شيخ المحمدي نائب الشام يعلمه الخبر، وسار طُولو يريد دمشق حتى قدم دمشق يوم الأحد ثامن عشره، فخرج الأمير شيخ^(٣) إليه، وتلقاه وأعلمه طولو الخبر، فشق ذلك عليه، ووعدّه بالقيام بنُصرته ليشبك^(٤). وكان في ثامن عشر الشهر الخارج قدم الأمير دقاق المحمدي دمشق فأكرمه الأمير شيخ.

وخبر دقاق وسبب قدومه إلى دمشق، أنه لما فتر من حلب، وجمع التركان وأخذ حلب، وقدم الأمير دمرداش المحمدي نائب طرابلس عليه وقد ولي نيابة حلب بعد أن أطلق دمرداش وسُودون طاز وجَمَّ، وسار بهما من طرابلس إلى حلب لقتال التركان، وواقع التركان بعد أن قتل سودون طاز، فانكسر دمرداش، وملَّك جَمَّ حلب منه بعد أمور صدرت يطول شرحها، فكتب السلطان إلى دقاق يخبره في أي بلد يقيم؟ فأختار الشام، فقدمها.

(١) رواية صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٨٤ «عربان العائد بالشرقية».

(٢) في السلوك «ثالث عشر جمادى الأولى».

(٣) كذا في (ف) . ورواية (م) : « بنصرة يشبك » ، والمؤدّي واحد .

(٤) الخارج، أي « المنصرم » .

ولما بلغ الأمير شيخ ما وقع ليشبك بعث بالأمير الطنبغا حاجب الحجاب بدمشق والأمير شهاب الدين أحمد بن اليعمورى، وجماعة أخر من الأعيان إلى الأمير يشبك، ومعهم أربعة أحمال قماش ومال، وكتب شيخ على أيديهم مطالبات للأمير يشبك يرغبه في القدوم عليه، وأنه يقوم بنصرتة ويوافقه على غرضه .

- ٥ فلما بلغ يشبك ذلك رحل من غزّة في ليلة الاثنين خامس عشرينه ، بعد ما أقام بها ثلاثة عشر يوما، وأخذ ما كان بها من حواصل الأمراء وعدة خيول، وبعث إليه أهل الكرك^(١) والشوبك^(٢) بعدة تقاديم ، بعد ما كان عرض من معه من المقاتلة فكانوا ألفا وثلاثمائة وخمسة وعشرين فارسا، وتلقاه بعد مسيره من غزّة بمشاخ بلاد الساحل، وحمل إليه الأمير بكتمر جلق نائب صفد عدّة تقاديم - وقدم عليه ابن بشارة في عدّة من مشاخي العشير .

١٠

ثم جهز إليه الأمير شيخ نائب الشام جماعة لملاقاته طائفة بعد أخرى .
ثم خرج إليه شيخ المذكور من دمشق حتى وافاه ، فلما تقاربا ترجّل الأمير شيخ عن فرسه، فلما عاينه يشبك ترجّل هو وأصحابه وسلم عليه، ثم سلم على الأمراء وجلسا قليلا .

- ١٥ (١) الكرك : بلد مشهور، وله حصن منيع، وهو أحد المعاقل بالشام من جهة الحجاز، وتعرف برك الشوبك لقربها منها . (تقويم البلدان ٢٤٧) ، (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٥٥) .
(٢) الشوبك : بلدة صغيرة ذات عيون وجدول وبساتين وأشجار وفواكه مختلفة ، ولها قلعة مبنية بالحجر الأبيض على تل مرتفع أبيض مطل على الفسور من شرقيه ، (صبح الأعشى ج ٤ ص ١٥٧) .

٢٠

- (٣) رواية السلوك « عشرين » .
(٤) في السلوك « بلاد الساحل والجبل » .

ثم ركباً، وسار يَتَسَبَّكُ المذكور وقد ألبسه شيخ هو وجميع من معه من الأمراء الخلع بالطرز العريضة ، وعدتهم أحد وثلاثون أميراً من الطليحانات والعشرات سوى من تقدم ذكرهم من أمراء الألو ف ، ودخلوا [دمشق] ^(١) يوم الثلاثاء رابع شهر رجب .

ولما طال جلوسهم بدمشق سألهم الأمير شيخ عن خبرهم ، فأعلموه بما كان وذكروا له أنهم ممالك السلطان وفي طاعته ، لا يخرجون عنها أبداً ، غير أن إينال باي نقل عنهم للسلطان ما لا يقع منهم ، فتغير خاطر السلطان عليهم حتى وقع ما وقع وأنهم ما لم يُنصفوا منه ويعودوا لما كانوا عليه وإلا فأرض الله واسعة ، فوعدهم بخير ، وقام لهم بما يليق بهم ، حتى قبل إنه بلغت نفقته عليهم نحو مائتي ألف دينار مصرية . ثم كتب شيخ إلى السلطان يسأله في أمرهم .

وأما أمر السلطان الملك الناصر ، فإنه لما أصبح وقد أنهزم يَتَسَبَّكُ بمن معه إلى جهة الشام ، كتب بالإفراج عن الأمير سودون من زاده ، وتمريراً المشطوب ، وصرق وكتب [إلى الأمير توروز بالحضور إلى الديار المصرية ليستقر على عادته] وكتب للأمير جكم أماناً توجه به طغاي تمر مقدم البريدية .

ثم في ثامن عشره خلع على عدة من الأمراء بعدة وظائف ، فأخلع على سودون ^(٣) المارداني أمير مجلس باستقراره دوا دارا عوضاً عن يَتَسَبَّكُ الشعباني المقدم ذكره ، وعلى الأمير سودون ^(٣) الطيار الأمير آخور الثاني ، وأستقر أمير مجلس عوضاً عن سودون المارداني ، وعلى آقبای حاجب الحجاب باستقراره أمير سلاح عوضاً

(١) ساقطة من «ف» . (٢) الزيادة عن (٢) والسلوك .

(٣) رواية السلوك «المارداني» .

عن تيمراز الناصري ، وخلع على أبي كتم ، وأستقر في وظيفة نظر الجيش عوضا عن
أبن غراب ، وعلى ركن الدين عمر بن قايماز ، بأستقراره أستاذارا عوضا عن أبن
غراب أيضا .

ثم في تاسع عشره ، قدم سودون من زاده وتمربغا المشطوب وصُرق من بحرن
الإسكندرية وقبلوا الأرض بين يدي السلطان ونزلوا إلى دُورهم .

وفي حادى عشرينه خلع السلطان على الأمير يَشَبَك بن أزدَمَر بأستقراره
رأس نوبة التَّوب عوضا عن سودون الحزواى .

ثم أُلزم السلطان مباشرى الأمراء المتوجهين إلى الشام بجال ، فقزر على موجود
الأمير يَشَبَك مائة ألف دينار ، وعلى موجود تماراز مائة ألف دينار ، وعلى موجود
سودون الحزواى ثلاثين ألف دينار ، وعلى موجود قُطْلُوبُغا الكركى عشرين ألف
دينار ، ورسم السلطان أن يكون الدينار بمائة درهم ، ثم أفتقد السلطان المالِك
السلطانية ممن توجه مع الأمير يَشَبَك فكانوا مائتى مملوك .

ثم قدم الخبَر على السلطان أن الأمير تَوروز قدم إلى دمشق من قلعة
الصُّبَيْيَّة ، فلقاه الأمير شيخ وأكرمه ، وضربت البشائر لقدمه بدمشق ، فمظَّم
ذلك على السلطان .

ثم في يوم الثلاثاء رابع شهر رجب طلب السلطان جمال الدين يوسف البيرى
أستاذار بجاس وأخلع عليه بأستقراره أستاذاراً عوضا عن أبن قايماز ، بعد مارسم على
جمال الدين المذكور في بيت شاذ الدواوين محمد بن الطبلواى يوما وليلة ، وأستمر
يتحدث في استدارية الأتابك ببيرس فإنه كان خدم عنده ليحميه من الوزر
والأستدارية ، فلم ينهض ببيرس بذلك .

(١) في السلوك : « الى قلعة الجبل » . (٢) رواية (٣) « النواب » ؛ وهو خطأ .

- ثم قدم الخبر بأن الأمير شيخا أفرج عن قرايوسف .
- وأما خبر جكم مع دمرداش وكيف ملك منه حلب ، وقد قدمنا ذكر ذلك مجملا من غير تفصيل ، فإن جكم لما أطلقه دمرداش وأخذه صحبته إلى حلب ، وقاتل معه التركان ووقع لها أمور حاصلها أن جكم تخوف من دمرداش وفتر منه إلى جهة التركان ، وانضم عليه سودون الجلب بعد مجيئه من بلاد الأفرنج ، والأمير جق نائب الكرك كان وغيره من المخامرين .
- ثم وافقه ابن صاحب الباز أمير التركان بتركانه ، فعاد جكم وقاتل دمرداش ، ووقع بينهما أمور وحروب إلى أن ملك جكم طرابلس ، وأرسل إليه الأمير شيخ نائب الشام ، والأمير يشبك ورفقته يستميلونه ليقدم عليهم دمشق ويوافقهم على قتال المصريين ، فأجابهم إلى ذلك ، وخرج من طرابلس كأنه يريد التوجه إلى دمشق .
- فلما وصل حماة أخذ نائبها الأمير علان بمن انضم عليه وتوجه بهم إلى دمرداش وقاتله حتى هزمه وأخذ منه مدينة حلب ، وفتر دمرداش بجاعة من أسراء حلب إلى بلاد التركان .
- ولما ملك جكم حلب أنعم بوجود دمرداش على علان نائب حماة ، وأقره على نيابة حماة على عادته ، فصار مع جكم حلب وطرابلس وحماة ، وأخذ يسير مع الرعية أحسن سيرة ، فأحبه الناس وجرى على ألسنتهم «جكم حك ، وما ظلم» واستمر جكم بحلب إلى أن أرسل إليه الأمير شيخ نائب الشام الأمير سودون الحمزاوي ، والأمير سودون الظريف ، فتوجها إلى جكم على أنه بطرابلس .
- ثم أرسل الأمير شيخ الأمير شرف الدين موسى الهيدباني^(١) حاجب دمشق إلى حلب رسولا إلى دمرداش يستدعيه إلى موافقته هو ومن عنده من الأمراء .

(١) بحاشية (م) «الهذباني» وفي السلوك «الهذباني» .

وكان قد ورد كتاب دمرداش على شيخ ويشبك أنه معهما^(١)، ومتى دعواه حضر إليهما^(٢) فهذا ما كان من أمر حكم، وبقية خبر قدومه يأتي إن شاء الله تعالى فيما بعد.

ثم إن الأمير شيخا نائب الشام عين جماعة من الأمراء ليتوجهوا لأخذ صفد، فخرج الأمير تمتاز الناصري أمير سلاح، والأمير جاركس القاسمي المصارع، والأمير

سودون الظريف بعد عوده من طرابلس^(٣)، وساروا بمسكرهم^(٤) لأخذ صفد من بكتمر جلق. بحيلة أنهم يسرون إلى جيشار الأمير بكتمر جلق كأنهم يأخذوه

فإذا أقبل عليهم بكتمر ليدفعهم عن جيشاره قاطعوا عليه وأخذوا مدينة صفد منه،

فتيقظ بكتمر لذلك وترك لهم الجيشار، فساقوه من غير أن يتحرك بكتمر من المدينة وعادوا إلى دمشق وأخبروا الأمراء بذلك، فاستعد شيخ لأخذ صفد وعمل ثلاثين^(٥)

مدفعا وعدة مكاحل ومنجنيقين، وجمع الحجارين والنقارين وآلات الحصار، ونخرج

من دمشق يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان ومعه جمع كبير من عسكر مصر والشام من جملتهم قرا يوسف بجاعته، وجماعة السلطان أحمد بن أويس [متملك بغداد]^(٦)

وجماعة من التركبان الجشارية، وأحمد بن بشارة بعشراته^(٧) وعيسى بن الكابولي بعشراته، ونادى شيخ بدمشق قبل خروجه منها : من أراد النهب والكسب فعليه

١٥ (١) رواية (ف) «معهم ومتى دعوه» . (٢) رواية (ف) «حضر إليهم» .

(٣) رواية (م) «وساروا بمسكرهم» . (٤) الجيشار : مرج الخيل .

(٥) رواية (م) «إليهم» . (٦) رواية (ف) «ثلاثون» . (٧) الزيادة عن السلوك .

(٨) كذا في الأصلين . وفي حاشية م «بعشراته» : ورواية السلوك «بعشرته» . وقد سبق التعليق

عليه في ص ١٦ من هذا الجزء بأن العشير هو المعاشر، وهم الجند المرتزة؛ وفي ص ٢٠١ من هذا

الجزء بأن العشير بدو الشام والدروز، وزى المقرئ في السلوك يذكر في حوادث سنة ٨٠٧ أن

الطنبا العثماني لما ولي صفد استدعى عشرين صفد وعربانها؛ وهذا يفيد أن العشران طائفة غير العربان .

وسياق بقية الحوادث يفيد أن للعشير مشايخ .

(١) بمصر ، فاجتمع عليه خلائق ، وسار معه مائة جمل تحمل مكاحل ومدافع وآلات الحصار ، وولى الأمير الطنبغا العثاني نيابة صفد كما كان أولا ، وسار شيخ بمن معه من العساكر حتى وافى مدينة صفد ، فأرسل شيخ بالأمير علان إلى بكتمر جلق يكلمه في تسليم مدينة صفد ، فلم يذعن إليه بكتمر وأبى إلا قتاله ، وقال : ماله عندي إلا السيف ؛ فحينئذ ركب شيخ ويشبك بمن معهما وأحاطا بقلعة صفد ، وحصرها من جميع جهاتها ، وقد حصنها بكتمر وشحنها بالرجال ، وقام يقاتل شيخا أتم قتال فاستمر الحرب بينهم أياما كثيرة نزع فيها من أصحاب شيخ نحو ثلاثمائة رجل ، وقتل أزيد من خمسين نفسا .

وبينا هم في قتال صفد إذ ورد عليهم الخبر بقدم جكم إلى دمشق ، ففرحوا بذلك ، ولم يمكنهم العود إلى دمشق إلا عن قيصل من أمر صفد .

وكان خروج جكم من حلب في حادى عشر شهر رمضان ، وسار حتى قدم دمشق ، وقد حضر إليه شاهين دوادار الأمير شيخ يستدعيه ، فإن شيخا كان أرسله إليه قبل خروجه إلى صفد بعد عود سودون الحزاوى وسودون الظريف من طرابلس ، وقبل خروج جكم من حلب سلم قلعتها إلى الأمير شرف الدين موسى ابن يلدق ، وعمل تجابا وأرباب وظائف ، وعزم على أنه يتسلطن ويتلقب بالملك العادل .

(١) رواية السلوك « بصفد » . (٢) قلعة صفد : وصفها أبو الفدا بأنها ذات بناء جيد متين ، وهى مشرفة على بحيرة طبرية ، وذكرها المرحوم كرد على ضمن القلاع المشهورة وقال : « وهى تاطح السحاب بملوها » وتنبه الجبال بمناحتها ، (خطط الشام ج ٥ : ٢٩٤) .
(٣) ورد فى م « وقام يقاتل شيخا قيام قتال » وبالحاشية « أتم قتال » .

ثم بدا له تأخير ذلك ، وقدم دمشق لمرافقة شيخ ويشبك ومن معهما ، ووصل إلى دمشق ومعه الأمير قاني باي وتفرى بردى القُجقاري وجماعة كبيرة ، فخرج من دمشق من أمراء مصر والشام جميعهم إلى لقائه ، وأُتزل بالميدان ، فسلم جُكَم على الأمراء سلام السلاطين على الأمراء ، وأخذ يترفع عليهم ترفعا زائدا أوجب تنكرهم عليه في الباطن ، إلا أن الضرورة قادتهم إلى الانقياد إليه ، فأكرموه على رغبتهم ، وأُتزلوه وكنموا في القيام معهم ، فأجاب ، وأمرهم أن يكتبوا ليشبك وشيخ بقدمه إلى دمشق ، فكتبوا إلى يشبك وشيخ بذلك ، وأخذ جُكَم في إظهار شعار السلطنة مع خدمه وأصحابه ، فشق على الأمراء ذلك ، وما زالوا به بالملاطفة حتى ترك ذلك إلى وقته ، وأقام معهم بدمشق إلى ليلة الأحد سابع عشرين شهر رمضان من سنة سبع وثمانمائة المذكورة ، فخرج من دمشق وتوجه مخفا إلى طرابلس ليجمع عساكر طرابلس ، وترك ثقله ^(١) بدمشق ، وورد عليه الخبر أن دمر داش لما فر منه ركب البحر وتوجه إلى دمياط .

ثم قدم إلى مصر في رابع عشرين شهر رمضان المذكور فهدأ سرُّ جُكَم بذلك عن أمر حلب .

وأما يشبك وشيخ بن معهما من الأمراء والعساكر لما طال عليهم القتال على مدينة صفد ، وعجزوا عن أخذها ، تكلموا في الصلح مع بكتمر حتى تم لهم ذلك ، واصطلحوا وتحالفوا ، ونزل إليهم بكتمر جائق في يوم الاثنين حادي عشرين شهر رمضان بعد أن كانت مدة القتال بينهم ^(٢) [على صفد] اثنين وعشرين يوما ، وعاد شيخ إلى دمشق وهو مجروح ، ويشبك الشعباني وهو مجروح أيضا ، وچاركس المصارع وهو مجروح .

(٢) الزيادة عن (م) .

(١) رواية السلوك « أنفاله » .

وأما عساكرهم فغالبهم أنمخته الجراح ، فعندما أقاموا بدمشق قدم عليهم
الأمير جكم من طرابلس بعد أن أرسلوا يستحثونه على سرعة المجيء إليهم غير مرة
فخرجوا لتلقيه وسلموا عليه ، وعادوا به إلى دمشق وهما في غاية الخلق من جكم ،
وهو أنه لما وافاهما جكم ترحل إليه الأمير يشبك عن فرسه إلى الأرض ، وسلم عليه
فلم يعبأ به جكم ، ولا التفت إليه ، لأنه كان غريمه فيما تقدم ذكره ، فشق ذلك على
الأمير شيخ ، ولأم يشبك على ترحله .

ثم عتب شيخ جكم على ما وقع منه في عدم إنصاف يشبك ، ونزل جكم بالميدان
وجلس في صدر المجلس ، وجلس يشبك عن يمينه ، وشيخ عن يساره ، فكاد شيخ
ويشبك أن يهلكا في الباطن ، ولم يسمعهما إلا الإذعان لتأم أمرهما .

ثم أمرهم جكم ألا يفعلوا شيئا إلا بمشاورته ، فاتفقوا على منع الدعاء للسلطان
الملك الناصر فرج بمنابر دمشق ، فوقع ذلك للخطباء ، وذكروا اسم الخليفة
في الخطبة فقط .

وكان الأمير شيخ قبل قدوم جكم إلى دمشق أفرج عن السلطان أحمد بن أويس
صاحب بغداد من سجن دمشق ، وأنعم عليه بمائة ألف درهم فضة وثلاثمائة فرس .

وأنعم أيضا على قرا يوسف بمائة ألف وثلاثمائة^(٣) فرس ، وأخرج عدة كبيرة
من أمراء مصر إلى جهة غزة [بعد أن حمل إلى كل منهم مائة ألف درهم
فضة^(٤)] وهم : الأمير تمتاز الناصري ، وابنه الأمير سودون بقجة ، وسودون الحزاوي ،

(١) رواية (م) « ثم نزل » . (٢) رواية (م) « فوقع ذلك وذكروا الخطباء اسم الخليفة » .

(٣) رواية (م) « وأنعم أيضا على قرا يوسف بمائة ألف درهم وثلاثمائة فرس » .

(٤) هذه الزيادة غير موجودة في (م) . (٥) بقجة كذا في الأصلين ؛ وفي البلوك : « نجة » .

ويلبغا الناصرى ، وإينال حطب ، وچاركس المصارع بعد أن حمل شيخ أيضا إلى كل منهم مائة ألف درهم فضة ، ولم يتأخر بدمشق من أعيان الأمراء إلا الأمير يشبك الدوادار والأمير شيخ نائب الشام ، وأقاما في انتظار الأمير جكم [حتى قدم عليهما جكم^(١)] حسبما تقدم ذكره ، وبعد قدوم جكم أجمعوا على المسير إلى جهة مصر ، وبرزوا بالخيام إلى قبة يلبغا في يوم رابع عشر ذى القعدة .

ثم خرج الأمير شيخ والأمير يشبك وقرا يوسف من دمشق في يوم عشرينه^(٢) وساروا إلى الحربة فافترقوا منها^(٣) . فتوجه يشبك وقرا يوسف إلى صفد لقتال نائبها بكتمر جلق ثانيا ، فإنه بلغهم أنه مستمر على طاعة السلطان . وتوجه شيخ إلى قلعة الصبيية وبها ذخائره وحريمه .

- ١٠ فلما بلغ بكتمر جلق بجى ، العسكر لقتاله استعد هو أيضا لقتالهم ، وقد قوى قلبه ، فإنه بلغه أن علان نائب حماة دخل في طاعة السلطان وخالف الأمراء ، وكذلك شيخ السليمانى المسرطن نائب طرابلس ، فإنه دخل في طاعة السلطان ، واستولى على طرابلس واستفحل أمره ، وأن الأمير شيخا السليمانى نائب طرابلس بعد أخذ طرابلس قدم عليه البريد بولاية^(٤) قانى باى على طرابلس ، فخرج منها شيخ السليمانى إلى حماة ، فأشار عليه علان نائب حماة أنه لا يسلم طرابلس لقانى باى حتى يراجع السلطان ويعلمه بما يترتب على عزله من الفساد ، فعاد شيخ إلى طرابلس ، فبهذه الأخبار ثبت بكتمر جلق على طاعة السلطان وقتال الأمراء .

(١) الزيادة عن (م) .

(٢) رواية (م) « عشرين ذى القعدة » .

(٣) الحربة : أرض ذات وديان بالشام (معجم البلدان ج ٣ : ٤١٤) .

(٤) رواية (م) « نيابة » .

ولما قارب يشبك، وقرا يوسف صفد أخرج بكتمر كشافته بين يديه، ونزل
جسرىعقوب، فالتقى كشافته بأصحاب يشبك وقرا يوسف، فاقتتلوا قتالا شديدا ظهر
فيه الصفديون^(٣)، وأخذوا من الشاميين عشرة أفراس، فعاد يشبك وقرا يوسف
إلى طبرية^(٤)، ونزلوا بها حتى قدم عليهم الأمير شيخ نائب الشام.

ثم ساروا جميعا إلى غزة، وقد تقدمهم الأمير جكم ونزل على الرملة^(٥).

وأما أمراء الديار المصرية فإن السلطان الملك الناصر لما تحقق اتفاق الأمير
شيخ المحمودى نائب الشام مع يشبك ورفقته، وبلغه أخبارهم مفصلا، استشار
الأمراء في أسرهم فأجمعوا على خروج السلطان لقتالهم، فتجهز السلطان، وعاقب جاليش
السفر في ثانی ذی القعدة بالطلبخانة السلطانية على العادة^(٦).

ثم أفق في رابعه على الممالك السلطانية على كل مملوك خمسة آلاف درهم.

وكان صرف الذهب يوم ذاك مائة درهم المثقال، فصرف لكل واحد منهم
تسعة^(٧) وأربعين مثقالا، واحتاج السلطان في النفقة المذكورة حتى اقترض من مال
أيتام الأمير قلمطای الدوادار عشرة آلاف مثقال، ورهن عندهم جوهرها، وجعل
كسب ذلك ألف دينار ومائتي دينار، وأخذ منهم أيضا نحو ستة عشر ألف مثقال
وباعهم بها بلدة من أعمال الجيزة تسمى البراجيل^(٨)، وأخذ من [تركة^(٩)] التاجر برهان

(١) الكشافة : فرقة من الجند تتقدم لكشف الطريق والعدو.

(٢) جسرىعقوب : منزلة من صفد. (٣) رواية (م) « ظهر فيه كشافة صفد ».

(٤) طبرية : مدينة بفلسطين كانت قاعدة الأردن، وهي على بحيرة تسب إليها، وعندها حصلت
واقعة حطين بين الصليبيين وصلاح الدين، وهي مشهورة بمحاماتها.

(٥) الرملة : مدينة عظيمة بفلسطين، كانت رباطا للسلبيين، وبها الجامع الأبيض المشهور بمنازته.

(٦) الطلخانة : الموسيقى السلطانية. (٧) رواية (م) « خمسة ».

(٨) البراجيل : بلدة تابعة لمركز امبابية مديرية الجيزة. (٩) الزيادة عن السلوك.

الدين المحلى وغيره مالا كثيرا، ووزع له قاضى القضاة شمس الدين الأخنائى الشافعى خمسمائة ألف درهم على تركات خارجة عن المودع ، وكانت نفقة السلطان على خمسة آلاف مملوك .

- ثم عزل السلطان الأخنائى عن قضاء الشافعية بقاضى القضاة جلال الدين عبد الرحمن البلقينى ، وعزل ابن خلدون بقاضى القضاة جمال الدين يوسف البساطى المالكى .

ثم قدم الخبر على السلطان بتزول الأمراء على مدينة غزة ، وأخذهم الإقامة^(٢) المجهزة للعساكر السلطانية .

- وكانت غزة قد غلبها الأسعار لقلّة الأمطار ، وبلغت الوية الفصح مائة وعشرين درهما ، فعند ذلك جد السلطان الملك الناصر فى حركة السفر، والاستعداد للحرب .

وأما أمر الأمراء فإنه خرج جالishهم من مدينة غزة إلى جهة الديار المصرية فى يوم الأحد ثانى ذى الحجة .

- ثم سار من الغد الأمير شيخ ويشبك وجكم ببيعة عساكرهم ، واستنابوا بغزة الأمير الطنبغا العثمانى .

ثم قدم الخبر على جناح الطير من بلّيس بتزول الأمراء على قَطّيا ، فكثرت حركات العسكر بالقاهرة ، ونجرت مدوّرة السلطان^(٣) إلى الرّيدانية خارج القاهرة ، واختبط العسكر واضطرب لسرعة السفر .

(١) رواية (م) «قضاة» . (٢) الإقامة ، جمع إقامة : وهى ما يلزم العساكر من مؤونة وعلف .

(٣) مدوّرة السلطان : خيمته الكبيرة الخاصة به ، وهى غير مدوّرته التى تقام فى الحفلات ، وهى
المدوّرة .

ثم ركب السلطان من قلعة الجبل بأمرائه وعساكره في يوم السبت ثامن ذى الحجة من سنة سبع وثمانمائة ، وسار حتى نزل بالريدانية خارج القاهرة ، وبات بها ، وقد أقام من الأمراء بباب السلسلة بكتمر الركني رأس نوبة الأمراء وجماعة أخر بالقاهرة .

٥ وبينما السلطان بالريدانية ورد عليه الخبر بنزول الأمراء بالصالحية في يوم التروية وأخذوا ما كان بها من الإقامات السلطانية ، فرحل السلطان من الريدانية في يوم الأحد تاسعه ، ونزل العكرشة^(١) ، ثم سار منها ليلا ، وأصبح ببليس وضعى بها ، وأقام عليها يومى الاثنين والثلاثاء ، ورحل من مدينة بليس بكرة نهار الأربعاء ، ونزل على منزلة السعيدية ، فاتاه كتب الأمراء الثلاثة ، وهم : جكم ، وشيخ ، ويشبك بألف سبب حركتهم ما جرى بين الأمير يشبك وبين إينال باى بن جلماس ، وطلبوا منه أن يخرج إينال باى المذكور ودمرداش المحمدي نائب حلب من مصر ، وأن يعطى لكل من يشبك وجكم وشيخ ومن معهم بمصر والشام ما يليق بهم من النيايات والإقطاعات لتخمد هذه الفتنة باستمرارهم على الطاعة ، ولحقن^(٢) الدماء ويعمر بذلك ملك السلطان ، وإن لم يكن ذلك تلفت أرواح كثيرة ، ونزبت بيوت عديدة .

١٥ وكانوا أرادوا هذه المكتبة من الشام ، ولكن خشوا أن يُظنَّ بهم العجز ، فإنه مامنهم إلا من جعل الموت نصب عينيه ، فلم يلتفت السلطان إلى ذلك ، ولم يأمر

(١) العكرشة : بلدة تابعة لشين القناطر . وقيل : إنها المكان الذى التقى فيه يوسف الصديق مع أبيه ؛ وفيها استقبل الظاهر برفوق والده عند قدومه إلى مصر .

(٢) السعيدية سبق التعليق عليها بالخاشية رقم ١ ص ٢٥٢ ج ٨ وأنها اندثرت ومكانها اليوم عزبة الشيخ قطر حنفي وآخرين الواقعة على فم ترعة السعيدية المتسدة بأراخى ناحية العباسية مركز الزقازيق . وإلى هذه القرية تنسب ترعة السعيدية .

(٣) رواية (م) « يحقن » .

بكتابة جواب لهم ، وكان ذلك مكيدة من الأمراء حتى كبسوا على السلطان في ليلة الخميس وهم في نحو ثلاثة آلاف فارس وأربعمائة تركاني من أصحاب قرا يوسف .
وبينا السلطان على منزلة السعيدية ورد الخبر على الوالد من بعض أصحابه ممن هو محبة الأمراء ، أن الأمراء اتفقوا على تبيت السلطان والكبس عليه في هذه الليلة ، فأعلم الوالد السلطان وحرّضه على الركوب بعساكره من وقته ، فقال إليه السلطان ، فأخذ الأمير بيفوت وغيره يستبعد ذلك ، ولا زالوا بالسلطان حتى فرغ عزمه عن الركوب ، فعاد الوالد إلى وطاقه^(١) ، وأمر جميع مماليكه بالركوب بألة الحرب .

- وبينا هو في ذلك إذ ثارت غبرة عظيمة وهجة في الناس ، وقبل أن يسأل السلطان عن الخبر طرده الأمراء على حين غفلة ، فركب السلطان في الليل بمن معه واقتل الفريقان قتالا شديدا من بعد عشاء الآخرة إلى بعد نصف الليل ، جرح فيه جماعة كثيرة من الطائفتين ، وقتل الأمير صُرُق الظاهري صبرا بين يدي الأمير شبيخ المحمودي نائب الشام ، لأن السلطان كان ولاء عوضه نائب الشام ، وانهزم السلطان وركب وسار عائدا على الهُجْن إلى جهة الديار المصرية ، ومعه سودون الطيار وسودون الأشقر ، وساقوا إلى أن وصلوا إلى القلعة ، وتفرقت العساكر السلطانية وانهزموا وتركوا أنفأهم وخيامهم ، وسائر أموالهم غنمها الشاميون ، ووقع في قبضة الأمراء من المصريين الخليفة والقضاة ، والأمير شاهين الأفرم ، والأمير خيربك نائب غزة ، ونحو ثلاثمائة مملوك من الممالك السلطانية وغيرهم ، وقدم المنهزمون من السلطانية إلى القاهرة في يوم الخميس ثالث عشر ذي الحجة ، ولم يحضر السلطان

(١) الوطاق : محرف عن أوتاق ، وهو بالتركية : الخيمة الكبيرة التي تعد للفظاء .

(٢) رواية (م) « وساق » .

ولا الأمراء الكبار ، فكثرت الإرجاف وماج الناس ، وانهت عدة حوانيت حتى قدم السلطان قريب العصر ومعه الأمراء ، وقد قاسى من [مر^(١)] العطش والتعب مالا يوصف ، فسر الناس بقدمه ، وطلع إليه الأمراء والعساكر وباتوا تلك الليلة ، وأصبح السلطان يتبأ للقاء الأمراء ، وقبض على يلبغا السالمى وسلمه لجمال الدين البيرى - الأستاذار ، فعاقبه وصادره ، وشرع أمر السلطان كل يوم في زيادة لعدم قدوم العسكر الشامى إلى القاهرة .

فلما كان آخر نهار الأحد نزلت الأمراء بالريدانية خارج القاهرة .

ثم أصبحوا في بكرة نهار الاثنين ركبوا وزحفوا على القاهرة ، فأغلقت أبواب المدينة وتمطلت الأسواق عن المعاش ، ومشوا حتى وصلوا قريبا من دار الضيافة بالقرب من قلعة الجبل ، فقاتلهم السلطانية من بكرة نهار الاثنين المذكور إلى بعد الظهر ، فلما أذن الظهر أقبل جماعة كثيرة من الأمراء إلى جهة السلطان طائعين : منهم الأمير يلبغا الناصرى ، وآسنباى أمير ميسرة الشام المعروف بالتركانى ، وسودون اليوسفى ، وإينال حطب ، وجمى ، فلما وقع ذلك اختل أمر الأمراء ، وعزم جماعة منهم على العود إلى البلاد الشامية لحمل ما خف من أثقاله وعاد ، وفعل ذلك جماعة كبيرة بعد أن أفرج شيخ عن الخليفة والقضاة وغيرهم ، فتسلل عند ذلك الأمير يشبك الشعبانى الدوادار ، والأمير تميزاز الناصرى أمير سلاح ، والأمير جاركس القاسمى المصارع ، والأمير قطلوبغا الكرعى في جماعة آخر ، واختفوا بالقاهرة وظواهرها . فلما وقع ذلك ولى الأمير جكم والأمير شيخ والأمير طولو وقرأ يوسف في طائفة يسيرة ، وقصدوا البلاد الشامية ، فلم يتبعهم أحد من عسكر السلطان .

(١) هذه الزيادة غير واردة في (م) .

(٢) دار الضيافة : سبق التعليق عليها بصحيفة ٢٠١ ج ١١

ثم نادى السلطان بالأمان لكل أحد، فطلع إليه جماعة، فقبض عليهم وقيدهم وبعث بهم إلى بحرن الإسكندرية، ونحمت الفتنة، وانجلى^(١) هذه الواقعة عن إلتلاف مال كثير من العسكرين، ذهب فيها من الخيل والبغال والجمال والسلاح والثياب ما لا يدخل تحت حصر من غير فائدة .

ثم أخذ الملك الناصر في تمهيد أمور دولته وإصلاح الدولة والمفرد، فقبض على صاحب تاج الدين بن البقرى، وسلمه لجمال الدين الأستاذار، واستقرَّ عوضه في الوزارة لغير الدين ماجد بن غراب .

وكان أخوه سعد الدين إبراهيم بن غراب مع العسكر الشامى، فلما قدم معهم اختفى بالقاهرة، ثم ترمى على الأمير اينال باى بن قحطاس، فجمع بينه وبين السلطان ليلا، ووعد به بستان ألف دينار .

وأصبح يوم الأربعاء تاسع عشر ذى الحجة طلع سعد الدين بن غراب إلى القلعة فخلع عليه السلطان وجعله مشيرا .

ثم فى ثالث عشرينه خلع السلطان على الأمير نوروز الحافظى، وكان ممن قدم مع العسكر، باستقراره فى نياحة دمشق عوضا عن الأمير شيخ المحمودى، وعلى بكتمر جلق بآستقراره على نياحة صفد، وعلى سلامش حاجب غزّة بنياحة غزّة .

وأما جكم وشيخ فإنهما قدما غزّة فى نحو خمسمائة فارس أكثرهم من التركمان أصحاب قرا يوسف، وقد غنموا شيئا كثيرا، وتفرقت عساكر شيخ، وتلفت أمواله وخيوله، ومضى إلى دمشق، فخرج إليه الأمير بكتمر جلق والأمير شيخ السليمانى المسرطن نائب طرابلس، فهرب منهما، فتنبعا إلى عقبة فيق، ففجأ بنفسه

(١) رواية : « م » وأجلت .

(٢) عقبة فيق : يخدر منها إلى غور الأردن، ومنها يشرف على طبرية وبحيرتها؛ وفيق : مدينة بالشام بين دمشق وطبرية (معجم البلدان ج ٦ ص ٤١٣) .

فلم يدركاه ، ودخل دمشق وهو في أسوأ حال ، فوجد السلطان أحمد بن أويس صاحب بغداد قد فر من دمشق إلى جهة بلاده في ليلة الأحد سادس عشر ذى الحجة ، وكان قد تأخر بدمشق ولم يتوجه إلى نحو الديار المصرية محبة الأمراء . ثم إن شيخاً أوقع الحوطة على بيوت الأمراء الذين خامروا عليه وتوجهوا إلى مصر ، وأخذ في إصلاح أمره ولم شَعْنِهِ .

وأما جكم فإنه لما فارق حلب كان^(١) بها عدة من أمرائها ، ورفعوا سنجق^(٢) السلطان بقلعة حلب ، فاجتمع إليهم العسكر ، خلف بعضهم لبعض على طاعة السلطان وقدم ابننا شهدى الحاجب ونائب القلعة من عند التركمان البيضاء إلى حلب ، وقام بتسيير أمور حلب الأمير يونس الحافظي ، وامتدت أيدي عرب العجل ابن نعيم وتراكين ابن صاحب الباز إلى معاملة حلب ، فقسموها ، ولم يدعوا لأحد من الأمراء والأجناد شيئاً ، كل ذلك قبل قدوم جكم إليها من مصر .

وأما السلطان فإنه رسم في أواخر ذى الحجة بانتقال الأمير علان اليعياوى نائب حماة إلى نيابة حلب عوضاً عن جكم ، وحمل إليه التقليد والتشريف الأمير اينال الخازندار ، واستقر الأمير دقاق المحمدي في نيابة حماة عوضاً عن علان المذكور ، واستقر الأمير بكتمر جلق نائب صفد في نيابة طرابلس عوضاً عن شيخ السليمانى المسرطن ، وتوجه بتقليده الأمير جرباش العمرى ، واستقر عوضه في نيابة صفد الأمير بكتمر الركنى رأس نوبة الأمراء درجة إلى أسفل .

ثم في ثالث المحرم سنة ثمان وثمانمائة قدم بهشر الحاج وأخبر بأنه كان أشيع بمكة المشرفة قدوم تيمور لك إليها ، فاستعد صاحب مكة لذلك ، فلم يصح ما أشيع .

ثم قدم رسل الأمير شيخ نائب الشام إلى السلطان بديار مصر، وهم شهاب الدين أحمد بن حجي أحد خلفاء الحكم بدمشق، والشريف ناصر الدين محمد بن علي نقيب الأشراف، والشيخ المعتقد محمد بن قويدار، والأمير بلبغا المنجكي، ومعهم كتبه تتضمن الترقق والاعتذار عما وقع منه، وتسأل استقراره على عادته في نيابة دمشق، فلم يلتفت السلطان إلى قوله، ومنع رسله من الاجتماع بأحد .

ثم في رابع عشرين المحرم سار الأمير نوروز الحافظي إلى نيابة دمشق وخرج الأمراء لوداعه، ونزل بالريدانية ومعه متسفره الأمير ^(١) برد بك الخازندار .

ثم وقعت الوحشة بين السلطان وبين الأمير إينال باي بن بقماس الأمير آخور، فقبض السلطان في يوم الاثنين سادس صفر على الأمير يشبك بن أزدرمر رأس نوبة النوب، وعلى الأمير تمر، وعلى الأمير سودون، وهما من إخوة سودون طاز، فاخفى الأمير إينال باي أمير آخور ومعه الأمير سودون الجلب، وأحاط السلطان بدورهم، ثم قيد الأمراء وأرسلهم إلى سجن الإسكندرية .

وأما إينال باي فإنه دار على جماعة من الأمراء ليركبوا معه، فلم يؤهله أحد لذلك، فأخفى إلى يوم الجمعة عاشره، وطام به الأتابك بيبرس إلى القلعة، فكثر الكلام بين الأمراء حتى آل الأمر إلى مسك إينال باي وإرساله إلى نغر دمياط بطلا .

ثم في خامس عشرين صفر فوق السلطان إقطاعات الأمراء المسوكين، فأنهم بإقطاع إينال باي على الوالد، وزاده إمرة طلبخاناه، وأنهم بإقطاع الوالد على الأمير دمرداش المحمدي نائب حلب كان، وبإقطاع دمرداش على الأمير أزيك الإبراهيمي .

وجميع هذه الإقطاعات تقادِم ألف ، لكن شيئا أحسن من شيء في كثرة
المفل .

وأنعم على الأمير بيبس الصغير الدوادار بتقدمة ألف قبل أن تكمل لحيته،
وعلى الأمير بشباى الحاجب بتقدمة ألف ، وعلى الأمير علان بتقدمة ألف ،
وعلى الأمير قراجا بإمرة عشرين ، وأنعم بطبلخانات سودون الجلب على الأمير
يتمش الشعباني .

ثم أخلع على الأمير جرباش الشيخى رأس نوبة ثاني بأستقراره أمير آخورا كبيرا
عوضا عن إينال باي .

وأما الأمير شيخ فإنه توجه صحبة الأمير حكيم وقرابوسف لحرب نعيم .

ثم اختلفوا ، فمضى حكيم إلى طرابلس ، وتوجه قرا يوسف إلى جهة الشرق عائدا
إلى بلاده ، وعاد الأمير شيخ من البقاع ونزل سطح المزة^(١) ومعه خواصه فقط .

ثم توجه إلى الصبيبة هاربا من نوروز الحافظي ، فدخل نوروز إلى دمشق
في يوم الثلاثاء ثاني عشرين صفر من غير مدافع لضعف الأمير شيخ عن
مقاومته وقتاله .

وأما السلطان ، فإنه أخلع على الأمير بشباى الحاجب بأستقراره رأس نوبة
النوب عوضا عن يشبك بن أزدمر ، وأخلع على الأمير أرسطاي بأستقراره حاجب
الجباب بعد بشباى .

(١) المزة : قرية كبيرة غناء في أعلى الغوطة في سفح الجبل من أعلى دمشق ، وقد سبق التعليق عليها

بالحاشية رقم ٢ ص ١١٠ - ٨

(٢) الصبيبة : اسم لقعة بانياس ، وهي من الحصون المنيع . هذا ما ورد في التعليق عليها بالحاشية

رقم ٢ ص ٢٨١ - ٦

ثم في يوم الثلاثاء وقع بالديار المصرية فتنة ، وكثر الكلام بين الأمراء إلى أن
 أنفق جماعة من الممالك الجركسية وسألوا السلطان القبض على الوالد وعلى الأمير
 دمرداش المحمدي ، وعلى الأمير أرغون من بشبغا وجماعة آخر من كون السلطان
 اختص بهم ، وتزوج بكرميتي على كره من الوالد ، وكونه أيضا أعرض عن الجراكسة
 وأمسك لينال باي ، فخافوا أن تقوى شوكة هؤلاء عليهم ، واتفقوا واجتمعوا
 على الاتابك بيبرس ، وتأنروا عن الخدمة السلطانية ، وكثر كلام القوم في ذلك
 إلى أن طلب السلطان الأمراء واستشارهم فيما يفعل ، فقال له دمرداش :
 المصلحة [تقتضى] قتالهم^(١) ، وأنا كف هؤلاء الجراكسة ، والسلطان لا يتحرك من مجلسه
 فنهروا الوالد وقال له ما معناه : نقاتل من ؟ نقاتل خشداشيتك^(٢) ، كلنا ممالك السلطان
 وممالك أبيه مهما شاء السلطان فعل فينا وفيهم .

١٠

هذا وقد ظهر الملل على السلطان من كثرة الفتن ، ولحظ الوالد منه ذلك ، فإنه
 قال فيما بعد : سمعت يقول في ذلك اليوم : وددت لو كنت كما كنت ولا أكون
 سلطانا .

ثم أمر السلطان الوالد أن يختفى حتى ينظر السلطان في مصلحته ، وأمر
 دمرداش أيضا بذلك ، وانفض المجلس من غير إبرام أمر .

١٥

ثم أصبح الناس يوم الأربعاء سابع شهر ربيع الأول من سنة ثمان المذكورة ،
 وقد ظهر الأمير يشبك الشعباني الندوادر ، والأمير تمتاز الناصري أمير سلاح ،
 والأمير جار كس القاسمي المصارع ، والأمير قاني باي العلاني ، وكانوا مختفين
 بالقاهرة من يوم واقعة السعيدية .

٢٠

(١) هذه الزيادة غير واردة في م . (٢) خشداش : هو الخصب والصاحب والزبيل .

(٣) رواية م : « بفعل » .

وخبر ظهورهم أن الأتابك بيبرس ركب إلى السلطان، وأخبره بمواضع الأمراء المذكورين، ووافقه على مصالحة الجراكسة وإحضار الأمراء من آخنتافهم، والإفراج عن إينال باي وغيره، فرضى السلطان بذلك، وتقرر الحال على ذلك، وطلع الأمراء المذكورون من الغد في يوم الخميس ثامن شهر ربيع الأول المذكور، فأخلع^(١) السلطان على الأمير سودون المحمدي باستقراره أمير آخورا كبيرا عوضا عن جرباش الشيخى، وعوده إلى إقطاعه إمرة طبلخانة ووظيفته رأس نوبة.

ثم في عاشره طلع الأمير يشبك الدوادار والأمير تمتاز الناصرى أمير سلاح والأمير جاركس القاسمى المصارع وجماعة أخر إلى القلعة، وقتلوا الأرض بين يدي السلطان، فأخلع عليهم خلع الرضا، ونزل كل واحد إلى داره.

ثم في خامس عشرة قدم الأمير قُطْلُوْبُغا الكركى، وإينال حطب، وسودون الجمزوى، ويلْبُغا الناصرى، وأسندمر الناصرى، وتمر من سجن الإسكندرية، وهؤلاء الذين كان السلطان نادى لهم بالأمان بعد وقعة السعيدية، فلما طلّعوا له قبض عليهم وسجنهم بالإسكندرية وهم رفقة يشبك وشيخ وحكم.

ثم قدم الأمير إينال باي بن بقماس من نغردمياط ومعه تمان تمر الناصرى.

ثم قدم الأمير يشبك بن أزدمر أيضا من سجن الإسكندرية.

ثم أسك السلطان القاضي فتح الدين فتح الله كاتب السر^(٢)، وولى عوضه سعد الدين إبراهيم بن غراب، وألزم فتح الدين بحمل ألف ألف درهم.

ثم ظهر الأمير درداش [نائب حلب^(٤)] من آخنتافه، فأخلع السلطان عليه نيابة غزّة، فسار في يوم السبت رابع عشرينه، وخلع السلطان أيضا على يشبك بن

(١) رواية م : « فخلع » . (٢) رواية م : « بعد عزل الأمير » .

(٣) رواية م : « كاتم » . (٤) هذه الزيادة لم ترد في م .

أزدمر بنياية مَلَطِيَّة، فامتنع من ذلك، فأكره حتى لبس الخلعة^(١)، ووكل به الأمير أرسطاي الحاجب والأمير محمد بن جليان الحاجب حتى أخرجاه من فوره إلى ظاهر القاهرة .

- ثم بعث السلطان إلى الأمير أربك الإبراهيمي الظاهري المعروف بخاص خرجي^(٢)،
- — وكان تأخر عن طلوع الخدمة — بأن يستقر في نياية طَرَسُوس^(٣)، فأبى أن يقبل والتجأ إلى بيت الأمير إينال باي، فاجتمع طائفة من الممالك ومضوا إلى يشبك بن أزدمر، وردّوه في ليلة الجمعة ثالث عشرين شهر ربيع الأول وقد وصل قريبا من سرياقوس، وضربوا الحاجب المرتسم عليه، وصار العسكر فرقتين، وأظهر الممالك الجراكسة الخلاف، ووقفوا تحت القلعة يمنعون من يقصد الطلوع إلى السلطان، وجلس الأتابك يبرس بجاعة من الأمراء في بيته، وصار السلطان بالقلعة وعنده عدة أمراء، وتمادى الحال على ذلك يوم الخميس والجمعة والسبت والسقالة بينهم .
- فلما كان يوم السبت نزل السلطان من القلعة إلى باب السلسلة، واجتمع عنده بعض الأمراء لإصلاح الأمر، فلم يفد ذلك، وباتوا على ما هم عليه، وأصبحوا يوم الأحد ثامن عشرينه وقد كثروا وطلبوا من السلطان الوالد أرغون من بشبغا .
-

وكان الوالد قد ظهر من يوم أخرج دمرداش إلى نياية غزّة، فلم يستجر أحد يتكلم في خروجه من القاهرة، واستمر على امرته، فأبى الملك الناصر أن يرسله إليهم،

(١) رواية م : «الخلع» .

(٢) عرف بذلك لكونه كان خصيصا عند أستاذه الظاهر برقوق، (الفضول الملاح ص ٢٧٣ ج ٢) .

(٣) طرسوس : هي مدينة بشغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، وهي واقعة على نهري حيان

المسمى قديما ساروس في آسيا الصغرى . وقد فتحها مسلمة بن عبد الملك . (معجم البلدان ص ٣٨ ج ٦ ومعجم الخريطة ص ٤٠) .

فقال الوالد : هذا أمر يطول ، ولا بد من النزول ، فنزل إليهم ومعه أرغون ، وكلم الأمراء في سبب طلبهم إياه ، وخشّن للأتابك بيبرس في القول ، فإنه كان مسفر الوالد لما ولي نيابة حلب في أيام الملك الظاهر برقوق ، فلم يتكلم بيبرس ولا غيره بكلمة واحدة ، وسكت الجميع .

فلما طال المجلس قال الوالد : ما تتكلموا ، فعندها تكلم شخص من الخاصكية الظاهرية يقال له : قرمش الأعور ، وهو الذي قطع رأسه في دولة الملك الأشرف برسبای من أجل جاني بك الصوفي حسبا يأتي ذكره ، وقال قرمش : ياخوند ، المقصود أنك تخرج من الديار المصرية حتى تسكن هذه الفتنة ، ثم تعود بعد أيام أو يعطيك السلطان ما تختار من البلاد . فقال الوالد : بسم الله حتى أشار السلطان ثم أسافر ، وخرج فلم يجرؤ أحد أن يقبضه ولا يرسم عليه ، وعاد إلى بيته ولم يطلع إلى السلطان .

وكان سكنه بالبيت الذي بباب الرملة تجاه مصلاة المؤمني^(٢) ، وأقام به يومه وتجهز وخرج في الليل في نحو مائة مملوك من خواصه ، فلم يقف له أحد على خبر ، وسار من البرية إلى القدس الشريف في دون الخمسة أيام ، ولم يجترأ بقطيا خوفا من تسليط العربان عليه .

وكان لما خرج من بيت بيبرس أرسل إليه السلطان يعلمه أنه أيضا يريد يخفى ويترك السلطنة ، فلهذا جئ الوالد في السير لئلا يخرج القوم في أثره ويقبضون عليه .

(١) رواية م : « فند ذلك » .

(٢) سبيل المؤمني ، سبق التليق عليه في ص ١٦١ من هذا الجزء ، واستدرك عليه أن السلطان النوري جدد بناء المصل في سنة ٥٩٠٩ هـ وهي مازالت موجودة إلى الآن مسقوفة بقفود حجرية ، وبها اسم النوري . وهي بأول شارع السبلة عائشة من جهة ميدان صلاح الدين .

فلما كان وقت الظهر من يوم خروج الوالد من مصر وهو يوم الأحد خامس
عشرين شهر ربيع الأول فُقد السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق من قلعة الجبل
ولم يُعرف له خبر .

- وسبب تركه السلطنة أنه كان في يوم النوروز جلس السلطان مع جماعة من
الأمراء والخاصكية من ممالك أبيه، وشرب معهم حتى سكر، ثم ألقى بنفسه إلى
فسقية هناك، فالتى الجماعة أنفسهم معه، وقد غلب على السلطان السكر، وصار
يَسْبِج معهم في الماء ويمازحهم، وترك الوقار، فجاء من خلفه الأمير أربك الإبراهيمي
المعروف بمخاص خرجي، وقيل غيره، وأربك الأشقر، وأغتمه في الماء مرارا وهو يمرق^(١)
من تحته كأنه يمازحه حتى قبض عليه وغرقه في الماء حتى كادت نفسه تهرق،
ففطن به بعض ممالك أبيه من الأروام ممن كان معهم أيضا في الفسقية، وخلصه
منه، وأخفى في سب أربك المذكور، وأراد قتله، فتمعه السلطان من ذلك،
وقال : كان يلعب معي، وأسرّها في نفسه .

- ثم طلع السلطان من الفسقية، وذهب كل واحد إلى حال سبيله، فذكر السلطان
بعد ذلك للوالد ما وقع له مع أربك المذكور، وأمره أن يكتم ذلك لوقته، فأخذ
الوالد يزول عنه ذلك ويهونه عليه .

ثم عَرَفَ السلطان جماعة من أكابر أمراء الجراكسة بذلك، فلم يلتفتوا لقوله
وقالوا : لم يُرد بذلك إلا مباسطة السلطان، فعند ذلك تحقق السلطان أنهم يريدون
قتله، وكان ذلك بعد خروج الأمراء من السجن وظهور يشبك ورفقته، وقد كثروا
وعظم جمعهم، فلم يجد الملك الناصر بدا من أن يفوز بنفسه ويترك لهم ملك مصر .

(١) رواية م : « الأشهر » . وفي هامشها من ١٣٣ : « الأشقر » ومروا أثبتا .

ولما أراد النزول من القلعة ليختفي بالقاهرة قام ومعه بكتمر مملوك القاضي سعد الدين بن غراب ، ويوسف بن قطلوبك صهر ابن غراب ، ونزلوا من باب السر الذي إلى القرافة ، وساروا على بركة الحبش^(١) ، ونزلوا منها في مركب ، وتركوا الخيل وتقيوا نهارهم كله في البحر حتى دخل الليل ، فساروا بالمركب إلى بيت سعد الدين ابن غراب وهو فيما بين الخليج^(٢) وبركة القيل^(٣) بالقرب من قنطرة طقزدر^(٤) ، فلم يجدوه في داره ، فروا على أقدامهم حتى باتوا في بيت بالقاهرة لبعض معارف بكتمر .

ثم بعثوا لابن غراب بجيء السلطان إلى عنده ، فهبأ له سعد الدين مكانا من داره ، وأنزله فيه من غير أن يعلم أحد به .

وأما الأمراء ، فإنه لما بلغهم ذهاب السلطان الملك الناصر^(٥) [خرج المذكور] في يوم الأحد خامس عشرين شهر ربيع الأول من سنة ثمان وثمانمائة ، بادروا بالطلوع إلى القلعة ، وهم طائفتان : الطائفة التي كانت خالفت السلطان الملك الناصر ، وركبوا عليه وقاتلوه أياما ، ثم توجهوا إلى الشام وعادوا إلى الديار المصرية وصحبهم جكم وشيخ وقرايوسف وواقعوه بالسعيدية^(٦) ، وكسروه . ثم اختفوا ، ورأسهم يشبك الشعباني الدوادار بن كان معه من الأمراء وقد مر ذكرهم في عدة مواضع ، والطائفة الأخرى كبيرهم بيبس الأتابك ، وسودون المارداني الدوادار الكبير ، وإينال باي وغيرهم .

فلما طلوعوا الجميع إلى القلعة ، منهم الأمير سودون تلي المحمدي الأمير آخور الكبير من الطلوع إلى القلعة ، فصاروا يتضرعون إليه من نصف النهار إلى بعد

(١) بركة الحبش ، سبق التعليق عليها بالجزء الخامس ص ١٤ (٢) الخليج : سبق التعليق

عليه ص ٤٣ (٣) بركة القيل : سبق التعليق عليها بالجزء السابع ص ٣٦٥

(٤) قنطرة طقزدر : سبق التعليق عليها ج ٩ ص ١٩٥ (٥) هدد الزيادة لم ترد في م .

(٦) السعيدية : سبق التعليق عليها ج ٨ ص ٢٥٣

غروب الشمس، حتى مكنهم من العبور من باب السلسلة، فطلعوا ومعهم الخليفة المتوكل على الله والقضاة الأربعة، وتكلموا فيمن ينصبوه سلطانا، حتى اتفقوا على سلطنة الأمير عبد العزيز بن الملك الظاهر برقوق، فإنه ولى عهد أخيه في السلطنة حسبما قرره والده الملك الظاهر برقوق قبل وفاته، فطلبوه من الدور السلطانية، فمنعته أمه خوند قنق باى أولا، ثم دفعته لهم فأحضره، وتم أمره، وتسلمن حسبما نذكره في محلّه من ترجمته، وخُلع الملك الناصر فرج من السلطنة وسنه نحو سبع عشرة سنة تخمينًا، فكانت مدة تحكم الملك الناصر على مصر من يوم مات أبوه الملك الظاهر برقوق إلى يوم خلع ست سنين وخمسة أشهر وأحد عشر يوما [والله أعلم^(١)].



« انتهى الجزء الثانى عشر من النجوم الزاهرة، وبليه إن شاء الله تعالى
الجزء الثالث عشر، وأوله : السنة الأولى من سلطنة الملك الناصر
فرج بن الظاهر برقوق الأولى على مصر » .

(١) الزيادة عن (م) .

تراثنا

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي

٨١٣ - ٨٧٤ هـ

الجزء الثاني عشر

طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب

وزارة الثقافة والإرشاد القومي

المؤسسة المصرية العامة

للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مطابع كوستاسوماس وشركاه

ه شارع وقف الحربوطل بالطاهر - ٩٠١١٨
القاهرة